

الأزهر

في ألف عام

دكتور علي علي صبح

دكتور محمد عبد المنعم خفاجي

الطبعة الثالثة

مزيدة ومحققة ومنقحة

١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٩ م

الجزء الثالث

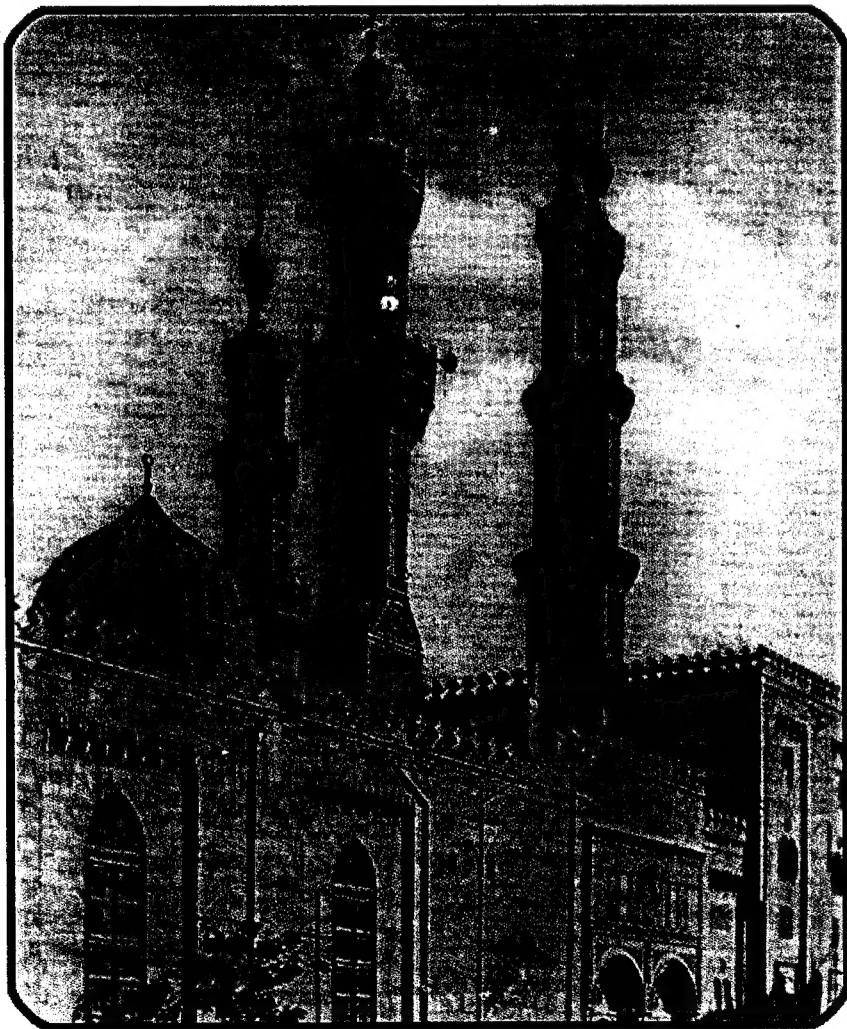
الناشر

المكتبة الأزهرية للنراث

(٩) درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر الشريف - ت: ٢٥١٢٠٨٤٧

AL AZHAR MAGAZINE

Rabi - El-akar 1413,higrah- October 1992.- Vol.65 part IV



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تصدير

الحمد لله رب العالمين: ﴿الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن: ١-٤].

والصلاة والسلام على سيدنا رسول الأنام، خصه الله تعالى بجوامع الكلم، والبيان، كما ورد في الحديث الشريف: «أعطيت سبعا لم يعطهن أحد من قبلي: ... وأعطيت جوامع الكلم...» وفي حديث شريف ثان: «أنا أفصح العرب بيد أنى من قريش»، وفي حديث شريف ثالث: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر» فاجتمعت فيه كل الفضائل والخلائق، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، وفي حديث عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها: «كان خلق رسول الله ﷺ القرآن الكريم»، اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه وأتباعه رضى الله عنهم أجمعين.

--- وبعد: فهذا هو الجزء الثالث من كتاب: «الأزهر فى ألف عام»، فى طبعته الجديدة بعد وفاة العلامة الكبير الأستاذ الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى «سيوطى العصر الحديث»، بعد أن أضفنا إليه كثيراً من الموضوعات والأعلام والصور للأزهر وجامعته تقريباً، مع التنبيه إلى ما سبق ذكره مما نشرناه قبل ذلك فى كتابنا «الحركة العلمية للأزهر فى القرنين التاسع عشر والعشرين»، لكى نكمل بهذه الإضافات الموضوعات والأعلام التى لم تذكر، وكذلك الصور وهى جديدة لم تنشر، ولم توضع من قبل، حتى تتكامل الصور والمعلومات فى مجموع الكتابين: هذا الكتاب: «الأزهر فى ألف عام» وكتابنا: «الحركة العلمية للأزهر فى القرنين التاسع عشر والعشرين»، ليكون هذا العمل العلمى والتاريخى والأدبى موسوعة، متنوعة فى ساحة التأليف والترجمة والحركة العلمية والفكرية والأدبية للأزهر الشريف، وجامعته المتجددة والمتطورة فى حياتنا المعاصرة، ليظل قلعة للشريعة الإسلامية وعلومها، وحصناً حصيناً للغة العربية وآدابها، والله تعالى وحده ولى التوفيق.

دكتور على على صبح

فى رمضان ١٤٣٠هـ سبتمبر ٢٠٠٩م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن للعلم أزهرًا يتسامى	كسماء ما طاولتها سماء
حين وافاه ذو البناء، ولولا	منة الله ما أقام البناء
رب إن الهدى هداك وآيا	تك نور تهدي به من تشاء
مذ تنامي أرخت باب علوم	وفخار به يجاب الدعاء

●●●

الأزهر الشريف

للدكتور حسن جاد حسن

يحتفى الشاعر حسن جاد بالأزهر الشريف فى قصيدته: «الأزهر فى عيده الألفى» يصور فيها دور الأزهر الشريف فى حضارة الأمة الإسلامية قديماً وحديثاً وفى كل العصور، يقول: (١)

وأدال عمر الدهر وهو معمر	أرأيت كيف طوى القرون الأزهر
عزماً ولا أوهنت قواه الأعصر	مرت عليه الألف لم توهن له
وإهابه غض الشباب منضّر	وأشاب ناصية الزمان ولم يزل
حفظاً فلا يبلى ولا يتغير	الله ناط به الكتاب وهديه
شرقاً تطول به السما وتظهر	وحبا كنانته به فأحلها
حرم يلوذ به الحجيج ومَشْعَر	هرم من الأهرام إلا أنه
ويؤم بعد المسجدين ويؤثر	أبدًا تشد له الرحال حثيثة
وهم على عقل البناة مسيطر	لا تغترر يوماً بصرح شاده
يبنى العقول النيرات ويعمر	ليس الذى يبنى الحجارة مثل من
شاد المعز الفاطمى وجوهر	ما شاد بان فى الكنانة مثلما
فمشى على أضوائه المتحير	يا معهداً عم المشارق نوره
عنه وجاوب غربها المتحضر	واستنهض الدنيا فرجع شرقها
متوثب الخطوات لا يتمثر	ووعى علوم الدين والدنيا معاً
وبه يفيض نيمرها المتفجر	وحمى الشريعة وهو حصن كتابها

(١) ديوان الدكتور حسن جاد المخطوط بكلية اللغة العربية بالقاهرة من ١٠٢/٩٩ وانظر كتابنا «الحركة العلمية للأزهر فى القرنين التاسع عشر والعشرين» د. خفاجى، ود. على صبح لترجمة د. حسن جاد.

وتعهد الفصحى فكان لسانها
كم أطلعت آفاقه من أنجم
من كل ركن فى الشريعة يستبى
من كان يلتمس الحقيقة حرة
كم فى رحاب الأرض من طلابها
وعليه ألوية البلاغة تنشر
زهر وكم تنساب منه الأبحر
فى العلم أفذاذ العقول ويسحر
فلديه جواهر لبها المتخير
حجوا إليه خاشعين وكبروا

ماضر لو سلك الشباب سبيله
طلبوا الهدى من غيره فتطرفوا
ولو استبانوا الرشد لم يتشددوا
علل النفوس خطيرة لكنما
من ذا سواه يروض جمع نفوسهم
كم ذا رماه بالتأخر مغرض
حسبوا الحفاظ على التراث تحجراً
إفك تورط فيه كل مضلل
من لم يؤسس بالقديم جديده
فى الحق واستهدوا به واستبصروا
وتخبطوا فى الوهم حتى كفروا
فالدين أسمح فى الأمور وأيسر
علل التدين والعقيدة أخطر
بهدهاء وهو على الرياضة أقدر؟
فهل الأصالة رجعة وتأخر؟!
فهل الحفاظ على التراث تحجر؟
لما تولى كبره المستعمر
فجديده واهى الأساس مزور

مرت عليه الحادثات فجازها
كم قاد ثورات التضال وشبها
وجرى زكياً من بواكيه دم
وإذا استضم الشعب أو ريع الحمى
من أشعل الحرية الحمراء فى
متجلداً حيناً وحيناً يزأر
ناراً على المستعمرين تسعر
عبق بأنفاس الخلود معطر
صرخت مآذنه وضج المنبر
ساحاته نوراً وناراً تصهر؟

وملاحمًا يجثولها تاريخه
من بث روح الوعى حرًا لم يزل
إن الموكل بالحنيف وهديه
يا أزهر الماضى المجيد تحية
غراء يوجبها الوفاء وذمة
أنا من غراس يديك فرع خميلة
يجرى البيان الحق فى أعراقها
تفيا الفصحى ظليل ظلالها
ماض عليه من الجلال مهابة
إنى لأذكره فيبهر خاطرى

غرا بأقلام الخلود تسطر^(١)
يلد البطولات التى لا تقهر؟
أحرى وأخلق بالجهاد وأجدر
النَّدُّ فَوْحُ أريجها والعنبر
نرعى الحقوق ومنة لك تشكر
كرمت منابتها وطاب العنصر
عذبًا فتطلع نابيهه وتثمر
وغصونها للعبقرية مزهر
يحنو لها المختال والمتجبر
والمجد حقا ما يروع ويهر

لبيك شيخ الجامعات ومن به
كنت السماء منارة ومكانة
كانوا ملوكًا للملوك وكلهم
لم يغرمهم جاء ولا أذرت بهم
من مد فى وجه الخديوى رجله
من صير الأمراء فى سوق الحمى
والراسخ الإيمان ليس يخيفه
والعلم كان مناهلاً يروى الصدى

مصر على الدنيا تنبيه ونفخر
طلع الشيوخ بها نجومًا تزهر
فى وجه طغيان الملوك غضنفر
دنيا ولا استهوا هموم ما ينكر
زهذاً وضم يديه وهو المقتر؟^(٢)
سلعًا تقوِّم قبل أن يتأمروا^(٣)
من دهره إلا العلى الأكبر
ظمانه منها وعنهما يصدر

(١) ديوان الدكتور حسن جاد حسن المخطوط بكلية اللغة العربية بالقاهرة من ١٠٢/٩٩.

(٢) هو الشيخ الباجورى الذى لم يحفل بالخديوى حين زار حلقته وكان يمد رجله فلم يضمها ثم أنه لم يقبل هدية الخديوى التى بعث بها إليه مع فقره.

(٣) هو العز بن عبد السلام سلطان العلماء الذى أفتى ببيع أمراء الممالك واعتبرهم من مال بيت المسلمين.

حلقاته الغراء حول شيوخه
كانت خلایا النحل عند دويها
وبساحاتها شتى المذاهب تلتقى
تغشى مجالسها الملائك خشعاً
وتعمها النفحات من أنفاسها
فالعالم قصد الطالبين لذاته
ما باله أضحي غشاء تجارة
عمت معاهده المدائن والقرى
وترى بكل مدينة كلیة
يلقى إلى القطط السمان زمامها
يتقاسمون الغنم فيما بينهم
من كل نهـاز تسلق للذرا
ومهرجٌ يعلو مناكب عصابة
ينهى ويأمر باسمها متبجحاً
أشلاء مجد مزقته مخالب
وتراث أسلاف قد انفردوا به
وقف على الجبناء من أذناهم
لكنما حریتی وترفعی
حسبي من الدنيا غناى بها وإن

هالات أقمار سناها أقمر
وبهاجناها الحريق السكر
فالساح حشد والأئمة حضر
ويحفها مدد السماء النیر
وكانها المسك الفتیق الأزفر
لا یبتغى جاه به أو مظهر
تلغوا بها سوق ويلهو متجر
أترى كمظهرها یسر المخبر؟
أترى كمنظرها یروق الجواهر؟
فیسومها (الدلال) و«الشَّهْبَنْدَر»
فالربح وفر والجهالة أوفر
وضميره بشرى الحضيض معفر
تحمیه وهو الأحقق المنهور
وكذاك ينهى (العُصْبَجِي) ويأمر
خرقاء فى سمت التقى تستر
فى النهب دون تخرج واستأثروا
أما الأبی العبقري فمهدر
وكرامتى أغلى الكنوز وأندر
كانت ذنوباً عندهم لا تغفر

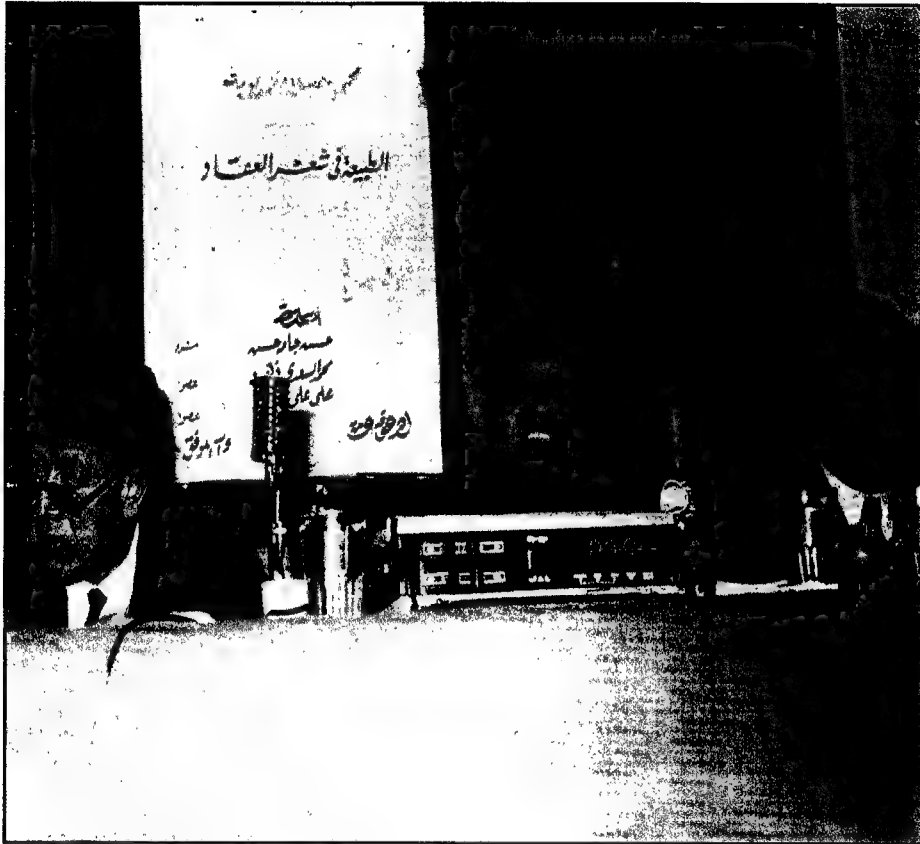
قالوا التطور قلت صبغ حائل إن الأصل الحر لا يتطور

أمن القشور الهامشية يرتجى علم سوى أو سلوك خير؟
لا يخذعك بها كتاب أبيض من بعد ما هجر الكتاب الأصفر

يا أزهر الماضى وكم فى النفس من ذكرى يؤججها أمى وتحسر
عذراً إذا شط اليراع فأتت من يعفو إذا شط اليراع ويعذر
عقدت لسانك عجمة ولطا لما قد كان باللغة الفصيحة يهدر
من أهمل القرآن حفظاً غاله عى اللسان الأعجمى فيُخصر
جيل لعمرى ما يصحح آية حتى غدت منه المنابر تسخر
نفثات أشجان زحمن مشاعرى ومن الشجون مقيد ومحرر
أشدو وفى عبنى وبين جوانحى دمع يجول ومهجة تنفطر
لكننى فى عيىء الألفى لا أنسى الرجاء قرب كسر يجب
مهما نظم لك الوفاء وصغته درا فإنى فى الوفاء مقصر
يكفيك أنك أنت مصر ومجدها يوم الفخار وأن مصر الأزهر^(١)



(١) انظر كتابنا «الحركة العلمية للأزهر فى القرنين التاسع عشر والعشرين» د. خفاجى، د. على صبح تحدثنا عنه ٣ ص ٥٦١ القاهرة ٢٠٠٧ - المكتبة الأزهرية للتراث وفيه ترجمة تاريخية للدكتور حسن جاد.



على الترتيب من اليمين أ.د. على صبح المؤلف عميد كلية اللغة العربية وأ.د. محمد السعدى فرهود رئيس جامعة الأزهر، وأ.د. حسن جاد حسن عميد كلية اللغة العربية.

الأزهر للشاعر عزيز أباظة

<p>منبر في ثرى الكنانة قدسى ما ارتقى الأنبياء أعرق منه إنه الأزهر الشريف أجد^(١) الله واجتباه مجاهداً خاشى الله درجت حوله القرون فلم تعرفه سل طواغيت كل عصر بمصر آنسوا فيه مغاوير عمرو^(٢) عزة عفة وأنفا حميا فإذا ما دعاه للحق داع فى حمى الأزهر الرحب وفى يوم هبت تذود عن عرضها والمنايا من حولهم حاشدات نبذ الأزهر المتون وألقى سل أبناؤه إلى النصر عزمًا يا أبا الجامعات فى الشرق والغرب كم بنيت الأفذاذ فكرا وعلمًا</p>	<p>تتمنى لو قد حوته الثريا شرقًا سامقًا وعتقًا سنيا فى صحنه السنا العرييا مقيمًا حدوده مخشيًا تحت الأحداث إلا جريا كيف هابوا المغمم الأزهريا شبهها واضح السمات جليا وإباء على الهنات عصيا لم يبت ناكلا ولا قعديا أفئائه الحانيات عشنا مليا مصر كمى منها يبارى كميا يتخطفن رائحات غديا بالحواشى وانقض ليثا عتيا حيدرًا^(٣) وصارمًا خالديا^(٤) ويا شيخها الوقور الفتيا عبقرى منهم يلى عبقريا</p>
--	--

(١) أجد: جدد. (٢) عمرو بن العاص رضى الله عنه.

(٣) على بن أبى طالب رضى الله عنه.

(٤) خالد بن الوليد رضى الله عنه من قصيدة ألقيت فى رثاء الشيخ محمد على النجار عضو مجمع اللغة بقاعة الشيخ محمد عبده بالأزهر.

الأشهداء فى يقين ودين
النواوى والمراغى والعدوى
والبخيرى من محلة نصر
مصلحا مخضعا فتاواه للفكر
يتحرى النقلى فى العلم بالبحث
صفوة من بنيك عزت بهم مصر
لست أحصى ولا أخصص بل
من رسول الأزهريين شيخا
أدركوا الصدع قبل أن يصبح
وشباب يستمرئون ذليل العجز
ركبوا الجهل والسهولة والوشك^(٤)
أرسلوا الشعر طمطمات فلا غربى
وانتحوه كأنما هو ثار حين
مذهب من مذاهب سوء يطوى
يتعدى بهدمها فض شمل العرب
يتعدى بهدمها أن يبیت
واستباحوا كرامة الحق والفن

والأرقاء فى السجود البكيا
والرازقى والبششريا^(١)
مالىء العصر كابن رشد دويا^(٢)
وحبرا مجددا سلفيا
وينغزو بعقله العقليا
وكادت علوا تشق السماء^(٣)
أجنيت من زحمة الحللى حليا
وفتيا ودانيا وقصيا
الصدع على الرائي صعبا عصيا
وردا رنقا ومرعى وبيا
وليست للراشدين مطيا
نسج سده^(٥) ولا شرقيا
رضوا وزنا وهضوا رويا
بجلال الفصحى العدا الضريا
فضا كما نثرت العصيا
الدين لا راعيا ولا مرعيا
دعى منهم يمالى دعيا

(١) الشيخ حسونة النواوى والشيخ محمد مصطفى المراغى والشيخ مصطفى عبد الرازق والشيخ سليم البشري.

(٢) الشيخ الإمام محمد عبده وابن رشد الفيلسوف الفقيه الطبيب الأندلسي.

(٣) جمع سماء.

(٤) الوشك: السرعة.

(٥) سدى الثوب أقام سده وهو ما يمد من خيوط.

هاتكًا حرمة المعايير والأخطار حتى عدوا الفصاحة عيا
 فغدا الذم عندهم أن يقولوا شاعر يؤثر البيان السريا
 أو يقولوا أسف واعتاقه العجز فجارى الشريف والبحثريا
 أو يقولوا عن كاتب ماله هان فأمسى أسلوبه جاحظيا
 إنه الزيف فاضربوا حوله الإيمان سدا يوأد دنيا شقيا
 لن تضام الفصحى وفينا كتاب الله يتلى صبيحة وعشيا
 وعد الله أن يصون حماها إنه كان وعده مقضيا
 لا ومن أنزل القرآن على المبعوث الحق مرسلًا ونبيًا المبعوث الحق مرسلًا ونبيًا



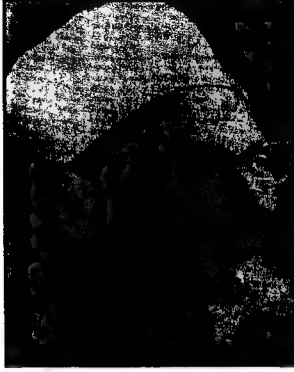
الباب الرابع

أعلام من الأزهر في العصر الحديث

الفصل الأول: شيوخ الأزهر

[٤٠] فضيلة الإمام الأكبر الدكتور

الشيخ عبد الحليم محمود



الأزهر الشريف الذي سمقت مآذنه إلى السماء منذ ألف عام ونصف تقريباً، وستظل مآذنة سامقة نيرة مبهرة الإشعاع بواسطة مصابيح العلماء الأجلاء من الأزهر.. وإنني على ثقة ويقين، أن إشعاع الأزهر لن يخبوا أبداً ما دام فيه العلماء الغيورون على القرآن والسنة.. أمثال فضيلة الإمام د. سيد طنطاوي حفظه الله وأبقاه حيث أعاد حفظه القرآن وشجع الكتابيب ورصد لها الملايين من النقود. سيظل الأزهر أعظم ضوءاً، وأروع إشراقاً.

ونواصل الحديث عن إمام جليل من أئمة الأزهر أعاد للأزهر سمعته وهيبته، ونشر مدارس ومعاهد في كل ربوع مصر إنه فضيلة الإمام الدكتور عبد الحليم محمود الإمام الأربعون للأزهر الشريف.

«نسبه وبيئته ونشأته.. وتوليته المشيخة»:

إن الحديث عن هذا الإمام لا يكفيه كتب أو مجلدات.. لأنه تاريخ وسجل حافل بالعطاء في خدمة الإسلام والمسلمين والأزهر الشريف، وسأوجز مع عدم الإخلال بالمعنى. ومن أراد المزيد عنه وهو كثير، فليتصل بابنه أ. د. منيع - عميد كلية أصول الدين بالقاهرة سابقاً - وقد أفاض المؤرخون والمثقفون في الحديث عنه، وذكر مآثره، ومفاخره، فهو عالم إسلامي كبير، فسيح الآفاق عميق الأغوار، جمع بين ثقافة الشرق والغرب، وتأثر بالمعارف الدينية، كما انتفع بالعلوم الفلسفية، ومارس الحياة الواقعية، كما حلق في الآفاق الصوفية، وكابد من المشقات ما كابد.. ولكنه تسامى فوقها جميعاً. لأنه أثر حياة الآخرة على الحياة الدنيا، وتعلقت آماله بالله، فلم يعد بحاجة إلى أحد سواه.. إذا قرأت عنه قلت

هو فقيه كبير، وإذا سمعته قلت: هو خطيب ممتاز. وإذا عاشرته قلت: هو قطب من أقطاب التصوف، ويكفى أن تقول: هو الدكتور الإمام عبد الحليم محمود وكان لى الشرف أن درس لى وأنا طالب فى كلية أصول الدين فى الستينيات.

وإمامنا نشأ فى أحضان القرية وربوع الريف الجميل ذات التقاليد القائمة على الشهامة والرجولة والمروءة والسخاء، لأن هذه التزامات البيئة الريفية، التى تلتزم النجدة، وإغاثة الملهوف، والتعاون على البر والتقوى، والصون والعفاف والمحافظة على شعائر الدين، وصلات الأرحام، والحفاظ على الجوار. . إلخ وهذه المؤثرات كلها، انطبعت فى نفس الطفل، منذ نشأته وظلت ملازمة له طيلة حياته.

ولد د. عبد الحليم. . لأبوين كبيرين فى مايو سنة ١٩١٠ فى قرية ريفية جميلة تسمى «أبو حمد» من ضواحي مدينة بلبيس شرقية والقرية منسوبة إلى جده «أبو حمد» الذى أنشأ القرية، وأصلح أرضها، ويث فيها الخصب والنعاء، وهى تقع على ترعة الإسماعيلية، التى تبعد عن القاهرة حوالى خمسين ك.م. والبيئة لها أثرها على مجتمعتها. . ولهذا فإن القرية:

تقع فى منطقة جميلة عامرة بالحدائق، التى تنافس كبار رجال الدولة فى إنشائها، والآن تسمى «السلام» نشأ فى أسرة صالحة مشهورة بتمسكها بشعائر الإسلام، حريصة على التقاليد العربية الكريمة، والخلق الإسلامى القويم. وكان أبوه الشيخ «محمود على» من الشغوفين بالثقافة الدينية فى حلقات الأزهر العلمية، وكان يتمنى أن يستكمل دراسته بها، ولكن والده الشيخ على توفى. . فاضطر أن يعود لقريته لرعاية أسرته، وقضاء ما لهم عليه من حقوق، وهكذا دائماً واجب الابن الكبير. . حق عليه رعاية الأسرة مهما كانت الأمور. ترك الشيخ محمود الأزهر وقلبه معلق به، ومشاعره الفياضة نحوه، وكان لا يكف عن الذكر والتذكير بالدعوة إلى الله، واتصل ببعض مشايخ الطرق الصوفية فتجاوبوا معاً، وكثيراً ما كان يستعيد ذكرياته الدراسية فى رحاب الأزهر، ويذكر أساتذته وزملاءه بالخير.

وكان يتمنى أن يرزقه الله طفلاً نجيباً يستكمل به ما فات، وما لم يستطع تحقيقه من الدراسة، واستكمال تعليمه، حتى رزقه الله بابنه عبد الحليم محمود، صاحب هذه الذكرى -الشيخ محمود- مشهوراً فى قريته والبلاد المجاورة،

بالتقوى والصلاح وحدة الذكاء وحسن التأني والتصرف في حل المشكلات مع التمسك بالحق والجهر به . والدعوة إليه ، فنال ثقة الناس به وانقياده للناس وانقيادهم له في كل المنطقة وما جاورها . « فاتجه الناس إليه جميعاً في حل مشكلاتهم وفض خصوماتهم ، فكان يدرسها ويعيها ويصدر أحكامه ، فيلتزم بها الجميع دون مراجعة أو اعتراض ، سواء كان عمدة أو فلاحاً . وقد لفت هذا نظر الحكومة ، فعينته قاضياً في المحاكم الإقليمية المعروفة في ذلك الحين باسم «محاكم الخط» وكان المسئولون يراعون اختيار القضاة من الوجهاء المشهورين بالتقوى والصلاح والعقل الرشيد وحب الناس لهم . وإنى أناشد وزارة العدل أن تعيد إحياء هذه المحاكم -لأنها ستخفف الأعباء عن المتخاصمين ، وسرعة الفصل في القضايا ، ولاقتناع الناس عادة بالحكم العرفي -القبلي- ومراعاة إحلال الوثام محل الخصام ، وأيضاً ستخفف الكثير جداً عن المحاكم الرسمية في قضاياها التي تأخذ في حلها سنين طويلة .

كل هذا نشأ فيه عبد الحليم الطفل والصبي والشاب في حجر والديه الكريمين ، مع العناية والرعاية ، والعطف والحنان ، لكن مع الحزم إذا لزم الأمر ، وأن يرده إلى الجادة^(١) .

ذهب الطفل إلى كتاب القرية مع والده وقابله الشيخ الذي سيحفظه القرآن ، وأعطاه بسخاء ، فعنى بالطفل عناية تامة ، حتى حفظ القرآن الكريم كله في وقت قصير -فقوم لسانه ، وأمدته بثروة لغوية وبيانية كانت خير رصيد له في الكتابة والخطابة والتحدث فيما بعد . ولقد تأثر الطفل بالورثة الصالحة من أبيه . . وبيئته الجميلة ، ثم زاد تأثره بمشايخ الصوفية الذين كانوا يتوافدون على والده وكرمه معهم ، وكان يصغى بانتباه إلى أحاديثهم الدينية وسبحاتهم الروحية ، وقصصهم الهادفة ، فتنتطب على صفحات قلبه ، وتمتزج بروحه ، فترك فيها الأثر العميق وبعد أن درس المواد التي تجيز له الالتحاق بالأزهر . . وبعد أن حفظ القرآن الكريم كاملاً . . ألحقه والده الشيخ محمود بالأزهر سنة ١٩٢٣م تحقيقاً للأمل الذي كان يصبو إليه ، فظل عامين يدرس في الأزهر بالقاهرة ويتنقل بين حلقاته ، وأبوه سعيد

(١) صوت الأزهر ص ١٠ في ٨ من رجب ١٤٢٩ / ١١ / ٢٠٠٨ . د. عبد الله نصر .

كل السعادة لما رآه فيه من الجد والاجتهاد.. ولما تم إنشاء معهد الزقازيق الديني الأزهري بالشرقية، وذلك سنة ١٩٢٥م ألحقه والده به لقرب الزقازيق ثم تم افتتاح معهد مسائي للمعلمين فتهافت عليه طلبة معهد الزقازيق حيث رأوا فيه فرصة سانحة لاختصار سنوات الدراسة الطويلة بالأزهر، والحصول على عمل مدرس بالمدارس الأولية في زمن قصير، فالتحق الطالب عبد الحليم مع كثير من زملائه بمعهد المعلمين - ولم يترك دراسته بالمعهد الديني بل جمع بين الدراستين، ونجح الطالب في المعهدين، ووصل إليه خطاب تعيينه مدرسا، ولكن والده رفض قبول هذا التعيين، لأنه كان يعد ابنه لمستقبل أفضل وأكرم، وعمل أعظم لا يعدل به غيره بأى حال. والتفت الطالب إلى التعليم الديني، وانكب عليه بكل مواهبه وطاقاته، ثم تكرر الموقف مرة ثانية حينما حاول الالتحاق بتجهيزية دار العلوم «القسم الثانوى» ليستكمل من بعد دراسته في قسمها العالى - والملاحظ أن كثيرا من طلبة الأزهر يميلون كثيرا للالتحاق بدار العلوم، أو مدرسة القضاء الشرعى.. وهما على كل حال منبثقتان عن الأزهر، وإن الإصلاح والتنظيم في مواد الأزهر وصل إليهما قبل الأزهر. الذى بقيت فيه كتب الحواشى والشروح الكبيرة والكم الهائل من كتب المراجع الكبيرة. التى ينوء بها كاهل الطالب ترهقه فى التحصيل، ولهذا كانت حركة الإصلاح بالأزهر موضوع صراع طويل بين أنصار التجديد وأنصار المحافظة على القديم.

عاد عبد الحليم إلى الأزهر لتحقيق ما كان والده يتمناه، وبذل جهودا كبيرة فى الدراسة والتحصيل، ورأى أن يختصر مرحلة التعليم الثانوى إلى عامين بدلا من خمسة أعوام، وكانت الدراسة بالأزهر تعطى للطلاب فرصة اختزال ودمج الخمس سنوات فى سنتين، فعكف الطالب على الاستذكار فى بيته وتقدم من منزله إلى شهادة إتمام الدراسة الثانوية بالمعهد فحصل عليها سنة ١٩٢٨م، وكان هو الطالب الوحيد الذى نجح من بين المتقدمين من منازلهم.. وواصل دراسته العالية فى جد وعزم وتصميم، وكان لا يكف عن القراءة والاطلاع. - سواء فى موسم الدراسة أو الإجازات، وكانت متعته الكبرى فى البحث والدرس والتحصيل حتى أتم دراسته، ونال العالمية سنة ١٩٣٢م. وكانت فرحة الوالد لا تقدر فى تحقيق أمله فى

ابنه الذى كان أيضاً أصغر الناجحين، وكان كل زميل من زملائه أمله أن يكون مدرساً لأحد المعاهد الابتدائية أو إماماً بأحد مساجد الأوقاف، ولكن طموح الشاب وسعة آماله وقوة ذكائه وشدة عزمته جعله يتطلع إلى اسمى من هذا، وهو أعلى الدرجات العلمية وهو أمل الموهوبين، وكان أمل الشاب أن يكمل دراسته الأزهرية، ويواصل دراسته فى الجامعات الأجنبية، وأثر التعب على الراحة، واختار الكفاح على الهدوء، واختار لدراسته -جامعة السوربون- فى باريس. فشد إليها الرحال، وهى مغامرة جريئة من شاب لا يعرف لغات أجنبية إلا للمأما. . ولا يعلم عن الثقافة الفرنسية إلا أحلاماً تراود خياله حيناً بعد حين- سافر الشاب إلى فرنسا على نفقته الخاصة، وهذا أمر مرهق تماماً، ومخاطرة لا يعلم مداها إلا الله -سبحانه وتعالى- إلا أنه سافر مزوداً بإيمانه القوى، وعزمه الفتى، وآماله المرجوة، واثقاً بربه، مؤمناً بأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، وفعلاً لاقى الشاب من المتاعب ما لاقى، وتحمل!! وظل محتفظاً بالتقاليد الإسلامية التى تربي عليها فى بلده، وذلك بين أقوام لا يعرفون هذه التقاليد، حتى ولو عرفوها لا يعيرونها اهتماماً^(١).

ومضى فى طريقه بعزم وإيمان صادق، فلم تجد المغريات بجميع أنواعها سبيلاً إلى نفسه، ولا الحضارة المادية طريقاً إلى قلبه، بل ظل سائراً بكل حرص، وحكم نفسه وسيطر عليها تماماً -ومن حكم نفسه حكم الرجال- مصراً على الوصول إلى غايته بأسرع ما يكون، وفضل أن يدرس تاريخ الأديان والفلسفة وعلم الاجتماع وعلم النفس، وحصل فى كل منها على شهادة عليا -وكان عليه قبل ذلك أن يتقن الفرنسية إتقاناً تاماً. . بحيث يستطيع الإطلاع وقراءة المصادر لأبحاثه، وأن يؤدى بها امتحانه، وأن يكتب بها رسالة الدكتوراة، وقد وفقه الله فى كل هذا، والله لا يضيع أجر العاملين.

وفى نهاية سنة ١٩٣٧م التحق بالبعثة الأزهرية، فزال عن كاهله أعباء ثقال، ونجح فيما اختاره من علوم وآثر أن تكون رسالته للدكتوراه -فى التصوف الإسلامى - وأن يكون موضوعها. . أستاذاً من عمالقة الصوفية. .

(١) صوت الأزهر ص ١٠ فى ١٥ من رجب ١٤٢٩هـ - ١٨/١٧/٢٠٠٨ د. عبد الله سلامة نصر.

وهو «الحارث بن أسد» فإن بينهما مشابهات قوية في الفطرة الروحية، والمشاعر الوجدانية، والسلوك الصوفي، وكلاهما يرى الكتاب والسنة أساس التصوف، وكلاهما تقى ورع عف اللسان، وزاهد في الدنيا ومتاعها، لا عن فقر أو ضعف، ولا عن حرمان، وإنما عن غنى وعفاف وسعة رزق.

وفي أثناء إعداد رسالته، قامت الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ وفضل كثير من زملائه العودة للوطن فراراً من مشاكل الحرب ولكن إيمانه القوى بالله، جعله أن يبقى حتى يتم رسالته هو وقلة من زملائه، منهم الدكتور «محمد الفحام». وبلغ هدفه معتصماً بقول الله سبحانه: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١]. ومضى في كتابة رسالته حتى أتمها، وتحدد لمناقشته سنة ١٩٤٠ وتمت المناقشة ونال درجة «الدكتوراة» بامتياز مع مرتبة الشرف الأولى، وقررت الجامعة طبعها بالفرنسية على نفقتها، وهو تقدير نادر وعظيم، وبعد هذا الجهد، وبعد أن نال بغيته وحقق أمله الذي كان يهفو إليه طوال حياته. . قرر العودة إلى وطنه عن طريق البحر. إسبانيا -وبدخول إيطاليا الحرب تعذرت عليه سبل المواصلات فظل عاما ونصف العام يتردد بين إسبانيا وفرنسا، وأخيراً قرر السفر عن طريق رأس الرجاء الصالح حول قارة إفريقيا، وهو طريق طويل حافل بالأخطار والعواصف. ولكن لم يكن أمامه سبيل غير ذلك. . فقضى أربعة أشهر قاسى فيها من المتاعب أشدها، ووصل وطنه الحبيب -مصر- أخيراً متوجاً بالفوز والنصر وذلك في أواخر سنة ١٩٤٠.

«مناصب تولّاها قبل المشيخة»:

بدأ الدكتور عبد الحليم محمود حياته العملية عقب عودته من فرنسا. مدرساً لعلم النفس بكلية اللغة العربية، ثم أستاذا للفلسفة بكلية أصول الدين سنة ١٩٥١م ثم عميداً لها سنة ١٩٦٤ فالزم الطلبة بحفظ القرآن الكريم والامتحان فيه. وقد أتيج له أن يلتقى بالكثير من أفراد الشعوب الإسلامية، وأن يعلم ما تقاسيه تلك الشعوب من ويلات الاستعمار، ومن يتعاونون معه وأن الثقافة الإسلامية في تلك الشعوب ضعيفة، مغلوطة الترجمة، فيجب تنقيتها.

ثم عين عضواً بمجمع البحوث الإسلامية، ثم أميناً عاماً له، وأعانه ذلك على بلوغ ما يصبو إليه من أهداف. . . حيث إن مجمع البحوث الإسلامية. هو الهيئة الإسلامية العليا التي تقوم بدراسة الثقافة، وتجديد الثقافة الإسلامية وتجريدها من الفضول والشوائب، وآثار التعصب السياسى والمذهبى، وإعادتها إلى جوهرها الأصيل الخالص، وتوسيع نطاق العلم بها، لكل مستوى وكل بيئة، وبيان الرأى فى كل ما يستجد من مشكلات مذهبية أو اجتماعية تتعلق بالعقيدة، وحمل الدعاة تبعة ذلك، ويجب أن تكون الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، ويجب على جامعة الأزهر التعاون فى توجيه الدراسات العليا، والدكتوراة والإشراف عليها فى امتحاناتها.

بدأ الدكتور عبد الحليم بتكوين الجهاز الإدارى والفنى بمجمع البحوث الإسلامية من خيار موظفى الأزهر، ونظمه خير تنظيم. . ثم اختار له مكاناً مناسباً، وجهزه بمكتبة علمية ضخمة، واختار مكاناً مؤقتاً بمدينة البحوث الإسلامية، واستغل صلاته وصدقاته بكبار رجال الدولة والمؤلفين والباحثين وأصحاب المروءة، فتوالت الهدايا العديدة من الكتب القيمة على هذا الجهاز الفنى. وبهذا أمكنه إنشاء المكتبة وإيجاد المكان دون أن يكلف الدولة جنيهاً واحداً. . ولكنه مع هذا كان يخطط للمستقبل البعيد^(١).

استطاع أن يقنع المسؤولين فى الدولة، بتخصيص قطعة أرض فسيحة بمدينة نصر لتضم المجمع وجميع أجهزته العلمية والإدارية، إلى جانب قاعات فسيحة لاجتماعات المجلس على مستوى عالمى لائق بسمعة الأزهر وسمعة مصر، تعقد فيه المؤتمرات العالمية، كما اقنع المسؤولين فى الدولة برصد ميزانية للتنفيذ. وفعلاً توجد الآن قاعة المؤتمرات للأزهر على أرقى مستوى عالمى. لإقامة المؤتمرات الكبرى يحضرها رئيس الدولة ووفود العالم، ثم أقيم بجانب المجمع مبنى رئاسة قطاع المعاهد، ووضع التصميم لهذه المباني الكبيرة أشهر المكاتب الهندسية الكبرى.

(١) صوت الأزهر ص ١٠ فى ٢٢ من رجب ١٤٢٩ هـ ٢٥ / ١٠ / ٢٠٠٨ م بقلم وريشة د. عبد الله سلامة نصر.

ثم عنى بمكتبة الأزهر الكبرى المقامة الآن على قطعة أرض كبيرة بأرض الخالدين بالدراسة، بعدما كانت داخل الجامع الأزهر، ثم بدأ بتنظيم لجان المجمع من أعضائه بحسب تخصص كل منهم. ولم ينتظر رصيذاً لميزانيته الخاصة، بل أخذ في التنسيق والإعداد حتى يختصر الوقت، وكان من أهم المشكلات التي واجهها توفير الكفاءات العلمية التي تتلاءم، ورسالة المجمع العالمية وتوفير المناصب اللازمة لهذه الكفاءات. وظل ينظم ويخطط لنشاط لجان المجمع، وقامت بأداء واجبها، فاجتمع مجلسه وتعددت اجتماعاته، وفي عهد رئاسته له أيضاً تم عقد المؤتمر المؤلف من كبار علماء المسلمين في العالم الإسلامي، ولم يكتف الإمام د. عبد الحليم محمود بإصدار القرارات، بل اهتم بتنفيذ هذه القرارات، سواء السابقة أو اللاحقة لعهد، وظل يواصل العمل لتحقيق هذه القرارات لا تنهيه قلة المال ولا ضعف الوسائل، والظروف، ثم واصل الاهتمام بالمجمع بعد تعيينه وكيلاً للأزهر، ثم وزيراً للأوقاف وشئون الأزهر، ثم شيخاً للأزهر.

واللجان القائمة بمجمع البحوث الإسلامية الآن تعمل متساندة متعاونة، يكمل بعضها بعضاً، ويعينها على أداء مهمتها السامية بأناة وحرص برئاسة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية وهو فضيلة الشيخ على عبد الباقي، ويرأس هذه اللجان وأعضاؤها العاملون الذين أحسن اختيارهم، وعدد هذه اللجان إحدى عشرة لجنة على سبيل المثال وليس الحصر.

ثم صدر قرار جمهوري بتعيينه وكيلاً للأزهر سنة ١٩٧٠ فازدادت أعباؤه واتسعت مجالات جهوده ولم يحاول أن يقلل من هذه الأعباء ولم يحد من جهوده، ولم يترك الأمر لكبار موظفي الأزهر يحملونه عنه، ولكنه ضاعف جهوده وجهاده في القيام بكل ما يخدم الدعوة الإسلامية، وكان مع هذا يرعى مجمع البحوث الإسلامية ويلقى محاضراته في كلية أصول الدين ومعهد الدراسات العربية والإسلامية ومعهد تدريب الأئمة، إلى جانب محاضراته العامة في الجمعيات والأندية بالقاهرة وغيرها من الأقاليم، وكان مع هذا كله يوالى كتابة الدراسات والمقالات في المجلات الإسلامية الكبرى، ويصنف المؤلفات القيمة ويشرف على رسائل الدكتوراة ويشارك في المؤتمرات والندوات العلمية ويتابع إلقاء الأحاديث في الإذاعة والتلفزيون.

ولم يقتصر نشاطه على مصر وحدها، بل امتد وشمل العالم الإسلامى كله، فكان لا يكاد يستقر إلا وهو على سفر إلى دولة خارجية، فقد تعلق به آمال المسلمين جميعاً فى كل قطر، ومن أمثلة جهوده التى بذلها فى مراحل حياته قبل ولايته لمشيخة الأزهر وأثنائها سفره إلى جميع بلاد العالم العربى والغربى والإسلامى.

توليه وزارة الأوقاف:

اختاره المسئولون وزيراً للأوقاف وشئون الأزهر، وذلك لكفاءته العلمية، ومواهبه العقلية والإدارية، وسلوكه القويم، فنظم الأجهزة وزودها بالكفاءات الممتازة، وأقام المساجد ووضع منهجاً دقيقاً لتحفيظ وتعليم القرآن الكريم - فى جميع قرى ونجوع مصر ومدنها، ورصد مكافأة مجزية للمحفظين من الجنسين، وبلغ عدد الكتاتيب وحلقات تحفيظ القرآن أكثر من أربعة آلاف حلقة وكتاب لا يقل عدد الحافظين عن أربعين حافظاً فى الكتاب الواحد، وضم إلى وزارة الأوقاف فى عام واحد أكثر من ألف مسجد، وأنشأ بمساجد الوزارة فصولاً للتقوية فى العلوم ينتفع بها طلاب الشهادات، جذبت آلاف الطلاب إلى الصلاة فى المساجد وربطهم بشعار الدين، فتح مكتبه لكل الجمهور يوم الخميس من كل أسبوع، واسترد أوقاف الوزارة المقتصب منها والمجهول والمنسى بعد أن كانت خراباً فأصلحها وأنشأها هيئة كبرى لإدارتها، وبهذا زاد دخل الوزارة عشرات الملايين من الجنيهات، ثم أنشأ مراكز إسلامية فى العالم، وعمل على توثيق الروابط بين الجامعات والمعاهد الإسلامية، وكان حريصاً على أن يرد للأزهر اعتباره ومنزلته وهيبته العالمية فاستصدر قراراً جمهورياً بأن شيخ الأزهر بمرتبة -رئيس وزراء- له كل مميزاتها^(١).

توليته المشيخة:

صدر قرار رئيس الجمهورية بتعيين فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود شيخاً للأزهر فى مارس ١٩٧٣م وكان هذا هو المكان الطبيعى الذى يليق بتلك الشخصية الفذة النادرة، فالوزارة لها اتجاهات لا تتفق مع برنامجه الإصلاحى الدينى -فهو لا

(١) صوت الأزهر ص ١٠ فى ٢٠ من رجب ١٤٢٩هـ ١/٨/٢٠٠٨ بقلم وريشة د. عبد الله سلامة نصر.

يريد الوزارة- فمثل هذا المنصب يستند وقته فى شئون روتينية، وفضيلته خلق ليكون عالمًا متحدثًا دارسًا باحثًا، ومؤلفًا، ومصنفًا، مع تصوفه الواضح . . وليكون مصلحًا اجتماعيًا كبيرًا، وكأنا أعدته العناية الإلهية ليتولى قيادة الدعوة الإسلامية، والنهضة الدينية فى العصر الحديث.. فبعد توليه منصب مشيخة الأزهر، لم يضع وقتًا، فقد باشر السعى فوراً لتحقيق أهدافه العلمية السامية، ورفع شأن الأزهر وانتشاره . . فقد سعى وهو وزير للأوقاف برد أوقاف الأزهر بعد اغتصابها منذ أكثر من مائة عام، حيث قال: «لقد كان موقفًا على الأزهر مالا كثيرًا لا يكاد يحصى من كثرته، وكان الأزهر يعيش فى حدود أوقافه المخصصة له كريم النفس رافع الرأس، ولا يشعر بأى ضيق مالى، يصرف الرواتب الشهرية للطلاب وشيوخه، ويبنى ويشيد المؤسسات والمساجد والمعاهد، ولا يمد يده لأى حكومة أى كانت، وبهذا يكون صاحب كلمة مسموعة وصاحب قرار. . وكان الحكام وذوو السلطة فى الدول يضيّقون بذلك أحيانًا، فما كان لهم من سبيل لاختضاع الأزهر إلا من جهة رزقه، وأخذ الحاكمون من بداية عصر محمد على وخلفائه، يحتالون للأمر. . حتى أمكنهم بالمكر والخديعة، أن يستولوا على أوقاف الأزهر، ويعطوه من خزانة الدولة ويضيّقون عليه سنة بعد أخرى، مع وقف نمو الأزهر وعدم انتشاره، وعدم تطوره، وأصبح الأزهر فى ضيق يزداد يوماً بعد يوم. . وحتى يكتموا صوت علمائه ضد ظلم الحكام. وتابع فضيلته فقال: «أما أوقاف الأزهر التى سلبت منه بالخيلة، فإنها شرعاً وقانوناً من حقه. . وما زالت له، ولأن أوقاف البر لا تؤخذ هكذا، ولا يغير مصرفها. . وكل هؤلاء الذين استولوا عليها إنما يأكلون حراما، ولا يقبل الله عملهم لأنهم يأكلون أموال الأزهر، لابد لهم من رد مال الأزهر إليه. . وهذه الأوقاف ثابتة فى حجج محفوظة، وكما اغتصبت دولة محمد على هذه الأوقاف فإنها يجب أن تسترد ثانية». . واعتبرت هذه الصرخة الجريئة فتوى فقهية صدرت من شيخ علماء المسلمين وإمامهم . . وهى واجبة التنفيذ فوراً. . حفاظاً على استقلال الأزهر وتاريخه المجيد.

ولقد واصل فضيلة الإمام الدكتور سيد طنطاوي وعمل على استرداد باقى حقوق الأزهر وأوقفه بعد كفاح مرير مع الدولة ومحاكم القضاء ، وتم استرداد

بأقى حقوق الأزهر وأوقافه بعد كفاح، وتم استردادها جميعاً حتى التى كانت تابعة لوزارة الأوقاف سنة ٢٠٠٧م.

ولقد أعد الدكتور عبد الحليم محمود نفسه للجهاد الشاق فى سبيل الله -بفكره وحكمته ولسانه، وشمل ذلك العالم الإسلامى، وكانت هناك مشكلات قائمة أمامه ومن أهمها:

١- تطبيق الشريعة الإسلامية.. لقد حاول الاستعمار أن يصرف المسلمين عن القرآن الكريم.. لأنه أساس الشريعة، ولأن الاستعمار يدرك تماماً أنه لا بقاء له فى العالم الإسلامى إلا بالقضاء على القرآن الكريم، قال اللورد -جلاد استون- فى مجلس اللوردات البريطانى ممسكاً بالمصحف الشريف فى يده قائلاً لأعضاء المجلس: «ما دام هذا الكتاب على الأرض»، فلا سبيل لنا فى اخضاع المسلمين، كما فشل الاستعمار فى القضاء على اللغة العربية أيضاً.. وذكرنا ذلك فى حلقات سابقة، ولكن الاستعمار نجح تماماً فى فرض قوانينه الوضعية على المسلمين وصرفهم عن شرع الله سبحانه!! ورفع الإمام صوته عالياً مدوياً، ينبه الأمة الإسلامية إلى تحرير نفسها من قيود الاستعمار وقوانينه والرجوع إلى قانون شرع الله وترك قوانين البشر المتغيرة -حسب الزمان والمكان، مثل قوانين- أفلاطون والنازية، والفاشية والشيوعية ولهذا نزلت الأديان هداية للبشر والعقل. ولقد انتصرت أمة الإسلام فى السابق فى ظل إيمانها بالإسلام، واحترامها الأمم، ثم بدأت تنهار شيئاً فشيئاً لما ابتعدت عن شرع الله.. وخرج الاستعمار وجنوده، وزرع مدارس الحقوق، وكان نصيب تدريس الشريعة الإسلامية ساعات قليلة من اثنتين وعشرين ساعة فى الأسبوع، وكانت النتيجة: أن المحامى والقاضى ووكيل النيابة يتخرج فى كلية الحقوق بفكر أوروبى، فى القياس والحكم والتوصية وهذا ما يريده الاستعمار!! ولقد طالب الإمام مجلس الشعب فى قوة وحزم بتطبيق شريعة الله^(١).

٢- استقلال الأزهر.. ويتبعها ست مشاكل أخرى لا يتسع لها المقام الآن، كما أكد على إقامة لجان للعمل على تقارب الأديان والمذاهب الفكرية، بخاصة بين النصرانية والإسلام.

(١) صوت الأزهر ص ١٠ فى ٧ من شعبان ١٤٢٩هـ ٨/٨/٢٠٠٨م بقلم وريشة د. عبد الله سلامة نصر.

وبينما كان الإمام ماضياً في ثورته الإصلاحية.. فوجيء -بغته- بصدور قرار جمهوري كاد يجرد شيخ الأزهر من اختصاصاته، ويمنحها لوزارة الأزهر، وينص القرار على أن شيخ الأزهر صاحب الرأي في كل ما يتصل بالشئون الدينية والمشتغلين بالقرآن وعلوم الإسلام، ويرأس المجلس الأعلى للأزهر!! فغضب الدكتور عبد الحلیم.. لا لنفسه وإنما غضب للأزهر ولمكانة شيخه التي اهتزت واهتز بها مقام الأزهر في مصر والعالم الإسلامي كله. وهنا لم يجد الإمام بدا من تقديم استقالته.. في يوليو ١٩٧٤م إلى رئيس الجمهورية شارحاً فيها موقفه وأن الأمر لا يتعلق بشخصه وإنما يتعلق بالأزهر وقيادته الروحية للعالم الإسلامي، وتوسط الوسطاء لإثناؤه عن عزمه فأصر عليها، وانقلبت الدنيا، وهذا موجود في جلسات ومحاضر المجلس الأعلى للأزهر وشئون الأزهر.. ونتيجة لهذا صدر قرار رئيس الجمهورية.. بإعادة الأمر إلى نصابه، ورد كل الحقوق لشيخ الأزهر، وأن شيخ الأزهر هو الإمام الأكبر، وصاحب الرأي في كل ما يتصل بالأزهر، وبناء على هذا سحب الإمام استقالته، ودعا إلى تحمل أعباء الأزهر من جديد ووضع هيبة الأزهر في أعلى درجاتها، وأصبح منصب شيخ الأزهر في المقام المناسب، وصدر قرار رئيس الجمهورية بمساواة منصب شيخ الأزهر بمنصب رئيس الوزراء من حيث المرتب والمكافآت والمعاش والإدارة.. وهذا جهد مشكور للدكتور عبد الحلیم ولقد تم له ما أراد من رفعة الأزهر.

٣- وهناك مشكلة أخرى قابلت الدكتور عبد الحلیم.. حيث تثار من آن إلى آخر في المجتمع الإسلامي.. وهي مشكلة «قانون الأحوال الشخصية» ويختلف فيها الكتاب تبعاً لأهوائهم، وبعضهم يستجيب للنص القرآني، لا يريد لغيره بديلاً.. وبعضهم يأخذ في محاولة الالتواء بالنص ليقربه مما يجري العمل به في الغرب أو ليقربه من أهوائه التي ينحرف بها تلبية لرغبة جامحة منحرفة يريدون تحريف شرع الله، والعجيب عندما تسأل بعض هذه الفئة، فإنهم يقولون نحن مع الوحي.. ومع الرأي الإسلامي، ولا يستطيعون قولاً خلاف ذلك.. خوفاً من تأليب الرأي العام عليهم.. وأريد أن أقول هنا قبل عرض رأي الإمام -إن النتيجة الحتمية التي ينتهي إليها كل باحث مخلص لبحثه وعلمه تاريخياً وإسلامياً فالمعروف

فى كل الديانات السماوية والوضعية أن الطلاق بيد الرجل يوقعه أينما يشاء لحكمة يراها، لا قيد عليه فى ذلك ولا تحديد.. هذا ما سار عليه التشريع الإسلامى منذ بدايته، وهذا الأمر يلجأ إليه الغرب الآن. الذى أخذ بمبدأ الطلاق متقرباً إلى الإسلام، فهل نحن نحاول الابتعاد عن الإسلام بالتقرب من الغرب. الذى أخذ يتخلى عنها.. إذن فلا مناص من أن الطلاق من الرجل يوقعه متى يشاء. وعلى أن من المباح أيضاً أن تشترط المرأة عند العقد.. أن يكون لها حق تطليق نفسها إذا وقع عليها ضرر. ولماذا نحكم على زوجين بأن يعيشا معاً حياة شقاء وعذاب طول حياتهما.

وأن تعدد الزوجات يبيحه الإسلام، ونص عليه القرآن وهو ضرورة تاريخياً واجتماعياً.. وحينما منع التعدد ومنع الطلاق فى الغرب كثرت العوانس والأمراض السرية، وكثر اللقطاء.. وإباحة التعدد ليست فرضاً، وليس كثيراً، فنادرا ما نسمع رجلاً جمع بين زوجتين، وأما الثلاث والأربع فيكاد يكون معدوماً مع إباحته.

٤- ووجه الدكتور عبد الحليم محمود نداء إلى مجلس الشعب حول الطلاق والتعدد، وأن لا ينساق المجلس إلى آراء تنحرف عن الإسلام، وأنه لا قيود على الطلاق إلا من ضمير المسلم، وكذلك التعدد.. والمصيبة أن قانون «الأحوال الشخصية» المقترح ملئ بالمواد التى تجرد الرجل من كل صنفه الزوجية وتجرد المرأة من كل واجب عليها نحو الزوجية، وبهذا تنتشر الرذيلة بين الجنسين، ونحن نعلم أن الإسلام يراعى مصلحة الطرفين.

٥- كما تصدى فضيلته للشيوعية، وأنها ربيبة اليهودية، وله فى ذلك مؤلفات كثيرة ومقالات، ولقد عنى عناية فائقة بالقرآن الكريم -عناية تفوق كل شأن فى حياته، فهو يستمد منه عباداته وهداياته وهو يتخلق بأخلاق القرآن فى كل علاقاته وحياته بالمجتمع.

ولما كان عميداً لكلية أصول الدين -فرض حفظ القرآن على طلبة الكلية بحيث لا يتخرج الطالب إلا وهو حافظاً للقرآن كله، ويشرف بنفسه على الامتحانات، وظلت عنايته بالقرآن الكريم تتوالى وهو وكيلاً للأزهر، ووزيراً للأوقاف، وشيخاً للأزهر.

آثاره العلمية وتأثيره:

إضافة لما سبق نجد أن الإمام د. عبد الحليم محمود -اعتنى بأداء رسالته العالمية، لكن هذا لم يشغله عن النهضة التعليمية بالأزهر، ليستطيع خريجه أن يحملوا راية الدعوة الإسلامية بالداخل والخارج على السواء. فبدأ ببرنامج ضخمة. . . نشير إلى بعض بنوده باختصار.

١- مكاتب تحفيظ القرآن الكريم، فقد قام بتشجيع هذه الكتابات التي بلغ عددها عشرات الآلاف في جميع مدن ومراكز وقرى مصر. ورصد لها ميزانية تزيد على المليون ونصف المليون، واتفق مع المسؤولين على احتساب سنتين اعتباريتين أقدمية لكل من يحفظ القرآن الكريم عند تعيينه أو ترقية للوظائف الأعلى، أو عند تسويته المعاش، وإضافة عشرين درجة مئوية إلى مجموع درجات الثانوية العامة لكل حافظ للقرآن عند التحاقه بجامعة الأزهر.

٢- اهتم اهتماماً كبيراً بالمعاهد الابتدائية وعين محفظين للقرآن الكريم بها، وجعل لكل عشرة آلاف نسمة من السكان -معهداً ابتدائياً أزهرياً نموذجياً- وفي كل مدرسة على الأقل فصلاً لتحفيظ القرآن.

٣- المعاهد الإعدادية والثانوية -ومعاهد الفتيات، ومعاهد القراءات، ومعاهد المعلمين والمعاهد العسكرية، وكانت همة الإمام الأكبر لا تقف عند حد أو هدف معين. فإنه إذا وصل لهدف تطلع للوصول إلى هدف آخر اسمى منه، فوضع خطة إلى مضاعفة تعداد المعاهد الأزهرية بجميع مراحلها، ولا ننسى ما فعله من أجل جامعة الأزهر، وانتشارها في جميع محافظات مصر، وتتابع آثاره العلمية التي يوضحها لنا في فكره وعقله ولسانه وقلمه الذي يفيض بالعلم ويشع بالحكمة، فهو محدث لبق، يعالج قضايا الفكر المعقدة في رفق ولين ومنطق.

وإنى لأعجب كيف استطاع وحده أن يقدم لنا هذا الإنتاج الغزير. . . لكن الله سبحانه -هو المعين، وهو الذي ألهمه فتفجرت منه ينابيع العلم الغزيرة، وتنوع إنتاجه فألف في «الفلسفة -الفقه- التصوف- السيرة- القضايا الاجتماعية- التراجم- أعلام الصوفية» هذا إلى جانب الكتب التي ألفها بالفرنسية، وترجمت

للعربية وعلى الرغم من أعبائه الكبيرة كان يواصل التدريس في بعض الكليات ويحاضر في الجمعيات إلخ^(١).

مؤلفاته ومصنفاته:

إن مؤلفات د. عبد الحليم محمود -لا تحصى عددا- ويمكن ارجاع مؤلفاته إلى ثلاثة أقسام:

الأولى: ما كتبه من دراسات علمية بالفرنسية، ونقله عنه إلى العربية منها:

١- الحارث بن أسد المحاسبي -بالفرنسية، طبع في باريس سنة ١٩٤٠م وطبع بمصر «أستاذ السائرين».

٢- وزان الأرواح -مترجم عن الفرنسية سنة ١٩٥٩م.

٣- الفلسفة اليونانية -مترجم عن الفرنسية.

٤- المشكلة الأخلاقية -والفلاسفة- مترجم عن الفرنسية.

٥- الأخلاق في الفلسفة الحديثة، مترجم أيضاً عن الفرنسية.

٦- محمد رسول الله مترجم إلخ.

القسم الثاني: ما حققه ونشره عن التراث الإسلامي القديم مع ما أضافه إليه من الحواشي والهوامش، والتعقيبات الجيدة وهي تزيد على أربعة عشر مؤلفاً نذكر منها.

١- الرعاية لحقوق الله سبحانه -للمحاسبي- دار الكتب ١٩٥٨م.

٢- الفلسفة الهندية للبيروني ١٩٥٨م.

٣- التعرف لمذاهب أهل التصوف -للكلاباذي.

٤- اللمع -للطوسي.

٥- تفسير التستري «جزآن».

٦- الطريق إلى الله ١٩٧٣م.

(١) صوت الأزهر ص ١٠ في ١٤ من شعبان ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨/٨/١٥ بقلم وريشة د. عبد الله سلامة نصر.

٧- الرسالة القشيرية .

٨- المنقذ من الضلال .

القسم الثالث: وهو ما ألفه فى موضوعات علمية متعددة الموضوعات تزيد عن الخمسين مؤلفاً .

نذكر بعضاً منها على سبيل المثال:

١- الفيلسوف المسلم .

٢- التصوف عند ابن سينا .

٣- أوروبا والإسلام .

٤- الإيمان .

٥- أسرار العبادات فى الإسلام .

٦- التصوف الإسلامى إلخ .

وفاته لكل أجل كتاب:

كان رحمه الله -عفيف اللسان متسامياً عن اللغو، وامتاز حيا وسيرة فى وقت الشدة والأزمات يتجلى فيه صفاء العزيمة، وجودة الرأى وسرعة البديهة، وقوة الصبر، وطول البال، فى أدب وتواضع كبير. يزينه الوقار والجلال، تخلق بأخلاق القرآن .

وبعد هذه الحياة الحافلة المجيدة -وكان عائداً من الأراضى المقدسة، أحس بآلام شديدة تلقاها بالصبر والهدوء، وأشار الأطباء بأجراء عملية جراحية عاجلة فأمهلهم حتى صلى ركعتين، وكأنه يشعر بالنهاية المحتومة، وكللت العملية بالنجاح لولا الأجل المحدود والقضاء المحتوم . . فلقى الإمام ربه فى مستشفى الشبراويشى يوم الثلاثاء الخامس عشر من ذى القعدة سنة ١٣٩٨هـ ١٧ أكتوبر سنة ١٩٧٨م وكانت آخر كلماته «لا إله إلا الله محمد رسول الله» الله حق، وفاضت روحه الطاهرة إلى بارئها، وكان نبأ وفاته مباغتا لكل الدنيا . . فغصت القلوب

بالخسرات، وفاضت العيون بالعبرات، وامتألت الأفواه بالزفرات. . فقد كان رحمه الله ملئ الأسماع والأبصار ومهوى النفوس والقلوب، ولقد كان آخر ما يباشره من أعمال: التخطيط ليضع الأزهر على أعلى قمة بين الدول، وكان وقتها العالم الإسلامي يستعد لاستقبال القرن الخامس عشر الهجرى واحتشدت الألوف المؤلفة من العلماء والوجهاء والكبراء من زملائه وتلاميذه وعارفى فضله، وفى موكب رهيب شيعت جنازته إلى مقره الأخير - ومع أن السائرين فى الجنازة يعلمون تمامًا أن الموت حق - وأن كل نفس ذائقة الموت.

لكن بكاءهم ونحيبهم لم ينقطع حسرة على لوعة الفراق، والسراج الوهاج الذى خبا ضوؤه ووصل جثمانه الطاهر إلى مقره الأخير قرينته «السلام» وتلقت الحكومة المصرية كما تلقت أسرته عشرات الآلاف من البرقيات من جميع ملوك ورؤساء وزعماء الدول فى الشرق والغرب على السواء.

تغمّد الله الفقيد برحمته وأسكنه فسيح جناته بقدر ما أعطى وبقدر ما عمل وأسكنه مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

ولقد نعاه كبار الدولة - من الأدباء والشعراء فى كلمات وقصائد تفيض حنانًا وتمزق القلوب المكلمة وقد نشر بعضها. . ونذكر مقتطفًا من واحدة من القصائد بعنوان «هول المصائب».

ما كدت أهتف فى الورى بحياته	حتى سمعت مشيعًا لوفاته
فتمزق القلب الكلیم من الأسى	متدفقا ينساب فى عبراته
كان العزاء لنا إذا جد الأسى	واليوم مات عزاؤنا بمماته
شيخ الشيوخ مضى لساحة ربه	مستروحا بالفيض من رحماته
قد كان للإسلام حصنا باذخا	يدعوه له ويدود عن حرماته
وسما فحقق كل مجد سامقا	وأفاض سباقا إلى غاياته
ملأ العيون بسمة ووقارة	وحوى القلوب بحلمه وأناته

ما كف عن ذكر المهيمن لحظة	في صحوه أو عميق سباته
يبدو جلال الصدق في كلماته	ويشيع نور الطهر في قسماته
يعطى ويعطى لا يمل من الندى	ويزيد إعطاء على علاته
يا من ورثت المصطفى في هديه	وتبعته مترسما خطواته
أحببت سته وصنت سبيله	وعملت بالمأثور من كلماته
وقضيت عمرك رافعاً لكتابه	متدبراً ما راع من آياته
أرضيت ربك جاهداً ومجاهداً	فانعم مع الأبرار في جناته ^(١)



(١) صوت الأزهري ص ١٠ في ٢١ من شعبان ١٤٢٩ هـ ٢٢/٨/٢٠٠٨ بقلم ورشة د. عبد الله سلامة نصر.

[٤١] فضيلة الإمام الأكبر الشيخ الدكتور محمد بيصار

رؤية فنية تاريخية:



الإمام الحادى والأربعون للأزهر الشريف.

ظل الأزهر بدون شيخ وبدون وكيل لفترة زمنية.. فصدر قرار جمهورى بتعيين الدكتور عبد المنعم النمر وكيلًا للأزهر، ومشرقًا على شئونه، حتى يتم تعيين شيخ للأزهر: بعد أن تركه الإمام الراحل الدكتور عبد الحليم محمود، وبعد بضعة شهور صدر قرار جمهورى بتعيين فضيلة الإمام الدكتور محمد بيصار شيخًا للأزهر.

مولده وبيته ونشأته وتوليته للمشيخة:

فى بيت ريفى متواضع، وفى قرية من قرى مركز «فوة» تسمى -السالمية- التابعة لمحافظة كفر الشيخ.

ولد محمد عبد الرحمن بيصار فى ٢٠ / ١٠ / ١٩١٠م ويقول المؤرخون.. إن أباه كان من أهل العلم، ونال حب واحترام أهل القرية جميعًا، وقد حاول أن يكون من طلاب العلم بالأزهر، ومن رجاله المرموقين، غير أن الظروف لم تكن فى صالحه، فسأل الله سبحانه أن يعوضه عما فاتته فى ولده محمد، وقد أجاب الله دعاءه وحقق رجاءه، وجعل ابنه هذا إمامًا للإسلام، تعنو له الدنيا، وتخطب وده الأيام، وكما ذكرنا أن محمد عبد الرحمن بيصار، ولد بقرية -السالمية- التى حفظ فيها القرآن الكريم، على يد والده، وجوده على أشهر القراء فى بلدته، ثم ولى وجهه للأزهر فالتحق بمعهد دسوق الدينى -وكان أمل والده فيه كبيرًا، وظهرت نجابة الابن مبكرة منذ نشأته، فأتى دراسته بالمعهد فى تفوق ظاهر، ثم التحق بمعهد طنطا ليكمل فيه دراسته الثانوية، وكان بفطرته، ميالا للتجديد والإصلاح، شغوفًا بالدراسات الأدبية والثقافية، فألف رواية سماها «بؤس اليتامى»، عالج فيها ما يتعرض له الأيتام من الظلم والبؤس من الأوصياء عليهم، وكذا من المجتمع..

ولقيت رواجًا واقبالاً من كل الناس، ومن المعروف أنه كان مولعًا بالرياضة البدنية، والعجيب أن نشاطه هذا جر عليه مشاكل وغضبًا من إدارة المعهد لاشتغاله بالتأليف، وهو عيب كبير في نظرها، ومهانة لا تليق بكلية العلوم الدينية والشرعية، فأجرت معه تحقيقًا كانت نتيجته أنه ترك معهد طنطا، والتحق بمعهد الإسكندرية، حيث وجد فيه عقولاً متفتحة تشجع المواهب المفكرة، وتساعد الطلاب النابغين في شتى المجالات.

وفي هذه الفترة كان الأزهر يموج بحركة الإصلاح والتجديد، ويمر بعوامل ثورة فكرية، متأججة ويمر بأزمة مالية عنيفة، صنعها العثمانيون والماليك، وكانت الأبواب موصدة أمام خريجي الأزهر، والقائمون على شئونه لا يحاولون حل هذه المشاكل، فكان بعض طلاب الأزهر يتحولون من دراستهم الدينية، ليشغلوا صيارفة في الأقاليم بعد فترة دراسية - قصيرة - وبعضهم كان ينتقل إلى مدارس المعلمين.. . ليعمل مدرسًا بالمدارس الابتدائية إلخ.. . وانفعل الطالب محمد بيصار بهذه الأحداث، وكان شابًا طموحًا، متوقد الذهن، تغمره آمال المستقبل، فترك المعهد، وعاد إلى بلده ليفكر مع أبيه في شأن مستقبله في غير الأزهر.. . وكان والده حكيماً بعيد النظر، فقال لابنه: «هل عدت إلينا لنفاد ما معك من النقود؟» فقال: لا.. . وإنما عدت لأفكر معك في مستقبلي بعيداً عن الأزهر، فقال له الأب: «ما بعثتك للأزهر لتكسب منه نقوداً.. . وإنما بعثتك إليه لتتعلم شئون دينك.. . لتتفع نفسك ويتفع منك الناس» يا ابني إن الدين ليس سلعة تجارية، والرزق بيد الله وحده، والذي خلقتك، هو المتكفل بك، فعد إلى دراستك، واتكل على الله، فإنه «لا تدرى نفس ماذا تكسب غداً»، والله لا يتخلى عن عباده «وكل شيء عنده بمقدار»، واقتنع الشاب بنصيحة أبيه، وآمن بها، وعاد ليواصل دراسته، في قوة وعزم وإيمان، وأتم دراسته بمعهد الإسكندرية الديني الأزهرى، والتحق بكلية «أصول الدين» وواصل دراسته فيها بتفوق، حتى تخرج فيها سنة ١٩٣٩م وسار في دراساته العليا في تخصص «قسم العقيدة والفلسفة» حتى حصل على العالمية بدرجة أستاذ سنة ١٩٤٥، وفي سنة ٤٦ عين مدرسًا بكلية أصول الدين - فجذب إليه الطلبة، كما لفت أنظار الأساتذة، وفي سنة ١٩٤٩م اختاره الأزهر عضواً في بعثاته التعليمية،

إلى إنجلترا، فتنقل بين الجامعات الإنجليزية حيث غرف من علومها ما استطاع من علوم ومعرفة، واستقر به المقام أخيراً بكلية الآداب بجامعة «أدنبره» ونال منها الدكتوراة بتفوق في الفلسفة العامة، وموضوعها «حجة الإسلام، الإمام الغزالي، والفيلسوف «ديكارت» وكلا الفيلسوفين. اتخذ منهج الشك وسيلة للوصول إلى المعرفة، وكلاهما انتهى من أبحاثه إلى الإيمان بالله على بصيرة ويقين.

«وقبل توليته منصب مشيخة الأزهر.. نجد أنه قد تولى مناصب عديدة.. نوجزها في التالي: في سنة ١٩٥٥م عين أستاذاً بكلية أصول الدين - ولقد رشحته مواهبه وثقافته، وأخلاقه لتولى منصب- مدير المركز الثقافي الإسلامي- بواشنطن، فقام بشئون المركز على أعلى مستوى.. وجعله مصدر إشعاع يضيء العقول والقلوب، ويجذب إليه الأسماع والأبصار سواء بين الطوائف الإسلامية المتعددة في أفكارها والمنشورة في أرجاء ولايات أمريكا، قد كانت الولايات المتحدة -وما زالت- تموج بجماعات عديدة إسلامية أو قريبة من الإسلام، ولكنها مختلفة العقائد والأهواء كالقديانية والبهائية، والشيعية وطوائفها، وكذا فرقة الإسماعيلية المنتشرة في لندن على نطاق أوسع، ثم إلى جانب طوائف أخرى وثنية أو يهودية أو نصرانية إلخ^(١).

ولقد استطاع الدكتور بيصار بذكائه ومعرفته وعلمه، ودرأته بأفكار أصحاب تلك العقائد والملل، أن يحظى باحترام وتقدير جميع تلك الطوائف، وتمكن في وسط هذا الضباب المتماوج أن يقود سفينة الدعوة في رفق وأناة، وأن يلفت إليه البصائر والأبصار، وظل يدير المركز الإسلامي إدارة حكيمة رائعة لمدة أربع سنوات ١٩٥٥ - ١٩٥٩ ثم عاء إلى وطنه أستاذاً بكلية أصول الدين، لتخريج جيل من أئمة العلماء والقادة.. وفي سنة ٦٣ اختاره الأزهر رئيساً لبعثته التعليمية في «ليبيا» فواصل جهاده وجهوده في نشر الدعوة الإسلامية بعلمه الغزير وبسلوكه القويم، وكما اكتسب خبرة عملية أعانته على فهم الطبائع المختلفة، والتزعات النفسية العميقة كان موقفاً في كل ما يباشره من أعمال.

ولقد صدر قرار جمهوري بتعيينه أميناً عاماً للأزهر، وذلك سنة ١٩٦٨، وهذا المنصب يتيح له المشاركة في الأعمال الإدارية والتوجيهية في الأزهر، واستطاع

(١) صوت الأزهر ص ١٠ في ٢٨ من شعبان ١٤٢٩هـ، ٢٩/٨/٢٠٠٨ بقلم وريشة د. عبد الله سلامة نصر.

ب خبرته أن ينهض بأعباء هذا المنصب الهام، وأداء واجبه، كما تولى منصب الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية، وهو منصب علمي خطير، لأنه هو الهيئة العليا للدراسات الإسلامية المختصة بتجديد الثقافة الإسلامية، وتجريدها من الفضول والشوائب وآثار التعصب السياسي والمذهبي، كما يشرف المجمع على مؤسسات علمية كثيرة هامة، وقد استطاع الدكتور «بيصار» في هذا المنصب أن يقوم بنهضة علمية كبرى.

سنة ١٩٧٤ خلا منصب وكيل الأزهر، فكان الدكتور بيسار أول المرشحين لولاية وكالة الأزهر وتم تعيينه بقرار جمهوري. . والمعروف أن وكيل الأزهر هو معاون الوحيد لشيخ الأزهر والمتولى تنفيذ قراراته، والقائم بأعماله حين غيابه أو مرضه أو استقالته، وقد كان الدكتور بيسار الساعد اليمين للإمام السابق د. عبد الحليم محمود، وموضع ثقته وبأخذ برأيه، ويثق في علمه وخلقه، ولقد طلب تجديد خدمته أكثر من مرة إلى أن صدر قرار جمهوري بتعيينه وزيراً للأوقاف وشئون الأزهر عام ١٩٧٨.

توليته المشيخة:

لقد صدر قرار جمهوري في ١٩٧٩/١/٢٩ بتعيين الدكتور محمد بيسار شيخاً للأزهر، ولما تقلد منصبه الجديد. . شمر عن ساعد الجذ وراح يسلك كل طريق يرى فيه صالح الأزهر، ورفع مكانته وقد استهل عمله بعد توليه المشيخة بتأليف لجنة كبرى لدراسة قانون الأزهر ولائحته التنفيذية، ليستطيع الأزهر الانطلاق في أداء رسالته العالمية، وما أمتاز به هذا الإمام ولعه الشديد بتقديم المعونة لكل محتاج، والسخاء بما يملك من مال أو جاه، بجانب جمعه بين الثقافة الإسلامية العميقة، والغربية العصرية في أحداث نهضاتها. . وهو يجيد الإنجليزية والفرنسية، وبهذا استطاع أن يجذب إليه القلوب من شتى أجناس أهل الأرض. . إضافة إلى أنه إداري من الطراز الأول، يحترم القوانين ويطبقها تطبيقاً دقيقاً في أناة ويسر، ويراعى العدالة المطلقة في كل تصرفاته، ويدرك بفطنته الحكمة من سن القوانين، وكأنه هو الذى وضعها، وله جلد كبير على مواصلة العمل، وموالاته البحث والدراسة في صبر وعزم وإخلاص، فتراه باحثاً ومحاضراً وخطيباً في وقت واحد،

مع طهارة قلب وصفاء نفس وضمير.. وله بديهية حاضرة تسعفه في حل أعقد المشكلات فيدلى فيها بالرأى السديد، دون إرهاق ذهن، كما أعانته خبرته وتجاربه العلمية العديدة على إدارة أدق النزاعات في قلوب المحيطين به، ويعاملهم بما يتسق معهم، وما من دعوة لنصرة الإسلام، ويبيان صحته إلا وأسرع للإسهام فيها بكل ما يملك.

وقد قدر الأزهر والدولة له كل هذه الجهود الشاقة، وتلك المساعي المخلصة، فمنح قلادة الجمهورية، وهى من أرفع النياشين المصرية، وهذا تقدير للأزهر في شخصه، وتقدير الشخصية في رعاية الأزهر، ووضعه في المكان اللائق به في هذه الدنيا، ولقد طالعت له أعمالاً جبارة، وأقف أمامها متعجباً وأنا أطلع شريط حياة هذا الإمام.. كيف أدى هذه الجهود كلها، وهو رجل واحد.. إلا أن يكون له عون من الله - سبحانه وتعالى -.

ولقد كان لى شرف اللقاء به عندما كنت مبعوثاً للأزهر في باكستان.. والتقى ببعض الطوائف الدينية من طائفة القاديانية والإسماعيلية، ومناقشتهم في منطق رصين وعلم مكين، مما جعلهم يكتفون له احتراماً وتقديراً لحكمته وعلمه، ووجدت فيه دائرة معارف ذات قدمين تمشى على الأرض.

آثاره العلمية وتأثيره:

إن الإمام الدكتور محمد يبصار زار أكثر بلاد الله، وأفاد من كل مكان حل فيه واستفاد من المعرفة من كل من التقى معه مهما كانت عقيدته.

وهو متخصص في الفلسفة الإسلامية، وقد درس جوانب هذه الفلسفة دراسة علمية دقيقة، وتعمق في بحوث وجوه الاختلاف والخلاف بين الفلاسفة وعلماء الكلام، والفقهاء والصوفية.. وسجل هذه البحوث في كتبه ومحاضراته وخرج من هذه الدراسات بنتائج هامة.. لخصها في بحث ممتع.. ألقاه في المؤتمر الخامس لمجمع البحوث الإسلامية عام ١٩٧٠ وكان عنوان البحث «إثبات العقائد الإسلامية بين -النصيين والعقليين» وهو بحث جيد وممتع لأهل العقول الواعية^(١).

(١) صوت الأزهر ص ١٠ فى ٣ من شوال ١٤٢٩هـ / ٣ / ١٠ / ٢٠٠٨ بقلم وريشة د. عبد الله سلامة نصر.

وسأشير بإيجاز شديد لفقرة من فقرات هذا البحث أضعها أمام القارئ الكريم، وهي حول قضية من أخطر القضايا التي تشغل عقول الفلاسفة، وهي مشكلة الألوهية في محيط الفكر الإسلامي، فإنها لم تكن مجرد نقل عن حضارات أخرى أو مستمدة من ثقافات غريبة عن البيئة الإسلامية، كما زعم بعض المستشرقين ومن على شاكلتهم، وإنما ساعد على خلق هذه المشكلات عوامل أهمها:

- أ- الحرية الفكرية التي منحها الإسلام لاتباعه في شئون عقيدتهم.
- ب- حث القرآن الكريم.. الإنسان على التأمل والتفكير في ملكوت السماوات والأرض، لإدراك حقائق الكون، وكشف أسرارهِ ومكانة الإنسان منه.
- ج- تعظيم الإسلام للعلماء.

د- الرد على المشككين بمنطق عقلي.. إن الهدف من هذه الآراء المختلفة من المسلمين حول الألوهية. إنما كان للسمو بالذات القدسية، والحرص الشديد على تنزيه الله.. ولا ينبغي أن نلوم أحد هؤلاء الباحثين أو نتهمهم بالكفر.. ولكن علينا دراسة آرائهم بأسلوب علمي دقيق لإبراز ما وقع فيه من خطأ.. وأنه لا وجود لهذه المشكلات في الواقع، إلا في تصوراتنا نحن، لأن فكرة الإله والإقرار بوجوده أمر مستقر في طبائع الناس «فطرة الله التي فطر الناس عليها» والهدف هو إزالة ما عساه أن يكون قد حال بين الناس وفطرتهم السليمة.. إلخ، ما جاء في هذا البحث، ومن أرادَه فليَنظره في نطاقه.

وقد قضى فضيلة الإمام ببصار حياته معنيًا بالبحوث والدراسات الفلسفية والتربية السلوكية.. وقضى شطرًا كبيرًا من حياته أستاذًا ومربيًا لتلاميذه، والذين تخرجوا على يديه بعلمه وسلوكه وتوجيهاته الرشيدة.

مؤلفاته ومصنفاته:

لقد ظل الإمام الدكتور ببصار يواصل البحث والدراسة في أدق المعارف الفلسفية والعلمية وصياغتها في أسلوب واضح دقيق يصل العقول والقلوب معًا.. فكان يقوم بإلقاء المحاضرات العامة، وحضور المؤتمرات العلمية والندوات الدينية في أجهزة الإعلام.

وقد شارك في مؤتمرات كثيرة نذكر بعضها، مثل مصر- أمريكا- كندا- أوروبا- آسيا- أفريقيا. . وشارك في منتديات ضخمة تناولت دراسات مختلفة، في سائر العقائد والديانات، وكان حريصاً على إظهار الإسلام في أجمل وجه، وللإمام مؤلفات كثيرة نوجزها في الآتي:

١- الوجود والخلود في فلسفة ابن رشد.

٢- العقيدة والأخلاق في الفلسفة اليونانية.

٣- العالم بين القدم والحديث.

٤- الواجب والممكن والممتنع.

٥- الإسلام بين العقائد والأديان.

٦- الإسلام والمسيحية.

٧- رجлан في التفكير الإسلامى.

ولقد أعلن الإمام بيصار بعض آرائه القيمة في كثير من المواقف الهامة التي تشغل العالم الإسلامى، وقد نشرت بعضاً منها «مجلة الأزهر» في الأعداد ٤٢- ٥١ أبريل ١٩٧٩م ومن أراد المزيد فعليه بالرجوع إلى مؤلفات الإمام.

وفاته

وبعد الكفاح الطويل والجهود المضنية التي لا تكاد تحصى في خدمة الإسلام والعلم، والنهوض بالأزهر، حامى الإسلام والمسلمين مفعلاً الحضارة.

أوصى الإمام في أخريات أيامه علماء الأزهر أن يتزودوا باللغة الأجنبية لا لمجرد التحدث بها أو التخاطب مع الغير، وإنما يساعد على تكوين أجهزة في الأزهر تكون ذات صلة قوية بما ينشر في العالم الإسلامى حول الإسلام لترجمته والرد عليه ونشر ثقافة الأزهر بالخارج.

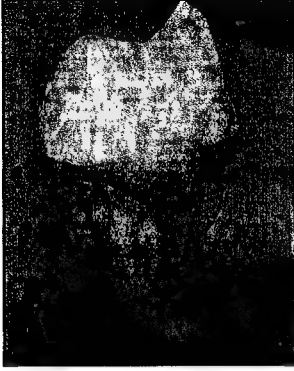
ولقد لبي الإمام بيصار نداء ربه في ٢٨/٣/١٩٨٢م. ضاعف الله جزاءه وأجزل له عطاءه وأسكنه الفردوس الأعلى إنه سميع مجيب الدعاء^(١).

(١) صوت الأزهر ص ١٠ فى ١٠ من شوال ١٤٢٩هـ ١٠/١٠/٢٠٠٨م بقلم وريشة د. عبد الله سلامة نصر.

[٤٢] الإمام الأكبر فضيلة الشيخ

جاء الحق على جاد الحق

مولده وبيئته ونشأته وتوليته المشيخة:



لقد أفاض المؤرخون والكتاب والصحافة والإعلام، عن فضيلة الإمام الشيخ جاد الحق على جاد الحق.. والكثير غيرهم تحدثوا عن أخباره وآثاره.. ونقتطف بعضاً عنه وعن حياته.. لأننا سنتحدث عنه مفصلاً فى وقت لاحق ومكان آخر. ولد الشيخ جاد الحق فى أبريل سنة ١٩١٧م فى بيت ريفى متواضع، فى قرية تسمى - بطره- إحدى قرى مركز «طلخا» محافظة الدقهلية.

ولعادة أهل القرية أن يذهبوا بأحد أولادهم المعززين لديهم للكتاب لحفظ القرآن.. ليتوجه للأزهر فيما بعد.

ذهب الطفل جاد مع والده إلى محفظ القرآن الكريم فى القرية وهو شيخ له قدره عند الجميع.. فحفظ القرآن الكريم وجوده.. ثم تعلم بعض المواد والعلوم من رياضة وإملاء وخط وإنشاء، وهى بعض المواد التى كان يشترطها الأزهر على من يريد الالتحاق به.. ولا يدخله إلا بعد أن يجتاز الامتحان كاملاً فى القرآن شفويًا، ويجتاز المواد الأخرى بنجاح، وقبل فى معهد طنطا وبدأ دراسته فيه، وقبل أن يتم المرحلة الثانوية، توجه إلى معهد القاهرة الأزهرى، حيث حصل على الثانوية ثم يمّم وجهه إلى التعليم فى الجامع الأزهر حيث التحق بكلية الشريعة. ودرس فيها بشوق ونهم حتى حصل على «الليسانس» سنة ١٩٤٣ ثم «العالمية».

وكان شغوفاً بالقضاء الشرعى فاتجه إليه منتسباً، ونال الإجازة فيه وهى «العالمية»، كما ذكرنا.. مع إجازة القضاء الشرعى، وذلك سنة ١٩٤٥م، وأصبح فى سلك القضاة، وفتحت أمام عينيه أبواب الوظائف القضائية، ووظائف الإفتاء أيضاً، وهذه الوظائف وغيرها من الوظائف الأخرى.. قد تولّاها وشغلها قبل

توليته مقاليد مشيخة الأزهر، نوردها كما تذكر المصادر.. أنه شغل وظيفة القضاء سنة ١٩٤٦م فى يناير فى المحاكم الشرعية، وفى سنة ١٩٥٢م عين أميناً للفتوى فى دار الإفتاء، وبعد سنتين من هذا التاريخ تقريباً، عين قاضياً فى المحاكم الشرعية، وفى سنة ١٩٧١ عين رئيس محكمة ثم مفتشاً قضائياً فى وزارة العدل، وظل فى منصبه هذا حتى عين مفتياً للديار المصرية سنة ١٩٧٨م، وقبل أن يعتلى كرسى المشيخة، ترى أنه تقلد مناصب ووظائف كثيرة أكسبته خبرة وعلماً وحنكة فى مهامه المقبلة التى نذكر منها على سبيل المثال وليس الحصر.. فقد عين بقرار جمهورى باختياره عضواً فى مجلس مجمع البحوث الإسلامية سنة ١٩٨٠، وفى يناير ١٩٨٢م عين وزيراً للأوقاف.. وغير ذلك.

توليته مشيخة الأزهر:

لقد أوجزت فى الكتابة عن هذا الإمام الجليل الشيخ جاد الحق تمشياً مع منهج الكتابة عن شيوخ الأزهر السابقين وقلة المصادر والبحوث التى كتبها الكتاب والمؤرخون.. أما بالنسبة للإمام الشيخ جاد فقد عاصر الثورة العلمية والإعلامية المريعة والمسموعة والمقروءة.. من صحف ومجلات وتسجيلات.. وما كتب وسجل عنه مبثوثر هنا وهناك، وحتى أهله وذويه.. لم يحتفظوا من آثاره إلا بالقليل، ولقد تحدثت مع د. رجب البيومى، فوعد بإمدادى ببعض ما سجله عن فضيلته وبخاصة بعد توليته مشيخة الأزهر، وكذلك فضيلة الشيخ فوزى الزفراف، وكيل الأزهر فى عهده وبعده، ولقد كنت مبعوثاً للأزهر فى دولة باكستان عندما زار الإمام الشيخ جاد الحق هذه البلدة المسلمة العظيمة، وقضى بها أسبوعاً كاملاً.

واستقبله الرئيس ضياء الحق. رئيس باكستان رسمياً فى مطار إسلام آباد، مع أن البروتوكول يقضى بخلاف ذلك، فالشيخ جاد الحق فى مرتبة رئيس وزراء فيستقبله مثيله.. لكن الرئيس ضياء الحق يعرف لشيخ الأزهر -شيخ الإسلام والمسلمين- قدره وشرفه، وقال كلمته المشهورة.. «أنا رئيس دولة.. لكن شيخ الأزهر رئيس المسلمين جميعاً فى كل الدنيا».. وقدم له التحية، واستعرض فرق الجيش أى حرس الشرف -أمام المنصة- وكنت ضمن أعضاء الجالية المصرية فى شرف استقباله بالمطار، كما صاحبته فى رحلته وزيارته لمدينة بشاور وزيارة المجاهدين الأفغان فى مخيماتهم، وكان بصحبته الشيخ محمد بركات المنشد

الديني، ود. عبد العزيز عزت سكرتير بعثة الأزهر والعالم الجليل الشيخ عطية صقر، ولقد استقبل شعب إقليم سرجد.. بشاور -فضيلة شيخ الأزهر- استقبالا رائعا- فذبخوا الذبائح على طول الطريق حتى عمر خبير على حدود أفغانستان، ونثروا الزهور والورود، وأقيمت الولايم العربية هذه لمحات سقتها للتعريف بقدر شيخ الأزهر عند بلاد المسلمين.

تبا الإمام الجليل الشيخ جاد الحق كرسى مشيخة الأزهر فى مارس ١٩٨٢، وكان لفضيلته مزايا كثيرة لا تحصى!! فهو مثال للنزاهة فى الحكم، بحكم أنه كان قاضيا متمرسا فى أحكام القضاء جريئا فى الحق، والإخلاص فى أداء الواجب وإيثار مع أنه واصل اهتمامه بالأزهر اهتماما بالغاً.

فكانت له مواقف رائعة محمودة.. فى المؤتمرات الدولية، فى مصر وخارجها.. منها: مؤتمر السكان المنعقد فى القاهرة «مؤتمر -المرأة»، والمنعقد فى بكين، وكانت أحوال المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها هى شغله الشاغل.. وتجد منه عناية كبيرة، وانشغال باله بها. لاسيما الأقليات منها -كما هو الحال فى وقتها- فى البوسنة والهرسك، والشيشان، وكشمير، وأفغانستان، وفلسطين حيث كان لقضية القدس فى نفسه تأثير عميق ووقع أليم.. وكما ذكرت: أن الحديث عنه وعن مواقفه الأنفة الذكر أوسع بكثير من أن تتحملة هذه السطور، وسأقتصر على موقف واحد، وهو موقفه من «مؤتمر السكان» الذى عقد بالقاهرة والذى حضره الكثيرون من خصوم الإسلام، وأعداء مبادئه وتعاليمه، ولكن فضيلة الشيخ جاد لم يترك المجال للمتطرفين، وأعد فريقا مجندا من العلماء الأفاضل، شمروا عن ساعد الجهد، بعض منهم من أعضاء مجمع البحوث وبعض من غيره.. ووضع لهم الخطط والنصائح والتوجيهات، فألهب عزائمهم، وأضرم مشاعرهم، وجعلهم يذهبون للمؤتمر وكلهم حماس وثقة.. وافتتح المؤتمر وتحدث المتحدثون، وما كاد علماء الأزهر يتحدثون ويلقون كلماتهم مدمغة بالدليل والبرهان والحجة المنطقية والعقلية، حتى اتجهت إليهم الأنظار، وأصغت إليهم الآذان، وانعطفت نحوهم، الأنفس، ولم يجد المتطرفون أحدا يسمع لهم حيث لم يحضر جلساتهم إلا قلة يعدون على الأصابع، وهكذا ساد الفكر الإسلامى المؤتمر من أول جلسة وأول وهلة، وعاد رسل الأزهر ومفكروه وهم غالبون يحملون لواء الإسلام.

وأثناء توليته المشيخة حبس نفسه ووقته وجهده على إعلاء شأن الأزهر، وتمكن من أداء رسالته في رعاية الإسلام، وعلومه ولغته^(١).

آثاره العلمية.. وتأثيره:

لقد كان له شيوخ كثيرون، كما أن له تلاميذ أكثر تأثروا به واتبعوا نهجه، ولسنا في حاجة لذكر هؤلاء الطلاب والعلماء.

وكان من أهم ما يميز أحكام فضيلته وأعماله العلمية، وهى فترة عمله بالقضاء، فقد شملت على بحوث وتعليقات فقهية، واجتهادات فى التطبيق.. كل ذلك موجود فى سجلات المحاكم المصرية على سعتها وانتشارها فى أرجاء الوطن. كما نشرت ذلك الصحف والمجلات، ونشرتها مجلات المحاماة وغيرها من المجلات القانونية، وفى الكثير منها ما استجد من مستحدثات لم تعالج من قبل، ولا ننسى عضويته لمجمع البحوث الإسلامية، وعضويته بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ومجلس الأمناء باتحاد الإذاعة والتليفزيون وكان رئيساً للمجلس العالمى للدعوة والإغاثة -وأحاديثه الرمضانية كل عام فى الإذاعة والتليفزيون.. فقد كانت شيقة ومثيرة ومؤثرة.. يتتظروها سماعاً ورؤية ملايين الناس من العالم الإسلامى كله.

ولقد قدر الأزهر والدولة جهود الرجل وأعماله فى خدمة دينه ووطنه، فمنح فى الاحتفال بالعيد الألفى للأزهر -وشاح النيل- وهو من أعلى الأوسمة فى الدولة، لا يمنح إلا لمن يستحقه، ومنحه ملك المغرب «وسام الكفاءة الفكرية والعلوم» من الدرجة الممتازة، وذلك بمناسبة مشاركته فى الدروس الحسينية فى مدينة الرباط، كما حصل على جائزة الملك فيصل العالمية، فى مجال خدمة الإسلام -ولقد تسلم شهادة التخرج من الملك فاروق -ملك مصر- آنذاك فى قصر رأس التين بالإسكندرية لتفوقه على دفعته، ولما قرب موعد إحالته على التقاعد - طلبته دولة الكويت للعمل لديها فى ميدان القضاء، لكنه آثر البقاء فى بلده مصر - على الرغم من ضخامة الراتب المعروض عليه.

(١) صوت الأزهر ص ١٠ فى ١٧ شوال ١٤٢٩هـ ١٧/١٠/٢٠٠٨ بقلم وريشة د. عبدالله سلامة نصر.

مؤلفاته ومصنفاته:

لفضيلة الإمام الشيخ جاد الحق - مؤلفات ومقالات كثيرة لا يحصيها العدد . . ولا نستطيع الإمام بها لتناثرها هنا وهناك، ولم ينبه لذلك أحد . . فقد انتشرت مقالاته وأحاديثه الدينية وغيرها على امتداد سنى عمره المديد . فقد ألف الفقه بجميع أبوابه - من طهارة وصلاة وزكاة، وصوم وحج . ولسنا فى حاجة للتحدث عن ذلك وأهمية الموضوع .

ومن تصانيفه النادرة وفتاويه على سبيل المثال:

- ١- بحوث وفتاوى إسلامية فى قضايا معاصرة .
 - ٢- الأحكام القضائية - وهو مشتمل على بحوث واجتهادات فقهية فى التطبيق .
 - ٣- البحوث الفقهية والتقارير الفنية فى التفتيش على أعمال القضاة فى المحاكم .
 - ٤- الفقه الإسلامى، مرونته وتطوره .
 - ٥- الاجتهاد وشروطه ونطاقه والتقليد والتخريج .
 - ٦- القضاء فى الإسلام والتطرف الدينى وأبعاده .
- وكتب أخرى . منها ما زال تحت الطبع .

وفاته:

واقترضت حكمة الله سبحانه وتعالى، أن تفتح الدنيا له كل أبوابها، من سلطة وجاه ومال .

ولكنه يعرض عن هذا كله، ولم يحاول أن يستغل نفوذه حتى فى بناء شقة أو بيت له ولأولاده وظل ساكناً فى شقة متواضعة .

زاهداً فى الدنيا وما فيها، ولسان حاله يقول:

يا من يعد عليه اللفظ والنفس	فكيف تفرح بالدنيا ولذتها
ولا الذى كان منه العلم يقتبس	لا يرحم الموت ذا جهل لعزته
لا يمنع الموت بواب ولا حرس!!	إن الحبيب من الأجباب مختلس

ولقد وافته منيته .. وفارق الدنيا بعد حياة حافلة بكل الخير والعمل الصالح ..
في سنة ١٩٩٦م، اللهم اغفر له، وأسكنه فسيح جناتك مع النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا^(١).

عود على بدء:

ذكرت في بداية حديثي عن فضيلة الإمام الشيخ جاد الحق .. أنني أوجزت في
الكتابة عن هذا الإمام تمشياً مع منهج التزمته في الكتابة عن الأئمة السابقين، حيث
توخيت الإيجاز وما يفى بالغرض، وأيضاً لا يمل القارئ من طول المقال ..
ولأننا سنعيد الكتابة عن هؤلاء الأئمة جميعاً باستفاضة تاريخية وعلمية في
مجلدات كبيرة، لعلنا نوفى بعض الحق لتلك القمم العظيمة، التي أنارت الدنيا
علماً وخلقاً، وعندما قرأ بعض الأخوة سيرة الشيخ جاد الحق .. وأنها في حلقتين
موجزتين. سيرته الذاتية والمنزع الفكري لأرائه الفقهية -أشاروا على بزيادة
وتوضيح ما أوجزت، وتحليل بعض تلك الآراء ووضعه مع صفوة علماء الأزهر
الشريف، ويحيط القارئ بهذه الآراء.

وإفاء لحقه علينا في ذكر مآثره وعلمه الفياض .. ولأن ذلك دليل اجتهاده، ورمز
خلوده العلمي الدائم استجبت لرأى الذين أشاروا بالعودة لإتمام ما أوجزت ببعض
التفصيل، بدون ملل وعلى رأسهم فضيلة الإمام الأكبر الشيخ طنطاوى -والأستاذ
سعيد العراقي- مدير مطبعة الأزهر وناصر مصطفى، وسيادة المستشار محمد
الخزرجى الأمين العام للأزهر. وغيرهم كثير، وسأسير على نفس النهج .. مبتدئاً.
«بحياته وبيئته ونشأته» وأوجزناها فيما سبق، وأنه هو الذى كتب سيرته بنفسه،
ونشرتها «مجلة الأزهر» بعنوان «شيخ الأزهر فى السنغال» عدد يونيو ١٩٩٥م.

أعماله وآثاره العلمية .. وتأثيره:

فهى كثيرة وصعب أن تحصى فى هذا المختصر -وما لا يدرك كله .. لا يترك
كله- فالشيخ جاد الحق .. مجاهد غيور، وفقه كبير، لم يكن محباً للمظاهر ولما
تكتبه عنه أجهزة الإعلام، ولم يعشق بريقها الخادع.

(١) صوت الأزهر ص ١٠ فى ٢ من ذى القعدة ١٤٢٩هـ ٣١/١٠/٢٠٠٨م بقلم وريشة د. عبد الله سلامة نصر.

لكنه كان مجاهدًا عمليًا، يصدع بكلمة الحق في مكانها. . لم ينتظر جزاء إلا من الله سبحانه، فجهر على منبر الأزهر. أثناء الحرب الأفغانية، بعداوة «الروس» المغتصبين، واستقبل زعيم المجاهدين الأفغان معلنا وقوف المسلمين مع إخوانهم، منادياً بوجوب التبرع بالمال والدم. . ثم مأساة «البوسنة والهرسك»، فدعا إلى نصرتهم. . وأشرف على جمع ملايين الدولارات لشد أزهرهم ومساعدتهم، وأوفد بعثة من الأزهر إلى هناك للوقوف مع المجاهدين، وليعلموا أن وراءهم جميع المسلمين في كل الدنيا!! كما أرسل وفدا من الأزهر لزيارة زعماء جمهوريات الشيشان، ونجح في تأسيس، جامعة إسلامية مصرية هناك، وضاعف منح الدراسين للطلاب المسلمين الدارسين منهم في الأزهر بمعاهده وكلياته. . هذا على الصعيد العالمي بالإضافة إلى مناداته لجميع دول الغرب بعدم الاعتداء على المسلمين وتركهم في أوطانهم في سلام.

أما من جهة الصعيد الداخلي للوطن العربي والمآسى التي حلت به، فقد نادى بتحريم زيارة إسرائيل حتى ينتهى العدوان على جميع الأراضي العربية. . ولقد واجه حملات شرسة من بعض أجهزة الإعلام المغرضة والمأجورة، ومن أنصار التطبيع ورفض أن يستقبل رئيس الدولة الصهيونية حين جاء إلى مصر معلنا صداقته الجديدة للمصريين، وقال في تصريح واضح: «إن الصداقة صداقة أعمال لا أقوال». وحين أصدرت أمريكا قرارها بنقل سفارتها من تل أبيب إلى القدس، أصدر بيانا صرح فيه: «بأن أمريكا قد كشفت عن وجهها الحقيقي الخفي، وأنها عدوة للعرب والمسلمين جميعاً، ولا تريد سلاماً عادلاً معهم، بل تريد نصرة ظالم على مظلوم لاحتلال أرض العرب كلها». «وحت جامعة الأزهر على تنظيم ندوات خاصة عن مدينة القدس لفضح مزاعم إسرائيل».

هذا بعض ما ذكره عن الوطن الإسلامي الكبير. . أما في داخل مصر. . فقد كان حرباً على الآراء المنحرفة في الدين، فهاجم ما يسمى «بمؤتمر السكان» مهاجمة شديدة كانت سبباً في إفشال قراراته جميعها.

ووضعنا ذلك في الحلقة السابقة، وفضح ما يسمى «بمؤتمر المرأة في بكين»، حين خرج عن حدود الله، فيما قرر من فضائح، محذراً المسلمين من اتباع التهتك والانحلال، وتحدث عن «الختان» وأنه مكرمة للمرأة، وساق الكثير من الأدلة

النقلية والعقلية، وترك ذلك ليقول كلمته مع التوضيح وذكر الأسباب، وأنشأ الكثير من المعاهد الأزهرية في ربوع البلاد.. إلخ^(١).

من مؤلفات الإمام الأكبر وبحوثه وبعضها تحت النشر:

- ١- مع القرآن الكريم.
- ٢- النبي ﷺ في القرآن.
- ٣- مختارات من الفتاوى والبحوث.
- ٤- الفقه الإسلامي مرونته وتطوره.
- ٥- رسالة في الاجتهاد.
- ٦- رسالة في القضاء في الإسلام.
- ٧- كتاب أحكام الشريعة الإسلامية في مسائل طبية عن الأمراض النسائية.
- ٨- موسوعة الإمام الفقيه التي أصدرها في عدة مجلدات صدر منها حتى الآن أربع مجلدات والخامس تحت الطبع.
- ٩- بحوث وفتاوى إسلامية في قضايا معاصرة تحت إشراف الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر وبعض هذه الكتب مقررة في المعهد العالي للدراسات الإسلامية وفي مركز الدراسات القضائية بوزارة العدل.

وفاته:

توفي الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق بالقاهرة في يوم الجمعة الموافق ٢٥ من شوال عام ١٤١٧ هـ الموافق ١٥/٣/١٩٩٦ م، ودفن بقرية «بطرة» التابعة لمحافظة الدقهلية.

ثم رحل من حافظ على شرف القضاء والإفتاء ومشیخة الأزهر:

قال تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

(١) صوت الأزهر ص ١٠ في ١٧ من شوال ١٤٢٩ هـ، ١٧/١٠/٢٠٠٨ م بقلم وريشة د. عبد الله سلامة نصر.

ومن قضى نحبه من هؤلاء المؤمنين: الثلاثة الدعاة إلى الله عز وجل على بصيرة: الشيخ خالد محمد خالد والشيخ محمد الغزالي ثم الإمام الأكبر شيخ الأزهر جاد الحق على جاد الحق، نحسبهم كذلك والله حسيبهم ولا نزكى على الله أحداً.

ومما قيل في رثاء الشيخ الغزالي يرحمه الله تعالى: «كرس حياته لخدمة الدعوة الإسلامية وكان توفيق الله حليفه وعون المولى له في سبيل جهاده بالكلمة الهادفة فقد كان حلته قناة لم تلتن، وكان يتذرع بالصبر والحكمة، ويدعو إلى الله بالحكمة، والموعظة الحسنة والآداب الإنسانية السامية، وتحمل الكثير والكثير من الآراء المضادة والانتقادات الكثيرة من أصحاب الأقلام المسمومة.. لقد كان يعتمد على كلمات ربه سبحانه وتعالى فكان ما كان من أمره في كل اجتهاداته ونحن إذ نودع فقيدنا إنما نودع عالماً ومجتهداً وإنساناً».

هذه الكلمات النيرة قالها شيخ الأزهر يرحمه الله وما كان يدرى أنه سيودعنا بعد أيام قلائل ولعل هذه الكلمات تشف عن نفس قائلها فنحن نرددها: وداعاً لشيخ الأزهر والإسلام. كما قالها هو: وداعاً للشيخ الغزالي. يرحمهما الله تعالى.

تخرج الإمام الأكبر في كلية الشريعة، ثم حصل على الإجازة في القضاء الشرعى فعين قاضياً في المحاكم الشرعية في مصر قبل أن يقضى عليها، فحافظ على شرف القضاء فما كان يحكم بغير دليل معتبر، وما سمعنا عن قضية عدل فيها عن الحق، أو مال فيها إلى خصم بالهوى والتشهى، أو تعجل في حكم أو مالا أحداً، أو خاف من أحد غير الله عز وجل وهكذا حمل الأمانة بشرف.

ولما ألغيت المحاكم الشرعية سنة ١٩٥٥ احتفظ القضاء العادى بعدد قليل من القضاة الشرعيين المشهود لهم بالكفاءة، واختصوا بالقضايا الشرعية، فكان الشيخ الإمام يرحمه الله من الذين اختيروا.. وظل حتى أصبح رئيس محكمة ثم رقى إلى التفتيش القضائى بوزارة العدل، فما قصر في عمله وما تخلى عن الأمانة التي حملها.

وترك سيرة عطرة في القضاء ليختار بعدها مفتيا لمصر، فحافظ على شرف الإفتاء، وأمانة الفتوى، فالتزم مدة عمله في جميع فتاواه بالكتاب العزيز والسنة المطهرة وما أجمعت عليه الأمة ثم بالأدلة الأخرى المعتبرة في مواطن الخلاف، فلم تخرج من دار الإفتاء آنذاك فتوى ضالة مخالفة للكتاب أو السنة أو الإجماع، أو مستندة إلى غير الأدلة الشرعية المعتبرة. وظهرت في فتاواه شخصية العالم الفقيه غير راغب في ثواب أحد ولا عطاياها إلا الخالق سبحانه وتعالى، ولا خائف من عقاب أحد إلا ملك الملوك وخالق الخلق سبحانه وتعالى.

ولم نسمع أن أحدا قال: إنه أصدر فتوى تقربا أو خوفا من صاحب سلطان أو مال، أو إنه اجتراً عن الفتيا بغير علم أو بتعجل وغير فهم. . . فظلت دار الإفتاء في عصره -بفضل الله تعالى- شامخة يقدرها علماء الإسلام في كل مكان فلم تسقط أو تزل أو تذلل وتهن. . . ولم يلجأ يرحمه الله إلى وسائل الإعلام يريد شهرة أو جاها وإنما ظل يعمل في صمت بعيداً عن الأضواء. . . داخل دار الإفتاء يفتي المستفتين ويرد على السائلين، وفي القضايا الفقهية المعاصرة لم يخالف مجمع البحوث الإسلامية في أي منها لأنه يقدر الاجتهاد الجماعي، ويعلم أن مجمع البحوث هو جهة الإفتاء العليا في مصر تنفيذاً لقانون إنشاء الأزهر.

وهكذا حافظ على شرف الإفتاء وترك أثراً طيباً لا يزال باقيا وفتاوى محكمة صائبة نسأل الله تعالى أن ينفع بها وأن تكون في ميزان حسناته.

وخرج من دار الإفتاء ليكون وزيراً للأوقاف مدة وجيزة، فبعد أقل من عام أصبح، الإمام الأكبر شيخاً للجامع الأزهر سنة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢، وظل إلى أن لقي ربه، فأثبت أنه كان امتداداً للصالحين من الأئمة الكبار المشهود لهم. . . الذين تولوا مشيخة الأزهر قبله، وينظر كل مسلم الآن في مجتمعنا ويتساءل: من سيخلفه؟ ويتابع الأسماء فيشعر بأن الجميع بالنسبة إليه أقزام لا يستطيعون أن يحموا الأزهر ويحفظوا هيئته وعالميته ويتصدوا للعلمانيين والمفسدين في الأرض، بل إن بعض من تصدى لهم ليحمي المجتمع المسلم من شرورهم وتحمل الأذى في سبيل كشف حقيقتهم وإبطال باطلهم. . . بعض هؤلاء أصبحت أسماؤهم تتردد!!

ومن هنا أدرك المسلمون أن المصيبة في فقد شيخ الإسلام كبيرة أليمة فادحة، وما قدمه للإسلام والمسلمين أشاد به الكثير أفراداً وجماعات، حتى الذين أساءوا إليه وتناولوا عليه وهاجموه بألفاظ بذئية، حتى هؤلاء وجدنا منهم من يعترف بفضله وحسن خلقه وعمق فقهه ودعوته إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة وعظيم أثره في العالم الإسلامي كله.

ومنذ عام نال جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام، وما بين فضله وعظيم قدره ما ذكرته لجنة الاختيار في أسباب اختيارها حيث قالت: إن الاختيار جاء لتعدد مجالات عمله في خدمة الإسلام والمسلمين، وبخاصة من خلال مشيخته، للأزهر، ومن أبرز جهوده وحرصه المستمر على تأكيد الصلة بين المجتمعات الإسلامية في مختلف الأقطار وشعوبها وبذله الجهد لتحسين أوضاع الأقليات المسلمة في البلدان غير الإسلامية روحياً وفكرياً ومادياً. وأضافت أنه تم منحه الجائزة لرياسته مجلس الدعوة الإسلامية العالمية، وعقده لعدد من المؤتمرات لتتبع أحوال المجتمعات في البلدان الأفريقية والآسيوية، وغيرها وحسن توجيهها وتركيز الدعوة إلى الله وتجنّبها كل أنواع المزالق.

وأيضاً لتكوينه في الأزهر الشريف لجان بحوث عديدة في مختلف أصول الدين وفروعه والمعارف الإسلامية بعامة مما كان له نتائج طيبة وفوائد قيمة. وذكرت اللجنة أن شيخ الأزهر كان له دور كبير في إنشاء المعاهد الدينية والكتليات ومكاتب الدعوة والإرشاد مما أدى إلى تضاعف عدد تلك المؤسسات داخل مصر وخارجها. . إلخ.

وهكذا حافظ -يرحمه الله- على شرف مشيخة الأزهر فظلت مرفوعة القدر عظيمة الشأن، ولم ينس -وهو شيخ للأزهر- أن يحافظ على شرف الإفتاء. . فلما تقرر عقد مؤتمر السكان بالقاهرة، وكانت وثيقته تدعو إلى إباحة الزنا والشذوذ والإجهاض وغير ذلك مما يتنافى مع الإسلام، وقال قائل: لقد قرأت الوثيقة كلها، وليس فيها شيء يخالف الإسلام بل إن تسعين في المائة منها يتفق مع مكارم الأخلاق!! هكذا قال!! هنا جاء دور شيخ الأزهر الإمام الأكبر ليصدر القرار المعروف الذي بين فيه فضائح هذه الوثيقة وموبقاتها.

وجاء بعد مؤتمر المرأة في بكين، فقال القائل نفسه: ليس فيه شيء حرام!! فكان موقف الإمام الأكبر صفقة أخرى للشيخ القائل بحل هذه الوثيقة الأخرى على الرغم مما احتوته من فواحش وفجور ومخالفات صريحة لمحكم كتاب الله تعالى، ولما صدرت فتوى تبيح للمسلمين زيارة القدس، والصلاة في المسجد الأقصى، على الرغم من بقائه أسيراً تحت يد الصهاينة، بين الإمام الأكبر عدم جواز ذلك إلا إذا انسحبت إسرائيل من جميع الأراضي المحتلة.

أما موقفه يرحمه الله ممن أباحوا الفوائد الربوية فهو موقف شريف مشرف، رائد رائع، موفق بتوفيق الله عز وجل في العام الذي تولى فيه مشيخة الأزهر نادى أستاذ للتاريخ بحل فوائد البنوك، وأفتى آخر بتحليل فوائد السندات الحكومية وهي شهادات الاستثمار فكتب بحثاً تحت عنوان «حكم ودائع البنوك وشهادات الاستثمار في الفقه الإسلامى»، وبحثاً آخر عن حكم أعمال البنوك في الفقه الإسلامى، فنشر البحث الأول في ملحق مع مجلة الأزهر، ونشر الآخر في سلسلة رسالة الأزهر، وتوقف المجترئون على الفتيا، ثم عادوا هم وغيرهم لهذا الباطل سنة ١٤٠٩ هـ - «١٩٨٩»، وزاد بعضهم فأفتى بحل معاملات البنوك في جميع بقاع الأرض، وتصدى للرد جمهور العلماء في العالم الإسلامى، وأصبحت مجلة الأزهر منارا يكشف زيغ هؤلاء ويدمغ باطلهم، غير أن القول الذى كان له أقوى الأثر في نفوس المسلمين هو قول شيخ الأزهر الإمام الأكبر حيث أثبت أن تحريم فوائد البنوك أصبح من المعلوم من الدين بالضرورة ويعلو فوق كل خلاف.

وصدر كتاب عن معاملات البنوك وأحكامها الشرعية، ذهب مؤلفه إلى حل كل المعاملات في جميع بقاع الأرض، فقرر فضيلة الإمام الأكبر - يرحمه الله - عرض الكتاب على لجنة الفقه بمجمع البحوث الإسلامية مع حضور مؤلف الكتاب لمناقشته، فانتهت اللجنة إلى بيان بطلان ما جاء في الكتاب، وكتبت رداً على هذا الكتاب، فكان الرد كتاباً نشرته إحدى دور النشر، فطلب منى الإمام الأكبر - يرحمه الله - أن أعيد النظر في الرد لحذف اسم المؤلف أو ما يشير إليه، فقمت بذلك ونشر البحث في ملحق لمجلة الأزهر تحت عنوان «البنوك والاستثمار».

وبدأ المجترئون على الفتيا يتناولون على شيخ الأزهر الإمام الأكبر، ويقذفونه بالفاظ بذية، وعبارات سفيهية، ولما تحدثت معه فى شأن هؤلاء وعلى الأخص أن بعضهم له اتجاهات معروفة ضد الإسلام ودعائه، رفض -يرحمه الله- أن يرد وقال لى فى هدوء وسماحة: «إذا فقد الحياء فماذا نفعل؟!» ورفض أيضاً أن يرد أحد من إدارة الأزهر، كما طلب منى ألا أرد لكثرة ما كتبت فقام عدد من السادة العلماء بكتابة رد جماعى فرفضت المجلة التى نشرت الهجوم السفيه أن تنشر الرد العلمى المؤدب، فلم يتدخل لنشره، ومن حقه أن ينشر فى نفس الموضع، فكيف وهو الإمام الأكبر؟! ونشر الرد فى إحدى صحف المعارضة المعروفة باتجاهها الإسلامى ونلاحظ أنه فى كتاباته ولقاءاته كان يبين أن فتوى تحريم فوائد البنوك ليست فتواه الشخصية وإنما فتوى مجمع البحوث الإسلامية . . الهيئة العليا للإفتاء فى مصر. وهكذا ظل محافظاً على شرف الإفتاء متصدياً للفتاوى الباطلة التى ذكرنا بعضها فقط، رحمه الله رحمة واسعة جزاء ما قدم.

أما محافظته على شرف القضاء فماذا يفعل وقد ترك القضاء والتفتيش القضائى؟

هذا موقف كريم نبيل لا ينسى . . كتبت ثلاثة مقالات نشرت فى القاهرة، أرد فيها على أحد الذين أباحوا فوائد البنوك، وكان الأول لبيان أنه خالف المجمع الفقهية الثلاثة، والثانى لبيان أن مجمع البحوث الإسلامية هو جهة الإفتاء العليا فى مصر، ومن قال غير هذا فقد تعدى حدود وظيفته، والمقال الأخير تحت عنوان «التناقض» بينت فيه فتاواه فى التحريم المستندة إلى الكتاب والسنة والإجماع، وفتاواه فى الحل، أخذاً بقول فلان أو فلان مناقضاً ومعارضاً الكتاب والسنة والإجماع.

ويرفع الأمر إلى المحكمة، ويصدر الحكم غايياً، وجاء فى حيثيات الحكم أن قولى «خالف المجمع الفقهية» يعتبر سباً وقذفاً (!!) وكذلك قولى «تعدى حدود وظيفته» (!!) بل إن الرد يعتبر معارضة له أثناء تأدية وظيفته (!!) وأبدى فضيلة الإمام الأكبر يرحمه الله أسفاً شديداً، وأراد أن يحفظ شرف القضاء وعدالة الحكم، فرأى أن يكون ذلك عن طريق الشهادة، فقال لى: قل للمحامى يطلبنى

للشهادة، وتقرر سفر فضيلة الإمام الأكبر خارج مصر للعلاج، وكنت في قطر، فأخبرني أحد الإخوة العلماء بأن شيخ الأزهر استدعاه قبل سفره للعلاج بيوم واحد، واستدعى عالمًا آخر وقال لهما: اجمعا كل ما يتصل بالقضية، واكتب تقريراً مفصلاً حتى يرفع للمحكمة بعد عودتي من العلاج إن شاء الله.

هذا موقف يعجز القلم واللسان عن تقديره حق قدره، اللهم ارحمه رحمة تليق بكرمك وجودك واغفر له فأنت خير الغافرين وأنزله منازل الصديقين والشهداء والصالحين، اللهم لا تحرمنا أجره، ولا تفتنا بعده، وعوض الإسلام والمسلمين عنه خيراً^(١).

أما جهاده مع الصحف المنحرفة «العلمانية» وما أكثرها اليوم: فكان لا يكل ولا يهدأ. . . وكثيراً ما أدلت ببيانات كاذبة عليه افتراءً وتعتاً. . . لكن الشعب الفاهم كان من ورائه مناصراً. . . ولن أطيل فتلك المآثر مسجلة. . . وإن المتتبعين لجهوده والواقفين عليها من أمثال د. محمد رجب اليومى وفضيلة الشيخ فوزى الززراف والعالم كله يعلمون أن الرجل العظيم عاش عزيزاً مجيداً، ومات كريماً!!

ولا ننسى أعماله. . . فقد شارك فضيلته: فى لجان وهيئات كثيرة، نشير إلى بعضها ذكرنا جزءاً منها فيما سبق، كعضويته:

١- «المجمع البحوث الإسلامية بالأزهر».

٢- عضو لجنة الترشيح والاختيار لجائزة الملك فيصل العالمية، لخدمة الإسلام ومقرها- المملكة العربية السعودية- بوصفه شيخاً للأزهر.

٣- عضو المجلس الأعلى العالمى للمساجد، المنبثق عن رابطة العالم الإسلامى.

٤- عضو مجلس الأمناء لمركز بحوث اسهامات المسلمين فى الحضارة بدولة قطر.

٥- عضو مجلس إدارة الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام إباد. باكستان. . . وكنت وقتها فى باكستان أستاذا بالمعهد القومى للغات- التابع لجامعة «قائد أعظم»

محمد على جناح.

(١) الشعب ص ١١ فى ١٩٩٦/٥/٢م دكتور على السالوس.

وقد زار كثيراً من بلاد العالم الإسلامي والعالم العربي نذكر أهمها:

- ١- كان رئيساً لبعثة الحج الرسمية سنة ١٩٨٣ م.
 - ٢- سافر إلى نيجيريا، وغينيا.
 - ٣- رحل إلى بلاد المغرب للمشاركة في الدروس الحسينية - التي يقيمها ملك المغرب في شهر رمضان من كل عام سنة ١٩٨٤.
 - ٤- رحل إلى كل من قطر- والصومال- والمالديف- وماليزيا- وبروناي- وتايلاند- والأردن لحضور المجمع الملكي وجلساته لآل البيت، إضافة إلى سفره سنوياً للمملكة العربية السعودية للمشاركة في مؤتمراتها ولجانها، والمؤتمر العالمي للمساجد.
 - ٥- زيارة باكستان للمشاركة في أعمال المؤتمر الرابع للطب الإسلامي، وزيارة معسكرات لاجئي أفغانستان، وكان لى شرف اللقاء به ومصاحبته في رحلاته داخل باكستان والذين احتفلوا به احتفالاً منقطع النظير وقد أشرت لذلك في الحلقة الثانية.
 - ٦- زيارة مسقط- سلطنة عمان لحضور لجنة الفقه الإسلامي ١٩٨٨.
 - ٧- حضور لجنة تنسيق العمل الإسلامي سنة ١٩٩٣ م.
- ولقد كرمه العالم الإسلامي كله في مصر وخارج مصر. فحصل على وسام «وشاح النيل»، من رئيس جمهورية مصر، وهذا الوسام لا يعطى إلا للعظماء الذين أسهموا في صنع الحضارة والسلام والعلم. . . ووسام الكفاءة الفكرية والعلوم من الدرجة الممتازة- من جلالة الملك حسن الثاني ملك المغرب ولقد رأس فضيلته داخل مصر أكثر من ثلاثين مؤتمراً وندوة علمية راجع كتاب «شيخ الأزهر في السنغال» ص ٦١- ٦٤.

مؤلفاته وتصانيفه

ذكرنا بعضها ونضيف بعضها منها مع التعليق الموجز على كل مصنف، لإفادة القارئ الذي لم يحصل على هذه الكتب.

- ١- مع القرآن الكريم.
 - ٢- النبي في القرآن الكريم.
 - ٣- الفقه الإسلامي - مرونته وتطوره.
 - ٤- أحكام الشريعة الإسلامية في مسائل طبية معاصرة.
 - ٥- الاجتهاد في الإسلام «شروطه ونظافته».
 - ٦- القضاء في الإسلام.
 - ٧- أدع إلى سبيل ربك.
 - ٨- مجموعة الفتاوى الإسلامية. . خمسة مجلدات كبيرة.
- وهذه الفتاوى هي المجال البارز في ضلوعته الفكرية والفقهية، وتوضح اجتهاده وسبقه الفقهى، ولا ننسى عمله في القضاء ورئاسة المحاكم الشرعية وهذا الموضوع الذى جعلنى أعيد الكتابة عنه لأوضح للقارئ فضل الرجل وعلمه وتوضيح آثاره العلمية ومكانته وأثره فى الحياة المعاصرة.
- ونلقى بعض الأضواء والتعليق على بعض هذه الكتب والمؤلفات. . منها كتابه «أدع إلى سبيل ربك، ألقى فضيلته فى مناسبات إسلامية كبيرة - كلمات غاية فى الأهمية، لها هدفها وسبيلها الواضح فى الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وقد كتب عدة مقالات تنحو هذا المنحى، فى ظروف تتطلب الهداية الموجهة، والإرشاد المصلح، ولقيت كثيرا من الاهتمام العالمى. تطلب منه هذه التوجيهات، فجمعها فضيلته فى كتاب لتؤدى دورها فى إيقاظ الوعى، وهذه المجموعة أعطت ثمارها وأثرها النضير^(١).
- ففى الحديث عن هموم المسلمين المعاصرة. من منظور إسلامى فقد أشار فضيلته فى نبرة اليمّة حزينة. . إلى ما زرعه الاستعمار فى أرض المسلمين وقلوبهم حتى أصبحوا أشد ظلما مع أنفسهم من الاستعمار نفسه. . حيث اتبعوا الثقافة الوافدة ودعوا إليها، والتغريب الدخيل الذى لا فائدة من ورائه إلا التقليد الأعمى. . ومقصود المستعمر انحراف المسلمين عن عقيدة الإسلام.

(١) صوت الأزهر ص ١٠ فى ٩ من ذى القعدة ١٤٢٩هـ ٧/١١/٢٠٠٨ بقلم وريشة د. عبد الله سلامة نصر.

وهذا من أكبر رغباته . . . وفعلا نجح الاستعمار في تفريق الكلمة وتقطيع الرحم، في اصطفاء زعامات تبحث عن مطامعها الشخصية، وتتخذ الشعارات سبيلا إلى بث الفتن، وإشارة الانقلابات، فوقعت الواقعة وصار بأس المسلمين بينهم شديدا في ديارهم يقول فضيلة الشيخ جاد الحق «ومن هنا تعمقت الخلافات ووجهت المساعدات المغرضة فتساقط البعض في فتنة المال والبعض الآخر في فتنة السلاح الذي أغرى حمله إلى استعماله في إثارة الفتن وإشاعة الخوف والاضطراب في صفوف الشعوب الإسلامية مع بذور الفتن والشك وانشغل الناس بما فتنوا به وتعمقت الخلافات الفرعية والمذهبية وتكونت الجماعات والأحزاب المتخاذلة وتدهور الوضع الاجتماعي وانخلع المسلمون عن الإسلام وتفككت الأسرة وفقد التراحم وقتل الابن أباه وأمه وفسد الواقع الاقتصادي في أكثر دول الإسلام.

وحين تحدى «العلمانيون» رغبات الأمة الإسلامية جمعاء في ضرورة تطبيق أحكام الشريعة، وتذرعوا بأسباب واهية وهم لا يعرفون عن فقه الشريعة أمرا، وليس من حقهم التحدث عنها في قليل أو كثير، وقد خدعوا فريقا من الناس بما خلعه على أنفسهم من ألقاب ونعوت: مثل المفكر الإسلامي والمجدد الإسلامي وهي نعوت مزيفة كاذبة على الذين لا يعرفون عن الإسلام شيئا غير الهتاف، وصاح الشيخ جاد الحق في وجوههم قائلا هذا الجدل الصارخ منعزل تماما عن طريق الحق وابتعد عن طريق قضية تطبيق الشريعة الإسلامية إلى تحريف متعدد بقولهم «إن الحياة والزمان تغيرا، فلم تعد الشريعة صالحة على استيعاب الحياة الجديدة المتطورة وتبعثهم أجهزة الإعلام، والواقع أنهم لم يرعوا حق الله والوطن في هذه الحملة الظالمة على الشريعة الإسلامية، لأن ما حدث هو سوء تطبيق وانحراف، ولا يجب أن يحرف الكلم عن مواضعه بعلم أو بغيره، وهذا الوطن لا يرضى عنكم، ويسوؤه أن تهوى معاولكم لهدم الشريعة الإسلامية ودين الله الحنيف، وكانت كلمات الإمام تتألق في الصحف والإذاعة، ليعرفها كل قارئ وباحث عن الحقيقة، وفي هذه الكلمات ما يكفي لردع الهجمات الضاربة على الشريعة من أناس لا يعرفون شيئا عن جوهرها الصحيح، ويعتبرون أنفسهم مفكرين إسلاميين.

وتحدث فضيلته عن عدم اهتمام المسلمين أنفسهم بمنهجهم الإسلامى وهم فى هذا العصر يواجهون فتنا كقطع الليل المظلم وتوالت بل وتراحت عليهم المحن وتفرقت بهم السبل فلم يفرقوا بين النافع والضار، وغاب عنهم تمسكهم بطهارة النفس ونقاء الروح وطهارة الإسلام بدليل قوله سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا﴾ [الأعراف: ٩٦].. الآيات.

آراؤه الفقهية:

وهى غاية فى الأهمية ومرجع لا غنى عنه فى حياة المسلمين، ويجب أن يعلم القارئ أن أئمة الفقه يتفقون ويختلفون حسبما يلوح لكل منهم وجه الدليل، فإذا حدث اختلاف فهذه سنة العلم من قديم الزمن ولنسوق بعض الاستفسارات التى وجهت للإمام والرد عليها. سأل أحدهم عن الحكم الفقهى فى ختان البنات، وتحدث فى الرد أكثر من فقيه منهم الإمام الشيخ محمود شلتوت والمفتى «حسنين مخلوف» ولجنة الفتوى، بالأزهر بقولهم جميعاً «إن الإسلام لم يوجب على أهله الاختتان ولم يجعله شرطاً للإسلام وهو للمرأة كرامة ومكرمة عند أبى حنيفة ومالك والشيعة والزيدية والجعفرية، ولهذا نجد أكثر بلاد المسلمين لا يختنون نساءهم والأتراك والمغاربة وإيران والهند وباكستان وغيرهم من آسيا لا يعملون بهذه العادة^(١)».

ويلخص من هذا أن أكثر أهل العلم يعتبرون الختان ليس واجبا وهو قول الحنفية والمالكية والحنابلة وبعض أصحاب الشافعى فلا إثم على تاركه وتعددت الأقوال على هذا الموضوع من الفقهاء.

وفى النهاية وجهات نظر نحترمها وتوجه توجيهها للقارئ إذا كان الواقع الاجتماعى شاذاً بهذه الصورة الأليمة فليس الختان وحده هو الذى يصحح هذا الوضع الأليم بالنسبة للرجل أو المرأة بل التربية الإسلامية السليمة التى تنشأ فى البيت أو المدرسة، وهى الحاجز الواقى قبل كل شئ، وإن الذى يقرأ فتاوى

(١) صوت الأزهر ص ١٠ فى ١٦ من ذى القعدة ١٤٢٩ هـ ٤/١٠/٢٠٠٨ بقلم وريشة د. عبد الله سلامة نصر.

الإمام الشيخ جاد وهو حنفى المذهب لا يشعر إطلاقاً بأنه حنفى أو شافعى فمرجعه فى الفتوى الواحدة يشمل مذاهب الأئمة جميعاً وآراءهم وكان يستشهد بآراء تلاميذه ومن يراه صحيحاً فى رأى وهو تواضع جيد فالحق حق إن وجد ولا كبير فى العلم.

فتواه فى الأمور الاجتماعية:

ونسوق بإيجاز شديد فتواه فى بعض المسائل الخطيرة التى تشغل أذهان حيز كبير من المجتمع الإسلامى وهى الإجهاض سؤال موجه إلى فضيلته من طبيب يذكر أن هناك عيوباً وراثية لا تتلاءم مع الحياة العادية وقد أصبح من الممكن الآن اكتشافها بطرق علمية صحيحة لا يتطرق إليها الشك قبل الولادة وأثناء فترة الحمل وهذه العيوب علاجها الإجهاض ويريد السائل معرفة ما حكم الشرع الإسلامى فى هذه الحالات ونسوق باختصار إجابة فضيلته بعد تعريف الإجهاض وحكمه عند الأئمة ورأى كل مذهب فيه أن الحنفية يجيزون إسقاط الجنين لكن عليه كفارة وليست بواجبة وبعضهم يجيز للمرأة إسقاط النطفة قبل الأربعين بدواء مباح مثل حبوب منع الحمل وأجازه مذهب الظاهرية وإذا قامت الضرورة لإسقاط الجنين ففيها آراء راجع فتاوى إسلامية للإمام الشيخ جاد الحق فى هذا الصدد وحكم الإسلام فى الأمراض والعيوب الوراثية والتشوهات الخلقية وأكدها العلم وأكدها الإسلام فى حديث رسول الله ﷺ فى قوله: «تخيروا لنطفكم» وما قيل فى المرأة التى ولدت غلاماً أسود وعليه فإنه يجوز إسقاط الجنين إذا اكتشفت عيوبه الخطيرة التى لا تلائم الحياة العادية إلخ.

وهناك مسائل اجتماعية أخرى مثل تحديد النسل ودار حولها جدل طويل فى الصحف وأجهزة الإعلام دون دليل وأفتى فضيلته فيها بجواز تنظيم النسل بمنع الحمل لفترة مؤقتة وبموافقة الزوجين معاً، ويحرم التعقيم لأى من الزوجين، إن كان يترتب عليه عدم صلاحية الإنجاب مستقبلاً، إلا إذا كان أحد الزوجين مصاباً بمرض وراثى لأن الإنجاب الموبوء حرام لأنه، يصبح عبثاً على المجتمع، وهنا يجب التعقيم دفعا للضرر.

الصحافة العلمانية وموقفها من الإمام

إن سيطرة بعض من يسمون بالعلمانيين على منافذ الصحافة والجرائد الرئيسية والناطقة باسم الدولة لم تعط الفرصة للإمام الشيخ جاد الحق أن يظهر كل ما يقرره فقد يرسل للجريدة المقال العلمي أو البحث الفقهي المراد نشره أو الحديث التاريخي لمناسبة دينية فيجد من يبتريه بتراء، بل من يحاول أن يشوهه تشويها مقصودا لإخفاء ما يراه منافيا لأهوائها، ومن العجب أن الجرائد اليومية الرئيسية تمتلئ كلها بأخبار الرياضة والكرة وصحيفة لأخبار الفن وغير ذلك وتضيق بحديث الإمام فتجزه في عمود، والجمهور لا يكاد يعلم شيئا عن الحقيقة، ولا حول ما يدور من أحداث، ولا حول مهاجمة تلك الصحف التي تدعى أنها تحمل راية التنوير باطلا دون وجه حق وماذا بعد الحق إلا الضلال.

موقفه من التطرف الديني

كان ينظر للأحداث بسعد نظر ثاقب فارجع سبب التطرف الديني وسمومه إلى الثقافة الوافدة

التي نأخذ منها ما يطربنا، ونجتنب ما يفيد في الاكتشافات العلمية والقفز الصناعي، فتحدث فضيلته عن سياسة الغرب في تعامله مع الدول النامية، وقال لقد نادى الغربيون بحقوق الإنسان والفرد وحرته والتمتع بالحياة وحرية الفكر والقول والعقيدة، واعتقد البعض أن العرب مقتنع بهذه الشعارات والواقع أن الغرب مهتم بنفسه فقط^(١).

وإن له جميع السيادة وحرمان الشعوب من سيادتها وحريتها كما ذكر فضيلته «أن مصر تعرضت لتيارين مختلفين تيار يدعو للتجديد في كل شيء بحيث يقلد الغرب في كل شيء في الثقافة والأدب والاجتماع، وتيار يكشف قيم المجتمع وتقاليده، وانتصر التيار الأول وأثر في مصر ثقافيا ودينيا واجتماعيا وعلى هذا إنزوت الشخصية الإسلامية العربية في التعليم، وتغيرت الأسرة وتزامنت هذه العوامل وتشابكت، وانتجت شعورا بعدم الرضا والمكتوم في الصدور لدى قطاع

(١) صوت الأزهر ص ١٠ في ٢٣ من ذي القعدة ١٤٢٩هـ، ٢١/١١/٢٠٠٨ بقلم وريشة د. عبد الله سلامة نصر.

كبير من الناس، والذين لم يجدوا فرصة التعبير عن رأيهم، وفئة أخرى تمكنت من السيطرة على أجهزة الإعلام والفن والثقافة وأخذت تعمل على تغيير الفكر والتقاليد، ووقع المواطن المصري في حيرة، وفشا التحلل الأخلاقي بين الشباب، ولم تنتبه أجهزة الدولة ولم تكافحها، إلى أن دوت طلقات التطرف.. وفقدت الأسرة سيطرتها على الأبناء، وانعدم دور المدرسة والمجتمع، وزاد الأمر حدة ما كانت تمارسه أجهزة الإعلام، وما تنشره من قيم غريبة عن المجتمع، ولم تعد الصحافة تهتم بأمانة الكلمة، بل إلى الخبيث من المثل، حتى صارت الدعوة إلى الفساد حرية، وصار الطعن في دين الله -الإسلام- حرية، وبذلك فشا الإرهاب، هذا ما صرح به فضيلة الشيخ جاد الحق راجع المزيدي في «ملحق مجلة الأزهر، شعبان ١٤٠٨هـ».

فتوى تعويض المستأجر

كانت فتواه هذه لها صداها الصاروخي في وجه الظلم الصريح الذي عم وبأوه مصر كلها، بشأن التعويض الجائر على إخلاء الأراضي الزراعية، ورجوعها لصاحبها، إذ يرى المستأجر أنه شريك المالك في أرضه، وبذلك يستحق نصف الثمن في سبيل الإخلاء، هذه الفتوى قد حسمت الموقف حسماً صريحاً، حيث قررت أن عقد الإيجار لا يتبع ملكية العين المؤجرة وأخذ نصف الثمن أمر محرم، وهو من باب أكل أموال الناس بالباطل. «راجع مجلد ١٠ من الفتاوى الإسلامية ص ٣٥٦٤».

أوقفوا فوراً.. هذا العبث

لم يكن يخطر ببال أي مسلم يعيش في أرض الإسلام والعروبة والأزهر أن يقرأ هذا الخبر البغيض حين نشرته جريدة الأهرام تحت عنوان «مسابقة لاختيار ملكة جمال النيل» نشرت ما ملخصه «إن قدماء المصريين كانوا يقومون باختيار أجمل فتاة عذراء في مصر ويلبسونها أفخر الثياب ويلقونها في النيل، وعندما جاء العرب استبدلوا العروس بتمثال لعروس النيل، وفي هذا العام يتخذ الإحتفال مظهرها أكثر حيوية ويفتح المجال أمام الفتيات من سن ١٥ - ٢٥ سنة للاشتراك في مسابقة ملكة

جمال النيل أمام لجنة التحكيم التى ستعقد للاختيار، وأن العروس الفائزة بهذا اللقب ستطلق يوم ٢٤ أغسطس أمام المرديان فى موكب داخل مركب فرعونى ثم مركب فيه ٤٠٠ مدعو من مختلف الهيئات الدبلوماسية ومن ورائهم خمسون مركبا شرايعا حيث يسير هذا الموكب من المرديان إلى كوبرى قصر النيل، وتبدأ المراسم المتبقية فى ذلك ويلقى محافظ القاهرة الوثيقة وتطلق الصواريخ وتقفز العروس إلى النيل.

ما كاد هذا التخريف والتزق ينشر فى الأهرام حتى صرخ فضيلته فى مقال تحت عنوان «أوقفوا هذا العبث فورا باسم وفاء النيل» ولقد رأى أن فى هذا الطيش عودة إلى سوق النخاسة والرقيق وأن دعوة مصر وهى بلد الإسلام والأزهر التى جعلها الله قائدة العرب والإسلام لهذا البغض والفساد والمنكر ردة إلى الجاهلية العمياء لا تفرق بين الحلال والحرام فأى وثيقة هذه التى يلقيها المسئول الكبير فى النيل مع العروس التى اشترط أن تجيد السباحة وأن تلتقطها فرق الإنقاذ أى إهانة للأثنى والمرأة بوجه العموم، ولماذا لم يكن رجلا الذى يلقي بدلا من العذراء عروس النيل إنها خزعبلات وتخاريف جاهلية وخلل عقلى، وقد كان هذا رأى الحاسم كافيا للقضاء على هذا البغى الصريح ويقول المؤرخون: «إن أسطورة عروس النيل هذه لم تحدث أصلا وإنما هى أكذوبة اخترعها أصحاب عقل غير سليم»^(١).

وقد أشار لذلك الكاتب الكبير الأستاذ عبد القادر حمزة فى كتابه «على هامش التاريخ المصرى القديم» وبين أن هذه أوهام يجب أن تنزع من تلك العقول الفارغة ولكن القوم لا يقرأون، وإن عمر بن الخطاب لم يقم بهذا العمل، ومنع هذه المهزلة وقيل إن النيل فى هذه السنة انخفض انخفاضاً كبيراً، فأتى عمر وقال قولته المشهورة هذه خطوط مبدئية تشير إلى أنماط من الاتجاهات الفقهية لدى الإمام الشيخ جاد الحق، ولا أظن أنى قد وفيت الرجل حقه، ولكنى أرجو أن ينهض من الدارسين الذين يبحثون ويسطرون رسائل الماجستير والدكتوراة فى الفقه الإسلامى من يدور موضوع رسالته حول هذا التناج الفقهى الكبير، الذى سطره الإمام الأكبر. يستطيع

(١) صوت الأزهر ص ١٢ فى ٣٠ من ذى القعدة ١٤٢٩ هـ ٢٨/١١/٢٠٠٨ بقلم وريشة د. عبد الله سلامة نصر.

أن يعطى الموضوع حقه فى رسالته، ولا أقول ذلك عن الإمام وتجديده بل يكون لكل الأعلام والعلماء فى هذا العصر، والحمد لله أن مجموعات الفتاوى قد سجلت فى مجلدات مستقلة، وبعد هذا العرض الموجز للملامح العلمية فى فتاوى الإمام، أحب أن أشير إلى رؤوس الموضوعات والفتاوى السياسية التى ذكرها الإمام بقصد التذكير والتوجيه فقط، فقد تحدث فضيلته عن الفتاوى السياسية والاجتماعية والإسلامية وعن الحلال والحرام فى الإسلام، وهو بحث مهم وطويل يحتاج إلى مجلد، ولا يتسع المكان لعرض عناصره وموضوعاته، وعن الحكم فى الفنون المختلفة من تمثيل وغناء ومسرح، فجاء بالقول الفصل، والذي يستطيع القارئ أن يدركه ويحصل عليه كما تحدث فضيلته عن حكم نقل الأعضاء من إنسان إلى آخر وحكم الوصية فيه وموقف الشرع من ذلك والنقل من ميت إلى حى إلخ وما حكم من مات وفى بطنها جنين حى والعكس وما حكم أكل لحم الأدمى الميت إلخ.

كلمات ومقالات كتبت فى تأبين الإمام «جاء الحق»:

لقد نعتة الصحف والمجلات وأجهزة الإعلام، وأقامت مشيخة الأزهر سرادقا كبيرا حضره كبار رجال الدولة من العلماء والمثقفين على اختلاف مشاربهم، وعقدت جلسة خاصة فى مجمع البحوث الإسلامية لتأبين الراحل العظيم، وجاءت كلماتهم مصورة ملامح الرجل الخلقية وسماته الشخصية، ولقد نعاه فضيلة الدكتور الإمام الأكبر محمد سيد طنطاوى حيث قال «ما يعزى نفوسنا أن شيخنا وإمامنا رحمه الله قد أدى رسالته بشرف وأمانة ونظافة يد بالكلمة الطيبة وشعور بالمسئولية التى هى أمانة فى أعناقنا، وقد اجتمعت هذه الثلاثة فى شيخنا الإمام جاد الحق كان سخيا بماله ينفق منه سرا أكثر من العلانية، وكانت له مواقف تشرف الأزهر فى عفافه وقد ترك ثروة علمية طيبة.

وقال عنه الشيخ سيد مسعود وكيل الأزهر وقتها «إن مواقف الإمام جاد الحق لا تنسى مدى التاريخ» وقال د. أحمد عمر هاشم «كان فى علمه روية وأناة ولا يرى فى نفسه استعلاء أن يسأل أحد». . . وله مواقف تجل عن النظر إلخ».

قال د. عبد الفتاح الشيخ «كنت رفيقا له فى رحلة إلى إحدى الدول، وقدم حاكمها شيكا بمبلغ كبير من الدولارات له شخصيا لأنه كان مازال يسكن فى شقة بالإيجار لعله يبنى له بيتا أخذ الشيك ولم يتحدث فى أمره، وعندما عاد إلى مصر

كتب خطابا إلى رئيس الجمهورية أخبره فيه بما تم وأنه أودع المبلغ في حساب إدارة الأزهري للإنفاق منه على الموظفين والعاملين الفقراء، ويكفي هذا دليلا على عزة نفسه وطهارة يده.

الصحافة والإمام.. جاد الحق:

يقول أحد المتصلين اتصالا وثيقا بالإمام جاد الحق واعتقد أنه الدكتور محمد رجب البيومي العالم والأديب الكبير: كنت أقرأ ما يصدر عن الإمام جاد الحق - في المواسم والمناسبات الدينية كالإسراء والهجرة والمولد النبوي ورمضان.. إلخ فأحس أن الكلام انقطع ولم يمض إلى غايته فأستكثر أن يكون القائمون على الصحف قد عبثوا بما أرسله الإمام فأظهروا منه شيئا وكتبوا أشياء ويقرأ القارئ ما كتبه الإمام فلا يخرج منه بشيء ذي بال وقارنت ما كتب «الأهرام» ذات مرة مع ما كتبت «الأخبار» فوجد العجب وأن الحذف بارز لا جدال فيه للشك، وهذه دلالة خطيرة تنطق بحذف المقصود، والإمام الشيخ جاد عرف بالصبر الطويل والهدوء المطمئن وإزاء ما يجابهه من المشاكل العضلة، فكان يغضى الطرف عما يراه من حيف وظلم ليس عن ضعف، وإن كلمة منه تهز العالم كله، ولكنه لا يريد الإساءة لأحد.

وحدثت أحداث هزت العالم الإسلامي والعربي، فادلى الإمام بما يراه وتعمدت الصحف أن تحذف الكثير، ولا تشير إلا إلى الضئيل، فكتب الإمام قائلا «عجبا لأناس يصدرون الصحيفة الطويلة بحديث عن لاعب كرة أو مطرب ناشئ يذكر أمجاده وكأنه اخترع شيئا عظيما والعجب الأكبر لرئيس تحرير الجريدة الذي أفرد الصفحات لهذا الغناء الهزيل ثم يستكثر على إمام المسلمين والإسلام في العالم أن ينشر ما يرى من توجيه ضروري للأمة الإسلامية في أزماتها.

وكان في مقدوره أن يعقد مؤتمرا صحفيا تحضره صحافة العالم لنقل رأيه للناس جميعا شرقا وغربا ولكن الإمام لا ينشد البريق الكاذب ولا تسليط الأضواء أخذا بأداب أسلافه الكبار من أئمة الإسلام رحم الله الإمام الفاضل وأسكنه فسيح جناته «دائما موت الأمة في موت العالم».

(١) صوت الأزهري ص ١٢ في ٧ من ذي الحجة ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ / ١٢ / ٥ بقلم وريشة د. عبد الله سلامة نصر.



تلاميذ الإمام محمد عبده دافعوا عن حرية الفكر

الفصل الثاني: رائد الإصلاح وأعلام من الأزهر

الإمام الشيخ محمد عبده وأثره في الإصلاح الديني

١٢٦٦هـ - ١٩٠٥م

ولد الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، في إحدى قرى مديرية البحيرة. وفي مكتب القرية حفظ القرآن وتعلم القراءة والكتابة، ثم انتقل إلى الجامع الأحمدي في طنطا، فإلى الجامع الأزهر بالقاهرة، لتلقى العلم، على أن طرق التدريس التي كانت متبعة حينذاك في الأزهر لم ترقه. حتى إذا جاء السيد جمال الدين الأفغاني إلى مصر، اختلط به، وأخذ عنه كثيراً من مبادئ الفلسفة والمنطق، وتدرّب على الكتابة في الصحف السياسية. فلما نفى السيد الأفغاني بعد ذلك من البلاد، كان مما قال لمريديه: «قد تركت لكم الشيخ محمد عبده، وكفى به لمصر عالماً».

وعمل الأستاذ الإمام مدرساً في المدارس الأميرية، ومحرراً في «الوقائع المصرية». وتولى الكتابة في بعض دواوين الحكومة. حتى قامت ثورة العربيين فاتهم بممالأتهم ونفى من مصر، فأقام بسوريا ست سنين ألقى خلالها كثيراً من الدروس. ثم نزح إلى باريس حيث أصدر مع السيد جمال الدين جريدة «العروة الوثقى». وبعد العفو عنه وعودته إلى مصر عين مستشاراً في محكمة الاستئناف الأهلية، وعضواً في مجلس إدارة الأزهر، ثم أسند إليه منصب مفتي الديار المصرية.

ويعد الشيخ محمد عبده حامل لواء الإصلاح الديني في العالم الإسلامي في العصر الحديث، فقد حياته في تنقية الدين من الشوائب التي طرأت عليه، وتقريب المسلمين من أهل التمدن الحديث ليفيدوا من ثمار مدنيّتهم، وكذلك اشتهر بصراحته في فتاواه الدينية، وتفسيره القرآن بما يطابق تحكيم العقل، ويحل الإسلام من قيود التقليد، وقد طالما هاج عليه جماعة الجامدين، وأنصار بقاء القديم على قدمه، ولكنه لم يعبأ بهم، ومضى في سبيله قدما لتحقيق برنامجه الإصلاحى العظيم.

تولى الأستاذ الإمام منصب القضاء، فعين في ٧ يولية ١٨٨٨ نائب قاض بمحكمة بنها، ثم رقى قاضيا من الدرجة الثانية بمحكمة المنصورة، فقاضيا من الدرجة الأولى بمحكمة مصر من ٧ يناير ١٨٩٢، وفي ٢١ نوفمبر ١٨٩٥ رقى نائب مستشار بمحكمة الاستئناف، - ولم يكن يوجد غيرها- وظل بها إلى أن وقع عليه الاختيار مفتيا للديار المصرية في ٥ يولية ١٨٩٩.

كان الأستاذ الإمام قاضيا بمحكمة عابدين، وكانت أهم محاكم العاصمة في ذلك الحين -فاطمأن الكافة إلى قضائه، وقال فيه ذوو الرأي من أهل عصره: «إنهم لا يذكرون إن كرسى القضاء في تلك المحكمة قد ازدان بمثله وأن الوقار والهيبة والجلال كانت تفيض في أفقها» وقال فيه أحد شيوخ المحامين رحمة الله عليه: «كان محمد عبده يصدر الحكم ويشفعه أو يسبقه بدروس ومواظ يلقاها على المحكوم عليه أمام الجمهور إلقاء يشعر الجماهير والمحكوم عليه نفسه أنهم في حضرة أب ومصلح كبير.

وترجع صلة محمد عبده بجمال الدين الأفغاني (١٢٥٤هـ - ١٨٣٩م - ١٣١٤هـ - ٩ مارس ١٨٩٧م) - إلى شهر المحرم عام ١٢٨٨هـ - ٢٢ مارس ١٨٧١م، حين نزل جمال الدين مصر، وكان يعرفها من قبل قليلا، ولكنه في هذه المرة اندمج في حياتها الأدبية والاجتماعية، وتردد على دار إبراهيم بك المويلحي، وكانت قائمة في حارة الأمير حسين بشارع محمد علي، وهي في ذلك الوقت ندوة المفكرين والعظماء والقادة، فلما أجرى عليه رياض باشا رزقا شهريا قدره عشرة جنيهات مقابل بقاءه في مصر ولو لم يؤد عملا، استأجر منزلا في حارة اليهود، ويقول الشيخ محمد عبده: إن طلاب العلم عرفوا الأفغاني عند ذلك و«اهتلوا إليه واستوروا زنده فأورى، واستفاضوا بحره ففاض درآ، وحملوه على تدريس الكتب فقرأ من الكتب العالية في فنون الكلام الأعلى والحكمة النظرية طبيعية وعقلية، وفي علم الهيئة الفلكية وعلم التصوف وعلم أصول الفقه الإسلامى، وكانت مدرسته بيته من أول ما ابتدا إلى آخر ما اختتم».

وفي هذه المرة بقى جمال الدين في القاهرة فترة أطول، وهي الفترة التي كون فيها مدرسته وبث فيها رسالته، واتصل بتلميذه وصفيه الشيخ محمد عبده.

بقى الشيخ جمال الدين يدرس ويدعو دعوته الإصلاحية، ويشارك في كل أمر ذى خطر من حياة مصر في ذلك العهد أكثر من ثمانى سنين حتى نفى الشيخ من مصر فيه سنة ١٢٩٦هـ إلى الهند مرة أخرى.

ويقول الشيخ الباقورى:

إن أحدا لا يستطيع إلا أن يرى فى الأستاذ الإمام قائداً زعيماً يحرص أشد الحرص على إيقاظ رأى العام وتنبيهه من غفوته بشتى الأساليب ومختلف الوسائل، حتى يكون له أن يميز ما للحاكم من حق الطاعة على الشعب وما للشعب من حق العدل على الحاكم، لأن الحاكم بشر يصيب ويخطئ.

ويقظة رأى العام من طريق الصحافة النزيهة والتربية الاجتماعية السليمة وإعداد القادة المستنيرين الغيارى على صالح الأمة، هى الوسيلة والقادرة بالقدرة على تقصى الحقائق ودرس المسائل درساً وافياً وإبداء الرأى فى أمانة وإخلاص.

ولئن كان الأستاذ الإمام قد سلك فى بيروت عاصمة لبنان الشقيق مسلكاً قرب فيه بين مختلف المذاهب والأفكار والطوائف، فإن عمله فى مصر بعد أن عاد من المنفى لم يكن أقل قدراً من عمله فى لبنان، فقد عمل على دعم الوحدة الوطنية فى لبنان، وكان كثير من شيوخ الأمة فى ذلك الوقت على مثل رأيه السياسى كسعد زغلول، وحسن عاصم، ومحمود سليمان وغيرهم من رجال حزب الأمة، ولكنه هوجم من هذه الناحية أكثر مما هوجم أصدقاؤه الذين كانوا على مثل رأيه، لأن الخديو عباس كان يؤلب عليه أكثر مما يؤلب عليهم، ثم لأن الناس اعتادوا أن يروا علماء الدين بعيداً عن السياسة.

لقد كان الشيخ محمد عبده -بما وهبه الله من غزارة علم وبعد نظر وقوة نفس ورحابة صدر- شيئاً كبيراً لا يقدره حق قدره إلا أولئك الذين يتخلصون من كبرياء الغرور، وتسالط النزوات فيحكمون عليه بأنه إن لم يكن أفضل زعيم حكيم فإنه فى الصدارة من حكماء الزعماء الذين تحتاج إليهم الأمم إبان نهضتها وعلى طول تاريخها، بحيث تخسر الإنسانية كثيراً بالتجهم لهم والتهجم عليهم فى حياتهم وبعد مماتهم.

وليس يخفى ما كان الشيخ قد لقي من العنت ودناءة الخصومة وعقوق قومه له وجحود فضله عليهم، فكانت حربهم له من جهات متعددة، فالخديوى عباس يتخذ السيد توفيق البكرى وغيره وسيلة للإفساد بينه وبين رجال الأزهر، وتحريض أعضاء مجلس الإدارة على الاستقالة، حتى يحل محلهم من يكرهون الشيخ لكى يقفوا فى سبيله. وكثير من شيوخ الأزهر يخاصمونه لأنه كان لا يكف عن الدعوة إلى تحرير الأفكار من قيود التقليد، حتى يكون للمفكرين أن يفهموا الدين على طريق سلف الأمة قبل ظهور الخلافات المذهبية.

ولا ريب فى أنه أيقظ الشعور الدينى، وأشعر المسلمين بأن عليهم أن يهبوا من رقدتهم لإصلاح نفوسهم وإكمال نقصهم غير معتمدين على الفخر بماضى أسلافهم، بل ساعين إلى أن يبنوا من جديد لحاضرهم ومستقبلهم فى حياتهم كما بنى أسلافهم.

فهو أبداً داع إلى أن العقل يجب أن يحكم كما يحكم الدين، فالدين عرف بالعقل ولا بد من اجتهاد يعتمد على الدين وعلى العقل معاً، حتى يستطيع المسلمون أن يواجهوا الأوضاع الجديدة فى المدنية الجديدة مقتبس منها ما يفيد وينفع، وإذا كان المسلمون لا يستطيعون أن يعيشوا فى عزلة فلا بد لهم من أن يتسلحوا بما يتسلح به غيرهم، وأكبر سلاح فى الدنيا هو العلم. وأكبر عمدة فى الأخلاق، هو الدين ومن حسن حظ المسلمين إن دينهم يشرح للعلم صدره حاضاً عليه غير ضائق بالأخلاق الفاضلة التى تدعو إليها المدنية الحاضرة.

إن الشيخ -مع هيئته وحدته- كان طيب القلب سليم الصدر وفيا لأصدقائه لطيف الحديث سمح النفس ينصف الناس فى الحق حتى من نفسه.

ومن أعجب ما يعجب له الذين يحبون أن يعرفوه على حقيقته أن يطلب إلى فاضل من فضلاء علماء المسلمين النيل منه، حتى يتخذ من ذلك ذريعة إلى تعيينه شيخاً لعلماء مدينة الإسكندرية، فتتهياً بذلك له السبل إلى إصلاح الأزهر من مدينة الإسكندرية، وقد عجز عن ذلك الإصلاح فى مدينة القاهرة، وذلك -على ما يروى السيد رشيد رضا- أن الإمام أشار على الأستاذ الشيخ محمد شاکر قاضى

قضاة السودان أن يظهر السخط عليه لاستمالة الخديو تمهيداً لتعيينه شيخاً لعلماء مدينة الإسكندرية، إذ كان من المعروف لدى الخديو أن الشيخ محمد شاکر هو من حزب الشيخ محمد عبده ومن رجاله وأنه هو الذى اختاره للسودان وسعى لجعله قاضى القضاة فيه، وبهذه الحيلة من الرجلين الكبيرين محمد عبده ومحمد شاکر لطف الله بعباده العلماء وأراد ألا يبقى حالة الإسكندرية على ما كانت عليه من الخلف وتعطيل الأعمال فتقرر انتخاب الشيخ شاکر شيخاً لعلماء الإسكندرية وصدر الأمر العالى بذلك فى ٢٦ إبريل سنة ١٩٠٤.

ولا يجهل الناس أن هذه منقبة للأستاذ الإمام تذكر فى تاريخه كما تذكر كبار المناقب لكبار المصلحين^(١).

ويقول الشيخ مصطفى عبد الرازق: لم يكن الإمام أول من أحدث فى الأزهر حركة تجديد، فإن حركة التجديد الأولى ترجع إلى عهد قبل ذلك، ومن مظاهر هذه الحركة اختيار شيوخ الأزهر من الأذكياء ذوى الوجاهة وحسن السياسة من غير مراعاة لما كانت تجرى به التقاليد فى هذا الباب، فإن الشيخ مصطفى العروسى الذى ولى مشيخة الأزهر من سنة ١٢٨١هـ إلى ١٢٨٧هـ - ١٨٦٤م - ١٨٦٩م والشيخ محمد العباسى المهدي الذى اختير على أثره شيخاً للأزهر سنة ١٢٨٧هـ - ١٨٧٠م لم يكونا من أسن شيوخ عصرهما، ولا من أوفرهم شهرة بالتدريس والعلم.

وقد أبطل الشيخ العروسى كثيراً من البدع الدينية وأقال جماعة ممن يدرسون فى الأزهر بلا استحقاق وعزم على عمل امتحان لمن يريد التدريس ففاجأه العزل من منصبه، وجاء من بعد. الشيخ المهدي فوضع سنة ١٢٨٨هـ - ١٨٧١م أول قانون للأزهر يحصر مواد الدروس وبين طريقة الامتحان، وفى عهده عنى بإصلاح الأزهر ليصل بذلك إلى إصلاح المحاكم الشرعية. فالغرض من هذا الإصلاح كان تخريج قضاة المحاكم الشرعية تخريجاً نظامياً تتم به المشاكلة مع صورة التخريج لقضاة المحاكم المدنية.

وهذا الاتجاه فى إصلاح الأزهر هو بعينه ما أعرب عنه الخديوى عباس فى خطبته بقصر عابدين فى حفلة الإنعام بالخلعة على الشيخ عبد الرحمن الشربيني

(١) الأخبار ٢٧ - ٧ - ١٩٧٣.

شيخ الأزهر سنة ١٣٢٣هـ - ١٩٠٥م وهى الخطبة التى استقال على أثرها الشيخ محمد عبده وصديقه الشيخ عبد الكريم سلمان من مجلس إدارة الأزهر. قال الأمير -على ما جاء فى الجزء الأول من تاريخ الأستاذ الإمام- إن كل ما يهم الحكومة من الأزهر شيان: الأول استتباب الأمن فيه وهو ما أوصى به دائماً، والثانى تخريج القضاة الشرعيين^(١). . . ويوشك أن يكون كل تغيير فى الأزهر توجهه الحكومات قائماً على مثل هذا الأساس. أما الشيخ محمد عبده فقد أراد بنهضة الأزهر غاية هى الجديرة بأن تسمى إصلاحاً. كان الشيخ محمد عبده يرى أن إصلاح الأمة لا يكون إلا بإصلاح عقولها وقلوبها بالعلم الصحيح والدين الصحيح والسبيل إلى ذلك إحداث نهضة دينية وعلمية معاً، والأزهر هو أخصب مكان لهذه النهضة فإن الحياة إذا انبعثت فيه سرت مسرعة فى جسم الأمة وفى الشرق الإسلامى كله، وقد اتصل الشيخ محمد عبده بالخدوى عباس الثانى وأوحى إليه أن ينهض لإصلاح الأزهر نهضة قوية تحمى الشرق الإسلامى لأن الأزهر قبلة المسلمين فى أقطار الشرق المختلفة، وأقنعه بأن ذلك يرفع شأن مصر فى الشرق كله ويجمعه حول الشعب المصرى ويخلد له فى المصلحين ذكراً.

واستمع عباس لنصح الناصح فتوجه بكل عزمه لإصلاح الأزهر على مبادئ الشيخ محمد عبده، وفى ٧ رجب سنة ١٣١٢ هـ - ١٨٩٥م صدر أمر عال بتشكيل مجلس إدارة للأزهر من أعضائه اثنان من موظفى الحكومة هما الشيخ محمد عبده والشيخ عبد الكريم سلمان.

وأخذ مجلس الإدارة فى وضع ما لا بد منه من نظم تقرر العدل وتمحو ما كان شائعاً من الفوضى، وتبعث على الجهد فى تحصيل العلم النافع وترشد إلى أساليب الدرس القويمة. كل ذلك فى غير مساس بحرية التعليم، وبلا إسراف فى العناية بالأشكال والصور ويقول الشيخ عبد الكريم سلمان فى كتاب أعمال مجلس إدارة الأزهر عند الكلام على مشروع نظام التدريس والامتحان الذى وضعه المجلس:

(١) من كتاب تاريخ الإمام محمد عبده للشيخ رشيد رضا، حديث طويل عن المحاكم الشرعية (٦٠٨-١/٦٢٩ تاريخ الإمام)، وللإمام رأى فى الحاجة إلى المحاكم الشرعية (٦٠٨-١/٦١١)، وكذلك لرشيد رضا رأيه فى ذلك (٦١١-١/٦١٧).

«وفى كل باب من هذه أحكام فسيحة تتوجه كلها إلى مقصد واحد هو تحصيل جواهر العلوم الدينية فى زمن محدود بطريقة سهلة التناول والتحلى بشمرة تلك العلوم وهى محاسن الأخلاق والأعمال».

وكتاب الشيخ عبد الكريم سجل مفصل لأعمال مجلس الإدارة يهدى القارىء إلى الفرق بين وجهة الإصلاح فى عهد الشيخ عبده التى كانت ترمى إلى إحداث نهضة علمية دينية يكون الأزهر حامل لوائها، وبين الاتجاهات الأخرى.

ومن حضر بعد عهد الإمام فى الأزهر شهد ذلك المعهد العتيق يبعث من مرقد حياً يضطرم بالشباب والأمل ورأى نهضة صحيحة فى الدراسات الأدبية ودراسة العلوم العقلية وعلوم الدين والعلوم الحديثة. . نهضة تحتفظ بأحسن ما فى معارف الأزهر وتقاليده التعليمية وتقتبس خير ما فى النظم والمعارف الحديثة وأخذ الشيخ محمد عبده يث فى العقول مذاهبه وآراءه فى كتبه ورسائله، وفى دروسه ومحاضراته التى كانت تجذب بطرافتها وسمو أفكارها وخلابة بيانها كل الطبقات المثقفة من أزهريين وغير أزهريين. وجملة مذهبه الدينى أن الإسلام دين بساطة ويسر يلائم الفطرة ويوافق العقل، وأنه قد جاء بعقائد سليمة لا تعلو على متناول الفكر الإنسانى وجاء بأصول للفضيلة والخير تغرى بالصالحات وتوفر للإنسان حريته وكرامته وتبعثه للنشاط والكمال فى كل نواحي الحياة.

«فهل رأيت تسامحاً مع الفلاسفة والحكماء أوسع من هذا؟ وهل يليق بالحكيم أن يكون من الحمق بحيث يقول قولاً لا يحتمل الإيمان من وجه واحد أو من مائة وجه؟».

كانت العقول المتعطشة إلى الحرية تنهافت على هذا الداعى إلى حرية العقول، وتثور على قيودها وأغلالها، لكن أكثر العقول قد ألفت سجنها واطمأنت إليه، فهى تنزعج لهذه الصيحة الجديدة وتدفعها بكلتا اليدين. . وأصبح الأزهر ميداناً لصراع محتوم بين مذهب الشيخ محمد عبده ومذهب الشيوخ الجامدين، وكان هذا الصراع نفسه آية حياة وانتعاش وتنبه فكري.

وأنشأ الشيخ عبده فى بضع سنين جيلاً طموحاً للفهم المستقل، عزوفاً عن التقليد يشعر بالكرامة الإنسانية، ويلتمس المثل العليا فى الحياة الدنيا وفى الآخرة.

وكان ذكر الشيخ عبده يطير في الآفاق مقروناً بذكر النهضة الإصلاحية التي استرعت الأنظار، وقد تحركت نوازع الحقد والحسد في أنفس لا ترضى عن الشيخ ولا عن دعوته، فكادوا له من كل سبيل، حتى اضطر إلى الاستقالة من منصبه في الأزهر في مارس سنة ١٩٠٥م - المحرم سنة ١٣٢٣هـ.

وتوفي الشيخ في الحادى عشر من يوليو عام ١٩٠٥ - ٧ جمادى الأولى ١٣٢٣هـ بعد جهاد طويل في سبيل إصلاح الأزهر، وفي سبيل الإصلاح الدينى والإسلامى فى كل وطن عربى ولا سيما فى مصر قلب الإسلام الخافق.

بين جمال الدين ومحمد عبده

(١)

كان الأفغانى ومحمد عبده أعظم مصلحين ظهرأ فى القرن التاسع عشر الميلادى، حملا رسالة الإصلاح الدينى والفكرى وكونا مدرسة أدبية وسياسية كان لها أعظم الأثر فى تاريخ الشرق الإسلامى.

وعن هذه المدرسة انبعثت روح التحرر والرغبة فى التقدم ونضال الاستعمار فى جميع البلاد الشرقية والغربية.

وترجع صلة محمد عبده بجمال الدين الأفغانى إلى أول المحرم عام ١٢٧٠هـ، حيث كان الأفغانى فى زيارة قصيرة للقاهرة فى طريقه إلى الآستانة منفياً بيد الإنجليز من الهند، وكان محمد عبده إذ ذاك طالباً بالأزهر.

وتردد محمد عبده على بيت جمال الدين، وتلمذ عليه وعلى مائدة علمه وفضله، وبعد أيام قصيرة سافر جمال الدين إلى الآستانة، وودعه محمد عبده وداعاً حاراً، وفى الآستانة نال جمال الدين تقديرًا كبيراً، وعين عضواً فى مجلس المعارف هناك، ولكنه شعر بالدسائس والوشايات تحاك من حوله فعاد إلى القاهرة مرة أخرى فى أول المحرم ١٢٨٨م، فعاد محمد عبده إلى التلمذة عليه والإفادة من ثقافته.

وعرف محمد عبده من أستاذه جمال الدين أن الاستعمار الغربى وبال على الإسلام والمسلمين، وأنه يجب محاربة الديكتاتورية الملكية، والفساد السياسى، وعن طريقه علم أن الأدب يجب أن يكون فى خدمة الشعب وتحريره، وأنه يجب

أن يتحرر من قيود الصناعة اللفظية، وأن المعنى لا اللفظ هو سر كل بلاغة، وتعود الكتابة الدينية والوطنية في الصحف والمجلات، وبدأ يهتم بمطالعة مصادر الثقافة الإسلامية والأدبية، ويطالع الكتب المترجمة، ويسعى مع إخوانه من تلامذة جمال الدين في إصلاح الأزهر الشريف وفي الإلحاح في طلب الحكم النيابي والديمقراطية السياسية.

وظفر محمد عبده بشهادة العالمية عام ١٢٩٤هـ ١٨٧٧م وأصبح مدرّساً بالأزهر ودار العلوم ومدرسة الألسن، وبدأ يكون جيلاً جديداً من تلامذته، يتفخ فيهم روح أستاذه جمال الدين.

(٢)

وفي الخامس والعشرين من يونيو عام ١٨٧٩م عزل إسماعيل وتولى مكانه ابنه توفيق، وقد بدأ حكمه بنفى جمال الدين من مصر، وإقالة محمد عبده من وظائفه العلمية، وتحديد إقامته في قريته «محلة نصر»، وذلك في الرابع والعشرين من أغسطس عام ١٨٧٩م - أواسط رمضان عام ١٢٩٦هـ، خوفاً من النهضة الوطنية التي يتزعمانها، ويدعوان إليها، وقبل أن يغادر الأفغانى أرض مصر قال: «إني تركت في أرض مصر الشيخ محمد عبده يتم ما بدأت به».

وبعد شهور عفا توفيق عن محمد عبده، وأسند إليه رياض باشا التحرير في الوقائع، فاختار معه سعد زغلول وجماعة من زملائه من تلامذة جمال الدين، وكون محمد عبده عن طريق الوقائع مدرسة صحفية نزيهة غايتها خدمة الشعب، وتحريره فكرياً وقومياً من قيود الاستعباد والاستبداد والرجعية والجهل والجمود والتأخر.

وقامت الثورة العربية، وكان محمد عبده من أبرز زعمائها، وكان جمال الدين آنذاك في الهند، فاعقلته بريطانيا حتى لا يتصل بزعماء الثورة، وانتهت الحركة العربية بالنشل والاحتلال البريطاني لمصر، وقبض على محمد عبده وسجن وحوكم، وحكم عليه بالنفى ثلاث سنوات، فاختار سوريا منفى له. وأفرجت بريطانيا عن جمال الدين. وسافر من الهند إلى لندن فباريس. وهناك استدعى جمال الدين محمد عبده من بيروت ليقیم معه في عاصمة فرنسا.

(٣)

وفى باريس أخذ الإمامان يجاهدان من أجل الشرق الإسلامى وتحريه، ويعملان ليعود للإسلام مجده وألفا جمعية «العروة الوثقى» عام ١٨٨٤م، ثم أصدرتا صحيفة باسم «العروة الوثقى» للجهاد فى سبيل الشرق والإسلام. وخلق الوعى السياسى المستنير فى الشعوب الإسلامية «ومناهضة الحكم الديكتاتورى» والعمل على إحياء الأخوة الإسلامية، وعلى قيام حكم ديمقراطى شورى بين الناس.

وصدر العدد الأول من العروة الوثقى فى ٥ جمادى الأولى ١٣٠١هـ - ١٣ مارس ١٨٨٤م، وكله حرب على الاستعمار الغربى فى بلاد المسلمين، ودعوة إلى حكومة إسلامية موحدة أو حكومات إسلامية متآخية متحدة المناهج والأهداف والأفكار يرتبط بعضها ببعض بروابط الود والإخاء وحب السلام.

وفى يوليو عام ١٨٨٤م أوفد جمال الدين الأستاذ الإمام محمد عبده إلى لندن لمفاوضة السادة الإنجليز فى القضية المصرية، ودعوة إنجلترا إلى الجلاء عن مصر، وترك السودان للسودان، وأدى محمد عبده مهمته خير أداء، وأعلن فى عزم وقوة أن مصر ستحارب الاستعمار الإنجليزى بكل ما أوتيت من قوة.

وعاد الإمام إلى باريس ليشهد توقف مجلة العروة الوثقى التى حاربها الاستعمار والإنجليز حرباً لا هوادة فيها، وذلك بعد العدد الثامن عشر الصادر فى ٢٦ من ذى الحجة عام ١٣٠١هـ - ١٦ أكتوبر عام ١٨٨٤م.

وعاد جمال الدين فأوفد الإمام إلى السودان لتغذية الثورة المهدية والإفادة منها فى تحرير مصر من الاحتلال، فسافر محمد عبده سرّاً إلى تونس ومنها إلى مصر، وأراد السفر إلى السودان ولكنه فوجئ بوفاة المهدى فى الحادى والعشرين من يونيو عام ١٨٨٥، وتسليم التعايشى، فسافر سرّاً إلى بيروت وأقام فيها، وبقي أستاذه جمال الدين فى باريس، وأخذ كل منهما يجاهد فى سبيل منهجه الإصلاحى المرسوم.

وفى بيروت ألف محمد عبده جمعية التأليف والتقريب هو وصديقه تلميذ جمال الدين «مبرزاً محمد باقر» للدعوة إلى الإسلام فى جميع أنحاء العالم، وتعريف الغرب بحقائق الإسلام والتعاون على إزالة اضطهاد أوروبا للشرق أو المسلمين.

وكان قيام هذه الجمعية تطبيقاً رائعاً لأفكار جمال الدين ونزعاته وتعاليمه .

(٤)

وفي أواخر عام ١٨٨٨م عاد محمد عبده إلى وطنه بعد أن ظل في المنفى ست سنوات «وأخذ يكون مدرسة فكرية متحررة لتثقيف الشعب وتربيته وتحريره من الجهل والخوف والجمود، وإعداده لحياة ديمقراطية صالحة، وكان من تلاميذه سعد زغلول والمنفلوطي ولطفى السيد والهلأوى ومصطفى عبد الرازق والأحمدى الظواهري ومحمد مصطفى المراغى والزنكلونى ورشيد رضا وسواهم .

وعاد جمال الدين إلى الأستانة يقيم فيها فى ظلال السلطان عبد الحميد، وأخذت دعوة جمال ومحمد عبده إلى التحرر الفكرى والإصلاح الدينى تنتشر فى صفوف الشباب فى مصر والعالمين العربى والإسلامى انتشاراً كبيراً .

وسعى محمد عبده فى إصلاح الأزهري والمحاكم الشرعية والقضاء والمساجد والإفتاء ذائع معروف، وساح محمد عبده فى الأقطار الإسلامية فقام برحلات إلى تونس والجزائر والشام والأستانة وأوروبا والسودان، وهو أينما نزل، وحيثما رجل، ينشر رسالته، ويدعو إلى الإصلاح والتجديد .

ومات جمال الدين فى الأستانة فى صباح الثلاثاء الخامس من شوال عام ١٣١٤هـ- التاسع من مارس عام ١٨٩٧م ودفن فيها، وبعد سنوات ثمان مات محمد عبده فى الثامن من جمادى الأولى عام ١٣٢٣ هـ- ٢١ يوليو عام ١٩٠٥، وذهب الإمامان إلى ربهما راضيين مرضيين بعد أن أديا رسالتهما على خير الوجوه، وجاهدا فى سبيل الإسلام والمسلمين جهاد الأبطال وأسهما فى خلق الوعي السياسى وتأجيج الشعور الوطنى، وإحياء العزة القومية فى نفوس المسلمين عامة .

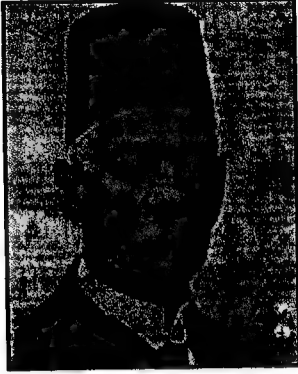
وكان نضال الإمامين وكفاحهما مضرب الأمثال، لأنه كان نضالاً صادقاً خالصاً لوجه الله والإسلام .

ومات الإمامان ولكن تلاميذهما كانوا هم محور النهضة السياسية والوطنية فى تاريخ العالمين العربى والإسلامى بعد وفاتهما، وظلت مبادئ جمال الدين الأفغانى

والإمام محمد عبده حية في النفوس مشتعلة في القلوب، مسجلة في أنصع صفحات التاريخ الحديث.

إن هذين الإمامين الجليلين والحكيمين الرائدتين، والعبقريين المصلحين، لهما سبب كل تقدم أحرزناه خلال الخمسين سنة الماضية، ومن أفكارهما وآرائهما ودعوتهما انبعثت شعلة الثورة والتحرر والإصلاح في كل مكان.

سعد زغلول في الأزهر



الزعيم سعد زغلول

جاء سعد في الأزهر عام ١٨٧٥ وهو في سن الخامسة عشرة وحضر الأزهر بصحبه شقيقه الشناوى سعد زغلول الذى تولى أمره بعد وفاة أبيه، وأوصى به طالبين يكبرانه سنًا وهما: الشيخ حسن البليهى والشيخ محمد أبو رأس الذى وصل فيما بعد إلى شيخ معهد دسوق، وتوطدت الصلة بينه وبين الهلباوى الأزهرى الذى كان يسبقه فى الدراسة وكان يسكن معه فى منزل واحد فى غرفة أمام غرفته. حضر سعد دروس محمد عبده وبواسطته اتصل بجمال الدين الأفغانى، وقضى سعد فى الأزهر خمس سنوات نبغ فيها، ثم عين محرراً بالوقائع سنة ١٨٨٠م.

ويقول زميله الهلباوى عنه: اشتهر سعد بين زملائه طلبة الأزهر باليسر وسعة اليد. فقد كانت عائلته أكبر العائلات فى الريف المصرى ومن أعظمها جاهًا وسلطانًا فى موطنها. وقد كان سعد هو الطالب الوحيد الذى يلبس الجبة والقفطان فى (سلتنا)، فكنا نفتخر به وبجيبته وقفطانه وتباهى بملبسه أمام الطلبة الآخرين.. ولا عجب فى ذلك فقد كنت أنا مثلاً ألبس (الزعبوط) الذى لازمنى طول مدة دراستى حتى تخرجت فى الأزهر فتوظفت وأنا ألبس (الزعبوط).

وكان سعد يعطى دروسه الاهتمام الأول، ولم يكن له دراية بشئون المنزل - شأن طلبة الأزهر - فأهمل مأكله وملبسه رغم النقود والملابس لديه، ولاحظ ذلك شقيقه الشناوى أفندى فخصص له زميلين من زملائه عهد إليهما فى إعداد طعامه وقضاء لوازمه. وكان يعطيها أجرًا خاصًا نظير هذه المهمة، فإذا تصادف يومًا أن شغلها

شاغل عن القيام بخدمته حار سعد وأسقط في يده . . فكننت أتعطع لخدمته شفقة وعطفًا عليه، إذ كان قاصرًا صغير السن .

وقد يعرف أن المغفور له سعد زغلول درس في الأزهر، ولكن كثيرين منا لا يعرفون إلى أى مدى وصل فى دراسته، ولا كيف تلقى علومه ودروسه .

لقد زامل سعد زغلول فى الأزهر فرقة كان فى طليعتها، ولم يبق من زملائه فى هذه الفرقة على قيد الحياة إلا فضيلة الشيخ عبد المعطى الشرشيمى العضو السابق فى جماعة كبار العلماء، وهو العضو الوحيد الذى استقال من الجماعة منذ انشائها إلى الآن، لأن جماعة كبار العلماء لم يكن من قبل يشترط فيها مدة قانونية بحال بعدها العضو إلى المعاش .

وقد تلقى سعد وعبد المعطى وزملاؤهما الفقه على مذهب الإمام الشافعى فى أوائل حياتهم الدراسية فى زاوية العدوى بالقرب من الجامع الأزهر، ثم انتقلوا إلى الجامع الأزهر لاستيفاء دراستهم فيه .

وقد أوغل سعد فى علوم الأزهر ودراساته، وضرب فيها بسهم وافر، ولم يبق بينه وبين أداء امتحان الشهادة العالمية إلا أن يتقدم لهذا الامتحان .

ولكنه لم يتقدم لهذا الامتحان مكتفياً بما أحرز من ثقافة وما حصل من علوم، وانصرف إلى التحرير فى الوقائع المصرية مع أستاذه الإمام محمد عبده ثم إلى ميدان المحاماة بعد ذلك، وعكف سعد على دراسة اللغة الفرنسية وهو فى سن متقدمة وحصل على إجازة الحقوق .

وقد كانت دراسة سعد فى الأزهر خير معاون له فى حياته، خصوصاً بعد اتصاله بالإمام محمد عبده، وتوجيهه وجهة أخرى تختلف فى ذلك الوقت عما درج عليه الأزهريون فى حياتهم الدراسية .

وقد بلغ من شغف الطالب سعد زغلول بعلوم الأزهر أن ألف كتاباً فى الفقه قدره أساتذة الأزهر وأثنوا على كفايته وصفاء ذهنه، وقد طبع هذا الكتاب ونشر ونفذ بعد طبعه .

وكان المغفور له الشيخ المراغي شيخ الأزهر الأسبق يحتفظ في مكتبه بنسخة منه .

وذاث يوم كان لطفى السيد باشا يزور صديقه المرحوم الشيخ المراغي فى داره بحلولان، وجرى الحديث فى شئون العلم والفلسفة على دأبهما فى ذلك .

وتناول الحديث الزعماء والعلم فقال لطفى باشا: إن بين الزعماء السياسيين نوابغ لو تفرغوا بعض الوقت للتأليف والإنتاج لأفادوا فائدة عظيمة .

وهنا ابتسم المرحوم الشيخ المراغي وقال لصديقه: هل تعلم أن المرحوم سعد زغلول باشا ألف كتابا فى الفقه؟

وشغف لطفى بالاطلاع على هذا الكتاب، فقام الشيخ المراغي إلى مكتبته وجاء بهذا الكتاب إلى لطفى باشا الذى تناوله كما يتناول المنهوم الطعام، وقلب صفحاته وقلب الكتاب وهو يقول: عجيبة .

وأزاح لطفى باشا غلاف الكتاب وقرأ اسمه، وقد كتب الناشر تحت عنوان الكتاب ما يلى: ألفه الفقير إلى الله تعالى الشيخ سعد زغلول الشافعى المذهب من طلاب الأزهر الشريف .

ثم قضى لطفى باشا وصديقه الشيخ المراغي بعض الوقت فى دراسة فصول الكتاب، وفى ذكريات طريفة عن صديقهما المغفور له الشيخ سعد زغلول باشا .

ولسعد فى الأزهر ذكريات كثيرة شهد بعضها المنزل رقم ٢٠ فى درب الأتراك بحى الأزهر المتداعى للسقوط اليوم .

وفى الدور الأرضى من هذا المنزل وقف سعد زغلول يترافع ذات ليلة . . ولعلها كانت المرافعة الأولى فى حياته، ومن أجل غرامة قدرها مليماتان! وقد تحمس فى دفاعه، وحمى وطيس المناقشة بينه وبين ممثل الاتهام إبراهيم الهلباوى، فلم تنته الجلسة إلا فى الخامسة صباحاً! أما المرافعة فهى أن سعد زغلول كان خامس خمسة يسكنون غرفة واحدة، ويطلبون العلم فى الأزهر، وكانوا يضيئون غرفتهم بقنديل يشغل بالزيت ويكلفهم طول الشهر عشرة مليمات، يدفع كل منهم نصيبه فيها .

ولكن إبراهيم الهلباوى رأى أن يضايق (سعد) من باب المداعبة فحرض بقية المشايخ ضده متهمًا إياه بأنه أكثرهم انتفاعًا بالقنديل، لأنه أكثرهم قراءة بالليل ولذا حق عليه أن يدفع أربعة مليمات!

وفى آخر الشهر فوجيء سعد بالثورة ضده ومطالبته بالغرامة، وظن الهلباوى أنه ربح المداعبة، ولكن سعد المجاور المداور، شرع يدافع عن نفسه، وضرب لهم مثلاً غاية فى الطرافة إذ قال: لو أن رجلاً علق على باب بيته فانوساً ليضىء له، فانتفعت بهذا الضوء غازلة أو ناسخة وهى فى منزلها، وزاد إنتاجها، فهل يعنى هذا أن للرجل الحق فى مقاسمتها إنتاجها الذى زاد؟ كلا بالطبع! وهكذا حالكم معى فقنديلكم مشعل طول الليل، قرأت عليه أم لم أقرأ... وليس لكم أن تطالبونى بأكثر مما يدفعه أى واحد منكم!

وأفحم الجميع. ثم جاءت القوانين الحديثة فأيدت مبدأه بحق الارتفاق وهو حق قانونى معروف!

وفى حارة (الفرد) المتفرعة من شارع (المقريزى) خلف الأزهر منزل متهدم تنام تحت أنقاضه قصة طريفة من قصص سعد زغلول والهلباوى وثالث (من بلدياتهم) كان اسمه الشيخ (بسطاويسى) لم يقدر له من الشهرة والمجد ما قدر لزميله، فقد كان الفرسان الثلاثة، يسكنون غرفة أجرتها ستة قروس ولكنهم عجزوا فى شهر ما لأزمة طارئة عن سدادها... وفشلت كل المفاوضات التى حالوا أن يقنعوا بها صاحبة المنزل لتأخير الدفع، فأندرتهم بأنها سوف تلقى فى الصباح بكل متاعهم وكتبهم فى عرض الحارة الضيقة! واجتمع الفرسان تحت القنديل للتداول وخطرت لسعد زغلول فكرة بسطها عليهم، فصفقوا لها ثم ناموا دون تفكير فى كارثة الصباح!

ودخلت صاحبة المنزل فى الصباح تهدد وتتوعد ومدت يدها تنفذ وعيدها ولكنها لم تلبث أن هدأت ثورتها وخفت حدتها وأغرورقت عيناها بالدموع. لقد كان (الشيخ بسطاويسى) بتأوه من الحمى فى فراشه... وكانت صاحبة البيت لا تطيق أن ترى غريباً مريضاً، فقد توفى لها ابن فى بلاد الغربة!

ونجحت الحيلة، لكنها كانت بالنسبة للشيخ (بسطاويسى) مقلباً... فقد أصرت المرأة على أن تعالجه بنفسها، وراحت تسقيه ألواناً من الوصفات البلدية، كالحنظل المنقوع والخل وغيره!

وبعد أيام وصلتهم النقود وحاول (بسطاويسى) أن يغادر الفراش ولكن الفراش رفض أن يتركه فقد مرض بالحمى فعلاً!

وقد ظل (الشيخ بسطاويسى) يتندر بهذه القصة حتى توفي سنة ١٩٤٥!

ويتلخص تاريخ سعد زغلول الأزهري فيما يلي:

ولد سنة ١٨٥٩، وفي ٥ أكتوبر سنة ١٨٨٠ عين الشيخ عين زغلول الطالب بالأزهر الشريف محرراً بقلم الوقائع المصرية بمرتبة قدره ٨٠٠ قرش في الشهر (وهو حسن السير والسلوك بمقتضى شهادة للمرحوم الشيخ محمد عبده).

وفي أول فبراير سنة ١٨٨٢ منح ١٣٣ قرشاً علاوة شهرية فصار راتبه الشهري ٩٣٣ قرشاً.

وفي ٣ مايو سنة ١٨٨٢ صدر الأمر بنقل سعد زغلول إلى وظيفة معاون بنظارة الداخلية، ومنح ٥٦٧ قرشاً علاوة لإبلاغ ماهيته (١٥) جنيهاً في الشهر اعتباراً من ٢٦ إبريل سنة ١٨٨٢.

وفي ٦ سبتمبر سنة ١٨٨٢ فصل سعد زغلول من وظيفة التحرير بالوقائع المصرية لأنه عين ناظراً لقلم القضايا بمديرية الجيزة ابتداء من ٧ سبتمبر سنة ١٨٨٢.

وفي ٢٧ يوليو سنة ١٨٩٢ عين نائب قاض بمحكمة استئناف مصر الأهلية براتب قدره ٤٥ جنيهاً في الشهر.

وفي أول فبراير سنة ١٨٩٤ صدر الأمر بمنحه ١٥ جنيهاً علاوة شهرية لإبلاغ ماهيته ٦٠ جنيهاً.

وفي أول يناير سنة ١٨٩٧ منح خمسة جنيهاً علاوة شهرية.

وفي ٨ إبريل ١٨٩٩ أنعم عليه برتبة (التمايز).

وفي ١٢ يونيو سنة ١٩٠٤ أنعم عليه بالنيشان المجيدى الثالث.

وفى أول يناير سنة ١٩٠٦ عدلت درجته وجعل راتبه ١٠٠٠ جنيه فى السنة.
وفى ٢٨ أكتوبر سنة ١٩٠٦ عين سعد زغلول (بك) المستشار بمحكمة الاستئناف الأهلية ناظرًا للمعارف العمومية بدلا من حسين فخرى باشا.
وفى ١٢ نوفمبر سنة ١٩٠٦ أنعم عليه برتبة (الميرمان) الرفيعة.
وفى ١٨ يناير سنة ١٩٠٨ أنعم على سعد زغلول باشا وزير المعارف العمومية بالنيشان المجيدى الأول.
وفى ٢٣ فبراير سنة ١٩١٠ عين سعد زغلول باشا ناظرًا للحقانية.
وفى ٢٧ يناير سنة ١٩٢٤ عين رئيسًا لمجلس الوزراء وأنعم عليه برتبة الرياسة الجليلة.
وفى ٢٣ مارس سنة ١٩٢٥ انتخب رئيسًا لمجلس النواب.
وفى ١٠ يونيو سنة ١٩٢٦ عين رئيسًا لمجلس النواب للمرة الثانية.
وفى ٢٣ أغسطس سنة ١٩٢٧ توفى إلى رحمة الله.

أزهريون نابھون

ومن الذين حضروا فى الأزهر أو تتلمذوا على شيوخه، من الجيل الماضى .
الشيخ زين المرصفى الشافعى توفى عام ١٢٠٠هـ وكان من علماء الأزهر وتولى منصب كبير المفتشين بوزارة المعارف (٨٦-٨٧ أعيان القرن ١٣ لأحمد تيمور).
الشيخ مصطفى السفطى الأزهرى عين فى وظائف التدريس بالمعارف وتوفى عام ١٣٢٧هـ (٩٨-١٠٢ المرجع).
أحمد تيمور باشا (١٢٨٨-١٨٧١-١٣٤٨هـ-١٩٣٠)، وكان عالمًا حجة بحاثة فى شتى العلوم. ومن أساتذته الطويل والشنقيطى وسواهم^(١).
الشيخ أحمد مفتاح (١٢٧٤-١٣٢٩هـ).

(١) ١٥٧-١٦٣ تراجم أعيان القرن ١٣ لأحمد تيمور.

طلب العلم بالأزهر، ثم التحق بدار العلوم وعين مدرساً فيها. ومرت عليه أحداث كثيرة^(١).

ومن علماء الأزهر الشيخ محمد البسيوني البياني، وقد اختير إماماً للمعية، ثم مدرساً للغة العربية بمدرسة الإدارة -الحقوق- وقد كان أستاذ شوقي في اللغة والأدب، وتوفي في ١٣ ربيع الآخر ١٣١٠هـ - ٣ نوفمبر ١٨٩٢، وله كتاب «حسن الصنيع في المعاني والبيان والبديع، وكان من تلاميذه كذلك أحمد زكي (باشا).

ومنهم الشيخ حسين المرصفي المتوفى سنة ١٣٠٧هـ - ١٨٨٩م وهو أستاذ البارودي في الأدب والشعر واللغة، وكذلك تتلمذ عليه عبد الله فكري باشا... وأشهر مؤلفاته «الوسيلة الأدبية للعلوم العربية، وقد طبع في جزئين وشهرته ذائعة، وله كتاب «الكلمات الثماني»، وكتاب «دليل المسترشد في الإنشاء».

ومن الذين درسوا في الأزهر الشيخ علي الليثي شاعر إسماعيل المتوفى ١٣١٣هـ - ١٨٩٦م، وكان مولده في بولاق مصر سنة ١٢٣٦هـ، وتعلم بالأزهر.

ومن الذين درسوا في الأزهر كذلك المرحوم مصطفى لطفى المنفلوطي الأديب الكبير (١٨٧٦ - ١٩٢٤) صاحب الكتب المشهورة الذائعة بين الأدباء والمتأديين ومن أشهرها: النظرات، العبرات، الشاعر، ماجدولين، الانتقام، في سبيل التاج، الفضيلة.

ومنهم كذلك عميد المحاماة إبراهيم الهلباوى، وكان من أشهر الخطباء في العصر الحديث، وتوفي عام ١٣٥٩هـ - ١٩٤٠م.

ومنهم الشيخ عبد العزيز البشري فجل الشيخ البشرى شيخ الأزهر السالف، وكان أديباً كاتباً ناقداً متذوقاً، وله كتاب «المرأة»، ومختارات البشرى وغيرهما، وكان من أعلام القضاء الشرعى. وتوفي نحو عام ١٩٤٠.

ومن الأزهريين في النشأة العلمية ممن يعاصروننا أو كانوا يعاصروننا إلى عهد قريب: الدكتور طه حسين، وأحمد أمين، وزكى مبارك، وعبد الوهاب عزام، والشيخ محمد أبو زهرة، وأحمد حسن الزيات، والدكتور أمين الخولى، والشيخ عبد الوهاب خلاف، والشيخ مصطفى خفاجى، وسواهم من الشخصيات المعاصرة المعروفة في مصر والعالم الإسلامى.

(١) ١٤٥ - ١٥٤ أعيان القرن ١٣ لأحمد تيمور.

الشيخ محمد رشيد رضا

في ٢٣ جمادى الأولى ١٣٥٤هـ - ٢٢ أغسطس عام ١٩٣٥م توفي الشيخ محمد رشيد رضا^(١)، وكان الشيخ قد تجرد رحمه الله لخدمة الإسلام، ووقف له كل ما وهبه الله من علم وقوة وصبر ومثابرة، وليس يؤسف الناس من وفاته خفوت صوت من أرفع الأصوات في الدفاع عن الإسلام فحسب، ولكن من خلو مكان رفيع كان يشغله أيضا بين العاملين على تطهير عقول المسلمين من البدع التي اعتبرها عامتهم من الدين وليست منه في شيء.

نعم إن ثورة المرحوم السيد رشيد على البدع لا يوجد لها نظير إلا في أفراد من السلف الصالح، فقد صمد لها صموداً أشفق عليه منه، حتى الذين كانوا يشاطرونه رأيه من العارفين، ولكنهم لم يؤتوا الشجاعة التي أوتيها، فباتوا يتوقعون له الشر المستطير، وقد لقي منه ما لو لقيه سواء لصده عن السبيل، ولكنه ثبت للمعارضين، واستبسل في الكفاح أيما استبسال، حتى استطاع بفضل إخلاصه وصبره أن يحدث في الصفوف المتراصة حياله ثغرة اقتحمها على مناوئيه وفي أثره جمهور غفير، ممن كانوا لا يجرءون على مواجهتهم مجتمعين، فأصبحنا وللسنة الصحيحة أنصار مجاهرون، وحيال البدع خصوم مجاهدون.

فلو لم يكن لفقيد العلم السيد رشيد غير هذا الموقف لخلد ذكره في تاريخ المسلمين، فما ظنك به وقد أسقط دولة التقليد، تلك الدولة التي قضت على المسلمين بأن ينقسموا شطرين شطراً جمداً على ما هم عليه من التقاليد المنافية لروح الدين، وقوماً مرقوا من الإسلام واتخذوا لهم طريقاً غير طريق المؤمنين، فلو كان دام سلطان التقليد لقضى على كل مفكر أن يفنى في حزب المقلدين، وهي كارثة جدير بكل من يعرف حقيقة الإسلام أن يذوب قلبه أسفاً منها.

فكان السيد رشيد البطل المعلم في هذا الوطن الشريف، تلقى فيه بصدره كل ما يتلقاه المصلحون من الجامدين، وكان لجهاذه أثر بعيد في تبصير المسلمين بسماحة دينهم، وبقاء باب الاجتهاد فيه مفتوحاً إلى يوم يبعثون.

(١) في مقتطف عدد أكتوبر عام ١٩٣٥، كلمة عن رشيد رضا بقلم الشيخ محمد شاكر.

وكان تلميذ الأستاذ محمد عبده، وحامل لواء الإصلاح الديني من بعده، ولا بدع فإن أربعين سنة قضاها الفقيه الكريم في تحرير المنار يفسر كتاب الله على طريقة الإمام ويسط أحاديث الرسول على نهج السلف، ويحرر الفتاوى في المسائل الدينية المختلفة، ويقطع السنة المبشرين والملحدين بالأدلة النواهض، ويجلو عن الشريعة ظلام الشبه بالعقل المنير، ويزيد في ثروة الأدب الإسلامي بالمصنفات القيمة، حرية أن تحله من قلوب المؤمنين موضع التجلة، وتبوئه من صفحات التاريخ مكان الأئمة.

ولد الفقيه في قرية (القلمون) إحدى قرى لبنان القريبة من طرابلس، فتلقى العلم طفلاً ويافعاً في هذه المدينة، ثم هاجر إلى مصر، فدخل الأزهر واتصل بالإمام محمد عبده اتصالاً وثيقاً، فأشار عليه أن يصدر (المنار) فكانت سجلاً لأراء الأستاذ الاجتهادية في حياته، واستمراراً لدعوته الإصلاحية بعد مماته. ثم أسهم في النهضة العربية واتصل بجمعياتها السرية في أطوارها المختلفة من سنة ١٩٠٨ إلى قيام الحرب الكبرى. فلما أعلنت الهدنة عاد إلى سورية فانتخب رئيساً للمؤتمر السوري الذي نادى بالأمير فيصل ملكاً، ثم ظل في خدمة هذه الدولة العربية الجديدة حتى ثل عرشها الفرنسيون سنة ١٩٢٠، فارتد إلى القاهرة يحرر المنار ويعالج التأليف، فأصدر طائفة من الكتب القيمة أشهرها تكملة تفسير الإمام على هديه ووحيه، ثم الجزء الأول من تاريخ الإمام وكان قد أصدر منه جزءه الثاني فيما قاله، والثالث فيما قيل فيه، ثم كتابه «الوحي المحمدي».

وكان علماً من أعلام الدين والعلم، وتلميذ محمد عبده الوفى، والرجل الذي قضى حياته في خدمة الإسلام وراثته إلى أن توفي في ٢٢ أغسطس ١٩٣٥ - ٢٣ جمادى الأولى عام ١٣٥٤هـ.

مات فبكته مصر والعروبة والإسلام والشرق، وأقيمت بجمعية الشبان المسلمين حفلة تأبين له في أبريل ١٩٣٦، خطب فيها جمهور من العلماء والأدباء.

وقال فيه العالم العلامة الشيخ على سرور الزنكلوني في حفلة تأبينه:

كان لصاحب المنار منذ عرفته مصر وجود قوى، وشخصية بارزة، امتد صوتها إلى الأقطار العربية والأقطار الشرقية، بل كان لهذا الصوت أثر في بعض الأمم

التي ليست شرقية ولا إسلامية، لأن الأبحاث التي تعرض لها صاحب المنار وإن اتصلت بالشرق وبالإسلام اتصالاً قوياً، فإنها متصلة بالغرب أيضاً، لأن عيون الغرب لا تنام عن المسلمين ولا عن الشرقيين.

اشتغل صاحب المنار طوال حياته بقضية الإسلام وقضية العرب، وبما يتصل بالإسلام من أمر الخلافة، وما يتصل بالعرب من هجمات الاستعمار، ولم تحرم مصر من نزعاته السياسية في ظروفها المختلفة، فكان بهذا كله لمصر، وللشرق وللإسلام والمسلمين.

وليس في وسعي أن أوفى صاحب المنار حقه في مثل هذا الموقف، ولكنني أردت أن أساهم مع المساهمين، وفاء لحق الصداقة، وتقديراً لتلك الشخصية النادرة.

عرفت المغفور له صاحب المنار منذ ابتداء الأستاذ الإمام -رضوان الله عليه- دروسه في الأزهر، ولم يكن صاحب المنار في ذلك العهد يدهشنا وجوده العلمي، لأن طلاب الشيخ جميعاً كانوا يغترفون من بحر واحد، وإن تفاوتت مراتب جهودهم واستعدادهم. ولم يكن لصاحب المنار ميزة في ذلك الوقت سوى أنه كان يكتب ما يلقته أستاذنا علينا، وقد كان مثل هذا العمل في نظر الأزهرين عملاً عادياً لا أثراً لموهبة خاصة، ولا لتبوغ ممتاز، تأخينا وتأخى معنا السيد رشيد بحكم صلة الدرس العامة، وبقدرها، وكان هذا لا يمنع بعضنا من توجيه النفس إلى السيد رشيد، توجيهاً خاصاً كلما ظهر السيد رشيد بمواهب ممتازة، قد يطول الحديث عنها، حتى هوجم الأستاذ الإمام في آرائه الدينية والإصلاحية، مهاجمة عنيفة، من كل القوى التي توفرت لها عوامل الكيد والاستبداد، وإذا بالسيد رشيد برز في وجوده القوى لمناصرة الحق، والوقوف في وجه هذه الجيوش الحاشدة، فأخذ السيد رشيد يواجه خصوم الشيخ بقلمه ولسانه، وينشر في مجلة المنار آراء أستاذه واتجاهاته، وما كان يتلقاه من دروس شيخه، وما كان يعلق عليها بعبارات من عنده تدل على كمال الفهم واستقلال الفكر، وكذلك كان أمر السيد رشيد في كل ما كان يكتب من مقالات، وما يدون من أبحاث! لأن أسلوب الأستاذ الإمام خلق ممتاز، وسيبقى ممتازاً. مات الأستاذ الإمام، وللسيد رشيد في نفوس إخوان

الشيخ وأبنائه منزلة سامية، ومع سمو هذه المنزلة لم يخطر ببال أحد أن السيد رشيد سيرت الشيخ فيما كان يدعو إليه، وأنه سيرتفع صوته في بلاد الإسلام النائية، ولكن أبى الله سبحانه إلا أن يسير السيد رشيد بخطى واسعة إلى الإمام، وقدر الله لصوته وهو على منبر منارة أن يدوى في بلاد الإسلام والشرق، ولم يصب جهاده في سبيل العلم والدين بعد وفاة شيخه مع كثرة المخاطر شيء من الوهن والفتور، ولا جرم أن هذه الميزة هبة إلهية لا تمنح إلا للقليل من أفذاذ الرجال، لأن حياة الأستاذ الإمام كانت قوية في مصر وفي غير مصر. لهذا كان بقاء صاحب المنار أكثر من ثلاثين عاماً بعد وفاة شيخه في وجوده القوي، بصدد عادية جيوش الباطل التي لم تفتقر ولم تنم، دليلاً ملموساً على أنه من الأفذاذ الذين بخل التاريخ بالكثير من أمثالهم، ولعل أكبر شاهد على ذلك أن مهمة السيد رشيد العلمية لم يستطع إلى الآن أن يقوم بها فرد أو جماعة على كثرة العلماء والكاتبين. إن لصاحب المنار -رحمة الله عليه- من حياته العلمية آثاراً كثيرة، وجوانب قوية لا أستطيع أن أوفيها حقها. وقد أردت أن تكون كلمتي فيه الآن مقصورة على علمه بالقرآن وبأسرار القرآن، لأن صلتى به لم تتأكد إلا من درس التفسير على الأستاذ الإمام، ولأن آثاره في تفسير القرآن هي أقوى الآثار وأظهرها في الإقناع والإلزام، ولأن مفسر القرآن إذا أخلص وصدق! استحق الثناء الخالد، لأنه بصدقه وإخلاصه يشرف عقله على الوجود، وعلى ما وراء الوجود، وقد تحقق ذلك للسيد رشيد رحمة الله عليه، فالقرآن كتاب الوجود، وكتاب ما وراء الوجود، وكل من جهله، واتجه إلى غيره مهما كان قوياً في نظر نفسه، وفي نظر أمثاله، فحياته غير صادقة، وسعاده لا ضمان لها، ولا استقرار، بل المسلمون إذا أخلصوا للقرآن فهماً وعملاً، وعرضوا جواهره السماوية على عقول البشر، فقد ملكوا كل شيء، لأن العقول من مادة السماء، ومادة السماء إذا تركزت في الأرض محال أن يطغى عليها شهوات النفس الترابية، والإنسان إذا أهمل فهم القرآن والتبصر فيه، وقد أحاط بما في الأرض علماً، فليس من الله ولا من الوجود الحق في شيء، فحصر العقل في جزء صغير من الوجود يستخدمه في حياته المادية لا يصور الحقيقة، ولا يحقق معنى الحياة والسعادة إذ الحياة الإنسانية مسبوقة بوجود

لانهائى وبعدها وجود لانهائى، ومن حق العقل أن يفكر طويلا فى ذلك لوجود اللانهائى، وهذا لا يتم إلا بفهم القرآن. ومن أجل ذلك يقول الله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الروم: ٧] ويقول: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِىَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤]. إن لأهل القرآن وأنصاره مرتبتين. المرتبة الأولى -هى فهم معانيه الصحيحة وامتزاجها بالعقل والروح والنفس، فيشع منها النور والقوة بحيث يعملان عملهما فى الوجود بقدر الطاقة البشرية، وهذه هى مرتبة النبى ﷺ، ومرتبة الصديقين من أصحابه وأمه إلى يوم الدين.

والمرتبة الثانية هى فهم معانيه فهما صحيحا، وامتزاجها بالعقل، وبالنفس فى أغلب أحوالها، وهذه هى مرتبة كبار العلماء والصالحين مع ما فى كل من المرتبتين من المنازل المتفاوتة بتفاوت الاستعداد، وصفاء الجوهر. وإنى أومن إيمانا قويا بأن السيد رشيد قد تمت له المرتبة الثانية فى أرقى منازلها، وأرجو أن يكون له نصيب من المرتبة الأولى. وإذا علمتم أن القرآن هو كلام الله، وأنه كتاب الوجود. تعلمون مقدار ما بذلته وبذله العقول فى استخراج جواهره منذ أنزل إلى اليوم، ولا يتم للعقل استقصاء كل ما فيه وتحديد به بالدقة مادام الوجود قائما، ولكن العقل يأخذ منه ما استكمل به وجوده، وطمأنينته فى الدنيا والآخرة على قدر فهمه. ومن هنا تعددت آراء المفسرين لاختلاف وجوه النظر، ولذلك كان تفسير القرآن فى أكثر العصور فى علم وجدل، مع أن التفسير يجب أن يكون زبداً مستخلصاً بالمقاييس العلمية الصحيحة المستمدة من الفن والبحث، كما أن التفسير الذى لا يعتمد على مقاييس العلم والعقل، لا يسمى على الحقيقة تفسيراً للقرآن الكريم، ويجب أن يدخل فى مقاييس العلم ما يستظهره العقل من أسرار الوجود بالدلائل القاطعة، وليس من التفسير مظاهر الحياة التى تعتمد على نزعات النفس فى إنسانيتها الضعيفة المضطربة. وهذا هو ما وفق إليه الراحل الكريم فى تفسيره للقرآن، وفى علاجه للأبحاث الدينية، فقلما كان يتعرض السيد رشيد لبحث ما يتصل بالقرآن اتصالاً جوهرياً إلا بقدر ما تمس له الحاجة. وكثيراً ما كان يتعرض لأقوال المفسرين، وما يستدلون به ولكنه لم يترك القرآن فى

المكان الذي تتجاذبه فيه الآراء كما فعل أكثر المفسرين، بل كان في تفسيره يستخلص القرآن للعقل مؤيداً باللغة وبالشواهد والأدلة من ظواهر الوجود. وأول من فتح هذا الطريق وعبداه الأستاذ الإمام رضى الله عنه، وقد سار فيه تلميذه صاحب الذكرى شوطاً بعيداً انتهى فيه إلى آخر سورة يوسف عليه الصلاة والسلام، وقد فسر من القرآن على هذا المنوال الحكيم اثني عشر جزءاً، وهى أصعب أجزاء القرآن فهماً واستنباطاً، وكان آخر آية فسرهما من سورة يوسف ومات على أثر تفسيره لها قوله تعالى: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

وقال فى رثائه الشاعر الحاج محمد الهراوى :

أى صرح هوى وحصن حصين	ولواء طوته أيدي المنون
وكتاب فى الرشد يهدى إلى	الرشد وسيف مهند مسنون
مات رب المنار والأمر لله	وما مات غير داع أمين
عاش لله مخلصاً فى جهاد	نصف قرن مبارك فى القرون
ومضى باليراع يدعو إلى الحق	وبالقلب واللسان المبين
لا يطيق السكون فى جرح الد	ين ويمضى يرج أهل السكون
لم يدع راحة له أى حين	وهو فى حاجة لها كل حين
طاح بالقلب حين أودى به الجهد	مد وجهه الغيور نار أتون
فقد العلم منه أى كتاب	فقد الدين منه أى معين
شعر الناس باحتياج إليه	بعد أن لم يروا له من قرين
عز عن صاحب المنار حمى الشد	سام وعز الأحباب فى «قلمون»
بلدة فى ذرى طرابلس قُمرت	من طرابلس غرة فى الجبين
بلدة انجبت إلى الشرق قومًا	هم نجوى الهدى وأسد العرين

غاب عنها منارها فتوارت
بعثني جماعة الفضل في مصر
بعثني لأنذب العلم والدين
بعثني وساقها حسن ظن
ولعمري لو لم تكن بعثتي
فلقد كان بي حقيقًا وكانت
عقدت بيننا المودة قربي
شيبتي مواقف الحزن تترى
ووقوفي على الربوع الخوالي
والتباعد على أيامي تخلت
ويتامى تذوق في العيش بؤسًا
برح الحزن والجوى بفؤادي
من مجبري من بعدها ومقبلي
يا غريب الديار لم تفقد الأهل
جئتها عالمًا وطالب علم
يا ربيب الإمام في مجلس العلم
كنت أوفى بنيه حفظًا لذكراه

من جرى الحزن بالسحاب الجون
رسول القريض في التأبين
وأبكيهما بدمع سخين
في ضعيف ينوء تحت الظنون
لرأتني بالدمع غير ضنين
بيننا عروة الود المتين
زاد توثيقها توالى السنين
ورثاء الخلدن أثر الخدين
وبكائي المكان بعد المكين
عن حماها يد الكفيل المعين
بعد خفض من الزمان ولين
قرح الدمع والبكا من جفوني
من وقوفي بطرف باك حزين؟
فما مصر غير أم حنون
فتلقتك في الحشى والعيون
وفي موطن الهدى واليقين
وأبقى على الوفاء المصون

الشيخ محمد شاکر

١٢٨٢هـ - ١٨٦٦م - ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م

تعلم الشيخ محمد شاکر بن أحمد بن عبد القادر في الأزهر، وكان من أسرة
أبي علياء من أشراف الصعيد. وولد بمدينة «جرجا» في منتصف شوال من سنة
١٢٨٢هـ - مارس سنة ١٨٦٦^(١)، وقد تخرج من الأزهر. وفي منتصف رجب

(١) راجع مجلة الأزهر في بحث للأستاذ محمد كامل الفقي عن الشيخ.

سنة ١٣٠٧هـ - ٤ من مارس سنة ١٨٩٠ عين أميناً للفتوى مع مفتى الديار المصرية أستاذه الشيخ محمد العباسي المهدي. وفي السابع من شعبان سنة ١٣١١هـ - ١٣ من فبراير سنة ١٨٩٤ ولي منصب نائب محكمة مديرية القليوبية، ثم عين في منصب قاضي قضاة السودان في ١٠ من ذي القعدة سنة ١٣١٧هـ - ١١ من مارس سنة ١٩٠٠، ثم عاد شيخاً لمعهد إسكندرية في أبريل ١٩٠٤، وفي أواخر سنة ١٣٢٤هـ ندب للقيام بأعباء مشيخة الأزهر نيابة عن الشيخ عبد الرحمن الشرييني شيخ الأزهر إذ ذاك، فجمع بين ذلك وبين مشيخة المعهد الاسكندري، حتى كان التاسع من ربيع الآخر سنة ١٣٢٧هـ - ٢٩ من أبريل سنة ١٩٠٩م، حيث صدر أمر بتعيينه وكيلًا للجامع الأزهر، وفي عهد وكالته صدر قانون النظام في الأزهر سنة ١٩١١م الذي قسمت بمقتضاه الدراسة إلى مراحل لكل منها نظام ومواد خاصة، وعهد إليه بتطبيق القانون الجديد، فأنشئ القسم الأول وعين شيخاً له مع بقائه وكيلًا للجامع الأزهر. وقد أنشأ معهدين في أسبوط وقنا. واختير عضواً في جماعة كبار العلماء، وفي سنة ١٩١٣ عين عضواً في الجمعية التشريعية، ولما اشتعلت الثورة المصرية سنة ١٩١٩م صال فيها وجال، وأذكاها بقلمه ولسانه ورأيه، حتى إذا وافت سنة ١٩٣١ أعرض عن الدنيا ولزم داره لمرض الفالج الذي أصابه، وظل ينتظر المنون حتى دعاه مولاه، فلباه في صباح الخميس الحادي عشر من جمادى الأولى سنة ١٣٥٨، التاسع والعشرين من يونيه سنة ١٩٣٩م

مشايخ السادة المالكية

كانت العادة بالأزهر الشريف أن للسادة المالكية شيخاً عليهم، ودرجته قريبة من درجة شيخ الجامع، وأما السادة الحنفية والسادة الشافعية والسادة الحنبلية، فكان شيخهم هو شيخ العموم، ومن عهد قريب صار للسادة الحنفية شيخ، وصار للحنبلة شيخ كذلك، ولنأت بذكر مشايخ السادة المالكية، فمن تولى مشيخة السادة المالكية إمام المحققين، وعمدة المدققين، العلامة الشيخ على العدوي المنفيسي الصعيدى المالكي، ولد ببني عدى سنة ١١١٢هـ وقدم إلى مصر وحضر دروس مشايخ عصره كالشيخ الحفنى وأضرابه وكان له كرامات عجيبة وله مؤلفات

مفيدة وهو أول من خدم كتب المذهب المالكية بالخواشى وأول من درس بمسجد محمد بك أبى المذهب وكان يدرس بالأزهر وبمسجد الغرب ويوم الجمعة بمسجد مرزه ببولاقي، وكان على قدم السلف فى التقوى والاشتغال بالعلوم. . وتوفى سنة ١١٨٩ ودفن بالبستان.

ثم تولاهـا أبو البركات سيدى أحمد الدرديرى العدوى المالكى الأزهرى الخلوـتى، وولد بينى عدى سنة ١١٢٧ وحفظ القرآن الشريف وقدم إلى الأزهر وحضر دروس مشايخ عصره كالشيخ على الصعيدى والشيخ الحفى وإضرابهما وألف وأفاد وتآلفه أشهر من أن تذكر، وكان شيخاً لرواق الصعايدة وتوفى سنة ١٢٠١ هـ ودفن بزايـته التى أنشأها بخط الكعكين وهو مشهور يزار.

ثم تولاهـا عالم عصره، ووحيد دهره بلا خلاف سيدى محمد الأمين الكبير صاحب التأليف العديدة فى كل فن معقول ومنقول، ولد سنة ١١٥٤ بسنبو، وهى بلد من قسم ديروط بمديرية أسىوط، وختم القرآن الشريف وهو ابن تسع سنين، ثم التحق بالأزهر وحصل ودرس ولم يدع فناً إلا أتقنه ودرسه حتى فقه الحنفى والشافعى، وله تأليف جمـة فى فنون كثيرة وهى كجوامع الكلم، وكان توجه فى بعض المقتضيات إلى دار السلطنة وألقى هناك دروساً حضره فيها العلماء وشهدوا بفضله واستجازوه ورجع إلى مصر معظماً مبجلاً ومعه كتب توصية للبasha والأمراء وقد أنعم عليه من الدولة وكانت تأتية الصلات من سلطان المغرب وتلك النواحي وكان كلامه حكماً، ومن كلامه:

دع الدنيا فليس بها سرور	يتم ولا من الأحزان تسلم
ونفرض أنه قم تم فرضاً	فإن زواله أمر محتم
وكن فيها غريباً ثم هـىء	إلى دار البقا ما فيه مغنم
وإن لا بـد من لهـو فلهـو	بشئ نافع والله أعلم

وسبب تلقيه بالأمر أن جده الأقرب أحمد بن عبد القادر كان له إمارة حكم فى بلاد الصعيد وأصله من المغرب وتوفى عليه سحائب الرحمة والرضوان يوم الإثنين

العاشر من ذى القعدة سنة ١٢٣٢هـ، ودفن أمام ضريح الشيخ العفيفي، وما قيل في رثائه تمثلاً:

حلف الزمان ليأتين بمثله حنث يمينك يا زمان فكفر

ثم تولاه ابنه الشيخ محمد الأمير الصغير، ثم تولاه الشيخ إبراهيم الملواني، ثم تولاه الشيخ عبد الله القاضي، ثم تولاه شيخ الشيوخ الجامع بين العلم والتقوى فرع الشجرة النبوية وخلاصة السلسلة الهاشمية الشيخ عlish، وقد ولد رحمه الله بالقاهرة بحارة الجوار بجوار الجامع الأزهر في شهر رجب سنة ١٢١٧هـ، وحفظ القرآن واشتغل بالعلم بالأزهر وأدرك الجهابذة كالشيخ الأمير الصغير وأضرابه والشيخ مصطفى البولاقى والشيخ البناني صاحب التجريد وكثير من كبار العلماء، ودرس سنة ١٢٣٢، ولم يدع فتاً إلا درسه، وتخرج من درسه جل أهل الأزهر أو كلهم، وتوفي عام ١٢٩٩هـ وتوفي ابنه الشيخ عبد الله عlish عام ١٢٩٤هـ.. ثم ألغيت مشيخة المالكية بعده خمس سنوات حتى تولاه الشيخ سليم البشرى.

الشيخ البحراوى

هو الشيخ عبد الرحمن البحراوى الحنفى الأزهري، ولد بكفر العيص قرية على شط النيل بمديرية البحيرة، وكانت ولادته سنة ١٢٣٥هـ، وقدم لمصر وقرأ القرآن بالأزهر وجود فيه، وفي سنة ١٢٤٩ شرع في حفظ المتداول من المتون، وفي سنة ١٢٥١ حضر دروس المشايخ فتلقى الفقه والتفسير والحديث عن الشيخ محمد الكتبي وأهل طبقته وتلقى علوم الأدب والمنطق والتوحيد عن الشيخ إبراهيم السقا والشيخ مصطفى البولاقى والشيخ إبراهيم البيجورى وأضرابهم. وكتب بيده كل كتاب حضره فضلاً عما كان يكتبه للاقتيات بثمانه لأنه كان في قل من العيش وقد اجتهد في التحصيل وسهر الليالي مع جودة قريحته حتى تأهل للتصدر للتدريس في سنة ١٢٦٤ وشهد بفضله أعيان الأزهر ولم يزل متصديراً للتدريس مع حسن القائه وعذوبة ملحته وكان محترماً عند أولى الأمر، وفي سنة ١٢٧١ نيط به تصحيح الفتاوى الهندية بالمطبعة الكبرى

ببلاق مصر، وبعد تمام الطبع تولى قضاء إسكندرية سنة ١٢٧٧، ثم رفع من قضائها سنة ١٢٨٢، فعاد للتدريس بالأزهر، وفي سنة ١٢٨٩ عين للفتوى بالمجلس الخصوصي، وفي سنة ١٢٩٣ عين رئيس المجلس الأول بالمحكمة الشرعية المصرية الكبرى، ثم بعد ذلك تولى افتاء الحقانية، ثم رفع وعاد للتدريس بالأزهر، وله من التأليف تقرير على شرح العيني وحاشية على شرح الطائي، وله كتابات على أغلب كتب المذهب الحنفي، وتخرج من درسه كثير ممن تولى القضاء ومن درس بالأزهر، ومن أجلهم الأستاذ الفاضل الشيخ محمد بخيت المطيعي.

الشيخ محمد بخيت المطيعي

في اليوم الحادى والعشرين من شهر رجب ١٣٥٤هـ الثامن عشر من شهر أكتوبر ١٩٣٥ استأثرت رحمة الله بالعلامة، الشيخ محمد بخيت المطيعي، فقضى نجه مبكياً عليه من مئات الألوف من العلماء والطلاب فى جميع بلاد المسلمين، الذين كانوا يرون فيه المثل الأعلى للاطلاع الواسع والإفادة والفتيا.. ولد رحمه الله فى بلدة المطيعة من أعمال أسيوط سنة ١٢٧١هـ - ١٨٥٦م، وحفظ القرآن وحصل رحمه الله العلم بالأزهر، فتخرج فى علوم الشريعة والعربية، ونال فيها شهادة من الدرجة الأولى سنة ١٢٩٤ للهجرة أى منذ نحو اثنتين وثمانين سنة، وأكب من ذلك العهد على التدريس والإفادة بهمة يندر أن يصادف لها مثيل فى حياة العلماء العاملين، ثم ندب للاشتغال فى القضاء عام ١٢٩٧هـ، فتنقل فى وظائفه حتى بلغ أعلى درجاته، مظهراً فى كل منها من الكفاية ما لا يكون إلا للعلماء الراسخين.. ومن المناصب التى شغلها قضاء مصر نيابة عن القاضى التركى، وفى عام ١٩١٤ عين مفتياً للديار المصرية، وبعد سبع سنوات بلغ السن القانونية لوظائف الحكومة، فترك الاشتغال بالقضاء، وعكف على الدرس والتدريس والافتاء. فكانت داره مثابة للمستفتين والمستفيدين، وكان لا يبخل على أحد بفتيا، حتى إذا كان بعيداً عنه تكلف له كتابة الفتوى وأرسلها إليه بالبريد.

وكان شهرته قد تجاوزت مصر إلى العالم الإسلامي كله، فكانت ترد إليه الاستفتاءات تترى في مختلف المسائل، ومنها مسائل تحتاج إلى مراجعات كثيرة مضيئة، فكان لا يرضن بنفسه عن القيام بها، فيحررها ويرسل بها للمستفتين.

ومما انفرد به أنه كان قد استخدم كتاباً لنقل فتاواه، وتولى إرسالها إلى طلابها في مختلف الأقطار، متحملاً مكافأاتهم شهرياً وأجر ما يرسله بالبريد من الكتب والرسائل.

وقد عرف رحمه الله بالزعامة في علم الأصول، فكان يرجع إليه جلة العلماء فيما يشكل من مسائله، ويصادفون لديه لكل مشكلة حلا، كأنها مرت به من قبل فعالجها وانتهى إلى ما يحسن السكوت عليه من أمرها. . وكان خاتم طبقة من العلماء المحققين الذين تميزوا في حياة الأزهري بالتبسط في العقائد، والتعمق في الفقه، فانتهت إليه الأمانة فيهما حيناً من الدهر. كما كان -غفر الله له- من أشد المعارضين لحركة الإصلاح التي قام بها الإمام محمد عبده. دفعه إلى تلك المعارضة الثائرة دوافع المنافسة من جهة، وتحريض أولى السلطان من جهة أخرى، وكان في الشيخ بديهة شاهدة ودعابة لطيفة، وطموح إلى مساهمة الإمام في منصبه ونفوذه وشهرته، حرك فيه الأخذ بنصيب من الأدب والثقافة العامة. ولعله كان أعلم أهل جيله بدقائق الفقه الحنفى، وأبسطهم لساناً في وجوه الخلاف بين أصحاب الشافعي وأصحاب أبي حنيفة.

وكان ميلاده في المطيعة من أعمال أسبوط في ١٠ محرم عام ١٢٧١هـ، وشب على الذكاء والعقل وحفظ القرآن المجيد، ثم حفظ متن الأجرومية في النحو ومتن العشماوية في فقه المالكية، وحضرهما على حضرة الأستاذ الشيخ محمد عنتر الكبير والد الشيخ محمد عنتر أحد علماء الأزهري، ثم طلبت نفسه الشريفة التوجه إلى الأزهري لتحصيل العلوم من معدنها، فقدم لمصر في أوائل سنة ١٢٨١، واشتغل بالتحصيل مقلداً مذهب أبي حنيفة النعمان، فحضر على مشاهير الأزهري كالشيخ الدرستاي، والشيخ عبد الغنى الملواني، والشيخ عبد الرحمن البحراوي، والشيخ حسن الطويل، والشيخ الدمنهوري، والشيخ المهدي، والشيخ عبد الرحمن الشربيني، والشيخ جمال الدين الأفغاني حتى حضر غالب الكتب المعتاد قراءتها

بالأزهر من فقه ونحو وحديث وأصول وتفسير وبلاغة ومنطق وحكمة وغير ذلك على المشايخ المذكورين وغيرهم من كبار الأزهر، ولازم الاجتهاد إلى أن مهر وامتحن للتدريس وجاز الدرجة الأولى ودرس سنة ١٢٩٢، ولازم تدريس كتب المنطق والحكمة والتوحيد إلى سنة ١٢٩٥ ثم درس الفقه والنحو إلى سنة ١٢٩٧ وفيها تولى قضاء مديرية القليوبية، ثم قضاء مديرية المنيا ثم قضاء محافظة بورسعيد ثم قضاء محافظة السويس، ثم قضاء مديرية أسيوط، ثم تولى تفتيش نظارة الحقانية ثم قضاء اسكندرية، ثم تولى رئاسة المجلس الشرعى بمحكمة مصر الكبرى، ثم عضوية المحكمة العليا بها، ومع ذلك كان حفظه الله ملازمًا لتدريس العلوم فى كل جهة تولى بها مع همة ونشاط، ولم يزل يدرس الكتب العالية مع القيام بكامل شئونه وأعماله، وله تأليف عديدة، منها حواشى الخريدة، وحواش على شرح العقائد العضدية، وإرشاد الأمة فى أحكام أهل الذمة، وحسن البيان فى إزالة بعض شبه وردت على القرآن، والدرر البهية فى الصلاة الكمالية لدفع شبه وردت على تلك الصيغة، ومقدمة شفاء السقام المسماة بتطهير الفؤاد من دنس الاعتقاد وسواها.

الشيخ حسن والى

كان مقررًا أن تنعقد لجنة الفتوى بالأزهر فى الساعة الرابعة من مساء يوم السبت ٦ من ذى الحجة سنة ١٣٥٤ الموافق ٢٩ من فبراير سنة ١٩٣٦ برئاسة فضيلة رئيسها المغفور له الشيخ حسين والى، وما كادت تبزغ شمس ذلك اليوم حتى فوجئ أعضاءها، كما فوجئ الناس عامة بنعى رئيسها العظيم، وما كادت تحين الساعة المحدودة لانعقاد اللجنة، حتى كان شيخها الجليل يعبر الطريق من منزله إلى الأزهر الشريف محمولا فوق الأعناق، مشيعًا بقلوب مكلومة، وزفرات حارة، ودموع منهمرة، فذاق أعضاء لجنة الفتوى الذى خبروا الفقيه عن كذب، فعرفوا فيه العلم الغزير، والخلق الكريم، والعقل الراجح، والفكر الثاقب، والجلد على البحث، والشغف بالاطلاع، والدقة فى التمس الحق، ذاقوا آلام الحزن العميق على هذا المصاب الجلل. . ويقول عنه الشيخ عبد الجواد رمضان: هو السيد حسين والى بن العلامة السيد حسين والى بن السيد

إبراهيم والى، ينتهى نسبه إلى الإمام أبى عبد الله الحسين بن على، رضى الله عنهما، ولد فى منية أبو على من أعمال مركز الزقازيق فى مديرية الشرقية، فى رجب الفرد سنة ١٢٨٥ نوفمبر سنة ١٨٦٨، وطلب العلم فى الأزهر، متسبباً إلى رواق معمر، إلى أن نال شهادة العالمية سنة ١٣١٧هـ - ١٨٩٩م. وأذن له بالتدريس فى الأزهر سنة ١٩٠٠، ثم ندب للتدريس فى مدرسة القضاء الشرعى سنة ١٩٠٧. ثم عين مفتشاً فى الأزهر والمعاهد الدينية سنة ١٩١١، ثم وكيلًا لمعهد طنطا سنة ١٩١٤، ثم سكرتيراً عاماً للمجلس الأعلى بالأزهر سنة ١٩٢٠، وبقي فى هذا المنصب إلى أن ألغى فى ديسمبر سنة ١٩٢٦، وفى ٧ من شهر ربيع الأول سنة ١٣٤٣ - (٦ من أكتوبر سنة ١٩٢٤) عين فى هيئة كبار العلماء بمرسوم جاء فيه: «عين فى هيئة كبار العلماء كل من حضرات الشيخ محمد مصطفى المراغى الحنفى المذهب رئيس المحكمة العليا الشرعية، والشيخ حسين والى السكرتير العام لمجلس الأزهر الأعلى والمعاهد الدينية، والشيخ محمد الحلبي، والشيخ سيد على المرصفي، الشافعى المذهب». وتوفى -طيب الله ثراه- فى ٢٨ من فبراير سنة ١٩٣٦، وهو عضو فى مجلس الشيوخ، وفى المجمع اللغوى. وما تزال أصداء جولاته تدوى فى قبابهما فيتجاوب بها آفاق العروبة فى مشارق الأرض ومغاربها إلى اليوم.

والسيد حسين والى، أحد الأقطاب الذين سما حظهم من التبحر فى علوم اللغة العربية وآدابها، وأخذوا بأفاقها وشعابها، على جميع الباحثين والمتأدبين، فى عصر النهضة، فلا يسبقهم سابق، وإن ضاولهم شواذهم فى أقطار الشرق العربى معدودون معروفون. هم الأئمة «وسائر الناس على آثارهم مهتدون».

لا جرم أن مواهب السيد حسين والى، جديرة بأن تبوئه هذه المنزلة الرفيعة التى لا ترام، فلقد كان -إلى تبحره فى علوم الأزهر- كاتباً قديرًا، وشاعرًا فحلاً، يكتب كما يكتب حمزة فتح الله، والسيد توفيق البكرى، والشدياق الخ، ويشعر كما يشعر حمزة فتح الله، والسيد توفيق البكرى، وآل البازخى، وغيرهم من كبار الكتاب وفحول الشعراء، فى مصر والشام والعراق، ويصاول المؤلفين والباحثين فى وزارة المعارف وغيرها، وينقدهم، وينال منهم ويوجههم فيتجهون، ويفتى فى

اللغة والأدب، فيقطع كل قول، ويخفت كل صوت. ذلك بأنه كان مطلعاً فقيهاً لغوياً، ذواقاً، هاضماً لما علم، واثقاً مما يقول. . والإيمان بالرأى أقوى أسلحة الشجاع. وكان من الطبيعي أن ينال السيد حسين وإلى من الشهرة عند الخاصة والعامة كفاء هذه المواهب المتوافرة، بيد أنه عضد من شهرته شمائل، هي في شرفها وعنصرها أنفس جوهر، وأعز قيمة، وأرفع جمالا من كل شهرة وكان السيد حسين وإلى عالياً في التعصب للقديم، يعتز به، ويحافظ عليه، ويرعاه في دينه، وفي سمته، وفي لغته، وفي كل ما يحيط به، حتى لقد سمى أولاده: أسامة، ولؤى، ونزار، والفرات، يحدوه إلى ذلك نسبته الشريف، ونشأته الأزهرية، ووقار ألبسه الله منه رداء فضفاضاً، ثم نزعة صوفية عميقة ظهرت فيه طول حياته.

الشيخ محمد الضحام

تخرج الأستاذ رحمه الله في الأزهر، وبعد نيله شهادة العالمية التحق بخدمة القضاء الشرعي، وتقلب في وظائفه سنين كثيرة عرف فيها بسداد الرأي والحزم، ثم نقل من القضاء إلى الإمامة الخاصة للملك، ثم خرج منها إلى مشيخة معهد الإسكندرية، فكانت له فيها آثار ظاهرة، ونظم مفيدة، وسمعة بين الناس طيبة رشحته إلى تقليد وكالة الجامع الأزهر، وكان قد تملأ خبرة بإدارة الأعمال، وبالزمان وأهله، وبقيادة الموظفين، فكان يخوض معهم في الإدارة العامة عباب الأعمال المختلفة، ويمضي معهم الساعات الطويلة مناقشة وبحثاً وتحقيقاً وتثبتاً، ويقابل في أثناء ذلك الوافدين عليه فيسعونهم بتلطفه وطلاقة وجهه، لا يكاد يمل من هذا العمل المتواصل آثاً يسترد ما فقدته من قواه حتى موعد الانصراف.

لبث على ذلك بضع عشرة سنة، ولولا صفات متأصلة فيه من المضاء والمرونة المستندة إلى اللبابة، لاصطدم طوال هذه المدة التي اجتاز الأزهر فيها أزمات خطيرة، وعقبات كأداء، بعوائير لا تذلل، ولكنه رحمه الله عاجلها على أسلوبه بالموازنة والمياسرة، وتمكن بذلك أن يستبقى الإدارة العامة قائمة تؤدي واجباتها الديوانية خلال هذه الأزمات الشديدة.

أصابه رحمه الله قبل نحو شهرين من وفاته، مرض عضال أصاب الطحال والقلب، بذل كثير من الأطباء جهد العلم في معالجته فاستعصى، وما زال رحمه الله يضعف حتى أسلم الروح في مساء السبت ١٨ من جمادى الأولى سنة ١٣٦٢ (الموافق ٢٢ من مايو سنة ١٩٤٣).

الشيخ يوسف الدجوى

فى مساء الثلاثاء ٤ سفر سنة ١٣٦٥هـ - ٨ يناير سنة ١٩٤٦، توفي الشيخ العلامة، يوسف الدجوى الأزهري النابغة الكفيف البصر، وعضو جماعة كبار العلماء.

وكان الأستاذ الدجوى من العلماء الراسخين فى العلوم التى تدرس فى الأزهر أخذها عن أئمتها مثل الشيخ هارون عبد الرازق والشيخ أحمد الرفاعى الفيومى والشيخ محمد طموم والشيخ أحمد فايد الزرقانى، والشيخ رزق البرقامى، والشيخ سليم البشرى، والشيخ البحيرى، والشيخ العدوى، وكلهم من أقطاب الجامعة الأزهرية الذين صانوا رسالتها إلى هذا العصر الحديث.

ولد الدجوى فى قرية دجوة التابعة لمركز قليوب فى سنة (١٢٨٧) من أب عربى، وأدخله والده الأزهر فى سنة (١٣٠١هـ) ونال الشهادة العالمية فى سنة (١٣١٧) بنجاح عظيم كان مدعاة لأن يزوره فى داره الشيخ راضى الحنفى من كبار العلماء وهنأه على ما أصاب من توفيق. وما فعل ذلك إلا من شدة إعجابه به، لشأنه، وتوقعه له حياة علمية تشرف الأزهر والأزهريين، واتفق حدسه، فإن الأستاذ الدجوى لم يلبث أن ظهرت مواهبه، وتجلت خصائصه، فصار مرجعاً للمستهددين والمستفتين فى جميع البلاد الإسلامية.

ولما أسست المشيخة الأزهرية مجلة الأزهر كان من أول من وقع اختيارها عليهم ليحررها الشيخ الدجوى رحمه الله، فكتب فيها البحوث الممتعة فى الدين والتفسير والحكمة، وبقي على موافاتها ببحوث إلى عهده الأخير.

ومن مميزات الشيخ رضى الله عنه أنه كان يأنس إلى البحوث النفسية الحديثة في أوربا، ويرأها خير أداة لكسر شوكة الماديين، وقد اعتمد في كتاباته على ما حققوه منها، وكان لا يخشى في مجاهرته بذلك لومة لائم.

كان مفسر الأزهر ومحدثه، بل فيلسوفه وكاتبه، حكما كان موضع ثقة الجماهير الإسلامية في شتى الأقطار، تتوارد إليه استفتاءاتهم من جميع الجهات، مقالاته النافعة بمجلة الأزهر وغيرها من المجلات والصحف العربية والإفريقية الممتعة^(١).

ومنها كتاب سبيل السعادة الذى ألفه عام ١٩١٢م فى فلسفة الأخلاق الدينية وأسرار الشريعة الإسلامية، والرد على الطبيعيين، وقد قرظه إمام اللغة المرحوم الشيخ فتح الله بكلمة طويلة منها: «أحسن يا شيخ الدين، وأدبت فرض الكفاية عن علماء المسلمين، وشفيت السقام، ورويت الأوام».

ومن مؤلفاته رحمه الله: الجواب المنيف فى الرد على مدعى التحريف فى الكتاب الشريف، أخرجه عام ١٩١٣م، رد فيه على القس الإنجليزى (كولدساك) الذى طعن فى القرآن الكريم ونقض من شأن الإسلام، فأتى الشيخ على مزاعمه فهدمها من أساسها، وظل يتابع حملاته على كتاب هذا القس حتى صودر. ومن مؤلفاته النادرة رسالة فى تفسير قوله تعالى: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣] لم يتقيد فيها بما قاله المفسرون بل ذهب فيها كل مذهب، وتصرف فيها كل متصرف، ودعا فيها علماء المسلمين شرقاً وغرباً للاجتماع والتشاور لاستنباط أسرار القرآن قبل إن يتهددهم الخطر. . ومنها رسالة فى علم الوضع، أخرجها عام ١٩١٧م وقد نالت الجائزة الأولى من لجنة فحص الكتب العلمية. . ومنها مذكراته فى الرد على كتاب الإسلام وأصول الحكم، وكلماته فى السلفيات الحاضرة، وقد طبع هذه الكلمات علماء دمشق ونشرت هناك. . ومنها صواعق من نار فى الرد على صاحب المنار. ومنها هداية العباد إلى طريق الرشاد. جمع فيه من محاسن الدين الإسلامى الشئ

(١) من كلمة لنجل الشيخ - الشيخ أحمد يوسف الدجوى الأستاذ بمعهد القاهرة - نشرت فى مجلة الأزهر.

الكثير، وقد انفرد فيه بأشياء لم يسبقه بها غيره. ومنها كتاب رسائل السلام ورسل الإسلام، انتهى من تأليفه عام ١٩٢٢م على أثر تكليف مشيخة الأزهر له بإخراجه بمناسبة اعتناق الألف المؤلفة من أهل أوروبا وأمريكا، الدين الإسلامى، وقد ترجمته مشيخة الأزهر باللغة الإنجليزية وطبع بالمطبعة الأميرية، وأرسل إلى الجهات النائية.

وقد وجهت صحيفة الأهرام الغراء فى نهاية عام ١٩٣٩م نصحتها وإرشادها إلى زعيمى دول المحور السير هتلر والسوڤيور موسوليني باتباع ما جاء بهذا الكتاب والعمل بالتعاليم الموجودة بين دفتيه، إذ أنها تدعو للوئام والسلام. ولا يفوتنا أن نذكر فى هذه الكلمة ما كان يقوم به من المحاضرات العلمية فى تفسير آى الذكر الحكيم، وحديث النبى الكريم، عقب صلاة الفجر بالرواق العباسى بالأزهر، وكان جلة العلماء، ومثقفو الطلبة حريصين على تلقى هذه المحاضرات، للارتشاف من منهل الإمام الكوثر العذب، يباردهم إليها، سيادة السيد المجددى، وزير الأفغان المفوض بمصر سابقاً، وقد كتب بعض المستشرقين، عند استماعه هذه المحاضرات، مقالات ممتعة، نشرتها صحف فرنسا بعنوان (سبنسر وباكون، فى الأزهر الشريف) إلخ.

أما ناحيته العملية، فتتمثل فيما قام به من تأليف الجمعيات الإصلاحية الدينية، التى منها جمعية النهضة الإسلامية لمناهضة المبشرين الذين استشرى فسادهم، وعم ضررهم حتى ضجت البلاد من شرهم، فكانت جمعية موفقة أدت واجبها خير أداء، وانتشرت فروعها فى جميع الأنحاء، فوقفت هذا التيار الجارف. ومنها الجمعية العظمى لمساعدة منكوبى حرب الأناضول، بمناسبة الحرب التركية اليونانية، وأسندت رئاستها إليه أول مرة، وبمناسبة تأسيسه لها أرسل إليه الخليفة عبد المجيد كتاب شكر وثناء وتقدير. ولم يقتصر نشاط الشيخ على ما تقدم، بل لم يلهه الجهاد العلمى عن الجهاد الوطنى، فكانت له مواقف المشهودة فى خدمة أهداف البلاد الوطنية، ومن تلك المواقف احتجاجه لدى العميد الإنجليزى على اعتقال المرحوم الزعيم الخالد سعد زغلول وصحبه المجاهدين المخلصين، إذ قال: «عجباً لسياستكم العتيقة كيف يفوتها أن شدة الضغط تولد الانفجار، وأن تقليد الأشجار

لا يزيد لها إلا تهيجاً ونماء، وأن النفوس الإنسانية متى امتلأت بشيء استعذبت الموت في سبيله، ولا تظنوا يا جناب اللورد أن هذه احتجاجات تفوه بها الألسن. وإنما هي قلوب متأججة وأرواح مشتعلة وأعصاب متنبهة، فاعملوا إنا عاملون، ولا يأس من روح الله إلا القوم الكافرون» وقد نشرته الصحف في حينه، ومن مواقفه التي تشهد له بالفخر والإريحية والأقدام والشجاعة، ذلك الكتاب الذي رفعه إلى ملك الإنجليز طالباً به تخفيف حكم الإعدام الذي صدر على شاب من شباب الأزهر وهو- الشيخ محمد الشافعي البنا- وقد استجيب طلبه. كما أن الأستاذ الدجوى كان محاضراً ممتازاً تدعوه الجمعيات الإسلامية لإلقاء محاضرات علمية اجتماعية إلى غير ذلك من مواقفه المجيدة، وأعماله الحميدة.

كتبت عنه مجلة «هدى الإسلام» تقول: قد وقف (الدجوى) أمام المضللين الذين عرفوا أنفسهم بـ (المبشرين) وقفات جبارة أحبطت جميع مساعيهم وحطمت آمالهم القوية من جهتين:

أولاً: بكشف أغراضهم وبيان ضلالهم وبطلان عقائدهم ومبادئهم.

ثانياً: بيان صلاحية الشريعة الإسلامية للأزمنة والأمكنة، وأنها الشريعة الكافلة لحياة البشر، وله في ذلك رسائل ومقالات كثيرة تشهد له بفائدتها شدة وقعها في النفوس، ومع ذلك فهو متعقب حركات المضللين وسكناتهم لا يدع لهم حيلة إلا فضحها، وهذه المثابرة أنتجت فكرة المقاومة ويسرت سبيل الغلبة، ولو لم يتداركوا أمرهم ويبدلوا خططهم القديمة، لما سمعت لهم صوتاً في بلاد الإسلام، وعلى كل فالهمم متضافرة والعزائم متعاونة على ملاحقتهم ومكافحة أفكارهم، فللدجوى يد فعالة في كل حركة إسلامية لا تعرف الهوادة واللين، وهو خير مثال للعالم الوقور، وله مؤلفات عديدة تشف عما انطوت عليه نفسه من الحكمة والسياسة الدينية والترغيب في التدين وتصوير حقائق الإسلام على غير ذلك من المباحث القيمة التي انفرد بها، ولا تخلو منها مكتبة عامرة، ومع ذلك فقد كان دائماً على الكتابة والنشر، حريصاً على استثمار حياته، والمتتبع له يعتقد اعتقاداً جازماً بأنه قد جعل حياته كلها وقفاً لخدمة الأمة الإسلامية.

وللدجوى أسلوب جذاب فى الكتابة، وهذه الجاذبية كما قلنا ليست بنت التصنع والتزيق، وإنما من تواضع صاحبها ونوادى المعانى العالية، تتخذ لها القوالب الموافقة، فيأتى المبنى منطبقاً على المعنى، وعلى الرغم من ذلك فأسلوبه لا يتبدل مهما تبدلت مواضيعه.

وقد تكون بعض مقالاته فهرس مقالات خصبة ممتعة. فكتاباتة كانت أشبه بالإلهام والخواطر بصرف النظر عن بعض الدواعى التى تدعوه إلى الكتابة حتماً، وهذا السر فى أن كتابة الدجوى تأخذ مفعولاً كبيراً فى العقلية، لأنها ابتعدت عن التصنع والزخرفة الفارغة، وله قدرة جليلة على حسن الاختيار من بدائع المنقول، فهو يعرف كيف يقتطف لباب الغير وأروع الحوادث من كتب المتقدمين، وكذلك يعرف كيف يختار لها المناسبة ويعطيها اللائق بها، فكثير من الناس لا يعرفون كيف يستفيدون من تلك العبر والحوادث وهى بين أيديهم، فلا غرابة إذا هم لم يفيدوا بها، وإذا فهموها فربما سولت لهم أنفسهم أن يستغلوا تأويلها فى مآربهم الخاصة، كما جرى على هذه الطريقة كثير من تجار النفاق. وأنت إذا قرأت منقول الدجوى، اطمأنت نفسك إليه، وارتاحت من عناء البحث والتنقيب وتعقيب المطولات، فإنه إذا نقل حفظ الأمانة وأشار إلى خلافها كما أنه يبنى عليه المعقول البديع الذى يخلب الألباب، وينادم الأفكار الحرة المجردة من قيود التعصب الأعمى والتقليد الطائش، وتكاد تلمس تحكمه فى معقوله تحكمًا ينطبق على الواقع ويلائم الأحوال.

ولع بالعلوم الدينية صغيراً، ولم يكن ولعه مقصوراً على الكسب والدرس، بل أفسح لدماعه التجول والمناقشة والنقد للرواية والدراية، فظهر نبوغه بين أقرانه ورمقته عيون الحاسدين، فلم تزل منه شيئاً إنما زادت جراءة وحرية أوسع، ثم جمع بين العلم والزمان فرأى مفهوم العلم عند بعض الناس يناقض حاجة العصر. حيث إن بعض العلماء عاجزون عن التوفيق بينهما، وذلك لأن فهمهم استمد من حالات قديمة تختلف كل الاختلاف عن الأحوال الراهنة. أما اليوم فليحارب وليثبت، ولهذا كان (الدجوى) يسعى فى التوفيق ليوحد رأى العلماء، يكون منهم جبهة مناضلة بقوة العلم الحقيقى، ليقضوا على الأدعياء الكاذبين، فهو بطل العلم وحامل لواء نهضته.

هذه ناحية من جهاده تريك تأثيره القوى وما كان له من الكلمة النافذة في حياته عند المفكرين والجماهير.

الشيخ عبد الحكم عطا

كان مولده سنة ١٨٦٥ فى «نواى ملوى -أسىوط» من أسرة كريمة، فوالده المرحوم الشيخ عطا عبد الفتاح كان عالماً جليلاً مشهوراً بالتقوى، والعلم والجرأة فى الحق، وله مقام عظيم لدى الكبراء والعظماء، وكان المرحوم محمد باشا سلطان يجلب الشيخ ويحترمه، حتى ألح عليه فى الانتقال من بلدته، والإقامة فى «بنى أحمد بالمنيا» فاستجاب دعوته وتوارث آل سلطان باشا حب أبناء الشيخ وإكبارهم. وفى بلدة بنى أحمد. كان الشيخ عطا، يلقى دروسه لأبناء الأعيان. وقد تتلمذ له ولده الناشئ «عبد الحكم» حتى إذا كانت سنة ١٨٧٩ أرسله إلى الأزهر، فأخذ عن العلماء الأعلام، وابتدأ نجمه يتألق بين طلاب العلم فى الأزهر.

وقد حصل على العالمية الممتازة، سنة ١٨٩٥ ولقت الأنظار عامئذ، إلى كفاءته وذكائه وعلمه، وأشادت بذكره صحافة العهد. ثم اتخذ مكانة بين المدرسين فى الأزهر، فعمرت دروسه، وغصت بالمئات من تلاميذه، المعجبين به، الناهلين من علمه. ومكث يدرس فى الأزهر قرابة الثلاثين عاماً، ورفض غير مرة. أن يلى الوظائف، وصدف عن التنعم فى بحبوحة المرتبات، متلذذاً بخدمة العلم وتخريج العلماء، حتى عرض عليه أستاذه المرحوم أبو الفضل، بإلحاح، مشيخة القسم الثانوى سنة ١٩٢٠ فخضع لأمر شيخه، ومن وقتئذ بدأ حياته الإدارية، فولى مشيخة القسم الثانوى والقسم العالى، وجمع بينهما فى بعض الأوقات.

وفى سنة ١٩٢٨، فى عهد مشيخة الشيخ المراغى الأولى، عين شيخاً لمعهد أسىوط، فبقى به سنة. ثم نقل إلى معهد الزقازيق عام ١٩٣٠، وقد أحيل إلى المعاش بعد حين. وكان من العلماء المقدمين، فى هيئة كبار العلماء، وهو بحق شيخ الشيوخ بلا مرأ لكثرة من أخذ عنه من الأساتذة.. والشيخ أحمد حميدة شيخ معهد أسىوط اليوم، كان امتحانه فى العالمية من ثلاثين عاماً أمام الشيخ عبد الحكم. ولقد كان فى علمه دائرة معارف إسلامية أزهرية، فقد حفظ كتاب الله، وفهم دقائقه، واستوعب كتب السنة، وألم بالكتب الأزهرية صغيرها وكبيرها،

متونهاً وشروحها وحواشيها، إلمامًا عجيبًا، كأنه استظهرها عن ظهر قلب. وذلك راجع إلى قوة عقله، وشدة ذكائه وجلده وصبره على البحث والدرس.

وفى إدارته، كان مثال الإخلاص، كل همه أن يتجه الأساتذة والطلاب، بكليتهم، نحو الثقافة الأزهرية الصميمة، وأن يجعلوا وقتهم بأجمعه وقفًا على تحصيل العلم، لذلك كانت نتائج معاهده فى مقدمة النتائج.

أما خلقه وتقاه، فكان فيهما على سنن السلف الصالح، لا يعرف مداجاة هذا العصر، ولا رياءه. ديدنه الصدق والصراحة، والتواضع والحلم، والعطف على المحتاجين. . . وبعد حياة حافلة، عامرة بالخير، لقي الله فى ١٠ ذى الحجة سنة ١٣٥١هـ (١٩٣٢) وصلى عليه بالأزهر، واستقر جثمانه هنالك، فى جوار العلماء والصالحين، بقرافة المجاورين. ولم يعقب، الشيخ رحمه الله أبناء، ولكنه ترك ثلاث بنات أصهر بهن فى حياته، إلى الشيخ محمد على سلامة، المدرس بكلية أصول الدين، والشيخ قطب أبو العلا المدرس بالمدارس الثانوية، ومحمود أفندى حسن من أعيان تله -المنيا. وقد قرت عينه بأسباطه قبل وفاته، ومنهم الأستاذ محمود محمد سلامة، والمهندس عزت بالهندسة، وغيرهما.

الشيخ محمود الدينارى

كان مولده فى «قاي -بنى سويف» سنة ١٨٧٥، وبين ربوعها نشأ وحفظ القرآن الكريم، ثم مكث سنة فى طنطا يجود حفظه وقراءته، وفى سنة ١٨٨٨ ألحق بالأزهر الشريف وبقي ينهل العلم من أعذب مناهله، حتى سنة ١٩٠٤ وفيها نال العالمية، بدرجة ممتازة.

وفى هذه السنة عين مدرسًا فى الأزهر، ثم اختير مدرسًا بمعهد الإسكندرية ليكون من حراس النظام الناشئ بها. واستمر به إلى سنة ١٩١١ ثم نقل مراقبًا للقسم النظامى الجديد بالأزهر، فكان عونًا وظهيرًا للأستاذ الشيخ محمد شاكى على تركيز النظام. وفى سنة ١٩٢٠ عين شيخًا للقسم الأولى، فعضوا فى مجلس إدارة الأزهر، ثم أضيفت إليه مشيخة القسم المؤقت، وفى سنة ١٩٢٥ عين شيخًا للقسم العالى، ثم اختير مفتشًا للمعاهد الدينية عام ١٩٢٨ فى عهد الأستاذ الشيخ المراغى.

وفي ديسمبر سنة ١٩٢٩ عين شيخاً لمعهد أسيوط، فظهر فيه حزمه وكفايته، وسار المعهد في عهده سيراً حميداً، وأحبه الأساتذة والطلاب جميعاً وظهرت في المعهد روح الجد والنظام. وفي ديسمبر سنة ١٩٣٣ زار الملك فؤاد أسيوط ووضع الحجر الأساسي في بناء المعهد الجديد، وكان الشيخ موضع رعايته.

وفي يونية سنة ١٩٣١ نقل شيخاً لمعهد طنطا، فعالج الروح النائرة في الطلاب بحكمته، ثم عنى بإنشاء جمعيات المحافظة على القرآن الكريم، في طنطا وما حواليتها. حتى جعلها في مقدمة جمعيات القطر، مورداً وإنتاجاً.

وفي سنة ١٩٣٤ قدم رسالة في (البلاغة)، عين على إثرها عضواً في جماعة كبار العلماء، وفي سنة ١٩٣٦ أنعم عليه بكسوة التشريفة الأولى.

ولقد كان من المشهود لهم، بالقوة في العلم، والدقة في الإدارة، كما عرف بالدهاء وحسن السياسة، وهو كفء قليل النظر، تتجلى كفاءته في كل عمل يسند إليه، وهو مع ذلك رجل يقدر الناس رجولته ويعجبون بها، ويجلون به، ويحبونه. . . وجمهرة كبيرة، من أساتذة الأزهر والمعارف ورجال القضاء، مدينون للشيخ، بالأستاذية، عارفون فضله حافظون عهده. . . ثم استجاب نداء ربه، بعد هذا الجهاد المبرور، في فجر يوم الجمعة ٢٧ رمضان سنة ١٣٥٥ هـ (ديسمبر سنة ١٩٣٦) بمدينة طنطا، ثم نقل جثمانه الطاهر إلى القاهرة، حيث هدأ هداة الخلود، في قراة المجاورين، في ظلال من رضوان الله.

الشيخ محمد سليمان السرتي

عين مدرساً بالمعاهد، عام ١٩٠٧، وتنقل بين وظائف التدريس والمراقبة، حتى عين شيخاً لمعهد دسوق، فبقي فيه بضع سنين، وفي ١٢ يونيه ١٩٣١ عين شيخاً لمعهد أسيوط، وهو الذي جمع الدراسة من الدور المتفرقة. إلى مكان واحد، هو المدرسة الابتدائية القديمة، ويفضله ابتداء العمل في بناء المعهد الجديد، بعد تعطيله، وفي عهده انتقل المعهد من تلك الأماكن المستأجرة، بدراسته وإدارته، إلى ذلك الصرح المشيد، المشرف على نهر النيل، وله بأسيوط مواقف مشهودة، في الغيرة على الدين، ومن أجمل آثاره، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، فقد

أسسها وتعهدها، حتى نمت وترعرعت. . والمدرسة الإسلامية الابتدائية بأسبوط - التي أنشأها المؤلف- لن تنسى تشجيعه لها، وفضله عليها، وكانت له صلات طيبة بالأهلين، وكلهم محب له، معجب بصراحته، وجراءته، وفصاحة منطقه، وكثيراً ما كان يخطب الناس في المساجد، والمحافل، في الشئون الاجتماعية الهامة، والحداث الإسلامية المهمة، وقد نقل شيخاً لمعهد الزقازيق، في فبراير سنة ١٩٣٥، فشيخاً لمعهد الإسكندرية، ثم نقل شيخاً لمعهد طنطا، وفي طلابها بعض الثورة، فحاول علاجهم، ولكن زمامهم أفلت من يده، فأحيل إلى التقاعد في ١٩ يونيه سنة ١٩٣٧، وعمره نحو ٦٤ سنة.

الشيخ عبد المجيد اللبان

كان رحمه الله من أمثل العلماء خلقاً، وأقوام ديناً، وأصحهم عقيدة، وأرفعهم شخصية، مات وهو في نحو السبعين من عمره، وذلك نحو عام ١٩٤٠، وكان يشغل منصب شيخ كلية أصول الدين، حيث ظل شيخاً للكلية منذ إنشائها عام ١٩٣٢ إلى وفاته، وكان مع ذلك عضواً في مجلس الأزهر الأعلى، وعضواً في جماعة كبار العلماء، وعضواً في كثير من اللجان التي ألفت لإصلاح الأزهر، وتعديل مناهج الدراسة فيه، وسوى ذلك، وكان رحمه الله قبل أن يشغل منصب «شيخ كلية أصول الدين» يتولى منصب شيخ القسم العالي في الأزهر. وقد تخرج على يديه آلاف العلماء الذين كانوا يحبونه حب الإبن لأبيه، والتلميذ لأستاذه، وعندما بدأ لأول مرة امتحان أقسام الأستاذية في الأزهر، التي تعد خريجيتها للتدريس في الكليات الأزهرية، كانت لجان الامتحان برئاسة ثلاثة شيوخ من كبار الشيوخ في الأزهر، وهم الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مأمون الشناوى، والشيخ عبد المجيد اللبان، أجزل الله لهما مشوبته، والأستاذ الأكبر الشيخ إبراهيم حمروش اطال الله في حياته، وكانت للشيخ اللبان، رحمه الله مواقف محموده، وذكريات لا تنسى، وكانت عصية المراعى رحمه الله تناهضه، لأنها كانت تعتقد أن الشيخ يعمل ليكون شيخ الأزهر المرتقب بعد المراعى. وكان الشيخ اللبان يحرص كل الحرص على أن يبقى للأزهر تقاليد ومقوماته وخصائصه، وكان يرى أن الطفرة في الإصلاح قد تؤدي

إلى نكسة، ولذلك كان خير عماد للأزهر في تطوره، وملأذاً لشيخه الحذرين الخائفين من نتائج الطفرة والسرعة.

وكان للبان مكانة كبيرة عند الحكام، ومنزلة عظيمة لدى أولياء الأمور، وكانوا يستشيرونه دائماً في أمور الأزهر وإصلاحه، ولما تولى المراعى مشيخة الأزهر لثاني مرة، وأقيمت حفلة لتكريمه في ٣ يوليو ١٩٣٥، كان الشيخ اللبان رئيس لجنة الاحتفال. . وكان في مطلع كل عام دراسي يستقبل اليوم الأول بخطبة بليغة يلقيها على الطلاب والأساتذة، يضمونها نصائحه وتجاربه وخبرته الواسعة.

وقد بدأ الشيخ حياته العلمية بعد تخرجه من الأزهر الشريف مدرساً في معهد الإسكندرية الديني، حيث مكث مدة طويلة، كان فيها محبوباً مكرماً من الشعب والحكام والمستولين، ودارت الأيام حتى أصبح شيخاً للقسم العام فشيخاً لكلية أصول الدين، إلى أن توفي رحمه الله تاركاً ذكريات أزهرية طيبة لا تنسى على مر الأيام.

الشيخ عبد الوهاب النجار

درس في الأزهر وتخرج في مدرسة القضاء الشرعي وعمل مدرساً في وزارة المعارف المصرية. وقد غضب عليه وزير المعارف فنقله من مدرسة عابدين إلى مدرسة أسوان، وهو مدرس حديث العهد بالوظيفة إثر اشتراكه في جمعية مكارم الاخلاق الإسلامية فاستقال من وظيفته. وسافر بعد فترة إلى السودان مدرساً في كلية غوردون، ثم عاد إلى مصر فعين بمدرسة البوليس والإدارة بعد فترة قضائها في المحاماة، ثم اختير مدرساً بمدرسة دار العلوم إلى أن أحيل إلى المعاش، ثم عين ناظراً لمدرسة عثمان باشا ماهر، وندب مدرساً بكلية أصول الدين. وهو في جميع هذه الوظائف كان الداعي إلى الدين بالبرهان الساطع، والبيان الناصح، الواقف لأعدائه بالمرصاد؛ يرد كيدهم ويبطل سعيهم. وقلما وجد منبر من منابر الدعوة الإسلامية إلا كان الشيخ من أبطاله. وأبرز ما في تاريخ الشيخ اشتراكه في جمعية الشبان المسلمين، ونهوضه بجزء عظيم من عملها العلمي والإداري عضواً فوكيلاً، ثم سفره إلى الهند في بعثة أزهرية لدراسة أحوال المسلمين وغيرهم هناك، وتمكين الروابط بين مسلمي الهند وطوائفهم، وللشيخ في التأليف العلمي آثار قيمة: فله كتاب (قصص الأنبياء) وهو كتاب استقصى فيه قصص الأنبياء الذين ورد ذكرهم

فى القرآن وغيره وجرده مما علق بها من ضلالات وأوهام. وله كتاب «تاريخ الخلفاء الراشدين». وله غيرهما آثار دينية وأدبية وتاريخية، حفلت بها المجلات والصحف طول حياته^(١)، وتوفى رحمه الله فى ١٩/٧/١٩٤١.

الشيخ عبد الرحمن الجزيرى

كان بعيد الأثر فى الإصلاح الدينى والتهديب العلمى. فقد كان مما اضطلع به وظيفة التفتيش على الأئمة والخطباء بمساجد الأوقاف، فى عهد ساءت فيه حال الخطابة الدينية بالمساجد، وشكا الناس من طريقة إلقائها، وضيق موضوعاتها، التى كانت تدور غالباً حول النهى عن السرقة وشهادة الزور وتحريم الربا وشرب الخمر. فما زال الشيخ يلاحظ ويرشد حتى استطاع أن يخرج الخطابة عن هذا المحيط الضيق، ويجعلها تلمس حياة الناس وما يجرى بينهم، مما ينغص الحياة ويبعد من الله. ثم أحيل إلى المعاش فندب فى كلية أصول الدين مدرساً بها تقديراً لعلمه وفضله. وقد يستطيع أحد تلاميذه، وهم كثير، أن يتحدث عن كفاية الشيخ وإخلاصه وإتقانه لعلمه.

وللشيخ فى ناحية التأليف العلمى امتياز خاص، فقد كان كثير الإنتاج فى تحقيق وتدقيق ومن يقرأ «كتاب الفقه على المذاهب الأربعة» وهو فى أربعة مجلدات، يعجب لمواهب الشيخ فى هذا الباب، ويدهش كيف وافته الفرصة على أن يقرأ الفقه فى المذاهب الأربعة ثم يجمع ويهذب ويكتب. وللشيخ غير هذا الكتاب كتب كثيرة منها: أدلة اليقين، وتوضيح العقائد، والأخلاق. هذا عدا ما للشيخ من مقالات نشرت فى مناسباتها بالصحف والمجلات^(٢).

الشيخ محمد عبد الله أبو النجا

كان المرحوم الشيخ محمد عبد الله أبو النجا من أفذاذ العلماء، ومن أمثلهم خلقاً ودينًا وورعًا، وحجة ثبتًا فى علوم الدين والعربية، وكان يسيطر على قلوب تلامذته ومريديه: بأدبه الجم، وتواضعه الماثور، وصلاحه النادر، وعفة لسانه، وقوة بيانه، وشجاعته فى قول الحق والجهر به. وكانت محاضراته ودروسه فى كلية

(١) من كلمة للأستاذ أبى الوفا المراغى - نشرت فى مجلة الأزهر.

(٢) من كلمة للأستاذ أبى الوفا المراغى عنه - نشرت فى مجلة الأزهر.

اللغة - فى النحو والصرف وأصول الفقه والحديث والتفسير وغيرها- ميداناً لتسابق العقول، وشحذ الملكات، وتربية المواهب. ولا يزال إخوانه وأبنائه فى العلم يذكرون ذلك بالوفاء والتقدير وعرفان الجميل. أية موهبة كان يضمها إهابه، وأى دين كان ينطوى عليه قلبه، وأى عقل كان يعتز بالإنصات لتفكيره والتأدب بأدبه. كان رحمه الله من خيار أساتذته فى طلب العلم: والده المغفور له الشيخ عبد الله أبو النجا، العالم الكبير، والأزهرى النابغة، الذى اختير للتدريس بمعهد الإسكندرية الدينى (١٩٠٨-١٩٢٢م)، وعند إنشاء أقسام التخصص فى الأزهر اختير لتدريس الفقه والأصول فيها. وكان من خيار شيوخه فى الله: العارف بالله الشيخ منصور أبو هيكمل، وولده الشيخ عثمان، وقد وصل عليهما الشيخ، والشيخ عبد الخالق الشبراوى الذى كان ملازمًا له، والشيخ عبد الحميد إبراهيم. وسواهم من أولى الصلاح والولاية.

وكانت لذة البحث والعلم عند الشيخ واضحة جلية فى جميع أطواره، فكان يلازم والده فى غدواته وروحاته، ويناقشه فى مسائل العلم والدين حتى حين تناول الطعام وفى أوقات الراحة، وكثيراً ما كانت تعقد الندوات العلمية فى منزل والده فيشارك فيها سامعاً ومناقشاً.

وقد ولد رحمه الله عام ١٨٩٧ فى قرية «كفر عيسى» من بلاد مركز فاقوس ونال العالمية بتفوق كبير عام ١٩٢٥م.

ثم عين مدرساً فى المعهد الابتدائى، ونقل للتدريس فى المعاهد الثانوية ثم مدرساً فى كلية اللغة العربية منذ إنشائها عام ١٩٣١، إلى أن نقل وكيلاً لمعهد القاهرة، فمفتشاً بالأزهر، فوكيلاً لكلية اللغة العربية.

وفى ٨ مارس عام ١٩٤٩ شعر العالم الكبير بتعب وإجهاد، فاستراح فى منزله يومين استأثرت به بعدهما رحمة الله تعالى فى ١٠ مارس سنة ١٩٤٩، فخسرت كلية اللغة العربية بوفاته علماً من أعلامها، وركناً من أقوى أركانها، وأذهلت لوعة المصاب فيه عقول تلامذته ومريديه وعارفى فضله.

فرحمه الله رحمة واسعة، وجزاء على ما قدم من صالحات خير الجزاء.

وللشيخ كتاب في علم أصول الفقه، يجمع صواب الرأي ودقة الملاحظة وعمق الدراسة، وقوة الملكة، وكان شيخنا رحمة الله يدرس هذا العلم وهذا الكتاب.

محمود أبو العيون^(١)

طويت ب وفاة أبي العيون صفحة خالدة من الإيمان والحماسة والكفاح والوطنية وورى الرجل فى رسمه، وفقدنا فيه أمة فى رجل، ومصلحاً قل أن وجود بمثله الزمان. كان أبو العيون مضرب الأمثال فى الغيرة الدينية، والجهاد الوطنى، وحب الإصلاح... وكانت الصحف والمجلات تتسابق إلى أحاديثه فى مختلف المناسبات، وكان فى الأزهر ركناً من أركانه، وعلماً من أعلامه، أحبه الجميع، وقدروا فيه العفة والنزاهة وطيبة القلب وحلاوة اللسان.

ولد رحمه الله عام ١٨٨٢ من أسرة كريمة، عرفت بالورع والتقوى والعلم، وحفظ القرآن الكريم، ثم التحق بالأزهر ونال العالمية عام (١٣٢٦هـ-١٩٠٨م). وعين مدرساً بمدرسة ابتدائية، ثم اختير للتدريس فى الأزهر عام ١٩٠٩. وبدأت قصة كفاحه منذ عام ١٩١٢م حين قامت الحرب الطرابلسية... وكتب فى ثورتنا الوطنية سنة ١٩١٩م وما بعدها أروع الصفحات وأكرم الآيات. وقد اتجه إلى الرذائل الاجتماعية يحاربها، فأعلن الحرب على البغاء والخمر، وعلى المجون، وعلى التبذل والاستهتار فى المصايف والشواطىء. وكان أبو العيون كثير الاعتزاز بكرامته، ولا نزال نذكر بالفخر قصة خطف أحد رجال البوليس لعمامته. دون أن يعرف شخصيته، أثناء حصار المعهد الأزهرى الدينى عام ١٩٤٦، واحتجاجه المشهور على رئيس الوزراء، وإنذاره له بأن طربوش رئيس الوزراء بعمامة أبى العيون، واعتذار رئيس الحكومة له -وكان النقراشى باشا- فى مأدبة غداء أقامها لهما أحمد عبد الغفار باشا. ولأبى العيون كتب قيمة فى تاريخ مصر والإسلام، تدرس فى الأزهر. وله مقالات وبحوث مشهورة، فى محاربة البغاء جمعها فى مؤلفات... وقيل وفاته نشرت مجلة «إلا خمسة» الجامعية حديثاً وطنياً بعنوان «دم الإنجليز -الذين يحاربوننا فى القنال- غير معصوم». رحم الله أبا العيون، لقد كان رجلاً، وكان بطلاً، وكان مؤمناً بربه ودينه، وكان من الخالدين. تخرج الشيخ

(١) ستاني صورته فى موطن آخر

فى الأزهر عام ١٩٠٩، وعمل مدرساً بوزارة المعارف، ثم نقل إلى الأزهر وتقلب فى وظائفه، واشترك فى الثورة المصرية عام ١٩١٩ وحكم عليه بالسجن، وعين بعد الثورة مفتشاً بالأزهر، ثم اختير عام ١٩٣٥ شيخاً لمعهد أسيوط، ونقل فى ١٩ مايو ١٩٣٥ شيخاً لمعهد الزقازيق، ثم نقل بعد سنوات شيخاً لمعهد طنطا، فالإسكندرية، ثم اختير سكرتيراً عاماً للأزهر، وتوفى عليه رحمة الله فى ٢٨ صفر ١٣٧١هـ - ٢٠ نوفمبر عام ١٩٥١م، وهو من مواليد دشلوط مركز ديروط من أعمال مديرية أسيوط.. ومواقفه فى محاربة البغاء والسفور والعرى على الشواطىء مشهورة.

وقد أقيمت بدار الشبان المسلمين حفلة تأبين لأبى العيون يوم الجمعة ١٩٥١/١٢/٢٨.

ويقول فيه الأستاذ أبو الوفا المراغى^(١): جل مصاب الوطن، وفدحت خسارته فيه. فلقد كنت فى الرعيل الأول فى المجاهدين لحرته واستقلاله، وجهادك صفحة خالدة فى تاريخك، يعرفها المجاهدون الأحرار ويقدرونها لك ويضعونك بها فى الصف الأول من المجاهدين الصادقين. لقد كنت فى طليعة العاملين فى فجر النهضة الوطنية، عرفتك المنابر العامة فى الأزهر وغيره خطيباً مبرزاً من خطباء الثورة، واستضافتك السجون كما استضافت غيرك من قادة الثورة ومحركيها، وشاركت فى المظاهرات بشخصك، وعرضت نفسك للحرايب والرصاص، ولقيت ما يلقي الأحرار من تشريد، وكسب تجار الوطنية ما كسبوا من مال وجاه، ولم تكتسب إلا ما ادخره الله لأمثالك من المجاهدين المخلصين، وكنت بين الأدباء من مواطنيك أديباً ممتازاً، واضح الأسلوب مشرق الديباجة، جزل العبارة تصل إلى غرضك فى لباقة وكياسة، عفاً فى عبارتك وخصومتك، لم تدنس قلمك بما لا ترضى عنه أصول المناظرة وقواعد الآداب. وها هى ذى جولاتك فى مجالات الأدب الراقية، وأنديته الرفيعة تشهد بطول باعك فى الأدب وتبريزك فى فنونه، وتضعك فى الطليعة من أدباء العربية، ولن ننسى لك جزالة أسلوبك وقوة روحك وشخصيتك فى مؤلفاتك التاريخية لطلاب المعاهد الدينية، وفى مقالاتك بمجلة الأزهر والهلال وغيرهما من المجالات الراقية ذات الطابع الأدبى الخاص.

(١) مجلة الأزهر. ربيع الأول ١٩٥١.

ومن قصيدة للشيخ عبد الجواد رمضان في رثائه:

شيعوا كواكب التقى والرشاد	واطووا راية الهدى والجهاد
حين قالوا: أبو الميرون تردى	فجعت أعين العلا في السواد
قائد مات، والبلاد جنود	تأثرت، ترنو إلى القسواد
حرة تنشد الحياة، وتدعو	من بينها، بكل حر مفادى
يا قريع الخطوب في كل هول	يا لواء الكفاح في كل عادى
كيف طاح اللواء، قل لى، متى ط	سحت، وما طحت في زحام الجلال
كم تدرعته عزيزاً كريماً	خضبت وجهه دماء الأعداى
واقترحت الصفوف تزخر بالمو	ت، مشيحاً، نصيح: تحيا بلادى
فى الرعيل السباق من حاملى الع	بء، ومن كل أريحى جواد
نزلت مصر منهمو فى السويدا	ء، فهزت نفوسهم للطراد
رفعوا راية الجهاد وهبوا	حين نادى الجهاد كالأساد
لا يبالون بالحديد وبالننا	ر، وبالموت، فى سبيل المراد
لهف نفسى عليك، فارقت مرما	ك، إلى غير رجعة أو معاد
عليك الهدى والجهاد فى يوم منعا	ك، توارى سناهما فى الحداد
فمعزاء لمصر فيك، إذا أغنى	عزاء لدى الكبود الصوادى
وسلام عليك فى جنة الخلد،	مجيداً، من عترة أمجاد

ومن قصيدة لفضيلة الشيخ أحمد شفيع السيد الأستاذ المساعد فى كلية اللغة العربية فى رثائه أيضاً:

طويت صحيفة عالم موهوب	قاد الطلائع وهو غير هبوب
ومجاهد فى الله حق جهاده	لم يخشى من سجن ولا تعذيب
الثورة الكبرى ذكت نيرانها	ببراعة وبيانه المشبوب

فلو استمعت إليه في عزائها
كم ذا يجلجل صوته فيهننا
وتخال من عجب نمير بيانه
في كل مجتمع وكل صحيفة
هو واحد حرس الفضيلة جاهداً
يا مذكى العزمات في أبنائه
مترفقا في كل ما يديه من
وشعاره في حكمة: لا تغضب
في كل ناحية ترى آثاره
أو في السبعين وهو مجاهد
الدين أول ثاكل بمكافح
لو كان في الأعلام مثلك داعياً
يا من رأى بطل الجلال مجندلاً
واها لحداث الحياة فإنه
يا يوم نعمي (أبي الميوني) تركتنا
فالليل ممدود الرواق مخيم
وترى العنادل أمسكت لهواتها
له أي شهادة كتبت له
أدى رسالة ربه حتى إذا
هبنى يراعك أقض حق مآثر
وقد توفي رحمه الله يوم الثلاثاء ٢٨ صفر ١٣٧١هـ - ٢٠ نوفمبر ١٩٥١،
وشيعة، جنازته في اليوم التالي في موكب رهيب إلى الأزهر الشريف. ونعته
الأهرام إلى العالم الإسلامي، فقالت:

لرأيت أي مناضل وخطيب
كالعاصفات تهز كل قضيب
ناراً تلظى في نهى وقلوب
ذوب البراعة من بنان أريب
لم يلف من ند له وضرب
ومواصل الإرشاد بالتهذيب
نصح بلا لوم ولا تثريب
لكنه للحق جد غضوب
كالغيث شؤبياً على شؤبوب
بذ الشباب بعزمه ودؤوب
قد كان عدته لكل عصب
هان المصاب لثاكل كل محروب
في غير ميدان وغير حروب
يأتى من الأهوال كل غريب
ربيع النهار بحالك غريب
والصبح آذن ضوءه بمغيب
شجنًا، وللغربان شر نعيب
حين الجهاد فنال خير نصيب
هتف الحمام أجاب خير مجيب
كالشمس لكن غير ذات غروب

ننعى إلى العالم الإسلامي أجمع، فقد الشرق والإسلام صاحب الفضيلة العالم الجليل الشيخ محمود أبو العيون السكرتير العام للجامع الأزهر، فقد فدحت الفجيعة بوفاته ليلة أمس إثر حادث أليم، ففقدت مصر والشرق بفقده عالماً من خيرة العلماء العاملين، ومجاهداً من صفوة المجاهدين المخلصين، ومصلحاً سلكته جهوده الإصلاحية التامة في الخالدين.

لقد درج الفقيه العظيم في حجر الأزهر يافعاً يتلقى العلم عن شيوخه الإجلاء، ويقف في الطليعة من طلابه النجباء، حتى نال شهادة العالمية في عام ١٣٢٦ هجرية (١٩٠٨ ميلادية) واختير عقب ذلك مدرساً في الأزهر حتى رأى الانتفاع بكفاءته في التوجيه العلمي، فأسندت إليه مهمة التفتيش في سنة ١٩٢٥ ثم ندب شيخاً لمعهد أسيوط سنة ١٩٣٥ وعين بعد ذلك شيخاً لمعهد الزقازيق فشيخاً لمعهد الإسكندرية، وقد ظل في هذا المعهد حتى اختير سكرتيراً عاماً للجامع الأزهر والمعاهد الدينية.

ومع حرص الفقيه طيب الله ثراه على أن يخصص العلم وأهله بالنصيب الأوفر من وقته وجهده، فقد استخلص جانباً من الوقت والجهد لما عمر به قلبه الكبير من رغبة قوية في الإصلاح الاجتماعي، فكانت له جولاته الخالدة على صفحات الأهرام في مكافحة البغاء وفي غير ذلك من النواحي الاجتماعية التي يعنى بها أنداده من العلماء المصلحين.

وحين نهضت مصر نهضتها الوطنية الكبرى سنة ١٩١٩ كان الفقيه أكرم الله مشواه في مقدمة الصفوف، يخطب ويكتب ويحفز الهمم ويشحذ العزائم ويدعو إلى الجهاد لاسترداد المصوب من حقوق البلاد، حتى لقد غدت مواقفه الوطنية في ذلك الحين موضع التنويه والتقدير في كل مكان.

ومن مقالاته الرائعة مقال نشرته الهلال عنوانه: «اتهم رجال الدين» جاء فيه:

«اتهم رجال الدين في الماضي القريب، لأنهم قصرُوا في أداء رسالتهم من تبليغ حكم الله للمسلمين في الأحداث التي زحزحت الدين عن مكانه، وعطلت تنفيذه في القضاء والأحكام، وتطبيقه في الحوادث التي تخالف الشريعة وتناقضها.

فى سنة ١٨٨٥ استبدل القانون الفرنسى بالشريعة الحنيفة الغراء التى سار عليها المسلمون أجيالاً بعد أجيال فى أزهر عصور الإسلام، فلم يحرك علماء ذلك العهد ساكنًا، ولم ينكروا ذلك الحدث العظيم فى الإسلام، وإذا كانوا قد أنكروا فلم يسجل التاريخ لهم أنهم أودوا -أو نفوا من الأرض- فى سبيل إنكارهم لذلك التبديل والتغيير فى شرع الله.

ونظم الاحتلال الإنجليزى بعد استقراره البغاء، وجعله رسميًا، وأصبحت المسلمة فى بلاد الإسلام تتمهن حرفة الزنا علنًا، تحت حماية الحكومة والقانون، وبين سمعها وبصرها، فلم يحرك رجال الدين ساكنًا، ولم يرو التاريخ أنهم غضبوا لله وللحق وللأعراض تستباح وتنتهك، أو أنهم أنكروا تشريع هذا الرجس.

وشاع الربا، واستعملت الحكومة الربح والفائدة رسميًا، وسمحت بها للجمهور وتأسست له المصارف الأجنبية والوطنية فى طول البلاد وعرضها فلم نسمع أن العلماء أنكروا ذلك الاثم، أو أنهم غضبوا لتشريع وتنظيمه.

وأباححت الحكومة الخمر والميسر، وانتشرت الحانات، وأنواع القمار، فى النوادى والأمكنة العامة، وفى المدن والقرى والطرق ومنازل الأثرياء، فلم يعرف عن رجال الدين أنهم عارضوا الحكومة معارضة جدية فى أنها أحلت ما حرم الله.

وفى عهدنا الحاضر ذاع الفساد، وتحللت الأخلاق، واستشرى الداء، وخلعت المرأة العذار. وهجرت المنزل وخالطت الرجال على شواطئ البحار -عرايا- وفى النوادى العامة، وفى الحفلات الزاخرة بالمجانة والعبث والهوى والعريضة، ونبتت التقاليد الصالحة الموروثة وهجر الدين وزال طابعه فى مقدرات البلاد ومعنوياتها ولم يدرس دراسة تعليمية تطبيقية نافعة فى المدارس والجامعات. وقعت تلك الأحداث الخطيرة الفاجعة، فلم نر جمهرة العلماء ورجال الدين يجمعون جموعهم، ويرفعون عقائدهم بالانكار والاحتجاج على أولى الأمر من أجل هذه المنكرات الشائعة، وهذه المقابح الظاهرة، وما رأينا أحدهم غامر وجاهد فى سبيل الله، حتى ناله الضر فى نفسه أو رزقه، لم نر شيئًا من ذلك ولم نسمع به، بل كل ما نفعله هو أن نكتب فى الصحف، وأن نرفع العرائض الفاترة لأولياء الأمر، وهم

لا يحركون ساكنًا، ولا نحرك نحن ساكنًا كذلك، زعمًا بأننا أديننا واجبنا بالخطابة والعرائض وبالكلام وعلى الورق.

وتفرقت البلاد أحزابًا وشيعًا، وانشقت على نفسها أقسامًا وفرقًا، وتزعم كل فريق زعيم يدعو إلى شخصه، وإلى تولى الحكم دون الآخرين، حتى نسى القوم قضية الوطن، وإصلاح أداة الحكم وشئون البلاد، ورجال الدين يتفرجون على الموقف، على حين أن الله أمرهم بإصلاح ما فسد من أحوال المسلمين، ورتق ما تصدع من أمورهم ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠] فلم نجتمع ولم ندع المتخاصمين إلى الصلح، والمتنازعين إلى التفاهم والمتفرقين إلى الاتحاد، والمديرين إلى الرجوع إلى الحق، ولم نقل كلمة الدين في المخالف، حتى يفىء إلى أمر الله، وحتى ننقذ البلاد من البلاء المسلط عليها، والمحيط بها من كل جانب، لم نفعل ذلك، بل إن جماعتنا نفسها في حاجة إلى إصلاح ذات بينهم والعمل على جمع كلمتهم، وتآليف قلوبهم.

إنى أتهم رجال الدين -وأنا منهم- وعزيز على أن أتهم نفسي ورفاقي وعهدي بهم أن يكونوا رجال ورع وتقى، ورشاد وهدى.

ومن بحث له عن «الإشترابية في الإسلام»:

لا ريب أن الإسلام يؤيد الملكية الفردية، والاقتصاد الإسلامى اقتصاد رأسمالى، له شأنه فى الإسلام، بل هو يقوم على الأسس الثلاثة: المصلحة الشخصية كهدف، المزاحمة كوسيلة، الحرية كشرط. ولكن قيام الملكية فى الإسلام على هذه الأسس ليس على إطلاقه، بل يصاحبها فى كل اتجاهاتها العامل الأخلاقى، فهو فى تلك الأركان الثلاثة عنصر جوهري فيها لازم لها، إن هدف الإسلام هو تكوين مجتمع مثالى، فالعامل الأخلاقى يسير معه جنبًا إلى جنب، بل يكون رائده، فإذا انحرف السلوك الاجتماعى رده العامل الأخلاقى بقوة الاستقامة ليكون ضابطًا عامًّا فى مصلحة المجتمع، وعلى هذا الاعتبار نجد أن العيوب التى أخذت على الأسس الثلاثة فى الاقتصاد الشائع فى أمريكا وفى أوروبا

ليس لها أثر في الاقتصاد الإسلامى، لأن المصلحة الشخصية فى الرأسمالية الفردية فى الغرب تحرف كل شىء يقف فى طريق الإنتاج أو العبث به، فهى لا تبالى بالعامل الأخلاقى، ولا بمصلحة المجتمع، بل هى تنكره، ولا تعترف عليه. أما الرأسمالية فى الإسلام، فإن مصلحة المجتمع عنصر لا غنى عنه فيها، كما أن الإسلام دين له منهج ثابت هو تطهير المجتمع من عوامل الفساد، ويمتاز بطابعه الذى يقرن الأعمال بالخلق والعقيدة، فلا ضرر ولا ضرار.. وهو يناهض تكديس الثروات، وتجميعها فى يد فئة قليلة، وحرمان الأكثرية من ضرورات العيش، ورنق الحياة، وما كانت الناحية الروحية فى القرآن الكريم إلا تهذيباً للأمم ليعيش الناس فى ظلال الأخوة والمساواة والمودة والأمن والاطمئنان، ويكون التعاون بينهم على الجد والتفانى فى الصالح العام، لذلك وضع دستوراً ثابتاً واضحاً يجعل الثروات رأسماليات متوسطة وصغيرة، فحث المسلمين على الإنفاق فى أكثر من سبعين آية، وفرض الزكاة فى مال الأغنياء للترفيه عن الفقراء والمساكين، ولقد قاتل الخليفة أبو بكر منكرها ومانعها، وجعل الإسلام إطعام الفقراء والتصدق على المساكين كفارة لكثير من الهفوات كما فى حث اليمين، وفى إفطار رمضان عمداً أو لعذر، وفى الظهار، وفى محظورات الحج. كما شرعه فى مناسبات كثيرة مثل يومى عيد الفطر والأضحى وغيرهما من المواسم الدينية. فى كل هذه الأحوال وغيرها جعل الإسلام التخفيف من ويلات الفقراء والعطف على المساكين، من سمات تلك المواسم والأحوال.

أضف إلى ذلك النظام الارثى فى الإسلام، فإنه يحطم الثروة ويفتتها تفتيتاً لا مثيل له فى أى قانون آخر. فالقانون الإنجليزى يحصر الثروة فى البكر من الأولاد، ويحرم من عداه، وبعض القوانين الأخرى تجيز الوصية لأى شخص كان بجميع المال، سواء أكان وارثاً أم غير وارث حتى للكلاب والقطط، وسائر الحيوان، أما الإسلام فيوزع أنصباء الإرث توزيعاً واسعاً فيعطى للقربات أنصبة متفاوتة، ولا يسمح لصاحب الثروة أن يتصرف فيها بالوصية إلا بالثلث، والثلث كثير، وهذا كله محافظة على التوازن الاقتصادى، ويقول الله تعالى فى سورة الحشر: ﴿كَفَى لَا يَكُونُ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾.

فأنت ترى أن الإسلام قد نحا بالاقتصاد منحى عادلاً، رعاية منه للمصلحة الاجتماعية، واجتناباً لطغيان الأغنياء ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ﴾ (٦) «أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَى» [العلق: ٦، ٧]. وهكذا نجد الدين الإسلامى قد وقف موقفاً رائعاً فى توزيع الثروة وتجزئتها إلى ملكيات متوسطة وصغيرة من غير إكراه، ليقى المجتمع شرور البطر من الأثرياء، والحقد والبغضاء من الفقراء.

والمزاحمة هى وسيلة فى الاقتصاد الغربى، وكانت عيباً من عيوبه، وهى أيضاً وسيلة للاقتصاد الإسلامى لكنها ليست عيباً فيه. فهى مختلفة فى النظامين، فما قيل من أنها تؤدى إلى دخول الرأسماليين فى السوق بغير أسلحة متكافئة، وأن المنافسة فى معركة الحياة الاقتصادية ليست متساوية كما هو معروف فى الاقتصاد الغربى - هذا الذى قيل - منفى فى الاقتصاد الإسلامى، فالإسلام قد قرب أصحاب الملكيات بعضهم من بعض بما شرعه فى نظام الوصية والإرث والزكاة، وجعل الإرث أنصبه متعددة، وشمول الزكاة ثمانية أصناف ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [التوبة: ٦٠].

ونضيف إلى ما قدمنا تحريم الربا لكيلا يثرى أحد من عمل على حساب غيره، وتحريم لعب الميسر لكيلا يثرى أحد بطرق الحظ. هذه الاعتبارات كلها إذا روعيت كعهد المسلمين من قبل لا تدع أحداً محروماً من سلاح يزاحم به مضمار الحياة، ففي الإرث يدور دولا ب تجزئة رأس المال باستمرار، ولا يجيء عام جديد حيث يبدأ صندوق الزكاة إلا ترى المال يدور فى أيدي جميع الأصناف، حتى من أثقلتهم الديون، فإن صندوق الزكاة يدفع عنهم مغارمهم، ويسلحهم من جديد ليدخلوا السوق آمنين مطمئنين، فأى ضمان للناس بعد هذا؟ وما عيب الرأسمالية فى الإسلام؟

أما الحرية التى هى شرط فى الاقتصاد الرأسمالى الغربى، وعدت من عيوبه، فإن هذا العيب منتف فى الاقتصاد الإسلامى، فالحرية فى الاقتصاد الغربى تسير مطلقة لا تقف عند حد، حتى انقلبت تلك الحرية إلى فوضى، مما اضطر أصحابها

إلى إتلاف الحاصلات أحياناً للاحتفاظ بالأسعار العالمية، أما هذه الحرية في الاقتصاد الإسلامى، فمقيدة بقيدى هما: العامل الأخلاقى والمصلحة الاجتماعية، ويتدخل ولى الأمر فى السوق حين يرى تنكب التجار أصول التعامل، ويضرب بيد من حديد على أيدي المحتكرين المتحكمين فى الأسواق، والعازفين عن المصلحة العامة، وكان عمر بن الخطاب يمشى فى الأسواق ومعه الدرة يؤدب بها ذوى الأثرة والطامعين فى الكسب الحرام. والحسبة معروفة فى الإسلام، وكان رجالها يقام لهم فى الأسواق وزن واعتبار.

فأى نظام نجده نزيهاً وعادلاً كنظام الاقتصاد فى الإسلام؟ إن الإسلام قد امتاز فى نظامه عن الشيوعية والاشتراكية، فالاقتصاد الإسلامى رأسمالى فردى من نوع خاص، قد جمع خير ما لدى الشيوعية والاشتراكية، وتجنب عيوبها، ولكن كثيراً ممن أخذوا بزيف المدنية الغربية يشيدون بالاشتراكية، التى تضمنت المساواة فى لذة العيش، وبسطة الحياة، من غير تفرقة بين سوقة وسادة، وأغنياء وفقراء، وهى مذاهب وضعية خاضعة للتجارب والتعديل والتغيير، كما هو حادث فعلاً، والاشتراكية الصحيحة المعقولة فى الإسلام الذى يضمن للعاجز العيش، وللعامل الكسب، وللفقير القوت، وللمريض الصحة، وللعالم كله أمناً وسعادة، والاشتراكية الصحيحة المعقولة هى فى الإسلام الذى يشعر المسلمين بأنهم أسرة واحدة، وأنهم جميعاً كأسنان المشط وأنهم تتكافأ دماؤهم، ويسعى بدمتهم أديانهم، وأنهم «كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر». هذه هى الاشتراكية فى الإسلام. فأين منها تلك المذاهب الحديثة المادية المتداعية الواهنة.

الشيخ عبد الحليم قادم

فى ديسمبر عام ١٩٥٣ توفى المغفور له الشيخ عبد الحليم قادم أستاذ كرسى التفسير فى كلية اللغة العربية بالأزهر الشريف، وقد عرفت الشيخ قبل هذا التاريخ بنحو ستة عشر عاماً حينما دخلت عليه فى لجنة من لجان الامتحان الشفوى، فسألنى وأجبت، ثم بعد حين رأيت تقديره لى فى الشهادة التى استلمتها، وفى

عام ١٩٤٠ كنت في الفرقة الأخيرة، وكان الشيخ يدرس لنا بلاغة عبد القاهر الجرجاني في كتابيه أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز، فلم أر ذوقاً أصفى من ذوقه، ولا بياناً أنصع من بيانه، ولا تحليلاً لأسرار كتابة عبد القاهر في النقد الأدبي مثل تحليله. . . ومن قبل ذلك طالعت كتابين مطبوعين للشيخ: أحدهما في المنطق، والثاني في الحديث. فوجدت فيهما المؤلف ذا مواهب نادرة قلما تكتمل في عالم، من عمق الدراسة، وكثرة الإحاطة بالآراء والمراجع، ودقة الفهم، وبراعة التعبير، وزرت الشيخ في منزله في فترات متباعدة فوجدت نفسى حيال شخصية لطيفة جذابة تختلف عن شخصية الشيخ العلمية، وكان يقيم في منزله كل أسبوع حلقة علمية يدرس فيها كتب الأخلاق والتصوف والتفسير والحديث وفي مقدمتها الإحياء للغزالي، وكانت هذه الحلقة عامة للمستمعين من الناس، وفي مقدمتهم أهل (منشية الصدر) الذين كان الشيخ يسكن بينهم. . . ثم كنت مدرساً بمعهد الزقازيق الدينى، وكان الشيخ شيخاً للمعهد، فوجدت من الشيخ خبرة واسعة بشئون إدارة معهد كبير مثل هذا المعهد، كما كنت أجد لطفه مع الأساتذة، وحنوه على الطلاب، مالا يتسع المقام لتفصيله، وكان الشيخ من قبل مفتشاً عاماً بالأزهر فكانت له أعمال محموددة في التوجيه العلمى والدينى.

وقبيل وفاته مرض مرضاً خطيراً ألزمه الفراش، واستمر في العلاج ومقاساة المرض، إلى أن استأثرت به رحمة الله فى أواخر عام ١٩٥٣. . . تاركاً وراءه ذكريات لا تنسى، وتراثاً عالياً عزيزاً على كل من طالع فيه.

وقد درس الشيخ فى معهد الإسكندرية الدينى، ونال العالمية عام ١٩٢٤ من الدرجة الأولى، وعين مدرساً فى الأزهر، ثم اختير مدرساً فى كلية اللغة منذ بدء إنشائها، ثم اختير مفتشاً، فشيخاً لمعهد الزقازيق الدينى، فأستاذاً للتفسير فى كلية اللغة العربية.

عبد العزيز المراغى

هو شقيق المراغى شيخ الأزهر، توفى صباح الخميس ١٦ نوفمبر عام ١٩٥٠ م. فخباً بوفاته نجم لامع، وتوارت ومضات أمل ضاحك. وقد لاقى ربه بعد مرض لم يمهله، ولم يشفق عليه، وهو شاب القلب، فتى الفؤاد، يقظ الرأى، موثب الرجاء.

يقول عنه صديقه الأستاذ محمود رزق سليم:

كان عبد العزيز واسع الأفق في نواحي من الحياة كثيرة، فقد هيات له ملابساته -مع ذكائه وفطنته- أن تكشف له كثيراً من حقائقها، كما دفعته إلى تجربة الأمور وملاحظاتها. فاكسب من وراء ذلك مرانة وخبرة، وحنكة وحسن بصر بالأمور ومعالجتها. وقد كان منذ صغره شغوفاً بأخيه الأستاذ الشيخ المراغى، يرى فيه نموذجاً يقتدى به، وقد جمعت بينهما ظروف الحياة، أكثر مما تجمع بين شقيقين. فرحل معه إلى السودان، وتعلم بكلية غردون. ثم عاد إلى مصر فاندمج في سلك طلاب الأزهر، مبرزاً بينهم حتى تخرج منه بأرقى شهاداته حينذاك. وأرسل في بعثة علمية إلى إنجلترا، فلبث بها زهاء خمسة أعوام، ازداد فيها علماً بالحياة، ومعرفة بمذاهبها ومآتيها. وتخصص في دراسة التاريخ الإسلامى وتاريخ الأديان، وهما من أهم المواد الثقافية صقلاً للأذهان، ودعماً للتجارب وتبليغاً إلى الحق.

ولما بلغ أخوه الأكبر مرتبة المشيخة الجليلة، للمرة الثانية، كان عبد العزيز - وبخاصة بعد عودته من إنجلترا- أشد سواعده القوية، ومن أقرب مستشاريه إلى نفسه، فحمل معه شيئاً من العبء، على مقدار طاقته وجهده. وطبيعى أن يصبح في ذلك الحين، موضعاً للأمل والآملين، كما كان محطاً للنقد والناقدين.

وقد استطاع عبد العزيز في هذه الحقبة -وهو على كثر من أمور الأزهر- أن يدرسها ظاهرها وباطنها، صريحها ومؤولها، وأن تتكشف له منها مواضع الداء وأن يقدر لها الدواء. ولا أغلو حينما أذكر أن حذب عبد العزيز على الأزهر، وشغفه به، وأمله القوى أن يسمق بنياته، وترتفع أركانه، كان شيئاً فوق مكنة الطالب الذى يعشق معهده، ويتعصب له.

وقد عرف فيه إخوانه دماثة الخلق، والمرح، وبشاشة الوجه، وابتسامة الثغر، وعفة اللفظ، كما كان مطاوعاً لكل ذى حديث، ولو كام فيه إملال. لا يصدده عنه إلا بكيس ورفق، وربما نعى عليه بعض خلطائه أنه يلقى عدوه كما يلقى صديقه، فلا برم ولا تنكر -وما كانت هذه منه إلا لرحابة صدره وحسن سياسته، وحب

لتلافى ما استطاع باللفظ تلافيه . ولذلك ظل كثير ممن يقدرونه ويحملونه عليه ، يبجلونه لذاته ، ويحبونه لشخصه ، ويلقونه لقاء الإخوة الكرام .

ولما اختير إماماً لمعية الملكية تفتحت له من الحياة سبل جديدة ، ازداد بها مرانة ومعرفة ، وأخذ يخطو ويبرز نحو الصفوف الأولى بين رجالات الوطن . وكان إذ ذاك حركة دائبة ، يؤدى واجبه الدينى ، ويلقى دروسه وخطبه ، ويذيع فى المذيع ، ويكتب فى المجلات ، فى الأمور الدينية والاجتماعية والتاريخية .

وقد كان عبد العزيز عالماً أزهرياً ، بالمعنى الذى يفهمه التاريخ والعرف ، ومرجع ذلك - فيما أعتقد - إلى حبه العميق للأزهر ، وما فى الأزهر من علم ، وما له من تقاليد .

وأهم خصوصيات العالم الأزهري - فضلاً عن معرفة الشريعة الغراء - حبه الجدل والمناقشة ، وقدرته على سوق الحجة والدليل ، وعدم تسليمه لخصمه فى سهولة ويسر . وقد كان عبد العزيز فى ذلك ، من الطراز الأول ، وبالتدليل والتعليل ، والموازنة ، حتى يصل إلى قرار الحق . ويشهد بذلك تلاميذه الكثيرون فى كليات الأزهر ، وأصدقاؤه أعضاء لجنة الفتوى وكان زميلاً لهم ، قد لمسوا فيه هذه الخصوصية ، خلال عضويته بها .

وكان ضليعاً فى معرفة الشريعة السمحة وأحكامها ، خبيراً بمذاهب أئمتها على اختلافهم ، بصيراً بمذاهب الكلاميين من فقهاءها ، وقد أخرج كتاباً فى حياة «تقى الدين بن تيمية الحرانى» ، ألقى فيه ضوءاً على جهاد هذا العلامة فى سبيل دينه ، موضحاً عقيدته ، مبيناً أنها عقيدة السلف ، وأنها بعيدة عن مزالق المبتدعة من متطرفى الحنابلة .

وقد كان مؤرخاً واعياً لتطورات التاريخ الإسلامى وتقلب دوله ، منقباً عن ذلك فى كتب التاريخ الإسلامى : العربى منها وغير العربى .

وكان أديباً متذوقاً . فقد أوتى حافظه قوية كنت أغبطه عليها ، ملمة بشتى عصور الأدب وتقلباتها وحوادثها إماماً محموداً ، وكثيراً ما تجود بالأبيات والطرف الأدبية والأمثال ونحو ذلك عند أدنى مناسبة . . وكان يطرب للدعابة اللطيفة

والنكتة الرائعة -ولو على حسابه- ويأخذ حينذاك سبيله إلى المرح قائلًا: «لقد قتلنا كثرة الجد»، ولكنه سرعان ما ينحدر إلى سوق الحكم، والنعى على الدنيا، مع الرضا والاستسلام لقضاء الله وقدره.

وكان كثير البحث عن مظان اللغة، يحفظ من ألفاظها عددًا تكتز فيه المعاني، أو يعبر عن المعاني الغربية أو المستحدثة، ويعنى بالألفاظ الطوافة في اللغات، وما كسبته في كل لغة من المعاني. وأغلب الظن أن في مسجلاته كثيرًا منها.

ولا نقول جديدًا إذا نوهنا بدروسه الدينية وخطبه المنبرية، فإنه أسبغ عليها سمة من التجديد، وغذاها بما تفيض به نزعته الأدبية وثقافته الواسعة، فخرجت بجديد أسلوبها ومعناها، عصرية بريئة من السمات التقليدية القديم. ومنذ سنوات أخذ على عاتقه إخراج كتاب من أهم كتب الحديث والفقه والقضاء الإسلامي، وهو كتاب «أخبار القضاة» لمحمد بن خلف بن حيان، المشهور بوكيع، استعار نسخته الشمسية الوحيدة، وأنفق فيها النفيس من وقته، والمرجو من راحته، حتى استقام له تقديمها إلى المطبعة. فأنجزت منها جزءين وبقي جزآن.

وقد عنى في الكتاب بالتصريح والتعليق وشرح الغامض وتخريج الأحاديث، بما يشعرك بعلمه الغزير وأدبه الجم وإحاطته بمسائل الفقه ومواضع الحديث وومضات الأدب. وبما يشعرك بصبره وبإلغ جهده في سبيل خدمة دينه وشريعته.

وقد توفي بعد الشيخ بقليل أخوه الأكبر الشيخ أحمد مصطفى المراغي صاحب «تفسير القرآن الكريم» المسمى تفسير المراغي، وسواه من الكتب وذلك عام ١٩٥٢م.

الشيخ فكري ياسين

هو أحد علماء الأزهر الأجلاء.. كان رحمه الله هينًا لينًا مهذب النفس، بعيدًا عن اللغو واللهو، وكانت همته مصروفة إلى زيادة مادته العلمية، بمعالجة المسائل الاجتماعية الكبرى بالتحليل الدقيق تحت ضوء الدين والعلم، فكان في كل ما يكتبه مفيدًا لقارئه يأتي له بشيء جديد، وهذه ميزة علمية نادرة.

ولد -رحمه الله تعالى- ببلدة قصر هور مركز ملوى في ٢٤ يناير ١٨٩٧، وهو من أسرة مشهورة بالعلم، فوالده كان من العلماء، وجده كان عالمًا.

وقد تعلم فى الأزهر، ونال الشهادة العالمية النظامية منه سنة ١٩٢٥، ودرس فيه علوم اللغة والأدب على المرحومين الشيخ سيد على المرصفى -الذى كان معروفاً بشيخ اللغة فى ذلك الوقت- والشيخ مصطفى عبد الرازق، والشيخ مصطفى القاياتى، وتلقى كثيراً من العلوم الأخرى، مثل الفقه والأصول والبلاغة والنحو والتصريف وعلوم القرآن والسنة والفلسفة والمنطق وغيرها عن كثير من علماء الأزهر البارزين فى ذلك العصر، من أشهرهم الشيخ محمد بخيت والشيخ محمد حسنين والشيخ حسين والى.

وكان يزاول الكتابة والتحرير فى الصحف والمجلات وهو طالب، وكانت أول مقالة نشرت له فى جريدة النظام عن إصلاح الأزهر، ثم واصل الكتابة بعد ذلك، إلى أن جاءت الحركة الوطنية فى سنة ١٩١٩ فاشتراك فيها واعتقل، وأدكت فيه روح الحمية والنشاط، وزاد إقباله على الكتابة ومتابعته لها، وكانت أكبر عنايته فى الكتابة موجهة فى ذلك العهد إلى إصلاح الأزهر، وإلى الشئون الإسلامية، وحرية الوطن فى جهاده المقدس آنذاك ضد الغاصب المحتل، ولقد كان هذا الجهاد باعثاً لزملائه فى الأزهر على أن يعتبروه رائداً لهم فى المناداة بالآراء الإصلاحية، وقد جر ذلك عليه متاعب كثيرة، فلقد كان أول طالب فى الأزهر أحيل مع زملاء له على المجالس التأديبية سنة ١٩٢٤، ولقد رأى الأزهر فى ذلك الحين أن تكون لهم لجنة تمثلهم وتتكلم باسمهم، فاختاروه رئيساً لهذه اللجنة، وكانت مهمتها الدعوة إلى إصلاح الأزهر.

وفى سنة ١٩٢٦ عين مدرساً فى الأزهر، وأسند إليه تدريس مادتي الأدب والتاريخ فوضع فى المادة الأولى مؤلفاً فى جزئين، ووضع فى المادة الثانية مؤلفاً فى ثلاثة أجزاء، واختير إلى جانب ذلك سكرتيراً لجمعية الهداية الإسلامية، ومحرراً بمجلتها، وفى سنة ١٩٣١ فصل من الأزهر مع عدد كبير من العلماء، فصلهم المرحوم الشيخ الظواهرى، وكان منهم الشيخ الزنكلونى والشيخ العدوى والشيخ دراز والشيخ شلتوت والشيخ فكرى، ولقد كان هذا الفصل سبباً قوياً فى نشاطه فأخذ ينشر آراءه فى الجهاد والبلاغ والكوكب والسياسة اليومية والأسبوعية والوادي، وفى فبراير سنة ١٩٣٥، أعيد إلى التدريس فى الأزهر وندب مع قيامه بالتدريس فى القسم الثانوى سكرتيراً للجنة الفتوى، وفى سنة

١٩٣٨ اختير مدرّساً بكلية الشريعة ثم وكيلاً لمعهد قنا، ثم أعيد إلى كلية الشريعة، وجاء الشيخ مصطفى عبد الرازق فنقل من الكلية إلى معهد الزقازيق، ثم أعيد إلى الكلية مرة أخرى حتى جاء المغفور له الأستاذ الشيخ مأمون الشناوى، وكان قد خبره وعرف فيه مراقباً مساعداً لمكتب البحوث والثقافة بالأزهر.

وقد كتب فى جملة موضوعات علمية نافعة منها «غريب القرآن» و«أعلام القرآن» و«التجارة فى الإسلام، والفقه والفقهاء» وفى بحوث قيمة أخرى، ووضع رسالة فى الحديث لم تطبع بعد. وقد قام بالكتابة فى السنة المحمدية عن الأحاديث النبوية. فى مجلة لواء الإسلام من أول إنشائها إلى يوم وفاته، كما قام بالتحريـر فى باب السنة المحمدية أيضاً بمجلة الأزهر، وقد كتب أكثر من ألف مقال فى الصحف فى مصر وفى صحف سوريا وتونس والعراق والبلاد الشرقية. . وكان رحمه الله كريم الخلق عف اللسان محباً لطلابه محبوباً عندهم رحيماً بأهله وأقاربه عطوفاً عليهم.

وقد توفى -طيب الله ثراه- فى الساعة الرابعة بعد عصر يوم الثلاثاء ٢١ من ربيع الثانى سنة ١٣٧٠هـ- الموافق ٢٩ من يناير سنة ١٩٥١م.

الشيخ نافع الخفاجى

حفيد العلامة الشيخ نافع الخفاجى الكبير

ولد يوم الجمعة ٢ شوال سنة ١٣٢٢هـ، الموافق ديسمبر سنة ١٩٠٤م . ثم تعلم الكتابة وحفظ القرآن الكريم، وذهب إلى المعهد الأحمدي بطنطا سنة ١٩١٩م ليتعلم فيه وأخذ منه الابتدائية عام ١٩٢٣م، ثم كان قد أنشئ فى ذلك الحين معهد فالتحق به واستمر فى دراسته إلى أن أصيب بمرض عصبى عضال كان يحول بينه وبين المشى وحده، فأخذ يعالج نفسه منه ولكن العلاج لم يجد شيئاً، اللهم إلا فى تأخير زحف المرض على صحته، ثم أخذ الثانوية من الخارج من معهد الزقازيق عام ١٩٢٨، الموافق سنة ١٣٤٦هـ، ثم التحق بالقسم العالى بالأزهر، ونال منه شهادة العالمية فى يونيو سنة ١٩٣٢م الموافق سنة ١٣٥١هـ.

وعاد العالم بعد ذلك فأقام بالقرية يطالع في أسفار الأدب وينظم القريض ويعالج نفسه من مرضه العضال، ثم تزوج في سبتمبر ١٩٣٩م، ووافاه أجله المحتوم في ١٣ أغسطس سنة ١٩٤٠م الثلاثاء ٩ رجب سنة ١٣٥٩هـ- وكان شاعرا مجيدا.

نماذج من شعره -قال في الغزل:

رويدا مهجتي هذا الأنيس	لعمري كاد يقتلني الحنين
أحن إلى مغان شمت فيها	يروق الصدق يتلوها الهتون
مغان ليلها عندي قصير	يقصر طول له نوم رصين
وإن غاب الكرى فالسهد حلو	ياخذان تساليهم فنون
ندامى لا يجالسهم بثيس	يجوس خلال جدهم المجون
من السممر البريء لنا مدام	تطير به من الرأس الشجون
ومن ضحكاتنا نغم لذيذ	كقصر الكأس يتبعها رنين
تخالس دهرنا لمحات	فتسهل في مسالكنا الحزون
ونجنى من فم الدنيا ابتساما	كغصن الزهر تجلوه الفصون
ووجه زماننا حسن بشوش	تلاشت من نظارته الفضون

وقال في قصيدة عنوانها «أين الصباح»؟

طلت باليل فأين الصباح	والكرى خاصم عيني وراح
طلت باليل على مغرم	مسبل الدمع طويل النواح
رب ليل لم يكن شملنا	يتلاقى فيه والديك صاح
وسواء طلعت أم لم تطل	ليس بالليل عليك جناح
لست أنسى فيك حسن اللقاء	وعلينا منك ستر وجناح
واجتماع فيك أخفيتته	عن رقيب وعذول لاح

فيك من ليلي شبيه لها
فيك شهب كلحاظ المها
في سكون الليل كم أهة
في سكون الليل كم مدنف
لا تلوموا الليل في طوله
يحمل الطيف لأهل الهوى
يكتم السر ويخفي الجوى
أيها الليل لك الشكر من
يا نجموم الليل لا تنكرى
فاحملى عنى سلامى لمن

وقال من قصيدة أخرى:

بحسبك ما أشكو وما أتوجع
فيا للنوى، لا بارك الله فى النوى
فيا جميعا ثم أصبح شملنا
نكلفنا الأيام مالا تريده
لقيت هوانا فى الهوى وسل الدجى
ولى مهجة ذابت من الوجد والجوى
رعى الله عهدا كان بالأمس ناصرا
شربنا كؤوس الحب حتى ثمالها
ولم ترتكب فى الحب ذنبا يسوءه
وإن أنسى م الأشياء لا أنسى قوله

قمر يحكى وجوه الملاح
تلك فى قلبى، وذى فى السطاح
من فؤاد أن وجدا وناح
هاجت الذكرى عليه الجراح
بخفايا السر ليل باح
أيها العشاق أين السماح؟
إن يكن جفن المحب استراح
عن وشاة السوء خوف افتضاح
كل قلب فيه حب صراح
أن عيني والكرى فى كفاح
هو لى روح وراح

زفير وآهات وسهد وأدمع
وقلبي من حر النوى يتقطع
شيئا كان لم يحتو الشمل مجمع
وطبع الليالى صدع ما يتجمع
ونجم الدجى إن كنت فى الليل أجمع
وطارت بخاراً أينما هب يتبع
غدا وهو مطموس المعالم أصلع
ولم يبق فى قوس الصبابة منزع
سوى أن نفسينا إلى الطهر تنزع
غداة النوى: هل على البين تزمع

فقال فؤادى عن فؤادك يسمع
ويوم النوى شهر وعام أظن
تأكد بأنى رغم أنفى سأجرع

والحظ ما شاء قد شاء الله
ولا الزمان وفيق فى سحايه
مضى أرى ضعفه يحتل مأواه
فزاد وارده شوقا لمرعاه
كأنما أنا وحدى كل أعداه
بعطفها ذكر مجنون ليلاه
والليل واليوم فى الظلماء أشباه
أرى فضيب شقاء كنت أنساه
إخوانه ليقيموا فى رعاياه
أى امرئ نال منها ما تمناه؟
ورفع كتفه وزن خفض أخراه
وطائش السهم أصمى الحظ مرماه
وحامل القدر حسن الحظ رقاها
وكم كسول له من جهله جاء
وكل ذى قدر لا بد يلقاه
ماذا أتى الشاه حتى أنه شاه
سما مسوقا ولم يعمل لمرقاها
وليس يعلم ساع غب مسعاه

فقلت وما أدراك والعزم فى الحشا
فقلت له: حيناً، فقال: يخيفنى
فقلت تجلد قال: جهدى وإنما
وقال فى شكوى الزمان:

أواه من عـشـرات الحظ أواه
لا الحزن يجدى ولا حظى يساعفنى
أرزاء شتى إذا ما خلت أصغرها
تترى دراكا كطير طاب موردها
يلج صرف الليالى فى معاكستى
خطوب دهرى لا تنفك تذكرنى
فالحزن والسهل فى سبرى سواسية
كلما قلت لما استحكمت فرجت
إن غاب عنى شقاء جاء مصطحبا
ما حيلتى وهى الدنيا وسلطتها
نصيب كل امرئ فى عكس همته
ورب ذى عزيمة تنبو مضاريه
ونابه النفس سوء الحظ أحمده
وكم حريص له من علمه صفة
هى المقادير لا سعى ولا كسل
انظر إلى قطع الشطرنج إذ نحتت
كم بيدق مات لم يذنب وصاحبه
كذلك الكون لم تعلم عواقبه

الدهر علمنى الشكوى فقمتم بها
أشكو الزمان وفى الشكوى رفاهية
وقال:

طوعًا وكرهًا وخير العلم أفشاه
وما علاج شقى غير شكواه

حرام على عينيك أن تتنازعا
أفر من اليمنى ليأذا بأختها
أرى لك لحظًا كالقذيفة لو رمى
بمعينيك ومض كالشهاب إذا هوى
إذا نظرت عيناك أبصرت فيهما
لحافظك من حظى سوادا وقوة
أخاف نفارا حين أرجو تعطفًا
دلالك أخشى أن يكون ملالة
حنانيك إنى قد ثكلت سعادتى
ظننت هنائى فى الهوى فأتيته
سهاد وأشواق وسقم وحسرة
ولو كان لى فى الجاذبية حيلة
فلو رمت سلوى بالنوى لتوترت
يزيد الهوى قبضًا بقلبي كلما
وللحب مغناطيسه واجتذابه
فيضعف ذا بالبعد والحب شأنه
بحسبك يا ليلى غرام زرعت
سفحت دموعى فى غرامك مرغما

فؤادى إلى أن صار نهبا موزعا
فتطعتنى اليسرى فأرجع موجعا
يميل من العشاق ليتا وأخدعا
فيحرق أكبادا ويحرق أضلعا
لذاذة نفسى والعذاب المبرقعا
وأبيضه يبدو ويذهب مسرعا
وأخشى فراقا حين أبغى نجما
وحبك أخشى يكون تصنعا
وذبت غراما واحترقت تفجعا
فلم أر إلا لوعة وتصدعا
فيا أسفى إنى سأقضى توجعا
لكنت من السلوى جمادا وأفظعا
حيال الهوى لكنها لن تقطعا
بعدت كحبل كلما شد قطعا
يحالف قانون التجاذب موضعا
يزيد احتياجا لو تباعد موضعا
فأتيت أشجانا وأثمر أدمعا
على حين أنى ما هويتك طيعا

إلى أن غدا قلبي من الحب مترعا
وأطلقت عبداً في جمالك مولعا
فشار وكادت أضلعي أن تصدعا
وأعيت يأساً واشتفيت تطلعا
ولو لى آمال لعشت ممتعا
سوى أن أرى وجه الحبيب وأسمعا
فأقطف من خديه وردا تضوعا
فإن زاد بي وجدى صحوت وودعا
وأنت دجى بدر وشمس ضحى معا
تبارك ربى فى جمالك مبدعا
على الله حتى لا أضل فاخذعا

وأبت ولم أظفر بما أطلب
ورحت إلى أفلاكها أثوب
عبابا من الآمال أطفو وأرسب
جميلاً ولكن فيه سر محجب
تألق لى أم أن برقك خلب
تفر من النحس البغيض وتهرب
وهل لى من البؤسى مناص ومهرب
ويدنو من الآمال ما أترقب
ونور نهارى من مشاكبه غيب
لعشت سعيداً لم يضق بى مذهب

فما كدت ألقى نحو وجهك نظرة
سحرت فؤادى وامتلكت زمامه
عنتت على قلبى جواه وذله
سكرت غراما وانتشيت صبابه
ومن عجب آلام حصى لذية
أحب ولا أرجو من الحب غاية
وحسبى إذا أغفيت طيف يزورنى
أقبل فاه أو أضم خياله
أحبك يا ليلى بدون ملالة
وأنت المها والغصن والدر والطلا
عبدتك يا ليلى وحسبك دلى
وقال:

ذهبت ومن رام المعالى يذهب
سميت إلى العليا غاية طاقتى
سبحت على بحر المجرة ماخرا
رصدت السهى حيناً فأبصرت طالعى
فيا طالعى بالله هل من هناة
وهل مطمئن أنت أم أنت خائف
وهل لى إلى النعمى سبيل موصل
أسمعنى الآمال بعد مطالها
إزاء شقائى مطعم الصاب كالجنى
ولو لم أصادف سوء حظى وشؤمه

يسمونه حظا وجدا وطالعا
مقادير شتى والمقدر واحد
له المثل الأعلى وفي كل ذرة
هنالك شيء كل فكر يحسه
هو الله سماه الطبيعي قوة
ومن شأنه فينا الظهور بفيضه
أجهل روى ثم أعلم ربها
ستنظر وجه الله في الخلد ظاهراً
نراه بإحساس بديع مخصص
هنالك يبدو كل حسن مذكماً
عن المثل والأضداد جل جلاله
وما الكون إلا ذرة فوق ذرة
فكل بكل في نظام مدبر
بدائع إحكام وإتقان صانع
تمنيت موتاً ليس فيه جهنم
وكيف حياة المرء ناء بعبئه
وكيف حياة المرء عى طبيبه
برمت بآمالى وعفت نجملى
ولو نلت من عين العناية نظرة

وأما المسمى فالقضاء المغيب
مشيئته كالسيف بل هى أثقب
من الكون سر بالتأله يعرب
ويلمسه الوحشى والتهذب
وطبعاه وفي علم الأثير ترب
وآثاره، والشأن فينا التعجب
ضلال غريب والتثبت أغرب
كما هو يجلوه الجلال فنطرب
يطيب خيالاً والتحقيق أطيب
وكل ارتياح غير ذلك متعب
وراجى سوى التوفيق منه مخيب
سماء وأفلاك وأرض وكوكب
جماد وحى، كل شيء مرتب
فسبحانك اللهم أنت المحجب
وإلا فعبثاً لست فيه أعذب
وجمر الأسى فى صدره يتلهب؟
وأعضله الداء العقال العصوصب؟
وملّ جليس ما أقول وأكتب
فما مربى عذب وما بعد أعذب

أزهيون فى سجل التاريخ

ومن أظهر الشيوخ الذين قضوا نحبهم: الشيخ سيد على المرصفى إمام علماء اللغة والأدب فى مصر ومن هيئة العلماء، وصاحب (شرح الكامل)، وشرح

(ديوان الحماسة)، وشرح (أسرار البلاغة)، وغيرها. . وقد توفي في ١٢ فبراير سنة ١٩٣١ م.

ومنهم الشيخ عبد العزيز البشري نجل الشيخ سليم البشري شيخ الأزهر الأسبق والقاضى الشرعى النابه، والمؤلف الكاتب المحدث اللبق الممتاز، وصاحب (المرآة) (والمختار) وسواهما، وقد توفي في ٢٥-٣-١٩٤٣ م.

وللأزهري فضل على كثيرين، ممن جلسوا في حلقاته العلمية، وإن لم يكملوا ثقافتهم فيه، وهؤلاء عدد كبير لا يحصون، ومن أوائهم الشيخ أحمد على السكندري، وقد توفي في ١٩ أبريل ١٩٣٨ م، وكان عضواً في المجمع اللغوى بالقاهرة، وأقام المجمع في ١٣ يناير ١٩٣٩ م حفلة تأبين له وللمستشرق الإيطالى نلينو (١٨٧٢هـ - ١٩٣٨ م) بدار الأوبرا.

والسكندري كان طالباً بالأزهر، وتخرج من دار العلوم، ثم عمل مدرسا في المدارس الأميرية، فناظر المدرسين المعلمين. وكان يؤمن باللغة العربية، وبقدرتها على استيعاب المعانى المتجددة التى تأتى بها الحضارة، حتى فى الكيمياء والطب، واختير عضواً فى المجمع اللغوى بعد إنشائه بقليل، وله كثير من المؤلفات العميقة، ومن بينها كتاب فى الأدب العباسى، كما أنه اشترك فى تأليف الوسيط، وفى كتب أخرى.



الباب الخامس

صور من الأزهر القديم والحديث



الفصل الأول: الاجازات العلمية من الأزهر قديماً وحديثاً

تمهيد:

-١-

أوقاف قديمة للأزهر:

فى كتاب الخطط للمقرئزى^(١) نص سجل الوقف الذى وقف «الحاكم» بمقتضاه أملاكه بمصر والقاهرة على الجامع الأزهر ودار الحكمة وبعض المساجد الأخرى، وقد مضى تلخيص لهذا السجل فى هذا الكتاب^(٢).

-٢-

أول درس للسيوطى الأزهرى:

فى عام ٨٦٧هـ ألقى السيوطى العالم الأزهرى بعد تخرجه من الأزهر أول درس له. وقد عرض له الشيخ مصطفى عبد الرازق فى حديث له فى محرم عام ١٣٦٥هـ ومما جاء فى كلمته عنه:

منذ حوالى خمسمائة عام ألقى العالم الشهير «جلال الدين السيوطى» المتوفى سنة ٩١١هـ أول درس من دروسه حين أجلس للتدريس، بحضور شيوخه وكبار القضاة والأفاضل فى عهده، وقد ألقى هذا الدرس فى جامع شيخون المسجد المعروف فى هذه العاصمة. وفى دار الكتب الأزهرية مخطوطة تجمع مؤلفات ورسائل للجلال السيوطى رحمه الله. وورد فى هذه المجموعة أنها بخط المؤلف. ومما حوته هذه المجموعة رسالة جاء فى أولها: «تصدير مبارك ألقته يوم أجلس للتدريس بجامع شيخون رحمه الله، بحضرة شيخنا قاضى القضاة شيخ الإسلام علم الدين البلقينى وجماعة من القضاة والأفاضل، وذلك يوم الثلاثاء، تاسع ذى القعدة سنة ٨٦٧هـ، وقد مضى من عمرى ثمان عشرة سنة وأربعة أشهر وثمانية أيام والحمد لله». وهذا الدرس الذى ألقاه السيوطى فى مفتتح عهده بالتدريس هو فى تفسير آية من سورة (الفتح) الكريمة.

(١) ج٤ ص ٤٩-٥١- الطبعة الأهلية.

(٢) ص ٢٨-٣٠ ج١ الأزهر فى ألف عام. هكذا كما ورد فى الطبعة الأولى والثانية.

وهذا التصدير على صغر حجمه يفيد الباحثين في تطور الدراسات الإسلامية وأساليبها، وفي الطرق التي كانت تعتمد عليها مدارس المسلمين في إجازة طلابها وتخريجهم، وقد بدأ المؤلف درسه بذكر المراجع التي طالعها فقال: «طالعت على هذا التصدير الكشاف وتفسير الإمام الرازي وتفسير الإمام ابن العربي والبحر لأبي حيان وأسباب النزول للواحدى وتفسير السخاوى ونبوع الحياة لابن ظفر وصحاح الجوهري، والخطبة إلى آخرها من كلام الإمام الشافعى رضى الله عنه يعنى من خطبة، الرسالة،... وبعد أن حمد الله بما حمد به الإمام الشافعى فى صدر «الرسالة» وصلى على النبى وآله قال: «رضى الله عنه وعن السادة الصحابة أجمعين وعن إمامنا الشافعى المطلبى وسائر الأئمة وعن سيدنا ومولانا شيخ الإسلام ووالده شيخ الإسلام وسائر مشايخنا والسادة الحاضرين وجميع المسلمين، ثم قال: «أما بعد فقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ (١) لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (٢) وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ [الفتح: ١-٣]».

الكلام على هذه الآية من جهات: الأولى سبب النزول ومكانه وزمانه، والثانية علم اللغة، والثالثة علم الإعراب، والرابعة علم المعانى، والخامسة علم التفسير. أقول: قدمت أولاً الكلام على النزول وما يتعلق به، ومناسبة تقديمه ظاهرة، وثبتت باللغة وقدمتها على الإعراب، لأنها تبين المعنى، والإعراب فرعه ومتوقف على معرفته، وثلثت بالإعراب وقدمته على المعانى الذى هو ثمرة الإعراب، ثم تلاه المعانى، ولما انتهيت من الأدوات ذكرت المقصود بالذات من الآية وهو التفسير وبيان المراد، ثم ختمت بالنهاية وهو علم التصوف، وهذا ترتيب حسن لطيف.

وبدأ بالكلام على سبب النزول وما يتعلق به نقلاً عن الواحدى، ثم تكلم عن اللغة فبين معنى النصر والبيان والمغفرة والذنوب والنعمة والهدى والصراط المستقيم والعزیز. وذكر بعد ذلك ما يتعلق بالآية من جهة الإعراب، ثم ما يتعلق بها من جهة علم المعانى. ثم قال: وأما ما يتعلق بها من جهة التفسير، قوله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا﴾، فى المراد بالفتح هنا أقوال: أحدها فتح مكة واختاره الفخر الرازى من

الجميع وأبو حيان، والثاني عام الحديبية عند انفكاكه منها، والثالث قاله مجاهد فتح خيبر وفي بعض الآي ما يدل عليه، والرابع قال الضحاك: والمراد فتح الله بالإسلام والنبوة والدعوة بالحجة والسيف، ولا فتح أبين منه وأعظم، وهو رأس الفتوح كلها، إذ لا فتح من فتوح الإسلام إلا وهو عنه ومشتق منه. الخامس قال غيره: المراد نصر الله تعالى على أهل مكة بعد أن أوحى إليه: إنك تدخلها أنت وأصحابك من قابل لتطوفوا بالبيت. قوله: ﴿مَا تَقَدَّمُ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تُأَخِّرُ﴾ [الفتح: ٢] قال ابن عباس: ما تقدم قبل النبوة وما تأخر بعدها. وقال غيره: ما وقع وما لم يقع على طريق الوعد بأنه مغفور له. وقال سفيان: ما تأخر هو ما لم يعلمه، وقال آخر: المتقدم والمتأخر معا ما كان قبل النبوة. وقال آخر تأكيد للمبالغة كما تقول: أحبك من عرفك ومن لم يعرفك، وقال آخر ما تقدم من ذنبك يعنى من ذنب أبيك آدم وحواء، وما تأخر: ذنوب أمتك. وقال آخر: المعنى لو كان لك ذنب قديم أو حديث لغفرناه. قوله: ﴿وَيَتِمُّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكَ﴾ [الفتح: ٢] قيل النبوة والحكمة، وقيل بفتح مكة والطائف وخيبر، وقيل بخضوع من استكبر، والصحيح بدخول الجنة.

قوله: ﴿وَيَهْدِيكَ﴾ [الفتح: ٢] المراد يثبتك على الهدى كما فى قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ [الأحزاب: ١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا﴾ [النساء: ١٣٦] وأمثال ذلك. قوله: ﴿صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ [النساء: ٦٨] المراد به هنا الإسلام. . وآخر جملة فى هذه الرسالة هى (وأما من جهة علم التصوف)، ثم يتلوها بياض بالأصل مقداره نحو ثلاثة أسطر بخط السيوطى الدقيق. وإذا كان لم يصل إلينا ما كتبه السيوطى فى تصديره عن التصوف فإن بعض المؤلفين أشار فى تحديد معانى الفتح إلى معنى هو أقرب إلى معانى الصوفية. قال الراغب فى كتابه (المفردات فى غريب القرآن): وقوله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ [الفتح: ١] قيل عن فتح مكة، وقيل بل عنى ما فتح على النبى من العلوم والهدايات التى هى ذريعة إلى الثواب والمقامات المحمودة التى صارت سبباً لغفران الذنوب، ولعل هذا المعنى هو الذى عبر عنه بعض المفسرين بالإلهام^(١).

(١) هكذا ورد فى الطبعة الأولى والثانية.

الحفنى شيخ الأزهر:

كان شيخ الأزهر الحفنى (١١٠٠هـ - ١٦٩٨م - ١١٨١هـ - ١٧٦٧هـ) شجاعاً فى الحق شجاعة نادرة. تخاصم على بك الكبير مع طائفة كبيرة من الأمراء وتفاقم بينهم الشر حتى أوشك أن ينتهى إلى الحرب. واجتمع لذلك كبار القوم ومعهم الشيخ الحفنى. فعارض الميل إلى الحرب معارضة شديدة، لما يصيب الناس من شرها. وقال للأمراء: إنكم خربتم البلاد، بحربكم وخصامكم. ثم أرسل إلى على بك، وكان خارج القاهرة، كتاباً شديداً فيه زجر وعظة ونصيحة. وقد انفرد على بك بعد ذلك بحكم مصر، وفتح الشام والحجاز، وكان مع ذلك لا يستطيع مخالفة الشيخ. وله مع الأمراء والولاة مواقف من الشجاعة والصلابة يطول بنا الحديث عنها. وكان لا يتم أمر من أمور الدولة، إلا بعلمه وإذنه. وكانت له مهابة عظيمة حتى لا يستطيع كثير من جلسائه أن يتوجه إليه بسؤال، وكانت على إحدى عينيه نقطة، ومع ذلك لم يدرك أكثر الناس ذلك ولم يلحظوه. لأنهم كانوا يغضون الطرف عند النظر إلى وجهه.

تولى المشيخة بعد الشيخ الشبراوى، الذى مات فى آخر سنة ١١٧١هـ.. وكان إلى ذلك كله ظريفاً وشاعراً، يقول الشعر، والمواليا. كان له رفيق اسمه الشيخ حسن شمة، رآه مرة يكتب، فسأله ماذا يكتب؟ فقرأ عليه الشيخ «شمة» هذا البيت:

قالوا تحب المدمس؟ قلت بالزيت حار والعيش أبيض تحبه؟ قلت والكشكار

فضحك الشيخ وقال له: أما أنا فلا أحبه بالزيت حار، بل بالسمن. وأنشده:

قالوا تحب المدمس؟ قلت بالمسلى والبيض مشوى. تحبه؟ قلت والمقللى

وله شئ غير قليل من المواليا، بعضه فى الغزل، وكله رقيق جميل فيه عاطفة وعذوبة، وله شعر رقيق جميل أيضاً، منه:

فلو فتشوا قلبى لألفوا به سطرين، قد خطا، بلا كاتب

العلم والتوحيد فى جانب وحب آل البيت فى جانب

وهذان البيتان، يمثلان حياته إلى حد كبير، فقد كان عالماً كبيراً مخلصاً للعلم، ومتصوفاً مؤمناً طاهر السريرة.

ومن شعره هذان البيتان الرقيقان، اللذان يفيضان يسراً وإيماناً ورضاءً، وصفاء وروحانية:

خـبـز، وماء وظل هو النعميم الأجل
جـحـدت نعمة ربى إن قلت إنى مـقل

وقد عمر طويلاً. حيث مات ظهر يوم السبت السابع والعشرين من ربيع الأول سنة ١١٨١ (١٧٦٧). وكان يوم وفاته يوم هول ويكاء. وقال فيه الوالى راغب باشا: أنه كان سقفا على أهل مصر، يمنع عنهم نزول البلاء^(١).

الإجازات العلمية فى الأزهر القديم

ذكر القلقشندى فى صبح الأعشى صور طائفة من الإجازات التى كان يصدرها أكابر العلماء لتلاميذهم أو لمن يتقدم إليهم من الطلاب، كإجازة التدريس والفتيا والرواية وغيرها (ج ١٤ ص ٣٢٢ وما بعدها)، وتصدر هذه الإجازة بعد اختبار الطالب فيما طلب الإجازة فيه.

١- وهذه صيغة إجازة بالفتيا والتدريس على مذهب الإمام الشافعى، أصدرها العلامة سراج الدين أبو حفص عمر الشهير بابن الملقن لأبى العباس القلقشندى صاحب كتاب صبح الأعشى سنة ٧٧٨هـ، وكتبها القاضى تاج الدين بن غنوم موقع الحكم بالإسكندرية، وذلك بعد البسملة والدياجة:

«ولما كان فلان -أدام الله تسديده وتوفيقه، ويسر إلى الخيرات طريقه -ممن شب ونشأ فى طلب العلم والفضيلة، وتخلق بالأخلاق المرضية الجميلة، وصحب السادة من المشايخ والفقهاء، والقادة من الأكابر والفضلاء، واشتغل عليهم بالعلم الشريف اشتغالا يرضى، وإلى نيل السعادة -إن شاء الله- يفضى، استخار الله تعالى سيدنا وشيخنا وبركتنا، العبد الفقير إلى الله تعالى، الشيخ الإمام العلامة، الحبر الفهامة فريد دهره ونسيج وحده، جمال العلماء، أوحده الفضلاء، عمدة

(١) من كلمة للأستاذ محمود الشرقاوى عنه -الأهرام فى ١١/ ١٠/ ١٩٥٤. هكذا ورد فى الطبعة الأولى والثانية.

الفقهاء والصلحاء سراج الدين، مفتى الإسلام والمسلمين، أبو حفص عمر بن الملحق . . إلخ».

«وأذن وأجاز فيه لفلان المسمى فيه، أدام الله معاليه، أن يدرس مذهب الإمام المجتهد المطلق العالم الرباني، أبي عبد الله محمد بن إدريس المطلبى الشافعى، رضى الله عنه وأرضاه، وجعل الجنة مقبله ومثواه، وإن يقرأ ما شاء من الكتب المصنفة فيه، وأن يفيد ذلك لطالبه، حيث حل وأقام، كيف شاء متى شاء وأين شاء، وأن يفتى من قصد استفتاءه خطأ ولفظاً، على مقتضى مذهبه الشريف المشار إليه، لعلمه بديانته وأمانته، ومعرفته ودرايته، وأهليته لذلك وكفايته . . وكتب فى تاريخ كذا».

٢- وهذه صيغة إجازة أصدرها الشيخ شمس الدين محمد بن عبد الدايم إلى ولده أبى العباس المسمى نجم الدين أبى الفتح، متضمنة إتقانه لحفظ كتاب (المنهاج) فى الفقه للنووى، وذلك سنة ٨١٣هـ جاء فيها بعد الديباجة: «وبعد فقد عرض على الفقيه الفاضل، نجل الأفاضل، وسليل الأماثل، ذو الهمة العليا، والفطنة الذكية، والفقرة الزكية، نجم الدين أبو عبد الله محمد بن فلان، نفع الله به كما نفع بوالده، وجمع له بين طارف العلم وتالده» -مواضع متعددة من «المنهاج» فى فقه الإمام الشافعى المطلبى رضى الله عنه وعنا به، تأليف ولى الله ابن زكريا بن شرف بن مرى النووى، سقى الله تعالى ثراه، وجعل الجنة مأواه، دل حفظه لها على حفظ الكتاب، كما فتح الله له مناهج الخير دقه وجله، وكان العرض فى يوم كذا».

٣- وكتب العلامة الشيخ عز الدين بن جماعة فى بعض الإجازات ما صورته: كذلك عرض على المذكور باطنها عرضاً حسناً، محرراً مهذباً مجاداً متقناً، عرض من أتقن حفظه، وزين بحسن الأداء لفظه، وأجزل لى من عين العناية حفظه، مر فيه مرور الهملاج الوساع فى فسيح ذى السباع، وقد دلنى ذلك منه، نفعه الله تعالى وفتح به، ووصل أسباب الخير بسببه، على علو همته، ووفور أريحيته، وتوقد فكرته، واتقاد فطنته . . وقد أذنت له أن يروى عنى الكتاب المذكور، وجميع ما يجوز لى وعنى روايته، من مصنفاتى وغيرها من

منظوم ومثثور، ومنقول ومعقول ومأثور، بشرطه المعتبر؛ عند أهل الأثر، وكتب فلان بتاريخ كذا..

صور من إجازات الأزهر العلمية هي أواخر القرن التاسع عشر

من صور هذه الإجازات إجازة خطية طويلة عندي، وهي التي كتبها الشيخ الباجورى للعالم الكبير الشيخ نافع الجوهري الخفاجى التلبانى (١٢٥٠-١٣٣٠هـ- ١٨٣٤-١٩١٢م)، وقد أثبتتها فى كتابى «بنو خفاجة وتاريخهم السياسى والأدبى»^(١) فلا داعى لذكرها كاملة هنا، وفى آخرها يقول الشيخ الباجورى: «أجزت المذكور بكل ما تجوز لى به الرواية، وما تلقيت من أشياخى - ضاعف الله أجورهم رواية ودراية، وبما لى من تأليف وتصنيف.. والإجازة مذيلة بهذا التوقيع: الفقير إبراهيم الباجورى خادم العلم.

ومع هذه الإجازة صورة أخرى لرجاء من أساتذته الشيخ المبلط والشيخ البدرى والشيخ على محمد، مرفوع إلى شيخ الجامع الأزهر لإعطاء «ولده الفقير نافع خفاجى تذكره أسوة بأمثاله بإكرامه وعدم المعارضة له بطريق ما، وإجازته بكل ما أفتى وما فعل».

ويلى ذلك إجازة شيخ الأزهر له، وجاء فيها: «انتظم المذكور فى سلك العلماء» وأخذ عن الشيوخ الموجودين، فى هذا العصر بعضاً من العلوم، ودأب فى التحصيل فمنح دقائق المفهوم، فأجازه أشياخه بما أخذ عنهم، وتلقاه منهم، ولما أراد الرجوع إلى وطنه، التمس إجازته، بما تجوز له روايته من منقول ومعقول، وتنسب له عن أشياخه روايته، فأجزته بما تجوز لى روايته من منقول ومعقول، وما تنصرف إليه هم أرباب العقول، وعليه العمل بتقوى الله، وأن لا ينسانى من دعواته.

وتاريخ هذه الإجازة العلمية عام ١٢٨٣هـ، وكان من شيوخه فى الأزهر الشيخ إبراهيم السقا والشيخ محمد الأشمونى. والشيخ الخضرى والشيخ مصطفى البدرى والشيخ الرهينى، والشيخ الرفاعى والشيخ على المبلط وسواهم، وكان مما حضره

من كتب في الأزهري: الكفرواي وشرح الشيخ خالد، والأزهري، والقطر، والخطيب، والتحرير والمنهج، وسواها من كتب وشروح وحواش، في الفقه والحديث والتفسير والنحو والصرف والبلاغة والأدب والأصول والتوحيد والعروض والمنطق وسواها.

صورة إجازة علمية أخرى:

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد: فقد سألني الأخ في الله الشيخ العالم العلامة والحبر البحر الفهامة الشيخ نافع خفاجي بن الجوهري خفاجي التلباني إن أجيزه في جميع مروياتي من معقول ومنقول من فقه وحديث وتفسير وإفتاء وتدریس، فعلمت لياقته لذلك فقلت: قد أجزته في جميع مروياتي عن مشايخي، وأوصيه بتقوى الله والوقوف على حدود شريعة رسول الله ﷺ وأن يتحرى في القول والعمل وأن لا ينساني من صالح دعواته. . حرر ذلك في سنة ألف ومائتين وثلاث وثمانين في شهر جمادى الآخرة، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. الفقير إلى الله تعالى: على ابن أحمد الرهيني خادم العلم بالحرم الشريف.

إجازات علمية أخرى:

ومن هذه الإجازات مجموعات خطية وقعت لي، ومن إجازاتها:

١- بسم الله الرحمن الرحيم لك الحمد على مرسل آلائك ومرفوعها، ولك الشكر على مسلسل نعمائك وموضوعها بحسن الإنشاء وصحيح الخبر، يا من تجيز من استجازك وافر الهبات، فيغدو موقوفاً على مطالعة الأثر، ما بين مؤتلف الفضل ومتفقه، ومختلف العدل ومفترقه، جيد الفكر سليم الفطر، يجتنى بمنتج قياسه شريف الفؤاد، ويجتنب بمنهج اقتباسه ثمار السداد، ويحلى نفيس النفوس بعقود العقائد الغرر، فإن صادفه مديد الامداد، وصادقه مزيد الإنجاد، وصفا مشربه الهني ولا كدر، ووجد درر الجواهر ويانعمت الوفادة، بادر عند ذلك بالاستفادة والإفادة، ولا أشر ولا بطر، فبذل المعروف وبذل المنكر، إذ ليس عند

الإصحاح الجواهر، ما اعتنى وما أقتنى غيرها عشر، لا يزور ولا يدلس ولا يطهر ولا يكلس ولا يعانى الشرر، فيامن من على هذا المنقطع الغريب، ومنحه منحة المتصل القريب، امنحنى السلام فى داره ونجنى من سقر، ومنك موصول صلات صلواتك لا مقطوعها. وسلسل سلسيل تسليماتك ومجموعها، على سندنا وسيدنا محمد سيد نوع البشر، وعلى آله وأصحابه، وحملة شريعته وأحبابه، ومن اقتنى أثرهم وعلى جهاده صبر. . أما بعد:

فلما كان الإسناد مزية عالية، وخصوصية لهذه الأمة غالية، دون الأمم الخالية، اعتنى بطلبه الأئمة النبلاء أصحاب النظر، إذ الدعى غير المنسوب، والقصى غير المحسوب، وسليم البصيرة غير أعشى الفكر. . ولما كان منهم الإمام الفاضل، والهمام الكامل، والجهبذى الأبر، اللوذعى الأديب، والألمعى الأريب، ثاقب الفكر، صاحب النظر، ولدنا السيد محمد الهجرسى الحفناوى، نجل المرحوم العلامة السيد خليل الهجرسى، زين الدين الشافعى الشرقاوى، أسكنه الله الفردوس وجنبه سقر، وظهرت لى نجابته أذنته بالتدريس. وأن يتخذ العلم خير جليس، فشمّر عن ساعده، وظهر ومهر، وطلب منى إجازة ليتصل بسند سادتى سنده ولا ينفصل عن مددهم مدده، ويتنظم فى سلك قد فاق غيره وبهر. فأجبت وإن لم أكن لذلك أهلاً، رجاء أن ينشر العلم وأنال من الله فضلاً، وأنجو فى القيامة مما للكافرين من الضرر، فقلت:

أجزت المومى إليه بما تجوز لى روايته، أو تصح عنى درايته. من كل حديث وأثر، ومن فروع وأصول، ومنقول ومعقول، وفنون اللطائف والعبر، كما أخذته عن الأفاضل السادة، الأكابر القادة، مسددى العزائم، فى استخراج الدرر، منهم أستاذنا العلامة، ولى الله المقرب، وملاذنا الفهامة الكبير ثعيلب، بوأه الله أسنى مقرر، عن شيخه الشيخ أحمد الملوى، ذى التآليف المفيدة، وعن شيخه أحمد الجوهري الخالدى صاحب التصانيف الفريدة، عن شيخهما عبد الله بن سالم صاحب الثبت الذى اشتهر. ومنهم شيخنا محمد بن محمود الجزائرى، عن شيخه على بن عبد القادر الأمين، عن شيخه أحمد الجوهري المذكور المصون بالعرفان والتمكين، عن شيخه عبد الله بن سالم، ومنهم الشيخ محمد صالح البخارى عن

شيخه رفيع الدين القندهاوى، عن الشريف الإدريسي عبد الله بن سالم راوى أحاديث الأبر، ومنهم سيدى محمد الأمير عن والده الشيخ الكبير، عن أشياخه الذى حوى ذكرهم ثبته الشهير، ومنهم غير هؤلاء رحم الله الجميع ولى وللمجاز ولهم أكرم وغفر، وهؤلاء وغيرهم يروون عن جم غفير، وجمع كثير، كالشيخ الحفنى، والشيخ على الصعيدى، وغيرهما، فمسانيدهم مسانيدى، فما أكرمهم من نسبة وابر، وقد سمع منى المجاز المذكور كتباً عديدة معتبرة مفيدة، وفقه الله لمحاسن ما به أمر، آمين بجاه طه الأمين.

٢- وكتب تحت هذه الإجازة ما يلى، وهى صورة إجازة أخرى بإمضاء الشيخ محمد خليل الهجرسى:

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين من كل شيطان رجيم، وأفضل الصلاة والتسليم على سيدنا وسندنا ومولانا محمد الرؤوف وعلى آله أولى الفضل والهداية الحائزين قصب السبق فى مضمار الدراية والرواية، وبعد فأقول وأنا الحقير المقر بالتقصير محمد خليل الحفناوى الهجرسى قد أجزت بما فى هذه الإجازات الكامل الفاضل الشيخ إبراهيم كراوية الدمياطى، وأنا أوصيه بالتقوى ولا ينسانى من صالح دعواته فإنها السبب الأقوى فى خلواته وجلواته.

وذيلت بتاريخ عام ١٣١٠هـ.

٣- صور إجازة أخرى صادرة من الشيخ شمس الدين الإنابى:

بسم الله الرحمن الرحيم: نجوز بإجازتك يا الله على صراط الحمد، فنفور بهدايتك يا وهاب على بساط المجد، ونزيد شكرًا فتزيد أجرًا، ونصلى ونسلم على السيد السند الأعظم، لكل ذى هداية ممن تأخر من العلماء أو من الأنبياء تقدم، إنسان عين حقيقة التوحيد وترجمان لسان القرآن المجيد، مفتاح الرحمة كشف الغمة، صاحب الشمائل الحسنة. ومصدر مناهل السنة، أصل منبع أصول الحكم، وعين جميع جوامع الأمم، فقه أمته، فأظهرت ملته، فلم تنح نحوها فى تسهيل تفهيم المسائل المهمة أمة، ولم تتصرف تصرفاتها فى العبادات الجميلة الجملة، لها فى تهذيب الطلاب غاية لطافة، وفى الحث على الدأب يحسن الأدب فى آداب

البحث، فيبلغ الطالب في أسرع مدة من الفنون بلاغة وتسرع سريره بسرور أسرار البلاغة، وغايته أنها رزقت السعد في علومها وحسن المنطق في نظم كلامها، لاستنادها في كل أفعالها على أعلى سند وأقوى أساس، فكانت بذلك كما في التنزيل خير أمة أخرجت للناس، ثم نصلى ونسلم بعد ذلك على أصحابه الذين سلكوا بنوره أقوم المسالك، وأهل بيته الطاهرين ومن تبعهم من الأولين والآخرين.. أما بعد: فلما كان الإسناد من المزايا العالية إذ فيه حفظ نسب الأرواح، فأولى وأعلى عناية به أسانيد العلماء للطلاب، وكان الدعى غير المنسوب والمنسوب مطلقاً محسوب، اشتدت عنايته العلماء الجهابذة، وفضلاء هذه الأمة الأساتذة قديماً وحديثاً سواء كان العلم صناعة أم حديثاً بأخذ الأسانيد مسلسلة، وإجازة الآخذين عنهم بعلوم مفصلة، وما عني بهذا الأمر أشد عناية إلا من صدق وصدق فصادفته العناية، فاستجاز والتمس الإنجاز لحفظ نسبه العلمى، والمقدم على نسبه الجسمى، فابتدر شيخه لإجابته، إذ لاح منه أمارات نجابته، وأجازه بما أجزى، وأصبح بعز الإفادة أعز عزيز.. ومن اعتنى بعدما اقتنى وقطع المفازة، فطلب الإجازة، ولدنا النبى النبيل والعالم النجيب الجليل، الفاضل المحقق النحرير، البارع فى اللقاء والتحرير من صدق فى نجابته اختياري وتفرسى، الحبيب النسيب السيد محمد الهجرسى بن شمس الصلاح، وكوب سعد الفلاح، قائد زمام الحقيقة، وشائد بناء الطريقة، كاشف الغمة عن الطلبة والمريدين، العالم العلامة المرحوم السيد خليل الهجرسى زين الدين بعد أن لازمنى مدة مديدة وأخذ عني فنوناً عديدة، فلما لاح لى كوكب صلاحه، وفاح لى نشر مسك فلاحه، حيث أقرأ بالجامع الأزهر مهرة الطلاب وأفاد وأجاد، وكشف عن مخدرات التحقيق النقاب، وأخذ من الفنون بأقوى طرف، وزاد فى الاقتداء فى أخذ الأسانيد بمن سلف، فبادرت لطلبه بإعطائه بلوغ أربه، فلم أثن عنه عنان العناية، بل أجزته بما يجوز لى رواية، ويصح عني دراية، من فروع وأصول، ومنقول ومعقول، وأذنته بالتدريس، وأن يتخذ العلم خير جليس، ليكون فى إفادته العلوم لطالبيها على أحسن سنن، ويتنظم بصحيح مرسل درايته فى عقد مسلسل الفضلاء بانتظام حسن، فلا يعضل فى مقام، ولا يوضع له مقام، وليكون أيضاً بذلك

السند في العلم والشرف ذا غزارة وغرارة، لأن إجازتي هذه جازت من علو السند أجزل أجزاء وإجازة إذ هي إجازة مشايخي الأعلام، أكابر الشيوخ ومشايخ الإسلام كشيخى وملاذى وقدوتى وأستاذى، البحر الزاخر، ذى القدر الفاخر، العلم الفرد، والوبل لا الثرد، بحر التحقيق، حبر التدقيق، مولى الفوارق، من ضربت به الأمثال السائرة، فى نشر تأليفه الزاهية الباهرة، علمه سار فهو الشمس والدنيا فلك المورد العذب، والمصدر الرحب، مسدد غلطات الأوهام، مشيد عرفات الأفهام من لا يدرك شأوه، إذا جورى شيخ الإسلام أستاذى الشيخ الباجورى قدس الله سره، وعظم فيه أجرنا وأجره، فإنه أجازنى بما تجوز له روايته، وأذن لى فيما تصح عنه درايتة من فروع وأصول، ومنقول ومعقول، بل أجاز إجازة عامة أهل العصر، وذلك كان فى درسه الحافل بعد العصر، وهو مجاز من شيخه الإمامين، وأستاذيه الشهيرين، الهمامين، أحدهما واحد العصر وعلامة الأنام، من أصبح كل لسان من كل إنسان عليه مثنيا، الأستاذ الملاذ شيخ الإسلام السيد حسن القويسنى، فإنه أجاز به حواه ثبت شيخ مشايخ الإسلام، والقدم الراسخ فى مقام العرفان لأهل الإقدام، البحر العذب الراوى. الأستاذ الشيخ عبد الله الشبراوى، وبجميع مروياته، ضاعف الله فى حسناته. . كما أجاز السيد المذكور بذلك شيخه الهمام الحبر الشرعى، الأستاذ أبو هريرة داود بن الأستاذ محمد القلعى، فكتب الشيخ أبو هريرة المذكور على ثبت العلامة، المتقدم ذكره المشهور.

٤- وبعد ذلك ما يلى، وهو مذيّل بتوقيع الفقير إليه تعالى محمد الأنابى خادم العلم بالأزهر:

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقى، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد: فقد أخذت العلم عن رجال صالحين، منهم الشيخ أحمد السحيمى بن محمد شارح عبد السلام فقد أجازنى بضمن ما فى هذا الثبث الذى أجاز به شيخه الشيخ عبد الله الشبراوى صاحب هذا الثبث، ومنهم الشيخ أحمد الملوى فقد أجزنى بجميع مروياته، ومنهم الشيخ أحمد الدمهورى أجازنى بما فى ثبته، وكتب عليه أنه أجازنى بما فى ضمنه، ومنهم الشيخ محمد الحفنى حضرت عليه سنين كثيرة، ومنهم الشيخ أحمد البجيرمى، والشيخ عيسى البزاوى، والشيخ

حسن المدابغي، والشيخ محمد المصيلحي، والشيخ عبد الله الشبراوي، والشيخ عطية الأجهوري، والشيخ أحمد القوصي، والشيخ عمر الطحلاوي، وغيرهم ممن يطول ذكره، وقد أجزت بذلك السيد حسن العلوي، ابن السيد درويش، ابن السيد عبد الله القويسني، وبجميع مروياتي، راجياً من الله أن لا ينساني من صالح دعواته. . كته داود القلعي، وصلى الله على سيدنا محمد كلما ذكره الذاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون. . وثانيهما الفرد الذي ليس له ثان، ولا لعنان عنايته في ميدان أهل العرفان ثان، فإنه جواد العلم السابق الأصم، بل بحر الزاخر الدافق الخضم، أستاذ الأساتذة ومولى الموالى، شيخ مشايخ الإسلام، الفاضل الفضالى المجاز من العلامة الأمير الكبير، بما حواه ثبته الشهير، ومن غيره من الأعلام، والأساتذة الجهابذة الكرام، وكشيخي الإمام علامة الأنام من سارت بفضائله سائر الركبان، وشوهدت طوالع تحقيقاته من مطالع عباراته، فهو أبو السعود. لهذا الوجود، وكشاف لثام الأفهام ولا فخر، ومفتاح أرواح استرواح عبير العرفان ولا نشر، ذى المقاصد الحسنة القوية الصادقة فى كشف مواقف العقول الزكية الفاتقة.

فلن يفق الأنام وكان منهم فلن المسك بعض دم الفزال

فهو للقطر القطب الذى عليه المعول، وكل مادح فيه مقصر ولو كان مدحه مطولاً، لا زال فى معراج المعارف يرقى، أستاذى وشيخى العلامة السقا، أدام الله لنا وجوده، ووقاه ما يكره ووفاه سعوده، فإنه أعزه الله العزيز الحكيم أعزنى، وبما حواه ثبت العلامة الأمير الكبير أجازنى، وقد أجاز به العلامة الأمير الصغير، عن والده الأستاذ الأمير الكبير، عن أشياخه الأفاضل، والعلماء الأوائل الأماثل، وبما حواه ثبت العالمين، والهمامين، الإمامين، العلمين، صاحبى الفضل العبقري، الشهاب أحمد الملوى، والشهاب أحمد الجوهرى، وبجميع المرويات لهما من المعقول والمنقول، كتوحيد وتفسير وحديث وفقه ونحو وأصول، كما هو مجاز بذلك عن شيخه العلامة والخبر الفهامة، غاية كل مأرب، ونهاية كل طالب، الأستاذ الأعظم، والملاذ المكرم الشيخ ثعلب. عنهما وعن شيوخهما الفضلاء، الأئمة الفحول، المعول عليهم فى الفروع والأصول، وبالكاتب المأخوذة منها الأحاديث المشمولة لرسالة الفاضل عبد الله بن سالم البصرى، المشهورة

برسالة الأوائل، كما أجازته بذلك شيخه محمد بن محمود محمد ابن حسين الجزائري، من أكابر الحنفية عن شيخه الشيخ عبد القادر الأمين مفتي المالكية، بالجزائر المحمية، عن شيخه الجوهري الشافعي، أستاذ أولى اليقين، عن الشيخ عبد الله بن سالم، ملاذ ذوى التمكين، وكما أجازته بذلك أيضاً شيخه شيخ الإسلام، وملجأ الأنام السيد حسن القويسني بن السيد درويش مطاوع، عن شيخه الشيخ سليمان البجيرمي، عن شيخه الشيخ محمد العشماوي، ذوى النور اللامع، عن شيخه الشيخ أبى العز العجمي، الشهير عن شيخه الشيخ محمد الشرنوبى، ذى العلم الغزير، عن شيخه شمس الملة والدين، محمد الرملى سيد العارفين، عن شيخه شيخ الإسلام زكريا الأنصارى الهمام، عن شيخه الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني، وأسانيده فى أوائل الفتح ليس لها ثان، وكما أجازته بذلك أيضاً شيخه السيد حسن القويسني المتقدم أولاً، عن شيخه السيد القلعي إمام الملا، وسنده يأتى مفصلاً، وكما أجازته بذلك أيضاً شيخه العلامة ثعلب المار، عن شيخه العلامة الجوهري، ذى الفخار، عن شيخه العلامة عبد الله بن سالم الفهامة، وكذا أجازنى بما أجازته به مشايخه من منقول ومعقول، كشيوخه الناظم بتحقيقه عقود الآلىء، الأستاذ الملاذ ذو الأفضال الفضالى، وكشيوخه ذى التجلى الحسنى، الأستاذ شيخ الإسلام القويسني وكشيوخه الشيخ محمد بن محمود الجزائري الحنفى، صاحب الثبت المستوفى، وكشيوخه الشيخ محمد صالح البخارى، عن شيخه رفيع الدين القندهارى، عن الشريف الإدريسي، الإمام العالم، عن أستاذ الأساتذة، الأستاذ عبد الله بن سالم، ثم وقد من الله علينا الكريم البارى بالاجتماع بالشيخ محمد بن صالح البخارى وذلك فى منصرفه إلى الحج الشريف وأخذنا عنه بلا واسطة، ومن جملة ما أخذنا عنه حديث الأولية المنيف، فالحمد لله على ما أولاه، وكشيوخى الهمام الآخذ بزمام العلم وأى زمام، مركز دائرة العرفان. والمعنى بنادرة هذا الزمان صاحب العلوم اللدنية، صافى الطوية صادق النية، علم العلم الكسبى ولسان قلم اللوح الوهبي غاية مطلبى ومنتهى أربى سيدى وسندى السيد مصطفى الذهبى، فقد أجازنى بالكتب التى أخذت منها الأحاديث المشمولة لرسالة عبد الله بن سالم الذى صارت مسانيدى

المتقدمة بها موصولة وذلك عن شيخه شيخ الإسلام القويسنى عن شيخه السيد داود القلعى عن الشيخ أحمد جمعة البجيرمى عن شيخه الشيخ الإسكندرانى عن شيخه عبد الله بن سالم المذكور عن أشياخه الموضحة المسطرة بثبته المعروف المشهور وبجميع المرويات جزاه الله عنى أحسن الجزاء، وكشيخى القطب العارف بر العوارف وبحر المعارف التقى النقى والولى الجلى صاحب الصفا والوفا قطب الأزهر الأستاذ الشيخ المبلط مصطفى فقد أجازنى وأعطانى أمنيته وأمانى بإجازة ما حواه ثبت علامة الزمان وقطب أهل العرفان الأستاذ الشنوانى عن أشياخه الموضحة بثبته وبجميع مروياته، أمدنا الله بمدده وأسكنه فى أعلى غرفاته، وكشيخى شيخ الإسلام وزهرة الأزهر وبهجة الأنام، ذى القدر الجليل الأوحد، والنسب الشهير الأ مجد. كما قال فيه بعض واصفيه:

نسب وإيم الله لم يسبق ولم يلحق ولم يرمق إلى إنسان

كيف وهو شيخ الإسلام ابن شيخ الإسلام سلسلة علماء أفاضل جهابذة أعلام، من أشرقت من تحقيقاته شمسى، الأستاذ الأجل مصطفى العروسى، فقد أجازنى بالكتب التى أخذت منها الأحاديث المشمولة برسالة عبد الله بن سالم البصرى وغيرها وهو مجاز فى ذلك عن شيخه شيخ الإسلام القويسنى عن شيخه السيد داود القلعى. بسنده السابق نفعا الله تعالى بهم ويسر بحبهم أمرى. هذا وأوصيك بالتقوى فإنها السبب الأقوى، وأن لا تنسانى من دعواتك وحسن توجيهاتك أيدك الله بالرشاد وأفاض عليك غيوث الأمداد، وحفظك من الزلل ووفقك لخير العمل. اللهم أحسن عاقبتنا فى الأمور كلها وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، وأفضل الصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى للرسول ختام، وآله الكرام، وأصحابه الأعلام آمين وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

هـ- ويلي ذلك ما نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله، والحمد لله حمداً يليق بكماله وصلى الله على سيدنا محمد وآله. يقول الفقير محمد بن محمود بن

محمد بن حسين الجزائري الحنفى غفر الله ذنوبه وأناله مطلوبه: إنه قد وقعت لى رواية صحيح البخارى وبقية الكتب الستة من طرق عديدة، أشهرها طريق الإمام الحافظ شيخ الإسلام أحمد بن على بن حجر العسقلانى رحمه الله تعالى ورضى عنه، فأرويه إليه من طريق سماعى، وقراءتى على والدى أبى الشناء محمود بن محمد، وقد توفى رحمه الله سنة ست وثلاثين ومائتين وألف فى منصرفه من الحج؛ ودفن بساحل سويس وهو بسماعه، وقرأته على والده عبد الله محمد بن حسين قاضى الجزائر المتوفى سنة ثلاث ومائتين وألف، وقد سمعت أنا على جدى رحمه الله قطعة من كتاب فضائل القرآن من صحيح البخارى، ووقعت منه إجازة تعمه وبقية السنة وهو كذلك عن عمه ابن أم أبيه الشيخ مصطفى بن رمضان القبانى الحنفى المتوفى سنة ثلاثين ومائة وألف وهو كذلك عن شيخه أبى عبد الله محمد بن شقرون المقرئ التلمسانى المتوفى سنة تسع وثمانين وألف، وهو عن شيخه أبى على الحسن الأجهورى المالكى، وأرويه سماعاً لبعضه وإجازة تعمه وبقية الستة وسائر مرويات الحافظ العسقلانى عن شيخى أبى الحسن على بن عبد القادر ابن الأمين مفتى المالكية بالجزائر المحمية المتوفى سنة ست وثلاثين ومائتين وألف عن نحو من ثمانين سنة، عن شيخه أبى العباس أحمد الجوهري الشافعى عن شيخه الأستاذ أبى العباس أحمد بن البنا عن الشيخ على الأجهورى وهو عن مشايخه الثلاثة: شيخ الإسلام محمد الرملى الشافعى والشيخ المعمر عمر بن الجاى الحنفى والشيخ بدر الدين الكرخى ثلاثتهن عن شيخ الإسلام زكريا الأنصارى؛ ويروية شيخنا ابن الأمين عن شيخه أبى الحسن على بن العربى السقاط المغربى عن شيخه محمد بن عبد الرحمن الفاسى صاحب المنح البادية فى الأسانيد العالية، عن شيخه محمد بن عبد الكريم الجزائرى، عن الشيخ المعمر مائة وثلاثين سنة عبد الرحمن البهوتى الحنبلى عن الشيخ زكريا الأنصارى المذكور وهو عن الحافظ أحمد بن على بن حجر العسقلانى وهو عن شيخه إبراهيم بن أحمد التنوخى، وهو عن شيخه أحمد بن أبى طالب الحجار عن شيخه الحسين بن أبى بكر الزبيدى عن أبى الوقت عبد الأول ابن شعيب السنجرى عن عبد الرحمن بن محمد الداوودى، عن عبد الله بن أحمد السرخسى عن محمد بن يوسف الفريزى عن

الإمام الجليل أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى، وأرويه بأعلى سند يوجد فى الدنيا عن شيخى أبى الحسن على بن عبد القادر عن شيخه أحمد الجوهري عن شيخه أحمد بن البنا عن شيخه أحمد بن محمد العجل اليمنى عن يحيى بن مكرم الطبرى، قال: أخبرنا البرهان إبراهيم بن محمد بن صدقة الدمشقى وغيره بروايتهم عن الشيخ عبد الرحمن بن عبد الأول الفرغانى وكان عمره مائة وأربعين سنة وأجازهم سنة عشرين وسبعمائة وقد قرأ البخارى جميعه على ابن عبد الرحمن محمد بن شاذبخت الفرغانى بسماعه لجميعه على الشيخ أبى لقمان يحيى بن عمار بن مقبل بن شاهان الختلاتى، وكان عمره مائة وثلاثة وأربعين سنة، وقد سمع جميعه على بن عبد الله محمد بن يوسف القريزى وقد توفى سنة عشرين وثلاثمائة عن الإمام الحافظ أبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى بهذا الأستاذ عشرة رجال فتقع لى ثلاثياته بأربعة عشر والله الحمد والمنة.

وقد أجاز شيخنا أبو الحسن كل من أدرك حياته، وبينى وبين الحافظ العسقلانى من طريق البهوتى خمسة رجال وبينى وبين الإمام البخارى من طريقة أربعة عشر رجلا، ويروى زكريا عن الأستاذ ابن الجزرى عن الصيرفى عن ابن اللثى عن أبى الوقت فينى وبين الإمام البخارى بهذا الطريق ثلاثة عشر رجلا، ويروى أبو الحسن الأجهورى عالياً عن قريش العثمانى عن ابن الجزرى فيقع لى من طريقه أيضاً بثلاثة عشر والله الحمد والمنة وبهذه السابقة أروى جميع مؤلفات الحافظ العسقلانى وسائر مروياته التى تضمنها معجمه وبها إلى الشيخ زكريا، أروى جميع كتبه ومروياته، وأروى كتب الإمام الحافظ السيوطى من طريق الأجهورى عن مشايخه الثلاثة المذكورين عن الحافظ السيوطى، وأروى الأربعين النووية بالأستاذ إلى الشيخ زكريا الأنصارى قال: قرأتها على أبى إسحاق الشروطى، قال: أخبرنا بها أبو عبد الله محمد بن أحمد بن على الرفاء، قال: أخبرنا العالم أبو الربيع سليمان بن سالم الغزى، قال: أخبرنا أبو الحسن على بن إبراهيم بن داود بن العطار، قال: أخبرنا مؤلفها الإمام محبى الدين يحيى بن شرف النووى فذكرها، وأروى فقه أبى حنيفة رحمه الله تعالى ورضى عنه وعن والدى عن شيخه أبى الحسن على بن إمام القصبة الجزائرى عن الشيخ سليمان المنصورى عن الشيخ عبد الحى عن الشيخ

حسن الشرنبلالي عن الشيخ علي المقدسي عن الشيخ أحمد بن يونس الحلبي عن الشيخ عبد الله بن الشحنة عن الشيخ كمال الدين بن الهمام عن الشيخ عمر قاري الهداية عن شيخه أكمل الدين صاحب العناية، عن قوام الدين السكاكي، عن حسام الدين الفناقي صاحب النهاية، عن حافظ الدين الكبير عن شمس الأئمة محمد ابن عبد الستار الكردي، عن صاحب الهداية عن نجم الدين عمر النسفي عن أبي اليسر البزدوي عن إسماعيل بن عبد الصادق عن عبد الكريم البزدوي عن الإمام أبي منصور الماتوريدي عن أبي بكر الجوزجاني عن أبي سليمان الجوزجاني عن محمد بن الحسن الشيباني عن أبي حنيفة النعمان بن ثابت، وقد تفقه على شيخه حماد أبي سليمان وهو على إبراهيم النخعي وهو على علقمة والأسود وشريح، وهؤلاء أخذوا عن عمر وعلى وابن مسعود رضي الله عنهم، وهم من رسول الله ﷺ . . . وقرأت على والدي رحمه الله سورة الفاتحة وهو سمع بالاستعاذة والبسملة والوقف على الرجيم والرحيم إلى آخر ما يذكر من وقوفها بقراءته لها كذلك على والده محمد بن حسن، كذلك على عمه الشيخ مصطفى بن رمضان بقراءته لها كذلك على شيخه أبي عبد الله محمد بن شفرون بقراءته لها كذلك على أبي عبد الله محمد الدجمنوني بقراءته لها كذلك على أبي عبد الله محمد الجزري، ويتتبع سنده إلى أن قرأها على سيد المرسلين ﷺ، وكان يمد قراءته مداً، ويقف على قوله الرحيم والرحيم والدين، ونستعين وعليهم الأول والضالين . . . وصاحب شيخنا الشيخ علي بن الأمين رحمه الله، وهو صاحب أبي عبد الله محمد التاودي بن سودة وهو صاحب أبي العباس أحمد بن المبارك، وهو صاحب الشيخ عبد العزيز الدباغ وهو صاحب أبي العباس الخضر وهو صاحب النبي ﷺ، وروى المسلسل عن شيخنا علي بن الأمين عن شيخه الحفني، عن شيخه البديري بسنده، وقد قرأ على الشيخ الإمام الفاضل أبو الحسن ابن أبراهيم بن علي بن حسن المعروف بالسقا حفظه الله جل جلاله صحيح البخاري إلى باب الاختباء من كتاب اللباس وسمع ذلك الشيخ الإمام أبو العباس أحمد بن يوسف القنياتي إمام الجامع الأزهر حفظه الله بمكة والشيخ الإمام أبو عبد الله محمد بن محمد مطر العفيفي الشافعي حفظه الله بمكة والشيخ الإمام أبو زيد عبد الرحمن

بن عثمان الدمياطى الغمراوى الشافعى حفظه الله بمنة، والشيخ الإمام أبو الحسن إبراهيم بن حسن الأشعرى الشافعى حفظه الله.. وأجزتهم بياقيه وبجميع مروياتى التى تضمنها هذا الثبت وغيره، وأوصيهم ونفسي بتقوى الله فى السر والعلن والإخلاص له فيما ظهر وبطن ونسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه بمنة وكرمه، وصلى الله على سيدنا محمد وآله، الفقير إليه سبحانه محمد بن محمود بن محمد بن حسين الجزائرى الحنفى المشهور ببلده العنانى لطف الله به وتجاوز عنه بمنة.

٦- صورة إجازة أخرى من الشيخ عبد الهادى نجا الإيبارى:

بسم الله الرحمن الرحيم: الحمد لله الذى فض لمن فضل ختام الفضائل والفواضل وجم لمن جمل بالمعارف أنواء أنواع المآثر التى تتناول بها أعناق الجحافل فى المحافل وأجاز بأحسن الجوائز كل من جاز على الحقيقة مجاز الرشاد والإرشاد، وجازى بمخاوف الجنة وزخارفها كل من شمر عن ساعد الجهد والاجتهاد.. والصلاة والسلام على من خفقت أعلام علومه فى الخافقين، وشرقت بوحى محامده فى آفاق الكونين فبرقت منها أسارير أوجه الثقلين سيدنا محمد المخصوص بجوامع الكلم والقول الفصل، الذى إليه يتمى إيراد كل فضل، ويتهى إسناد كل فضل، وعلى آله نجوم الهدى وصحبه الذين فاز من بهديهم اقتدى، وبعد: فلما كان مقام العلم رفعا، ومكانه مكيئا وحصنه منيعا، ورياض غياض فضله زاهية زاهرة، توشيحاً وتوشيعاً، تطلع من أفقه نجوم السعادة، وتنبع فى وباء حداثق السيادة. تثمر أدواج فنونه قطوف المنى، وتسفر عن وجوده عز فى الدنيا والآخرة، باهرة السناء والسناء، دأب فى جوز صراطه المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم، وحوز مناطه الكريم، مناط من مدت العليا أأيديها إليهم الحسنة التى أحسن بها الزمان المسىء، والدنا اللوذعى الأريب والألمعى الأديب السيد محمد الهجرسى فخفض جناح الذل منه لتحصيل حاصله، ورفع جناح الفتور عن همته فيه لنيل فيوض فضائله، حتى جنى من روضه الأزهر الأزهرى وبنى من قواعده المتينة صرحاً ممرداً من محاسنه المبينة لا يدركها مدى الأمان خلل، ولا يعترى، وتحمل بلباس الفضل المبين، وتصدر حتى تصدى للتدريس وتصدر فأقرت تقاريره السهلة

المتنعة فى المقامات الصعبة بتفوقه على أقرانه، وأقرت معاهد تنصيب الدقائق أقدامه، فى مزالق الأقدام وشواهد ثبات جناته، وتطلعت نفسه النفيسة إلى مطالع طوالع عوالى الإسناد، إذ كانت من أجل مطامح أنظار الأمجاد، ومسارح أفكار الأسياد، فأوماً لطلب الإجازة من الفقير بطرف أدب ناعس الجفون، يقول لكل عاشق من أهل الإجازة: كن مجيباً فيكون، فما وسعنى إلا المبادرة بالإجابة، وإن كنت لست بهذه المثابة من تلك العصابة، فقلت: أجزتك بما تجوز لى روايته، وتجاوز فى مناهج الإحسان درايته، من منقول الفنون ومعقولها، ومحلل العلوم ومعقولها، مما تلقته عن مشيختى الذين كانت تشرق الدنيا بيهجتهم، وتشرق سماء الفضل بنضرة وجه حضرتهم، كحضرة باب فتوحى، ومربى جسمى وروحى، من فتح للعلم والعمل باباً مرتجاً، سيدى وأستاذى الوالد السيد رضوان نجا عن مشايخه أعلام الأمة، وبدور الدياجى المدلهمة، كالعلامة الجوهري صاحب النهج وغيره والعلامة الصبان والأمير الكبير، وثبتهم شهرته مغنية عن ذكره وكشيخنا شيخ الإسلام العلامة القويسنى والضياء الباجورى وثبتهما أشهر من علم، والفقيه المحدث الشيخ محمد محمود الجزائرى وسنده أعلام سند فى عصرنا يكون لشمم المحدثين أرفع شمم، موصياً لحضرته البهية، بملازمة السنة السنية، والتثبت فى معارك مدارك العلوم بأحسن روية، ليروى ظمأ القلوب حين يروى ويسند، ويروى إليه من الثناء الحسن حين يهدى ويرشد، ويتداركنى بدعائه المقبول كلما خطرت بساحات فكره، وفقنا الله وإياه لما فيه رضاه وأوزعنا القيام بشكره، ما هبت الصبا.

٧- صورة إجازة أخرى:

بسم الله الرحمن الرحيم: يا من يقف المتروك ببابه فيصير مرفوعاً مقبولاً، وينقطع الضعيف لعزیز جنابه فيجعله صحيحاً موصولاً، افض متصلات صلواتك، ومسللات تحياتك، على الحبيب المرسل، بإقامة معروف الفضائل ومشروعها وأزالة منكر الرذائل وموضوعها، وعلى آله وصحبه والتابعين لآثار سننه، وخلفائه من بعده، الرافعين لأعلام سننه ما رتعت ظباء القلوب فى رياض أحاديثه الخصبية وهب نسيم القبول على ناشرى برود أخباره بسوح حضرته الرحيمية. . أما بعد:

فلما كان الأسناد أجل مزية تتناول بها أعناق البزل وأجمل زينة تتجلى بها أجياد الكمل كيف لا وهو الخصيصة المعدودة لهذه الأمة من أشرف المزايا، والمنقبة التى ضربت فى تحصيلها أكباد المطايا والفخار الذى شغف به أعيان السادات والتجارة التى لا تبور فى أسواق الخيرات، وكان الحائز من طارف الرواية وتلادها أعظم الذخائر، المالك لأزمة التحقيق والدراية كابرًا عن كابر، قد بلغ من اهتمامه بأمر الدين، وأتباعه سبيل الأئمة المهتدين، إنه لم يدع طريقة من فوائد الرواية إلا سلكها، ولا ثمينة من فوائد الدراية إلا ملكها:

فى المهـد ينطق عن سعادة ذاته أثر النجابة ساطع البرهان

إن الهـلال إذا رأيت غمـوه أيقنت بدار منه فى اللمعان

الجامع بين شرف الذات ونشب الوالد الطالع من مطلع غرته نور طريف المجد والتالد، ولدنا الأجل السيد محمد الهجرسى الحفناوى، سلاله من جاز منقبة النسبتين الروحية والجسمية، وفاز بمزية البنوتين المعنوية والحسية، المرحوم مولانا السيد خليل الهجرسى الشرقاوى نور الله ضريحه المقدس وأسكنه الفردوس الأقدس وكان المومى إليه من كثرة كماله، شاهد شاهدا فى سنى أحواله، فظن أن عندى إسناداً مفيداً^(١)، أو لدى من عزيز المطالب ضالة، وما درى أنى ما حل المحل من التروى بمعينه، عاطل الجيد من التحلى بثمينه، لكن لما كانت رابطة المحبة تقتضى الإمارة وامتثال الأمر بمجرد الإشارة لبيت سؤاله، وامتثلت أمره ومقاله، فأقول قد أجزت ولدنا السيد محمد المومى إليه بما سمعته منه من حديث المسلسل بالأولية وبجميع ما تجوز عنى روايته، وتتقوى بسندى درايته، من مقروء وسموع مجاز، وما بالمناولة له فى قوانين الرواية مساغ وجواز إجازة تامة مطلقة

(١) قال الشيخ محمد الهجرسى يعلق على ذلك ما نصه: سبب ذلك أن جناب الأستاذ المومى إليه أخبرنى أنه يروى صحيح البخارى بأعلا سند يوجد فى الدنيا فظننت بل جزمت أنه ربما كان ذلك طريقاً غير الطريق الذى أخذ أستاذنا الإمام السقا فبحث وقرأت عليه أول البخارى فى منزله هذا العام وأجازنى بباقيه وحرر لى هذه الإجازة بناء على طلبى من جنابه مجرد سنده العالى الذى ادعى به فإذا بها مشتملة على هذا السند وقد اشتمل على اثنى عشر أولاً كسندى الذى أخذته فى الأول عن إمامى السقا وأنا صغير وعلى أحد عشر. ثانياً بعد التصحيح الآتى فسندى عن السيد إمام القصصى أعلا سند كما سيأتى لك بيانه تفصيلاً عند ذكر السند.

عامة بالشرط المعبر، عند أهل الأثر، ولى بحمد الله تعالى فى جميع العلوم أسانيد كثيرة وطرق واضحة شهيرة عن مشايخ يستومض من جواهر عباراتهم لمعات من بروق الله نور السموات، ويستفتح من أزهار إشاراتهم نسمات إن لربكم فى أيام دهركم نفحات، الذين منهم الإمام المحقق، والهامام المدقق، المرحوم سيدى وأستاذى السيد الشيخ يوسف كساب الغزى مولدا، المدنى إقامة ومدفنا، عن مشايخه الذين منهم الشيخ محمد المرحوم الأمير الصغير، عن والده المرحوم الشيخ محمد الأمير الكبير، من ثبته بين العالمين شهير، ومنهم المرحوم الشيخ محمد عlish المالكى والأشعرى الشاذلى المتصل سنده أيضا إلى الشيخ محمد الأمير صاحب الثبت العزيز، ومن أشياخ المومى إليه الشيخ عوض الصعيدى السبواوى والشيخ حسن حميد الصعيدى العدوى والشيخ إبراهيم الصعيدى الملوى، والشيخ فراج البحرى والشيخ عبد الجواد البحرى الشباسى والشيخ يوسف الصاوى والشيخ محمد حبيش البحرى والشيخ حسن الأبطحى البحرى والشيخ محمد السباعى والشيخ أحمد السباعى والشيخ على المغربى الحلوى والشيخ محمد الأمير، وذكر فى سنده أن هؤلاء السادات كلهم تلاميذ الشيخ الأمير الكبير والشيخ مصطفى البولاقي^(١)، تغمدهم الله برحمته وأسكنهم بحسوة جنته، وقد كان رحمه الله تعالى كتب لى هذا السند بعد قراءة عليه بعض الأحاديث حين قدومه لزيارة النبى ﷺ وإقامته تلك المدة فى دارى. . ومن مشايخى الأستاذ الطود الأشم الكامل، والجهد الألعى الواصل سيدى الشيخ السيد محمد العطوشى الطرابلسى مولدا، المدنى إقامة. ومدفنا، تغمد الله الجميع بالرحمة والرضوان، وأنا لهم بجوار حبيبى أعلا الجنان، متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً، يقال لهم إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكوراً. هذا وللتبرك بذكر أعلا سند لى فى صحيح البخارى أقول أرويه عن شيخى محمد العطوشى

(١) قال الشيخ الهجرسى تعليقا على ذلك: هذا العطف يؤهم بل يفهم أن الشيخ البولاقي من مشايخ العلامة الشيخ عlish الذى منهم العلامة الأمير الصغير، والذي اعرفه من أستاذى الإمام السقا بل أعلم أيضا من شيخى الشيخ عlish المومى إليه أن الشيخ البولاقي من مشايخ الشيخ المومى إليه فهو فى مرتبتهم وربما كان الأمير الصغير مقدما عليه فيها كما هو عندنا فى الأزهر شهير، فلعل فى هذا العطف تأخيرا من تقديم أو سهو وقع عند سماع ثبت المشايخ فظن السامع أن البولاقي فى درجة الأمير الكبير.

المشار إليه عن شيخه محمد بن شنه عن أبي الوفا أحمد بن محمد بن العجل عن قطب الدين محمد بن أحمد النهرواني عن والده عن الحافظ نور الدين أبي الفتوح أحمد بن عبد الله الطاوسي عن المعمر الملقب بأبي يوسف الهروي عن محمد بن شاذبخت الفرغاني عن المعمر أبي لقمان يحيى بن عمار الختلائي عن أبي عبد الله محمد بن يوسف القريزي عن سيد حفاظ الإسلام محمد بن إسماعيل البخاري فيكون بيني وبين البخاري أحد عشر رجلا لكن قد ذكر الشيخ عبد الخالق بن علي الجرجاني عن الحافظ نور الدين أبي الفتوح الطاوسي بلا واسطة والده وعليه فيكون بيني وبين البخاري عشرة رجال. قال أستاذي صاحب هذا السند: لا أعلم في الدنيا سنداً أعلا من هذا السند. . هذا وإنني أوصي ولدنا السيد محمد المومني إليه بما أوصى به نفسه من مراقبة مولاه في سره ونجواه، والله أسأل أن يجعلني وإياه وجميع إخواننا من العلماء العاملين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. وجاء في آخر هذه الإجازة ذكر تاريخها وهو السابع بعد العاشر من الواحد بعد العاشر من العاشر من الرابع بعد العاشر من هجرته ﷺ. وفي ذلك ما يفيد أن تاريخ هذه الإجازة هو ١٧ من ذي القعدة عام ١٣١٠هـ.

الإجازات العلمية في الأزهر الحديث

كانت شهادات الأزهر في نظامه القديم قبل النظام الحديث هي:

- ١- العالمية النظامية وكان ينالها من أتم دراسة القسم العالي، وهي في قيمتها العلمية والمادية كدبلوم مدرسة المعلمين العليا وليسانس الحقوق والآداب.
- ٢- شهادة التخصص القديم وكان يمنحها الأزهر بعد العالمية، لمن قضى دراسة مهنية تربوية يعلم فيها طرائق التدريس وما يتصل بها، مع ثقافة تكميلية لتعويض ما كان في المستوى العلمي من ضعف حينذاك. وقيمتها قيمة دبلوم معهد التربية للمعلمين.

أما الشهادات التي تعطى للناجحين في الامتحانات النهائية وفق النظام الحديث فهي:

- ١- الشهادة الابتدائية - لمن أتموا دراسة القسم الابتدائي بأعوامه الأربع، وتخول صاحبها الاندماج في القسم الثانوي.

٢- الشهادة الثانوية لمن أتموا دراسة السنة الخامسة من القسم الثانوى وتخول صاحبها الاندماج فى الكليات، ودار العلوم، والتدريس فى مدارس التعليم الأولى.

٣- الشهادة العالية لمن أتموا دراسة كلية من كليات القسم العالى، والحائزون لها يكونون أهلاً للوظائف الكتابية بالجامع الأزهر، والمعاهد الدينية، والمحاكم الشرعية، والمجالس الحسينية، والأوقاف، والتدريس فى المساجد ولوظائف الخطابة، والإمامة والمأذونية.

٤- شهادة العالمية لمن أتموا دراسة التخصص فى مهنة التدريس أو القضاء الشرعى أو الوعظ والإرشاد. . والحائزون لها من قسم التخصص فى مهنة التدريس يكونون أهلاً للتدريس فى المعاهد الدينية وفى مدارس الحكومة. والحائزون لها من قسم التخصص فى القضاء يكونون أهلاً للوظائف القضائية بالمحاكم الشرعية والافتاء والحاماة أمام المحاكم الشرعية والمجالس الحسينية. والحائزون لها من قسم التخصص فى الوعظ والإرشاد يكونون أهلاً لوظائف الوعظ والإرشاد.

٥- شهادة العالمية مع لقب أستاذ لمن تخصص فى مادة من المواد، والحائزون لها يكونون أهلاً للتدريس فى الكليات وفى أقسام التخصص.

الكليات وما تمنحه من شهادات

١- كلية الشريعة وتمنح الشهادات الآتية:

أ- شهادة الدراسة العالية ومدتها أربع سنوات. والمواد التى تدرس للحصول عليها:

التفسير: الحديث متنا ورجالا ومصطلحاً، أصول الفقه، الفقه مع حكمة التشريع ومقارنة المذاهب فى المسائل الكلية، تاريخ التشريع الإسلامى، المنطق، الفلسفة، لغة أجنبية (الإنجليزية أو الفرنسية) وتدرس بصفة اختيارية.

ب- شهادة العالمية مع أجازة القضاء. والمواد التى تدرس للحصول عليها بعد النجاح فى الشهادة العالية.

قوانين ولوائح المحاكم الشرعية والأوقاف والمجالس الحسبية، التوثيقات الشرعية، إجراءات وتمارين قضائية ودراسة القضايا ذات المبادئ السياسية الشرعية، القانون الدولي الخاص، تاريخ القضاء والقضاة فى الإسلام، النظام الدستورى للدولة، محاضرات فى مبادئ الاقتصاد، محاضرات طبية، محاضرات فلكية، لغة أجنبية اختيارية، وهى التى درست فى الكلية.

ج- شهادة العالمية من درجة أستاذ فى الفقه والأصول. والمواد التى يتخصص فيها للحصول عليها بعد النجاح فى الشهادة العالية:

الأصول، الفقه مع حكمة التشريع ومقارنة المذاهب وتاريخ التشريع الإسلامى.

٢- كلية أصول الدين، وتمنح الشهادات الآتية:

أ- شهادة الدراسة العالية فى أصول الدين والعلوم التى تدرس للحصول عليها هى: التوحيد: التفسير، الحديث متناً ومصطلحاً ورجالاً، المنطق وأدب البحث، الأخلاق، الفلسفة، الأصول، التاريخ الإسلامى، علم النفس، لغة أجنبية (الإنجليزية أو الفرنسية).

ب- شهادة العالمية مع الإجازة فى الدعوة والارشاد. والمواد التى تدرس للحصول عليها بعد النجاح فى الشهادة العالية هى:

القرآن الكريم وعلومه، الحديث الشريف وعلومه، الدعوة إلى سبيل الله ووسائلها، الخطابة والمناظرة، الملل والنحل والمذاهب الفقهية وتواريخها، البدع والعادات، اللغة الأجنبية التى درست فى الكلية، لغة شرقية.

ج- شهادة العالمية مع درجة أستاذ فى التوحيد والفلسفة. والمواد التى تدرس للحصول عليها بعد النجاح فى الشهادة العالية هى:

التوحيد، المنطق، الفلسفة، الأخلاق.

د- شهادة العالمية مع درجة أستاذ فى علوم القرآن الكريم والحديث الشريف. والمواد التى تدرس للحصول عليها بعد النجاح فى الشهادة العالية هى:

التفسير، علوم القرآن الكريم، الحديث وعلومه.

هـ- شهادة العالمية من درجة أستاذ فى التاريخ الإسلامى والمواد التى تدرس للحصول عليها بعد النجاح فى الشهادة العالية هى التاريخ الإسلامى وما يلزمه من دراسات.

٣- كلية اللغة العربية، وتمنح الشهادات الآتية:

أ- شهادة الدراسة العالية فى اللغة العربية. والعلوم التى تدرس للحصول عليها هى:

النحو، الصرف، الوضع، فقه اللغة، الأصول، الانشاء، علوم البلاغة: (البيان والمعانى والبديع)، الأدب العربية وتاريخها، العروض والقافية، التفسير، الحديث، المنطق، الفلسفة، المطالعة، الأدب المقارن، علم الاجتماع، الخط، الجغرافيا، التاريخ السياسى، النقد الأدبى، لغة أجنبية: الإنجليزية، والفارسية، والعبرية، والتركية، والأخيرة بصفة اختيارية، وتعطى عليها مكافأة شهرية قدرها جنيه عشرة طلاب.

ب- شهادة العالمية مع الإجازة فى التدريس. والمواد التى تدرس للحصول عليها بعد النجاح فى الشهادة العالية هى:

علم النفس العام، علم النفس التعليمى، أصول التربية والطرق العامة والتنظيم المدرسى، تاريخ التربية العملية، طرق التدريس الخاصة، الأخلاق، تدبير الصحة المدرسى، الرسم، تجويد الخط، التربية البدنية، لغة أجنبية اختيارية وهى التى درست فى الكلية.

ج- شهادة العالمية من درجة أستاذ فى النحو. والمواد التى تدرس للحصول عليها بعد النجاح فى الشهادة العالمية هى:

النحو، الصرف، الوضع، فقه اللغة، العروض والقافية، وتدرس مبادئ اللغتين العبرية والسريانية.

د- شهادة العالمية من درجة أستاذ فى البلاغة والأدب، والمواد التى تدرس للحصول عليها بعد النجاح فى الشهادة العالية هى:

علوم البلاغة وتاريخها، الأدب العربي وتاريخه، العروض والقافية، النقد الأدبي، مبادئ اللغتين العبرية والسريانية. ومدة الدراسة للحصول على شهادة الدراسة العالية أربع سنوات، وللحصول على شهادة العالمية مع الإجازة ستان. ومدة الدراسة للحصول على شهادة العالمية من درجة أستاذ لا تقل عن ست سنوات، ولا تزيد على ثمانى سنوات.

وهذه صور من شهادات الأزهر الحديث:

١- بسم الله الرحمن الرحيم - براءة بمنح شهادة العالمية، من فؤاد ملك مصر بعناية الله تعالى، إلى حضرة الشيخ نافع محمد نافع الخفاجى الشافعى من تلبانة مركز المنصورة مديرية الدقهلية- رفع إلينا صاحب العزة وزير الأوقاف ما أقره مجلس الأزهر الأعلى فى ١٤ ربيع الثانى ١٣٥١هـ ١٦ أغسطس ١٩٣٢، من نجاحكم فى امتحان شهادة العالمية الذى أجرى بالجامع الأزهر فى سنة ١٣٥٠هـ لذلك أمرنا بإصدار براءتنا هذه من ديواننا بمحكم شهادة العالمية، مع حقوقها التى تخولها لكم القوانين والأوامر المتبعة نفع الله الناس بعلمكم، ووفقكم لما فيه الخير- تحريرا فى ٢٣ محرم سنة ١٣٥٢هـ من هجرة خاتم المرسلين.

٢- بسم الله الرحمن الرحيم - المملكة المصرية - الجامع الأزهر والمعاهد الدينية العلمية الإسلامية - الشهادة العالية بكلية اللغة العربية - استحق هذه الشهادة الأستاذ محمد عبد المنعم عبد المنعم خفاجى بن عبد المنعم عبد المنعم خفاجى بن عبد المنعم خفاجى المولود سنة ١٩١٥ فى تلبانة مركز المنصورة مديرية الدقهلية، بعد أن نجح فى امتحانها المنعقد سنة ١٣٥٩هـ ١٩٤٠م- والله أسأل أن يوفقه لخدمة العلم والدين- شيخ الجامع الأزهر - محمد مصطفى المراغى- القاهرة فى صفر ١٣٦٠هـ- ١٩٤١م.

٣- بسم الله الرحمن الرحيم - براءة بمنح شهادة العالمية من درجة أستاذ فى البلاغة والأدب- من ملك مصر بعناية الله تعالى، إلى حضرة الأستاذ محمد عبد المنعم عبد المنعم خفاجى الحنفى، من تلبانة بمركز المنصورة بمديرية الدقهلية، رفع إلينا حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ما أقره المجلس

الأعلى للأزهر فى ٢٤ ربيع الأول ١٢٣٦٦هـ - ١٥ فبراير ١٩٤٧، من نجاحكم فى امتحان شهادة العالمية من درجة أستاذ فى البلاغة والأدب الذى أجرى فى سنة ١٣٦٥هـ لذلك أمرنا بإصدار براءتنا هذه من ديواننا بحكم هذه الشهادة مع حقوقها التى تخولكم إياها القوانين والأوامر المتبعة، نفع الله الناس بعلمكم ووفقكم لما فيه الخير.

إصلاحات جديدة فى الأزهر

١- مما جد على الأزهر من إصلاحات: إنشاء قسم للوعظ، يتبعه الوعاظ من العلماء فى جميع القطر المصرى، ويصدر قسم الوعظ مجلة اسمها «نور الإسلام»، وعندما بدأ قسم الوعظ سنة ١٩٢٨ كان عدد الوعاظ فيه نحو أربعة، وهم الآن نحو ٢٥٠ واعظاً من العلماء.

٢- وكذلك إنشاء مراقبة البحوث والثقافة الإسلامية فى يوليو ١٩٤٥، وإنشاء وحدة طبية كاملة للأزهر عام ١٩٤٧.

٣- وكذلك إنشاء كثير من المعاهد الدينية الابتدائية والثانوية فى عواصم المديرىات وبعض المدن الكبرى، ويبلغ عددها الآن نحو ٢٥ معهداً، ومن أقدمها: معهد الإسكندرية ومعهد طنطا، وأسيوط، والزقازيق ودمياط ودسوق، ثم أنشئ معهد شبين الكوم والمنصورة وقنا وسوهاج والمنيا ومنوف، وفى عهد الثورة أنشئ معهد فى دمنهور وآخر فى بنها. . إلى غير ذلك من المعاهد الدينية العديدة التى هى فروع صغيرة للجامعة الأزهرية الكبرى.

٤- وكذلك إنشاء مجلة الأزهر، فقد رأت مشيخة الأزهر بعد أن استقر فيه النظام الجديد الذى وضع له، أن تجعل لهذه الجامعة الدينية العالمية مجلة تحمل رسالتها إلى جميع البلاد الإسلامية، لتكون صلة علمية بينها وبين جميع الشعوب التى تدين بالدين الحنيف فى مشارق الأرض ومغاربها، ولتحمل إلى القائمين بتعليم الدين فيها ما ثمره قرائح حفظته مما يزيد فى مادته ثروة جديدة، أو ما يتأدون إليه نظام مفيد، فظهرت هذه المجلة باسم «نور الإسلام» فى أول محرم من سنة ١٣٤٩هـ - ١٩٣٠، وكان ذلك فى عهد المرحوم الشيخ محمد الأحمدي

الظواهرى، ويؤثر عنه أنه بذل فى إقامة صرح هذه المجلة مجهوداً محموداً. ولما تولى المشيخة المرحوم الشيخ محمد مصطفى المراغى نظر إلى هذه المجلة نظرة تشجيع ورأى أن يغير اسمها إلى «مجلة الأزهر» بذل مجلة نور الإسلام. وقد سر الناس بظهور المجلة، واتسع انتشارها حتى بلغ ما يطبع منها حداً لم تبلغه مجلة إسلامية قبلها فى البلاد العربية. . كان مما يكتبه فيها أعلام الأزهر بحوث فى التفسير والحديث، وبحوث تحض على إحياء السنة وإماتة البدعة، والدعوة إلى الفضائل. ثم اتسع ميدان الكتابة فيها، فأخذت تفند ما تسرب إلى بعض المقلدين من الشبهات والشكوك، محمولة بين ثنايا المعارف المدرسية الحديثة، وما تنشره المجلات العلمية من المباحث فى الطبيعيات، وما تلم به أحياناً من العضلات فى مختلف الفلسفات. فكانت مجلة الأزهر فى تلك المواقف حائلاً قوياً بين تلك الموجات العنيفة والدين، على أسلوب علمى بحت، وبأسلحة من الطراز الذى يهاجم به الدين فى أخص ما يدعو إليه.

وطار صيت مجلة الأزهر فى الآفاق الإسلامية، بما كان يقتطفه منها كتاب تلك الأقطار، وما يترجمه عنها المشتغلون منهم بالصحافة، فكان أثرها بعيداً فى حماية العقائد، وتقويم المذاهب، وطمس معالم البدع، وتحلية الدين الحق فى صورته الصحيحة.

ولما تولى مشيخة الأزهر المرحوم الشيخ مصطفى عبد الرازق رغب فى أن تكون مجلة الأزهر مستكملة لنظم المجلات الجامعية، فوضع لها قانوناً، وحدد المواضيع التى تطرقها، ووضع لها نظاماً، وشجع على السير بها قدماً بكل ما استطاع من وسيلة.

وكان من أجل ما قامت به هذه المجلة من خدمات، تلك الصلة الكريمة التى أوجدتها بين المسلمين فى البلاد كافة وبين الأزهر، فإن لهذه الصلة أثراً أديبياً يظهر فعله فى الأخلاق والآداب، إن لم يكن عاجلاً، فعلى مدى الأيام والسنين، وكان لابد من إيجاد هذه الصلة فى هذا العهد.

وقد تولى إدارة المجلة علماء ممتازون، منهم الأستاذ الكاتب العالم محمد فريد وجدى المتوفى فى ٦ فبراير ١٩٥٤. . وفى عهد مشيخة الشيخ عبد المجيد سليم الثانية عهد بإدارة المجلة إلى الأستاذ أحمد حسن الزيات.

ثم تولى إدارتها بعده الأستاذ الكبير الشيخ محمد عرفة عضو جماعة كبار العلماء، ثم الشيخ محمد عبد اللطيف السبكي عضو الجماعة كذلك.

ومنذ المحرم ١٣٧٤هـ بدأت المجلة تصدر مرتين في الشهر بدلا من مرة واحدة.

المكفوفون في الأزهر:

امتاز الأزهر عن جميع المعاهد العلمية والجامعات الكبرى بمزيد الاهتمام وعظيم الرعاية والعناية بالطلبة المكفوفين، فهو يحتضنهم ويمدهم بالإعانات الرتيبة في كل شهر، ويكفل لهم الاستقرار في حياتهم المدرسية، وهم في منهاج تعليمهم كالمبصرين سواء بسواء، ماعدا المواد التي لا بد فيها من الإبصار، كالعلوم الرياضية والتجارب العلمية في الطبيعة والكيمياء، وتصدر لهم براءات ملكية من ولى الأمر عند انتهاء دراساتهم كالمبصرين، ويضمن لهم مستقبلهم، إذ يمتنون بعض المهن العلمية في الدولة: كالتدريس والأمانة والخطابة والوعظ والإرشاد.

ولقد تخرج في الأزهر كثير منهم، كان لهم القدح المعلى في الثقافة العامة والتربية والتعليم، واشتهر منهم كثير في الأزهر، والميادين العلمية قديماً، كالشيخ القويسنى وقد وصل بشهرته ومكانته إلى مشيخة الإسلام في الأزهر سنة ١٢٥٠هـ، وحديثاً: كالشيخ حسين زين المرصفى، والشيخ على الصالحى، والشيخ محمد ماضى الرخاوى، والشيخ إبراهيم الحديدى، والشيخ يوسف الدجوى، والشيخ سالم البولاقي، والشيخ عبد المطلب برعى، والشاعر الفحل الشيخ أحمد الزين، وكان له في دار الكتب الملكية آثار محموددة في البحوث الأدبية والعلمية.

ومن بين هؤلاء من لم يتم دراسته في الأزهر ولكنه نجح في الحياة، وطار صيته في الآفاق كل مطار، كالدكتور طه حسين. . وقد سافر في بعثة دراسية إلى فرنسا الأستاذ فتحى عبد المنعم وهو من مدرسى الأزهر المكفوفين.

لجنة الفتوى بالأزهر

كانت ترد إلى مشيخة الأزهر من الأقطار الشقيقة وغيرها استفتاءات كثيرة في مسائل دينية متنوعة، يطلب أصحابها الافتاء فيها على مذهب معين، أو من غير

تقيد بمذهب من المذاهب.. ولما كانت تلك الاستفتاءات وما يصدر فيها من فتاوى على جانب عظيم من الأهمية، لما لها من وثيق الصلة بأحوال الناس الشخصية والاجتماعية وغيرها، ثم هى وسيلة من وسائل نشر أحكام الشريعة الإسلامية الغراء على وجه صحيح بين جمهور المسلمين. ونظراً إلى ما يتطلبه هذا العمل العلمى الدينى الجليل من جهد وما يستنفده من وقت فى البحث والدرس، فقد رأى المغفور له الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الأزهر الأسبق أن تضطلع بهذا العمل لجنة خاصة من جهابذة العلماء، فأصدرا قراراً بتكوينها فى ١٢ من جمادى الأولى سنة ١٣٥٤هـ ١١ من أغسطس سنة ١٩٣٥ - من رئيس واحد عشر عضواً، منهم ثلاثة من علماء الحنفية، وثلاثة من المالكية، وثلاثة من الشافعية، واثنان من الحنابلة. ومنذ تألفت اللجنة وهى دائبة على أداء واجبها بعقد اجتماعات تتوافر فيها على بحث ما يرد إليها من استفتاءات بحثاً وافياً مستفيضاً، ثم تجيب عليها مبينة حكم الشرع فيها، إما وفق أحكام مذهب معين إن طلب السائل ذلك، وإما بغير تقيد بمذهب فتكون الإجابة على وفق ما تقتضى به القواعد العامة المأخوذة من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وإجماع المسلمين أو القياس الصحيح الموافق لقواعد الدين العامة والملائم لصالح المسلمين.

وليس أدل على عظيم أثرها وجليلى نفعها من أنها تصدر نحو ٣٥٠ فتوى سنوياً وقد تعاقب على رياستها من أول تكوينها إلى الآن، حضرات أصحاب الفضيلة: المغفور له الشيخ حسين والى والمغفور له الشيخ محمد عبد اللطيف الفحام والمغفور له الشيخ محمد مصطفى المراغى والمغفور له الشيخ محمد مأمون الشناوى والشيخ عبد الرحمن حسن والشيخ عبد المجيد سليم والشيخ إبراهيم حمروش والشيخ محمد العنانى.

مجلس الأزهر الأعلى

وللأزهر مجلس أعلى أنشئ بمقتضى القانون رقم ١٩١١، ويؤلف من شيخ الأزهر، ووكيله، ومفتى الديار المصرية، ومشايخ الكليات، ووكلاء وزارات المالية والعدل والمعارف والأوقاف، واثنين من هيئة كبار العلماء، واثنين من كبار رجال التعليم ويعينان لمدة سنتين.

العلماء والطلاب:

لا يوجد فى السجلات ذكر لعدد علماء الأزهر إلا من سنة (١٢٨٧هـ - ١٨٧٥م) بيد أنه يوجد إحصاء عام قبل ذلك بلغ ٢٥٢ عالمًا، وذلك قبل صدور قانون نظام الامتحانات فى عهد الشيخ المهدي العباسي أى فى سنة ١٢٨٧هـ، ونفذ فى سنة ١٢٨٨. وكان عدد الشيوخ المدرسين بالأزهر فى هذا العام ٣٦١ شيخًا.

ونذكر هنا أن العلماء الذين يزاولون التدريس فى الأزهر -كلياته ومعاهده- يبلغ عددهم الآن نحو ١٢٣٥ مدرسًا، وكذلك الوعاظ يبلغ عددهم الآن نحو عشرين ومائتي واعظ. وذلك خلاف باقى الموظفين فى غير التدريس والوعظ بالأزهر ومعاهده.

إحصاء عام للطلبة بالأزهر:

فى سنة ٣٧٨ هـ بلغ عددهم ٣٥ طالبًا وفى سنة ٨١٨ بلغ عددهم ٧٥٠ طالبًا وفى سنة ١٢٦٣ بلغ عددهم ٧٤٠٣ طلاب وفى سنة ١٢٧٢ بلغ عددهم ٥٩٤٠ طالبًا وفى سنة ١٢٨٢ بلغ عددهم ٢٨١٧ طالبًا^(١) وفى سنة ١٢٩٢ بلغ عددهم ١١٠٩٥ طالبًا وكان عدد العلماء فى هذا العام ٣٢٥ عالمًا.. وفى سنة ١٢٩٣ بلغ عددهم ١٠٧٨٠ طالبًا^(٢) وفى سنة ١٣١٩ بلغ عددهم ٨٢٥٩ طالبًا وفى سنة ١٩٠٢م بلغ عدد الطلبة ١٠٤٠٣ طلاب وفى سنة ١٩٠٦ بلغ عددهم ٩٠٦٩ طالبًا^(٣). وفى سنة ١٩١٦ بلغ عددهم ١٥٣٣٥ طالبًا وفى سنة ١٩٢٠ بلغ عددهم ١٣٢٨٠ طالبًا وفى سنة ١٩٢٦ بلغ عددهم ١١٩٧ طالبًا وفى سنة ١٩٢٩ بلغ عددهم ١٠٦٨٠ طالبًا وفى سنة ١٩٣٣ بلغ عددهم ٨٩٤٥ طالبًا وفى سنة ١٩٣٨ بلغ عددهم ١٣١٦٣ طالبًا وفى سنة ١٩٤١ بلغ عددهم ١٤١١٦ طالبًا وفى سنة ١٩٤٧ بلغ عددهم ١٧٥١٤ طالبًا.

ميزانية الأزهر:

وكانت ميزانية الأزهر عام ١٨٩٢م مبلغ ٤٣٧٨ جنيهًا حيث كانت مرتبات العلماء ضئيلة فى ذلك العهد. فكان مرتب العالم ذى الدرجة الأولى مائة

(١) سبب هذا النقص قيام الثورة العربية مما دعا الطلبة إلى الهجرة إلى بلادهم.

(٢) راجع المخطط التوفيقية ج ٥ ص ١٤.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية.

وخمسين قرشاً. وذى الدرجة الثانية مائة قرش، وذى الدرجة الثالثة خمسة وسبعين قرشاً، وكانت المرتبات محدودة العدد. فكان المدرس الجديد لا يمنح مرتباً إلا إذا توفى أحد المستحقين من قبل، ويكتفى بالجرية. وفى ذلك العهد لم يكن فيه إحالة على المعاش. فالعالم يتقاضى مرتبه إلى الوفاة. وبقي الحال كذلك إلى سنة ١٩٠٩م. ففى ذلك التاريخ طلب العلماء من أولياء الأمور النظر فى حالة الأزهر بما يلائم حال العصر من وضع الدرجات ورفع المرتبات، حتى تتسع لكل العلماء المدرسين، مع طلب إصلاحات أخرى، ولما رأى أولياء الأمر أن حالة الأزهريين اشتدت، وانقلبت الحالة إلى ثورة جامحة استغلتها بعض الأحزاب السياسية، قرروا إجابة طلبهم أولاً فى وضع الدرجات، وإن المدرس يتقاضى ثلاثة جنيهات شهرياً - وقد كان مرتب الشيخ محمود أبى العيون المدرس فى الأزهر بعد تخرجه عام ١٩٠٨ خمسة عشر رغيفاً، وظل يتناول هذا الأجر إلى يونيه سنة ١٩٠٩م، فرتب له ثلاثة جنيهات كزملائه.

ومن ذلك الوقت بدأ الأزهر يسير فى طريق النظم المالية فى الدولة.

وفى سنة ١٩١٢ بلغت ميزانية الأزهر ٥٩٩٢٤ جنيهاً - وفى سنة ١٩٢٠ بلغت ٢٠٦٨٨١ جنيهاً. وبلغت ميزانية الجامع الزهر والمعاهد الدينية العلمية فى سنة ١٩٢٨ المالية ٣٠٥,٠٠٠ جنيه منها ١٩٤,٨٣٧ مخصصة للجامع الأزهر، وبلغ عدد الأساتذة المدرسين بالجامع الأزهر فى العام نفسه ٢٥٣ أستاذًا، وعدد الطلبة بالقسم الأولى ١٣٦٦ طالبًا، وبالقسم الثانوى ٥٨٨ طالبًا، وبالقسم العالى ١٢٣٨ طالبًا، وبالقسم المؤقت ٥٧٣ طالبًا، وفى فرقة التخصص ١٦٠ طالبًا، وبلغ عدد المدرسين فى معهد الإسكندرية ٩٢ مدرسًا وعدد الطلبة ٧١٦ طالبًا، وفى معهد طنطا ١٠٧ مدرسين و٢٠٩٢ طالبًا وفى معهد أسيوط ٥٥ مدرسًا و٦٧٤ طالبًا، وفى معهد دسوق ٢٦ مدرسًا و٣٦٠ طالبًا، وفى معهد دمياط ٢٥ مدرسًا و٣٠٦ طلاب، وفى معهد الزقازيق ١١١ مدرسًا و١١١٤ طالبًا.

وفى سنة ١٩٢٩ بلغت ميزانية الأزهر ١٢١٠٣٣ جنيهاً، وفى سنة ١٩٤٢ بلغت ٤٠٠٢٠٠ جنيه، وفى سنة ١٩٤٨ صارت ٩٠٠٧٥٢ وتبلغ اليوم نحو المليون والثلث من الجنيهات.

الفصل الثاني:

الأزهري في صحائف الذكرى

-١-

في عام ١٨٩٩ أرادت حكومة مصطفى فهمي باشا استجابة لأمر الإنجليز أن تضعف القضاء الشرعي. فوضعت مشروعاً لتعديل اللائحة الشرعية وضم اثنين من أعضاء الاستئناف الأهلى إلى المحكمة الشرعية العليا، ولم تبال الحكومة المصرية باحتجاج الحكومة العثمانية على المشروع فعرضته على مجلس الشورى، وكان من أعضائه الشيخ حسونة النواوى الذى جمعت له مشيخة الأزهر وفتوى الديار المصرية، فثار على المشروع وانسحب من المجلس وتبعه القاضى التركى، فخذل المجلس الحكومة وفشل المشروع.

-٢-

شيئان لهما فى نفوس السائحين المكان الأرفع، وهما أول ما يفكرون فى زيارتهما.. الأهرام والأزهر.

وللسائحين -والأمريكيون بالأخص- فكرة عجيبة عن الأزهر الشريف يكتنفها الخيال بأوسع معانيه، فهم يتصورون فيه بقية من بقايا العصر الإسلامى الزاهر، ويذكرون به قصص ألف ليلة وليلة وقصور بغداد والقاهرة وقرطبة.

ويروى أن اللورد كرومر المعتمد البريطانى، أراد أن يتعارف بشيخ الجامع الأزهر فقبل له إنه معتكف فى حجرته بالجامع لا يخرج منها ولا يغادر باب الأزهر لزيارة أحد مهما كان مركزه عظيماً، وذهب اللورد لزيارة الأسد فى عرينه.. أو الناسك فى صومعته، وكان اللورد حينذاك فى إبان بطشه وقوته يهابه الكل ويسارعون لتلبية أمره وقد ظن أنه سيجد من شيخ الإسلام تابعاً ونصيراً.

ودخل الأزهر وسار بين أعمدته وعلى بلاطه فامتلاً رهبة وروعة وراعه الصمت السائد، والطلبة الذين يتحركون فى صمت وخشوع كأنهم الأشباح السارية،

واستقبله وفد من المشايخ فى عمائم كبيرة وأكمام واسعة طويلة بطيىء الحركة يسرون فى تودة ووقار ولا يحنون رءوسهم إلا ساعة الركوع والسجود.

وسار بينهم يخترق الحجرات والإبهاء وهو يتجرد فى كل خطوة من ثياب جبروته وكبريائه، حتى إذا وصل إلى باب صغير أدى به إليه السير كان العميد البريطانى العظيم قد أصبح فرداً يشعر بالضعف والخشوع.

وفتح الباب وتنحى الموجودون ودخل اللورد ومعه أحد ياوران السراى، فرأى نفسه فى حجرة مجردة من الأثاث والفراش عارية الأرض مكشوفة البلاط، ساكنة يكتنفها شىء من الظلام إلا من شعاع ينفذ من نافذة نصف مغلقة وفى واجهة تلك الحجرة دكة عالية عليها قطعة من بساط وقد تربع فوقها شيخ الإسلام والمسلمين فى ثياب بسيطة وفى يده سبحة يعد خرزاتها ويتمم بالتسبيح عليها، هو مطرق برأسه مستغرق فى نجواه.

وأدار اللورد نظره حوله فلم يجد مقعداً، وتقدم خطوتين فلم يرفع الشيخ رأسه ولم يبادره بالتحية ولبت يتمم نجواه وهو فى سكون وجمود.

ووقف اللورد فى وسط الحجرة أمام الشيخ فترة طويلة خائنه فيها أعصابه وارتبكت حواسه وشعر بأنه يتضاءل ويتضاءل أمام ذلك الشيخ النحيف الجسد السابح فى ذكره حتى لم يعد يشعر بنفسه.

وبعد أن مرت فترة طويلة رفع الشيخ رأسه دون أن يتحرك من مكانه ونظر إلى اللورد نظرة هادئة عميقة وقال بصوت لطيف: «أهلاً وسهلاً».

ثم مد إليه يده كما يمدّها الملك إلى أحد رعاياه، وتقدم اللورد فتناول هذه اليد ولثمها بشفتيه.

واسترد الشيخ يده ثم قال له: «فى أمان الله.. فى أمان الله..».

وخرج اللورد يتعثر، وقد أدرك أن فى مصر من هو أعظم منه شأنًا وأقوى شخصية.

ولكن المسجد الأزهر الآن تبدل كثيراً عما كان عليه منذ نيف وأربعين سنة فدخلته جحافل المدينة، ولم يعد ذلك المعهد الرهيب الذى يتصوره الأجانب مكتنفًا

بالأسرار تصدر منه الأوامر الخفية إلى المسلمين قاطبة فيخضعون لأشارته كما كان الفاتيكان في عهد ازدهار البابوية. . بل أصبح السائحون يزورونه الآن وهم يعرفون أنهم قادمون على جامعة دينية كبرى أخذت من العلوم الحديثة والمدنية العصرية بكثير من أسبابها.

-٣-

في ديسمبر ١٩٤٦ أرادت حكومة النقراشي باشا أن تنفذ رغبة ملكية بتعيين الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق شيخاً للأزهر، وكان الأستاذ الأكبر حينئذ بعيداً عن الأزهر، حيث كان وزيراً للأوقاف، وكان من قبل ذلك أستاذ الفلسفة في كلية الآداب. . وكان وكيل الأزهر في ذلك الحين هو الشيخ محمد مأمون الشناوى، فاستشير في الأمر، فأشار بأن هذا التعيين يخالف نص قانون الأزهر الذى يشترط فى شيخ الأزهر أن يكون من بين جماعة كبار العلماء، فقليل له: إن للأستاذ الأكبر كتباً عديدة وسيقدم كتاباً منها لعضوية الجماعة، فأخبرهم الشيخ مأمون الشناوى بأن قانون الجماعة يمنع منحها للأستاذ الأكبر لأنه ليس من أساتذة الأزهر الشريف الذين يباح لهم التقديم لعضوية الجماعة بشروط خاصة، فأشير على الشيخ الشناوى بأن يجمع الجماعة لتعديل قانونها، فرد عليهم بأن رئيس الجماعة هو الأستاذ الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم، فدعى الشيخان لمقابلة النقراشى، ويبدو أن الشناوى قابل النقراشى أولاً حيث ذكر له أن هذا التعيين يجب أن يتم، لأنه قد طلبه أغاخان من السراى، وكان المفهوم فى أوساط الشعب أن الخاصة الملكية استولت من وزارة الأوقاف على أطيان ضخمة من بينها تفتيش الوادى وتفتيش شاة لإدارتها بدلاً من وزارة الأوقاف، وإن الملك يرغب فى مكافأة وزير الأوقاف بتعيينه شيخاً للأزهر، على الرغم من اعتذار الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق طيب الله ثراه عن قبول هذا المنصب.

وخرج الشيخان من مكتب النقراشى، حيث جمعا الجماعة، فرفضت أن توافق على تعديل قانونها، وكان فى مقدمة الراضين الأستاذ الأكبر الشيخ إبراهيم حمروش وكان شيخاً لكلية الشريعة آنذاك. . وإثر ذلك طلب من المشايخ الثلاثة

الاستقالة فاستقال الشيخ الشناوى وكيل الأزهر والشيخ إبراهيم حمروش شيخ كلية الشريعة والشيخ عبد المجيد سليم المفتى من وظائفهم، وعين مدير الأزهر الشيخ عبد الرحمن حسن وكيلاً للأزهر، ونفذ الرغبة الملكية بتعديل القانون الذى أثار تعديله ثورة فى الشعب وفى أوساط العلماء والطلاب، ونشر كبار الشيوخ المستقلون بياناً على الأمة المصرية الكريمة والعالم الإسلامى عن انتهاك الحكومة القائمة لقانون الأزهر، وذكروا فيه تهديد رئيس ديوان الملك للمفتى الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم إذ دعاه إلى مكتبه وقال له: «إن فى وقفك هذه ضد رغبة الملك خطراً عليك»، فأجاب على الفور: أبحال بينى وبين الذهاب إلى بيت الله؟ فقال رئيس الديوان: لا. فرد عليه الشيخ على الفور: إذن لا خطر.

وكان الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق طيب الله ثراه من أشد الشخصيات مكانة وحباً فى قلوب الأزهريين، وطالما اعتذر عن قبول منصب المشيخة فى هذه الأزمة، إلا أن الملك كان يحب أن يتصرف فى الأزهر وفق هواه، وكانت وقفة الشيوخ المشرفة ضد الملك ذات مغزى بييد فى الشعب والعالم الإسلامى.

-٤-

نداء من علماء الأزهر إلى أبناء العربية والإسلام

صدر فى المحرم ١٣٦٧هـ ديسمبر ١٩٤٧م

بسم الله الرحمن الرحيم: يا معشر العرب والمسلمين! قضى الأمر! وتآلبت عوامل البغى والطغيان على فلسطين، وفيها المسجد الأقصى! أولى القبلتين. وثالث الحرمين، ومنتهى إسراء خاتم النبيين، صلوات الله وسلامه عليه، قضى الأمر، وتبين لكم أن الباطل مازال فى غلوائه سادراً، وأن الهوى ما فتى على العقول مسيطراً، وأن الميثاق الذى زعموه سبيلاً للعدل والانصاف ما هو إلا تنظيم للظلم والاجحاف، قضى الأمر! ولم يبق بعد اليوم صبر على تلكم الهزيمة التى يريدون أن يرهقونا بها فى بلادنا، وأن يجثموا بها على صدورنا، وأن يمزقوا بها أوصال شعوب وحد الله بينها فى الدين واللغة والشعور، إن قرار هيئة الأمم

المتحدة، قرار هيئة لا تملكه، وهو يعد قراراً باطلاً جائراً ليس له نصيب من الحق والعدالة، ففلسطين ملك العرب والمسلمين بذلوا فيها النفوس الغالية، والدماء الذكية، وستبقى إن شاء الله -رغم تحالف المبطلين- ملك العرب والمسلمين. وليس لأحد كائنًا من كان أن ينازعهم فيها أو يشطرها أو يمزقها. وإذا كان البغاة العتاة قد قصدوا بالسوء من قبل هذه الأماكن المقدسة. فوجدوا من أبناء العروبة والإسلام قساورة ضراغم ذادوا عن الحمى، وردوا البغى على أعقابهم مقلّم الأظفار محطّم الأسنة. فإن في السويداء اليوم رجالاً، وفي الشرى آساداً، وإن التاريخ لعائد بهم سيرته الأولى.

يا أبناء العروبة والإسلام! لقد اعذرتم من قبل، وناضلتم عن حقكم بالحجة والبرهان ما شاء الله أن تناضلوا، حتى تبين للناس وجه الحق سافراً. ولكن دسائس الصهيونية وفتنتها وأموالها قد استطاعت أن تجلب على هذا الحق المقدس بخيلها ورجلها، فعميت عنه العيون، وصمت الآذان، والتوت الأعناق، فإذا بكم تقفون في هيئة الأمم وحدكم، ومدعو نصرة العدالة يتسللون عنكم لواءاً، بين مستهينين بكم وممالئ لأعدائكم، ومتستر بالصمت متصنع للحياد. فإذا كنتم قد استنفدتم بذلك جهاد الحجة والبيان، فإن وراء هذا الجهاد لإنقاذ الحق وحمايته جهاداً سبيله مشروعة وكلمته مسموعة، تدفعون به عن كيانكم، ومستقبل أبنائكم وأحفادكم، فذودوا عن الحمى، وادفعوا الذئاب عن العرين، وجاهدوا في الله حق جهاده! ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٧٤]. ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦].

يا أبناء العرب والإسلام! خذوا حذرکم، فانفروا ثبات أو انفروا جميعاً، وإياكم أن يكتب التاريخ أن العرب الأباة الأماجد قد خروا أمام الظلم ساجدين، أو قبلوا الذل صاغرين.

إن الخطب جلل، وإن هذا ليوم الفصل، وما هو بالهزل. فليبذل كل عربى وكل مسلم فى أقصى الأرض وأدناها من ذات نفسه وماله، ما يرد عن الحمى كيد الكائدين، وعدوان المعتدين، سدوا عليهم السبل، واقعدوا لهم فى كل مرصد، وقاطعوهم فى تجارتهم ومعاملاتهم، وأعدوا فيما بينكم كتائب للجهاد، وقوموا بفرض الله عليكم، واعلموا أن الجهاد الآن قد أصبح فرض عين على كل قادر بنفسه أو ماله، وأن من يتخلف عن هذا الواجب فقد باء بغضب من الله وإثم عظيم. ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١٠].

فإذا كنتم بإيمانكم قد بعتم الله أنفسكم وأموالكم فيها هو ذا وقت البذل وللتسليم، فأوفوا بعهد الله يوف بعهدكم. وليشهد العالم غضبتكم للكرامة، وذودكم عن الحق. ولتكن غضبتكم على أعداء الحق وأعدائكم لا على المحتمين بكم، ممن لهم حق المواطن عليكم والاحتماء بكم، واحذروا أن تعتدوا على أحد منهم، إن الله لا يحب المعتدين. . ولتجاوب بعد الأصداء فى كل مشرق ومغرب بالكلمة المحببة إلى المؤمنين: الجهاد! الجهاد! الجهاد! والله معكم ولن يتركم أعمالكم.

-٥-

أقيم حفل لتأبين المرحوم «عاطف بركات»^(١) بمدرسة المعلمين العليا فى الخميس الثالث عشر من صفر ١٣٤٣هـ، الموافق الحادى عشر من شهر سبتمبر ١٩٢٤م، وأرسل شوقى قصيدة لتلقى فى الحفل، وكان مما قال فيها:

وحارب دونها صرعى قديم كأن بهم على الزمان انقطاعا
إذا لمح الجديديد لهم تولوا كذى رمد على الضوء امتناعا

وكان فى الحفل جمهرة من شيوخ الأزهر. منهم شيخ الجامع الأزهر ومفتى الديار المصرية إذ ذاك، فعدوا ذلك جرحاً لكرامتهم، وكتب المرحوم الشيخ

(١) الأستاذ محمد كامل الفقى -مجلة الأزهر- الأزهريون أساتذة شعراء العصر.

محمود الغمراوى مقالاً بعنوان «أمير الشعراء ورجال الأزهر للحقيقة والتاريخ» نشرته جريدة الأخبار بتاريخ ١٧ من صفر سنة ١٣٤٣هـ الموافق ٦ من سبتمبر سنة ١٩٢٤م.

وقال شوقى يرد على ما كتب حول الموضوع: وما أنا من ينسى أن معظم أساتذة مدرسة القضاء نفسها فى العلوم الشرعية بوجه خاص كانوا من شيوخ الأزهر ورجاله، وليس من المعقول أن يكون هؤلاء الأفاضل حرباً عليها وهم فى النهوض بها شركاء. إن للأزهر عندى حرمة لا أحب أن يتشكك فيها الأستاذ، وأعتقد أن الأزهر قد سد فراغاً كبيراً كان التعليم فى مصر والبلاد الشرقية جميعاً لا يرجى له بدون الأزهر من سداد. وسأظل فخوراً بأن من أساتذتى شيوخاً من صميم الأزهر الشريف وكبار علمائه.

وقد أراد شوقى أن يؤكد حبه للأزهر، وينفى عنه مظنة النيل من أبنائه فالتمس فكرة إصلاح الأزهر، ونظم قصيدته:

قم فى فم الدنيا وحى الأزهر	وانثر على سمع الزمان الجوهرا
واجعل مكان الدر إن فصلته	فى مدحه خرز السماء النيرا
واذكره بعد المسجدين معظما	لمساجد الله الثلاثة مكبرا
واخشع مليا واقض حق أئمة	طلعوا به زهرا وماجوا أبجرا
كانوا أجل من الملوك جلالة	وأعز سلطانا وأفخم مظهرا
زمن المخاوف كان فيه جنابهم	حرم الأمان وكان حصنهم الذرا
من كل بحر فى الشريعة زاخراً	ويريكه الخلق العظيم غضنفا
ومنها:	

لاتخذ حذو عصاة مفتونة	يجدون كل قديم شىء منكرا
ولو استطاعوا فى المجمع أنكروا	من مات من آبائهم أو عمرا
من كل ماض فى القديم وهدمه	وإذا تقدم للبنية قصرا

وأتى الحضارة بالصناعة رثة
 يا معهداً أفنى القرون جداره
 ومشى على ييس المشارق نوره
 وأتى الزمان عليه يحمى سنة
 فى الفاطميين انتمى ينبوعه
 عين من الفرقان فاض نغيرها
 ما ضرني إن ليس أفقك مطلعى
 لا والذي وكل البيان إليك لم
 لما جرى الإصلاح قمت مهنئاً
 نبأ سرى فكسا المنارة حبرة
 وسما بأروقة الهدى فأحلها
 ومشى إلى الحلقات فانفجرت له
 حتى ظننا الشافعى ومالكا
 إن الذى جعل العتيق مثابة
 العلم فيه مناهلا ومجانبا
 يا فتية المعمور سار حديثكم
 المعهد القدسى كان نديه
 ولدت قضيتها على محرابه
 وتقدمت تزجى الصفوف كأنها
 هزوا القرى من كهفها ورقيمها
 الغافل الأمل ينطق عنكمو
 يمسى ويصبح فى أوامر دينه

والعلم نزرًا والبيان مثرثرا
 وطوى اللبالي ركنه والأعصرا
 وأضاء أبيض لجها والأحمرا
 وينود عن نسك ويمنع مشعرا
 عذب الأصول كجدهم متفجرا
 وحيا من الفصحى جرى وتمهدرا
 وعلى كواكبه تعلمت السرى
 آل دون غايات البيان مقصرا
 باسم الحنيفة بالمزيد مبشرا
 وزها المصلى واستخف المنبرا
 فرع الثريا وهى فى أصل الثرى
 حلقة كهالات السماء منورا
 وأبا حنيفة وابن حنبل حضرا
 جعل الكنانى المبارك كوثرنا
 يأتى له النزاع يبنفون القرى
 نذا بأفواه الركاب وعنبرا
 قطبا لدائرة البلاد ومحورا
 وحببت به طفلا وشبت معصرا
 (جاندرك) فى يدها اللواء مظفرا
 أنتم لعمر الله أعصاب القرى
 كالبيغاء مردداً ومكررا
 وأمور دنياه بكم مستبصرا

لو قلتمو اختر للنياحة جاهلا أو للخطابة باقلا لتخيرا
 ذكر الرجال له فآله عصبية منهم، وفسق آخرين، وكفرا
 أبأؤكم قرأوا عليه ورتلوا بالأمس تاريخ الرجال مزورا

صور عن هيكل الأزهر القديم

أبواب الجامع الأزهر:

للجامع الأزهر تسعة أبواب:

الأول: باب الزينين وهو الباب الكبير تجاه رأس شارع الصنادقية له بابان كل باب بمصرعين وهو من زيادات الأمير عبد الرحمن كتحدا ومنقوش على وجهته من الخارج أبيات مموهة بالذهب تشتمل على تاريخ بنائه وهي:

إن للعلم أزهراً يتسامى كسماء ما طاولتها سماء
 حيث وافاه ذا البناء ولولا منة الله ما تسامى البناء
 رب إن الهدى هداك وآيا تك نور تهدي به من تشاء
 مذن تنهى أرخت باب علوم وفخار به يجاب الدعاء

والباب الأصلي من هذه الجهة هو الباب المواجه للداخل مما يلي صحن الجامع وبينهما كان يجلس المزينون لخلق رءوس الطلاب فعرف الباب بذلك، وكان منقوشاً على هذا الباب الأصلي في الحجر: بسم الله الرحمن الرحيم: أمر بإنشاء هذا الباب والمثذنة الشريف مولانا السلطان الأشرف قايتباي بتاريخ شهر رجب الفرد ثلاثة منه سنة ٨٨٨هـ، وفوق ذلك: لا إله إلا الله محمد رسول الله نصر من الله وفتح قريب وفوقها إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، وفوق ذلك كوفية دقيقة الحروف يتعسر قراءتها وقد أزيلت هذه الكتابة بالتجديدات القريبة.

الثاني: الباب العباسي وهذا الباب في صف الباب الأول وهو باب شامخ ذو فخامة وشأن، أحدثته الأوقاف عند تأسيس الرواق العباسي منقوش على واجهته من الخارج في الحجر بالحروف المموهة بالذهب من أعلاه: كان الإنشاء والفراغ في

عهد إدارة فيضى باشا لعموم الأوقاف بمباشرة صابر بك باشمهندس عموم الأوقاف، وتحت ذلك بيتان فيهما تاريخ الإنشاء.

ومنقوش تحت ذلك آية: «إنما يعمر مساجد الله» من الجانب الأيمن إلى الجانب الأيسر ومن داخل هذا الباب فناء يصل لباب الصحن الأزهر وعلى يمين الداخل باب زاوية الرواق العباسى المعدة للتدريس.

الثالث: باب المغاربة وهو تجاه درب الأتراك ويتوصل منه إلى صحن الجامع بعد المرور بين رواق المغاربة ورواق السنارية والأتراك.

الرابع: باب الشوام يقابله الوكالة التى أنشأها السلطان قايتباى ويسلك منه إلى المقصورة القديمة.

الخامس: باب الصعايدة هو بعد باب الشوام تجاه حارة الباطلية وله بابان، كل باب ذو مصراعين وهو من إنشاء المرحوم الأمير عبد الرحمن كتحدا ويتوصل منه بين المرور بعد رواق الصعايدة ومدفن الكتحدا إلى باب واحد يوصل إلى المقصورة الجديدة التى هى من إنشاء الكتحدا.

السادس: باب الحرمين وهو يسلك من رواق الحرمين وهو مغلق أبداً وهو من إنشاء كتحدا.

السابع: باب الشورية وهو تجاه رقعة القمح بجوار منزل السيد عمر مكرم نقيب الأشراف بالديار المصرية سابقاً وهو من إنشاء الأمير عبد الرحمن كتحدا ويتوصل منه إلى المقصورة الجديدة بساحة طويلة تنتهى إلى مدفن فى زاوية المسجد يقال له مدفن الست نفيسة البكرية بنت الشيخ محمد بن عبد الله جلال الدين البكرى الصديقى، وهو صاحب المسجد القريب من باب الشورية أمام عطفة الشيخ الأمير وسمى باب الشورية لقربه من مطبخ الشورية الذى كان يطبخ فيه الأرز فى رمضان ويفرق على فقراء الأزهر.

الثامن: باب الجوهريه هو باب صغير تجاه زاوية العميان يسلك منه إلى المقصورة الجديدة بعد المرور فى المدرسة الجوهريه ويسلك الخارج منه إلى زقاق ضيق يوصل إلى شارع الشنوانى أمام مسجد العدوى وهو من إنشاء جوهر القنباى.

التاسع: باب الميضاة ينفذ في الزقاق الخارج إلى باب المزينين مجعول لدخول الحفاة.

مقاصير الأزهر:

للأزهر مقصورتان جديدة وقديمة: فالجديدة من إنشاء الأمير عبد الرحمن تتخدا وهي المعروفة عند أهل الأزهر بالإيوان العالى.

والقديمة أصل الجامع الأزهر من إنشاء القائد جوهر وتحتوى على ست وسبعين أسطوانة وتمتد من باب الشوام إلى رواق الشراقة، وكان فيها المنبر فنقله الكتخدا لما بنى المقصورة الجديدة ولها ثلاثة أبواب إلى صحن الأزهر ويتخللها شبابيك من الخشب المخروط.

محارِب الأزهر:

فى المقصورة الجديدة محربان: محراب كبير يصلى فيه الإمام الصلوات الخمس وهو مالكى المذهب، وعليه قبة مرتفعة قائمة على ستة أعمدة، والمحراب الآخر عن شمال المنبر وهو محراب صغير مزركش يعرف بقبة الشيخ الدردير، وفى المقصورة القديمة الآن محراب واحد، وهو المحراب الأصيلى القديم ويعرف بالقبة القديمة، يصلى فيه الإمام الصلوات الخمس وهو شافعى المذهب، وعلى هذا المحراب أيضاً قبة عظيمة مرتفعة وعلى يمينه صندوق موضوع على رف يقال إن به آثاراً قديمة، وأن لذلك سرّاً عجيباً فى عمارته، وكان فى المقصورة القديمة قبة بقرب باب الشوام وكانت تعرف فى الزمن الأخير بقبة الشيخ البيجورى شيخ الإسلام بسبب صلاته عندها كثيراً، وكان بقرب رواق الشراقة قبة صغيرة من خشب تعرف بقبة الخطيب الشربينى، وكان عليها كتابة بالخط تدل على أن عملها كان سنة ٦٢٧.

وفى صحن الجامع كان أربعة محارِب صغار بظاهر المقصورة محراب يلى رواق معمر وكان مكتوباً عليه: جدد هذا المحراب السعيد على يد العبد الفقير إلى الله تعالى الخواجة محمود بن جلىبى غفر الله له وللمسلمين ويكتنف باب المقصورة الوسط محربان من الحجر مكتوب بأعلى أحدهما بالكوفى لا إله إلا الله محمد

رسول الله، وكان عند الباب الثالث محراب مكتوب عليه أمر بتجديد هذا المحراب السعيد سيدنا ومولانا الإمام الأعظم والملك الأكرم السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباى، وكان عند رواق الأتراك محراب صغير مصنوع بالقيشاني وقد أزيلت، وكان أمامه «دكة» صغيرة غير مستعملة للتبليغ وذلك غير المحارب التي فى المدارس الملحقة بالجامع وموجود بالمقصورتين «دكتان» تستعملان يوم الجمعة للتبليغ.

صحن الأزهر ومناراته ومزاوله:

أما صحن الأزهر هو متسع مفروش بالحجر النحت، وتحت هذا الفرش أربعة صهاريج متسعة للماء الحلو، ولها أفواه من الرخام ناتئة فى الصحن نحو متر يجلس فيه الطلاب أيام الشتاء للمطالعة والريضة ويبيتون فيه فى ليالى الصيف، وفى دائرة بوائك مسقفة يجلس فى بعضها الأطفال ومعلمو القرآن الشريف.

وأما مناراته فكان به ست منارات يؤذن عليها فى الأوقات الخمس وفى الأسحار وتوقد فى ليالى رمضان والمواسم، منها منارة خارج باب المزينين عن يمين الداخل تشرف على الشارع وهى من إنشاء الأمير عبد الرحمن كتخدا وكان يتوصل إليها من باب الميضأة الذى عن يمين الداخل قبل الطيرسية وقد أزيلت مع الميضأة وبني مكانهما الرواق العباسى وإدارة الأزهر القديمة. . ومنها ثلاث منارات من داخل باب المزينين مشرفة على صحن الجامع: إحداها منارة الأقبغاوية عن يسار الداخل إلى الصحن، وهى أول مثذنة عملت بديار مصر من الحجر بعد المنصورية، وكانت المنارات قبل ذلك تبنى بالآجر، وقد أنشأها الأمير علاء الدين آقباغا عبد الواحد مع مدرسة الأقبغاوية، واثنتان عن يمين الداخل فالتى فى جانب الباب مما يلى الداخل أنشأها السلطان الأشرف قايتباى، والتى تليها من إنشاء السلطان الغورى، وهى أعلى مناراته وأعظمها، ويتوصل لهما من باب صغير فى صحن الجامع يصعد منه إلى سطحه فيه لكل منهما باب، والخامسة بباب الصعايدة يتوصل إليها من رواق الصعايدة، والسادسة بباب الشورية وبابها من الداخل وهما من إنشاء الأمير عبد الرحمن كتخدا والغالب فى مؤذنى الأزهر قديماً أن يكونوا مكفوفين محافظة على عورات أهل المساكن المجاورة للأزهر ولكل منارة خلوة لإقامة مؤذنيها لانتظار

الأذان بها ولا يؤذنون إلا بتنبية الميقاتي المجهول لخصوص ذلك، والغالب أن أذان الأزهري ينبئ عليه أذان أكثر منارات القاهرة.

وأما مزاوله: فكان فيه قديماً سبع مزاول أربع في صحته لمعرفة وقت الظهر على يمين الداخل من باب المزينين وثلاث جهة رواق معمر لمعرفة وقت العصر ولم يوجد الآن غير مزولة واحدة بصحن الأزهري على يمين الداخل من باب المزينين وأخرى محفوظة بالسطح غير مستعملة، وهما من عمل الوزير أحمد باشا كور المتولي على مصر سنة ١١٦١ نقشهما على لوحين من رخام، وعمل لهما تاريخاً منقوشاً على كل لوح منهما وهو هذا:

مزولة مستقنة	نظيرها لا يوجد
راسمها حاسبها	هذا الوزير الأمجد
تاريخها أتقنها	وزير مصر أحمد

أروقة الأزهري:

أما أروقة الأزهري فعددها ٢٩ رواقاً، والأروقة هي:

الرواق العباسي: بنى هذا الرواق المشيد وتم بناؤه في عهد الأريكة العباسية، وفي مشيخة الشيخ حسونة النواوي للأزهري، واحتفل بافتتاحه في ٢٤ شوال سنة ١٣١٥ هجرية فجاء هذا الرواق على أبدع طراز مصري في هندامه ونقشه وأوضاع شبائكه وأبوابه وأنفقت الأوقاف عليه ستة آلاف وثمانين جنيهاً وهو في الحدود الغربية للجامع مطل على الشارع، ويشتمل هذا الرواق على ثلاثة أدوار:

الأول: المسامت سطحه لسطح الجامع، وهو فسيح يشتمل على محل لمجلس إدارة الأزهري الشريف وباب المشيخة، ومنه محال للمكتبة وزاوية كبيرة بمحراب جميل الصنع دقيق التركيب والنقش للصلاة والتدريس والحفلات الرسمية الكبيرة للجامع، وفيه جملة منافع أخرى.

الثاني: مقسم بأجمل غط صحي يشتمل على قاعة للميقاتية بجوار السلم وقاعة أخرى لجندى الأزهري، ورواق متعدد القاعات لطلاب اليمن، ومحل لحكيم

وصيدلى الأزهر، وأول حكيم للأزهر كان هو الدكتور عباس حلمى، ورواق لبعض الطلاب وآخر لطلاب الطيرسية وأمثاله للبحاروة والإسكندرانبة ومحل للدفترخانة الأزهرية.

الثالث: يشتمل على محلات لمفتى الديار المصرية وأمين الافتاء وكتبة الافتاء، ويشمل الرواق أربعة غرف لطلبة الاكراد، وآخر لطلبة الأقبغاوية، وآخر للذكارنة، وآخر للهنود وآخر للبغداديين. فقد جمع كثيراً من الأروقة، والرواق العباسى افتتح فى ٢٤ شوال ١٣١٥هـ.

رواق الطيرسية: فى الخطط المقرزية هذه المدرسة من المدارس الملحقه بالجامع الأزهر وهى غربية، مما يلى الجهة البحرية أنشأها الأمير علاء الدين طيبرس وجعلها مسجداً لله تعالى زيادة فى الجامع الأزهر، وقرر بها درساً للفقهاء الشافعية، وأنشأ بجوارها ميضأة وحوض ماء ترده الدواب، وتأنق فى رخامها وتذهيب سقوفها، حتى جاءت فى أبدع زى وأبهج ترتيب وانتهت عمارتها سنة ٧٠٩ وكان لها بسط تفرش يوم الجمعة، وكان لها إمام، وكان فيها خزانة كتب وخزن كثيرة، وجددها الأمير عبد الرحمن كتخدا، وقد ذهبت أوقافها ورمت فى عهد الخديوى عباس الثانى وجعلت كتيخانة الأزهر فى سنة ١٣١٤ ونقلت طلبتها للرواق العباسى، وطيبرس كان قائداً للجيش المصرى، ومات سنة ٧١٩هـ.

رواق الأقبغاوية: فى خطط المقرزى هذه المدرسة بجوار الأزهر على يسرة الداخل إليه من بابه الكبير الغربى -باب المزينين- تجاه المدرسة الطيرسية كان موضعها دار الأمير الكبير أيدمر الحلى نائب السلطنة فى أيام الملك الظاهر، وميضأة للجامع الأزهر أنشأها الأمير أقبغا وجعل بجوارها قبله ومنارة وكانت مدرسة مظلمة ليس عليها من بهجة المساجد ومن أنس بيوت العبادات شئ البتة، وذلك أن أقبغا عبد الواحد أقرض ورقة أيدمر الحلى مالا، وأمهل حتى تصرفوا فيه ثم ألجأهم فى الطلب إلى أن أعطوه دراهم فهدمها وبنى موضعها هذه المدرسة، وأضاف أمثال ذلك من الظلم فبناها بأنواع من الغضب وأخذ قطعة من سور الجامع حتى ساوى بها المدرسة الطيرسية وحشر لعملها الصناعات البنائين والتجارين وجميع أنواع الفعلة بأن يعمل كل منهم فيها يوماً فى كل أسبوع بغير أجره،

وجعل عليهم مملوكًا من مماليكه لم يرد الناس أظلم منه ولا أعتى منه، ولا أقسى قلبًا منه، فلقى العمال منه مشقات لا توصف، وحمل إليها سائر ما يحتاج من خشب وحجر ورخام ودهان، من غير أن يدفع ثمنًا البتة، وتم بناؤها سنة ٧٤٠ هجرية، ورتب لها الخدمة فكان لها إمام ومؤذن وفراشون وقومة ومباشرون، وكان لها ثلاثة أبواب أحدها يصل للصحن من رواق الفيضة، والثاني لزقاق الميضاة، والثالث لباب المزينين، وموجود لها الآن بابان أحدهما يفتح على القبة، وللقة باب آخر من باب المزينين، وهو مستعمل، والثاني وهو مغلق، وهى الآن محل كتبخانه الأزهري، ونقلت طلبتها للرواق العباسي.

رواق الأكراد: كان عن يمين الداخل من باب المزينين بجوار رواق اليمينية وبأعلاه مساكن فأزيل ونقلت طلبته إلى الرواق العباسي.

رواق الهنود: كان عن يمين الداخل من الباب المذكور بينه وبين باب الطيرسية به مسكن أرضى وأربعة مساكن علوية وقد أزيل ونقلت طلبته إلى الرواق العباسي.

رواق البغداديين: هو كان بأعلى رواق الهنود كان يشتمل على مسكنين ومطبخ وبيت خلاء وأزيل ونقلت طلبته للرواق العباسي.

رواق البرتية: كان فى زاوية الرحبة المسقوفة خارج باب الأتراك بين رواق الأتراك ورواق اليمينية، وهو محل أرضى صغير كان جزءًا من رواق الأتراك، وقد هدم والعمارة جارية فيه الآن.

رواق اليمينية: كان بجوار رواق البرتية له باب على الرحبة المسقوفة خارج باب الأتراك وقد أزيل وسكنت طلبته الرواق العباسي.

رواق الجبرتي: هو داخل رواق البرتية وهو أوسع منه وقد هدم وأجريت فيه العمارة من زمن بعيد.

رواق الأتراك: أنشأه السلطان قايتباي، وجدده الأمير كتحدا وأنشأ فيه زيادات، وكان يحتوى على ستة عشر عمودًا من الرخام واثني عشر مسكنًا علويًا وله خزانة كتب عظيمة جامعة وكان له مطبخ وبئر، وأوقافه يستحقها كل طالب من بلاد

الترك، ولو كان عتيقًا، وكان له بابان باب مسامت لباب رواق المغاربة وباب على صحن الجامع، وفى سنة ١٣١٩ أخذت الأوقاف فى نقضه مع ما سواه من الأروقة لغاية باب الصعايدة، وكان فى عزمها تجديد هذه الأروقة ببناء شامخ مثل الرواق العباسى.

رواق السنارية: كان على يسار الداخل من باب المغاربة قبل رواق الأتراك، وكان يحتوى على مساكن علوية ونقض فى ضمن العمارة السابقة سنة ١٣١٩.

رواق المغاربة: هو كان على يمين الداخل من باب المغاربة، وكان له بابان باب فى الصحن فى طرقة باب المغاربة، وكان يشتمل على خمس بوائى قائمة على أعمدة من رخام، وكان فيه مساكن علوية وله كتبانة كبيرة، وكان له مطبخ ويثر وحنفية ويستحق أوقافه كل مجاور مغربى، وكان له كاتب مثل رواق الأتراك.

رواق السليمانية: كان بين باب الشوام ورواق الجاوة، وكان به خمسة مساكن وخزانة كتب كبيرة.

رواق الجاوة: هو كان بين رواق السليمانية ورواق الشوام، وبه خزانة كتب ونقض بناؤه.

رواق الشوام: وهو عن يمين الداخل من باب رواق الشوام وهو من إنشاء السلطان قايتباى وزاد فيه الأمير عثمان كتخدا، ثم الأمير عبد الرحمن كتخدا، حتى صار أكبر من رواق الصعايدة، وكان بأعلاه نحو الثلاثين حجرة لمجاورى الشوام، وقد أوقف عليه كل من الأميرين المذكورين أوقافًا جارية على أهله إلى الآن وبه خزانة كتب كبيرة وكان فيه بئر وحنفية.

رواق الدكارنة: هو فوق الأوان عن شمالى الداخل من باب الصعايدة وهو أرضى وفوقه بعض من رواق الشوام.

رواق الصعايدة: وهو من أشهر أروقة الأزهر وهو على يمين الداخل من باب الصعايدة وهو يحتوى على إيوان متسع بوسطه عمود من الرخام وبداخله خزانة فيها كتب كثيرة، ولها قيم يغير منها لمن يطلب من أهل العلم وله مطبخ، وكان تحت الرواق صهريج كبير يشرب منه عموم أهل الأزهر وهذا الرواق بجميع جهاته

من إنشاء الأمير عبد الرحمن كتخدا مع عماراته بالأزهر، وله شيخ مخصوص وقد استقرت مشيخة هذا الرواق عدة أجيال في المشايخ العدوية، وله أوقاف كثيرة.

رواق الحرمين: هو عن يمين الذهاب إلى المنبر السالك من باب الصعايدة وهو يحتوى على قاعة سفلية وثلاث حجر علوية ويسكنه أهل مكة المشرفة والمدينة المنورة والطائف وغيرهما من بلاد الحجاز وهو من إنشاء المرحوم عبد الرحمن كتخدا.

رواق البرابرة: هو مجرد خزن ودواليب عن شمال الداخل من باب الشورية.

رواق دكارنة سليح: هو مجرد مخزن ودواليب بجوار رواق الشراقوة ونقلت طلبته إلى الرواق العباسي.

رواق الشراقوة: فى النهاية البحرية من المقصورة القديمة، وهو من إنشاء إبراهيم بك الوالى بسبب شيخ الإسلام الشيخ الشرقاوى، شيخ الأزهر ويسكنه مجاوروا الشراقوة، وقد استعان الشيخ بامرأة عمياء فقيهة تحضر عنده فى درسه إلى الست عديلة هانم بنت إبراهيم بك الكبير فكلمت زوجها إبراهيم بك المعروف بالوالى بأن يبنى له مكاناً خاصاً بطائفته فأجابه إلى ذلك وبنى الرواق المذكور، وكان المجاورون الشراقوة يسكنون بمدرسة الطيرسية ورواق معمر فتشاجروا مع أهل الطيرسية ومنعهم شيخها من الدخول فكان ذلك سبباً فى بنائه.

رواق الجوهريّة: هو مدرسة من المدارس الملحقّة بالأزهر وهى تجاه زاوية العميان وهى صغيرة ليس بها عمد، وتشتمل على إيوانين متقابلين، وبينهما ممر مفروش بالرخام، وبها قبلة صغيرة، وعلى دائرها منقوش فى الحجر، بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذْنُ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ [النور: ٣٦]، وبأعلاها خلوتان وبها خزن جميلة التركيب، وكان يدرس بها بعض العلماء، وقد أنشأها جوهر القنقباى، وكان بداخله مدفنه، وبنيت فى القرن التاسع.

رواق زاوية العميان: هو خارج الجوهريّة فى الجانب الثانى من الحارة بينهما ممر من الحجر يمشى عليه المتوضئون من ميضتها، وهى من إنشاء المرحوم عثمان كتخدا وهذه الزاوية تحتوى على أربعة أعمدة من الرخام، ولها قبلة وميضأة،

وفوقها ثلاث حجر للعميان ولا يسكنها غيرهم، ولهم شيخ منهم ومرتباتهم تصرف عليهم.

رواق الحنابلة: وهو بجوار زاوية العميان أنشأه المرحوم عثمان كتحدا منشئ زاوية العميان، وهو يحتوى على ثلاثة مساكن علوية، جدها الأمير راتب باشا وأجزى على أهل هذا الرواق مرتبات عظيمة.

رواق معمور: هذا الرواق عن يمين الداخل لدورة المياه، للأزهر وهو رواق مشهور لكثرة من ينتمى إليه بسبب أنه لا يخص جهة بخلاف غيره.

رواق الفشنية: كان بين رواق الحنفية وبين دورة المياه، وقد أزيل ولم يبق به سوى خزن ودواليب لمنافع المجاورين.

رواق الحنفية: هذا الرواق بين رواق الفشنية والشنوانية وكان بابه إلى الصحن يدخل منه فى سرداب ضيق طويل وذلك السرداب أصله من رواق الفشنية أخذ منه بعوض، وقد أزيل ذلك السرداب كما أزيل غيره من الأروقة المجاورة له، فإنه لم يوجد بها سوى خزن لأمتعة المجاورين. . أنشأ هذا الرواق الأمير راتب باشا الكبير سنة ١٢٧٩ وكان موضعه بيوتاً مملوكة لأربابها فاشتراها المرحوم عباس الأول وهدمها وأسسها لبنيها رواقاً لأهل بلد الشيخ البيجورى شيخ الأزهر فى ذلك الوقت، ثم مات ولم يتمه فمكث زمناً طويلاً ثم أكمله راتب باشا المذكور من ماله وجعله رواقاً للحنفية وهو متسع وفيه أربعة أعمدة من الرخام وبه دواليب كثيرة لمنافع مجاوريه وبأعلاه ثلاث عشرة حجرة للمتقدمين من مجاوريه، وبه خزانة كتب جامعة لها قيم يغير منها لعموم المجاورين، وكان له باب ينفذ إلى الميضاة وجعل فيه حنفية للوضوء وأوقف راتب باشا على أهله أوقافاً عظيمة وجعل النظر عليه لمفتى الديار المصرية من الحنفية، ولما تولى إفتاء الديار المصرية الشيخ محمد عبده سنة ١٣١٧ زاد فى مرتبات أهله، وشكل لجنة لامتحان من يتقل من درجة لأخرى وأجرى الامتحان على العموم، وبذلك تقدم من تأخر وتأخر من تقدم وحرّم من حرّم.

رواق الشنوائية: هو بالزاوية الشرقية من الصحن بجوار رواق القيمة، وهو الآن مجرد لها دواليب فيها أمتعة المجاورين.

رواق القيمة: هو فى الزاوية الشرقية المذكورة بجوار رواق البحاروة، ولم يبق به سوى خزن لأمتعة المجاورين، ونقلت طلبته من قبل بالرواق العباسى.

رواق البحاروة: هو مخصوص بمجاورى أهل البحيرة لا يشاركونهم فيه غيرهم وله شيخ ونقيب ومرتبات، ولم يبق به الآن غير خزن لأمتعة المجاورين، ونقلت طلبته للرواق العباسى.

حارات الأزهري:

عدها ثلاث عشرة حارة: حارة البيجرمية، حارة العفيفى، حارة الزراقة، حارة البشاشة، حارة السليمانية، حارة الجيزاوية، حارة الدكة والمنبر، حارة الممشى، حارة النفاورة، حارة الزهار، حارة الواطية، حارة الشنوائية، حارة المناصرة، ولكل حارة شيخ ونقيب.



الباب السادس

صورة عن النشاط العلمى فى الأزهر



الفصل الأول: منهج الدراسة فى الأزهر وقوانينه

الأزهر والحركة الفكرية المعاصرة

يتولى الزعامة الفكرية فى مصر اليوم أفراد قلائل من كبار مفكرينا، الذين جمعوا بين الثقافتين العربية والغربية، وهم فى فهمهم لثقافة الغربية مدينون للدراسات الغربية التى تلقوها فى جامعات الغرب أو فى أمهات الثقافات الأوربية المعاصرة، أما فهمهم للثقافتين العربية والإسلامية فهم مدينون أولاً لآراء محمد عبده فى الإصلاح الدينى والتوجيه الفكرى.

لقد كانت آراء محمد عبده الإصلاحية التقدمية هى المعين الذى استقى منه كبار مفكرينا من أمثال عبد العزيز فهمى ولطفى السيد وطه حسين وسواهم، وإليه يرجع الفضل فى تحررنا الفكرى، ويقظتنا الروحية وفى النهضة التى وصلنا إليها.

ومن تأثر بآراء محمد عبده الشيخ طنطاوى جوهرى، وكان من أعلام الأزهريين فى العصر الحديث، وله كثير من البحوث والمؤلفات العميقة، ومن أهمها: تفسيره للقرآن الكريم، ومن أهم مؤلفاته الأخرى: جمال العالم - جواهر العلوم - ميزان الجواهر - النظام والإسلام - نظام العالم والأمم - التاج المرصع - الزهرة فى نظام العالم والأمم - نهضة الأمة وحياتها - الفرائد الجوهريّة فى الطرف النحوية - الحكمة والحكماء - جوهر التقوى - الرسالة القازانية - مذكرات أدبيات اللغة العربية - أين الإنسان - صدى صوت المصريين فى أوربا - رسالة تعدد الزوجات - رسالة الموسيقى - سوانح الجوهرى - ملخص كتاب فلنون - جواهر الإنشاء - نظم ملخص كتاب أدب الدنيا والدين - رسالة الهلال - أصل العالم - ملخص كتاب حى ابن يقظان - الأرواح - جوهرة السفر . .

وكذلك تأثر به الشيخ مصطفى عبد الرازق شيخ الأزهر الأسبق، والشيخ محمد رشيد رضا، والشيخ المراغى، والشيخ محمد الأحمدى الظواهرى، والشيخ عبد المجيد سليم، والشيخ إبراهيم حمروش، وغيرهم من أعلام الفكر وقادة الحركة الإسلامية فى مصر والشرق العربى.

ويقول حافظ في رثاء الإمام محمد عبده، مصوراً عظم النكبة فيه، ومتحدثاً عن مكانة الأستاذ الإمام، وعن أثره الفكري في حياة الجيل المعاصر:

سلام على الإسلام بعد محمد	سلام على أيامه النضرات
على الدين والدنيا، على العلم والحجا	على البر والتقوى، على الحسنات
لقد كنت أخشى عادى الموت قبله	فأصبحت أخشى أن تطول حياتي
فواللهفى -والقبر بينى وبينه-	على نظرة من تلكم النظرات؟
وقفت عليه حاسر الرأس خاشعاً	كأنى حيال القبر فى عرفات
لقد جهلوا قدر الإمام فأودعوا	تجاليده فى موحش بفلاة
ولو ضرحوا بالمسجدين لأنزلوا	بخير بقاع الأرض خير رفات
تباركت! هذا الدين دين محمد	أترك فى الدنيا بغير حماة؟
تباركت! هذا عالم الشرق قد قضى	ولانت قناة الدين للغمزات
زرعت لنا زرعاً فأخرج شطاه	وبنت ولما لجنت الثمرات
مددنا إلى الأعلام بمدك راحنا	فردت إلى أعطافنا صفرات
وجالت بنا تبغى سواك عيوننا	فعدن وآثرن العمى شرقات
وآذوك فى ذات الآله وأنكروا	مكانك حتى سودوا الصفحات
رأيت الأذى فى جانب الله لذة	ورحت ولم تهمم له بشكات
لقد كنت فيهم كوكباً فى غياهب	ومعرفة فى أنفس نكرات
أبنت لنا التنزيل حكماً وحكمة	وفرقت بين النور والظلمات
ووفقت بين الدين والعلم والحجا	فأطلعت نوراً من ثلاث جهات
وقفت «لها نوتو» و «رينان» وقفة	أمدك فيها الروح بالنفحات
وخفت مقام الله فى كل موقف	فخافك أهل الشك والنزغات

ووليت شطر البيت وجهك خاليًا
 وكم ليلة عاندت فى جوفها الكرى
 وأرصدت للباغى على دين أحمد
 إذا مس خد الطرس فاض جبينه
 فياسنة مرت باعواد نعشه،
 حطمت لنا سيقًا وعطلت منبرًا
 وأطفأت نبراسًا وأشعلت أنفُسًا
 مشى نعشه يختال عجبًا بربه
 تكاد الدموع الجاربات تقله
 بكى الشرق فارنجت له الأرض رجة
 ففى الهند محزون وفى الصين جازع
 وفى الشام مفجوع وفى الفرس نادب
 بكى عالم الإسلام عالم عصره
 فلا تنصبوا للناس تمثال «عبده»
 فإنى لأخشى أن يضلوا فيومئذوا
 فياويح للشورى إذا جد جدّها
 ويا ويح للفتيا إذا قيل: من لها؟
 فيا منزلا فى «عين شمس» أظلنى
 عليك سلام الله، مالك موحشا
 لقد كنت مقصود الجوانب أهلا
 مثابة أرزاق، ومهبط حكمة
 تناجى إله البيت فى الخلوات
 ونبهت فيها صادق العزمات!
 شبابة يراع ساحر النفثات
 بأسطار نور باهر اللمعات
 لأنت علينا أشأم السنوات
 وأذويت روضًا ناضر الزهرات
 على جمرات الحزن منظويات
 ويخطر بين اللمس والقبيلات
 وتدفعه الأنفاس مستعمرات
 وضائق عيون الكون بالعبرات
 وفى «مصر» باك دائم الحسرات
 وفى تونس ما شئت من زفرات
 سراج الدياجى هادم الشبهات
 وإن كان ذكرى حكمة وثبات
 إلى نور هذا الوجه بالسجادات
 وطاشت بها الآراء مشتجرات!
 ويا ويح للخيرات والصدقات
 وأرغم حسادى برغم عدائى
 عبوس المغانى، مقفر العرصات؟
 تطوف بك الآمال مبتهلات
 ومطلع أنواع، وكنز عظات

ويعد كذلك الأستاذ الإمام من فحول الكتاب الذين حرروا الكتابة العربية في النهضة الحديثة من قيودها القديمة، وأخذوا يرجعون بأساليبها إلى أرقى عصورها وأزهر أيامها. ولقد كان الشيخ محمد عبده من أفاضل رجال الدين، وقادة المفكرين - وكان أجمل وأروع قدوة المصلحين.. كما كان من أشهر رجال مصر العاملين في نهضتها الحاضرة. ولد سنة ١٨٤٥م بمحلة نصر، إحدى قرى مركز شبراخيت بمديرية البحيرة، وحفظ القرآن، وتعلم مبادئ القراءة والكتابة بها ثم أرسله والده إلى معهد طنطا، فصادف عناء في فهم العلوم لعقم طريقة التعليم وقتئذ، وكاد ينكص على عقبيه، ويعود إلى قريته، ويشغل بالفلاحة كآبيه وبقية أسرته، ولكن عناية الله قيضت له من يسر له سبيل الفهم، وحجب إليه طلب العلم، فعاد إلى مناهل العلم نهماً، وغادر معهد طنطا إلى الأزهر، وأخذ يتزود من علومه بقدر استطاعته، حتى نبه اسمه، وعرف بالذكاء والفطنة بين إخوانه، ولما قدم إلى مصر فيلسوف الشرق، جمال الدين الأفغانى، انتظم الشيخ محمد عبده في سلك تلاميذه، واقتبس من علمه وفلسفته، ولازمه ملازمة ظله، ونال إجازة العالمية، واختير مدرساً للأدب العربى والتاريخ بدار العلوم وأستاذاً للغة العربية بمدرسة اللسان، ثم اشتغل بالتحريض فى الوقائع المصرية. وشبت الثورة العرابية، فكان من أبطالها، ونفى من القطر المصرى بعد انتهائها، فذهب إلى سورية ثم انتقل إلى باريس. وأنشأ مع أستاذه جمال الدين صحيفة العروة الوثقى، ثم عفى عنه سنة ١٨٨٨م فعاد إلى مصر، وعين قاضياً فى المحاكم الأهلية، ثم كان مفتياً للديار المصرية. وبقي فى منصبه مسموع الكلمة، واسع الجاه، شديد البأس، عظيم السلطان - إلى أن وافته منيته سنة ١٩٠٥م فاهتز العالم الإسلامى لوفاته، وفقد فيه الرائد المصلح، والشجاع، الأبى، والمناضل المكافح، والمشعل الذى أضاء دياجى الظلمات، والسيف الذى روع الاستعمار.

بعوث الأزهر العلمية

اتصل الأزهر بأوروبا التى كان يجتويها وينظر إلى علومها نظرة المعجب لا المصدق والمتفرج لا المتأثر، والمشاهد الذى تدركه الغيبوبة فى أثناء شهوده من الدهشة والغربة، ففى سنة ١٨٢٦ شهدت باريس وشهد الباريسيون الأزهرين فى

صفوف بعثات محمد علي، وفي سنة ١٨٢٨ شهد السربون حفلاً عاماً من علماء فرنسا وعظماؤها يستمعون إلى الأزهرين في امتحانهم، ويعجبون بإجاباتهم ويصفقون لهم تنويها بهذا الإعجاب وأثبت الأزهريون عند هذا الامتحان للمرة الأولى في تاريخ مصر الحديث أن الإسلام دين علم، وأنه لين هين لا يستعصى على نزعات الفكر، إنما يستعصى على نزعات الشيطان تزجى إليه باسم العلم وباسم الدين. . نعم، كان المرحوم رفاة الطهطاوي إمام بعثات القرن التاسع عشر، وكانت وظيفته أن يصلى بالمسلمين من أفرادها، وأن يذكرهم إذا نسوا، وأن يتخولهم بالموعظة ليوظف فيهم إلى جانب حاسة عرفان العلم، إحساس وجدان الفضيلة، وما لبث رفاة الأزهرى أن كان إمام البعثات في العلم، ومبرزهم في العمل، وسابقهم في الفضل، ولم تمض سستان على عمله الذي اختطه لنفسه حتى كتب وترجم ونقل من الشمال إلى اليمين، ما كان قد نقل من اليمين إلى الشمال، فكان فيما كتب ونقل موفقاً كل التوفيق ومسداً كل السداد.

رجع رفاة إلى مصر فأكب وتلاميذه «تلاميذ مدرسة اللسن» على الترجمة والتأليف في السياسة والاجتماع والأدب والجغرافيا والتاريخ حتى كان أول من بنى قنطرة فوق الهوة التي كانت تفصل الأزهر، بل الشرق كله، عن أوروبا. ورفاة في كل أولئك لم ينس منبته ولا نشأته ولا أزهريته، فإذا كتب في تاريخ فرنسا، كتب إلى جانبه في تاريخ العرب وفي تاريخ مصر، وكأنه يقول «لكم تاريخكم ولنا تاريخنا، ولكم تراثكم ولنا تراثنا، وإذا أخذنا فلكى نزيد شخصيتنا لا لنقل منها» وإذا كتب في جغرافية «ملطبورن» نوره بذكر ياقوت الحموى وأبان عن معجمه، وإذا تحدث عن المرأة قال: إن الإسلام لم يظلمها وإنما ظلمها أهلها وإن تعاليم الإسلام لم تعد عليها وإنما عدت عليها اعتبارات وضعية من العادات والتقاليد. وضرب رفاة بهذا الاتجاه الجديد المثل الأعلى لمن يريد أن يوفق بين ماضيه وحاضره، واتخذ لمقياس التقدم وحدة الزمن الثلاثة التي تبتدىء بالماضى، وتتطلع إلى المستقبل، وتتخذ من الحاضر وصلة ما بينهما.

ومنذ أكثر من قرن أكب المستشرقون على دراسة الإسلام وعلوم الإسلام فبحثوا وأفادوا، وما يفيد الأزهر أن يقف أمام المتطرف من هذه البحوث موقف الصاحب

مكتفياً بما ينقل إليه عنهم إن بالحق وإن بالباطل، بل يجب عليه أن يتصل بهم، وأن ينازلهم في ميدانهم، وأن يقارعهم بأسلحتهم حجة بحجة ودليلاً بدليل.. . وسيسمع الأزهري عن هؤلاء المستشرقين دروس المل والنحل، الغريب منها عن الإسلام، والمشتق منها من تعاليمه وآياته، والمناسب منها مع عقلية العرب المسلمين، وما أجبروا عليه إجباراً بلا مسوغ ولا تقدير، سيسمع الأزهري عن قرب وبتصال مباشر كيف تسربت الفلسفة إلى المسلمين، وكيف أساغوا ما أساغوا منها، ورفضوا منها ما رفضوا، وسيسمع عن تطور القراءات القرآنية وعلاقتها باللغة العربية ولهجات العرب، وسيدش أبناء الأزهري إذ يرون أن كل هذه العلوم مبوبة مفصلة، سهلة لا تستعصى على قارئ ولا تحتجب وراء أساليب تقرأ لفهم هي لا مدلولاتها.

وقد رأى الأزهري مسيرة النهضة العلمية الحديثة في البلاد فأرسل البعث من علمائه الأكفاء إلى البلاد الأوروبية للتخصص في الفلسفة والتربية وعلم النفس والتاريخ وما إلى ذلك من علوم الحياة ليتمكن الانتفاع بهم بعد عودتهم في كلياته الجامعية بدل الأساتذة المندوبين إليها من المعاهد الأخرى.

بقي أن نتحدث عن الأربعة الأزهريين الذين وصلوا باريس عام ١٩٣٦ والذين أحدثوا ضجة في أنحاء الحى اللاتينى فالمصريون كانوا يتوافدون على فندقهم جماعات يحيون في أشخاصهم عهداً جديداً، ويمجدون في طلعتهم بلادهم الشرقية التى لم تمنعها شريقيتها أن تتطلع إلى الغرب فى المفيد النافع من أساليبه مع احتفاظها بطابعها الشرقى، ومدير البعثة كان يشغل بدراساتهم وبترتيب مسكنهم ومآكلهم وكل ما يمس حياتهم فى هذه البلاد، وما ذلك بالشىء اليسير لعلماء الأزهري المعروفين بالتمسك بمبادئهم. أما الأستاذ ماسنيون فقد عنى بهم عناية خاصة فقدمهم إلى إخوانه من العلماء الفرنسيين الذين يعملون معهم، وكان جميلاً منه بعد أن عرف أن من بينهم واحداً بزوجة وأطفاله الثلاثة أن يعمل على إسكانه بالقرب من حديقة «الكسمبرج» لتكون متعة ومراحاً لهؤلاء الأطفال. ولعل من الطريف أن نعرف أن الدكتور تاج أحد أعضاء هذه البعثة، وخريج السوربون قد صار شيخاً للأزهري. وقد كان من أعضاء بعثة عام ١٩٣٦ هذه فى مشيخة الشيخ

المرافعى . . وقد أرسلت طائفة أخرى فى عهد الشيخ مأمون الشناوى عام ١٩٤٩ ، وآخر مبعوث للأزهر هو الشيخ محمد فتحى عبد المنعم وقد سافر إلى فرنسا فى شهر يوليو عام ١٩٥٢ م.

ومن الذين أوفدوا من الأزهرين إلى أوربا المرحوم الشيخ عبد العزيز المرافعى، والشيخ محمد عبد الله دراز، والشيخ محمد الفحام، والدكتور ماضى، والدكتور البهى، والدكتور عبد الحليم محمود، والأستاذ على حسن عبد القادر وسواهم. وكتب الدكتور طه عام ١٩٣٥ يسدى رأيه فى بعثات الأزهر العلمية إلى أوربا، فقال:

«إذا أراد الأزهر أن يرسل بعوثًا إلى أوربا فليرسل بعوثه أول الأمر إلى الجامعة المصرية ليتثقفوا فيها بالثقافة الحديثة ثم ليختر من بين البعث من تظهر كفايته، وينبه شأنه، وتنهض الحجة على حسن استعداده. وإذا كان عند الأزهر اثنان أو ثلاثة أو أربعة قد امتازوا بكفاية نادرة واستعداد باهر فلا بأس بإرسالهم منذ الآن على أن ترسم لهم برامج ومناهج تلائم حاجات الأزهر الماسة وضروراته الملحة.

الواجب كل الواجب أن تتوازن الثقافات الأوربية حتى تستطيع الثقافة العربية الإسلامية أن تسيغها جميعًا وأن تحتفظ بشخصيتها. إنا نضن بالأزهر كل الضن أن يلقى بنفسه فى أحضان الثقافة اللاتينية أو السكسونية ونلح أشد إلحاح فى أن يظل عربيًا وعربيًا خالصًا يأخذ من الثقافات الأوربية المختلفة بمقادير متناسبة، لا يطغى بعضها على بعض. فإذا لم يكن للأزهر بد من أن يتعجل إرسال البعث إلى أوربا غير حافل بما يقدم إليه من نصيح بالمهل والآنفة، فليعد للنظر فى توزيع بعوثه على الأقطار الأوربية وليحذر كله أن يلتهم بلد من البلاد الأوربية بعوثه كلها، أو أكثرها. ولينظر إلى الجامعة فقد يحسن الاقتداء بالجامعة فى بعض الأشياء، إنها لا ترسل بعوثها إلى بلد بعينه، وإنما ترسلهم إلى البلاد الراقية فى أوروبا، فمنهم من يذهب إلى إنجلترا ومنهم من يذهب إلى فرنسا ومنهم من يذهب إلى ألمانيا، ومنهم من يذهب إلى إيطاليا. والأصل فى هذا التوزيع ما قدمته من أن الجامعة حريصة كل الحرص على أن تأخذ بأطراف مختلفة من الثقافات المختلفة لأنها ترى أن هذا أحفظ للشخصية المصرية الخالصة وأجدر أن يفتح

للمصريين أبواباً متميزة من العلم، وأجدر بعد هذا كله أن يعصم العقل المصرى من الاحتكار الثقافى».

وقد درج الأزهري كذلك منذ أمد بعيد على إرسال بعوث من علمائه البارزين لتثقيف الأمم الإسلامية، والدعوة إلى الإسلام فى البلاد التى تدين بالوثنية. فأرسل إلى الصين بعثة وإلى الحبشة وجنوب إفريقيا والهند واليابان بعثات، وقد كان لهؤلاء جميعاً أثر حميد فى نشر مبادئ الإسلام، وتبليغ تلك الأقطار رسالة الأزهري.

ولقد ظهرت آثار تلك النهضة الدينية ظهوراً واضحاً، مما بعث الأقطار الإسلامية بعثاً جديداً، ورغبها فى طلب بعثات من علماء الأزهري للتعليم فى معاهدها، فلبى الأزهري طلب تلك البلاد بسخاء وكرم، وأرسل البعثات تلو البعثات إلى العراق والمملكة العربية السعودية وسوريا ولبنان وإمارة الكويت والسودان وأسمره والبحرين وليبيا.

على الرغم من مشكلة إعداد طالب الأزهري ليكون مبعوثاً ناجحاً، فإن الكثيرين فبحوا فى رسالتهم، وكان اللقاء مع نموذجين لهؤلاء المبعوثين الناجحين.. أولهما: الدكتور رءوف شلبى المتخصص فى الدعوة الإسلامية والذى أتم ٤ سنوات فى إندونيسيا وهو حالياً مدير المركز الإسلامى فى ماليزيا منذ ٣ سنوات.. ولذلك يقول: إن أهم المشاكل التى واجهته هى الدعاية الغربية والصهيونية هناك. ولذلك فهو يرى ضرورة الربط بين مبعوثى الأزهري والسفارات المصرية بالخارج وأجهزة الإعلام الموجهة بالإضافة إلى إراحة المبعوث مادياً حتى لا تمتد يده إلى مصادر غريبة تمده بالمال لإغراض معينة. ويضيف بأن من عيوب إعداد مبعوث الأزهري القصور اللغوى الواضح لدرجة أنه تعلم اللغة المالايوية بمجهوده الشخصى لا عن طريق الجامعة، ورغم ذلك فقد أقنع آلاف البوذيين باعتماد الإسلام خلال ٣ سنوات.

ونموذج آخر للمبعوث الناجح. صاحبه على على الشريينى المتخصص فى التفسير والحديث والذى سافر إلى «جامبيا» عام ١٩٧٢، وهو مدير المدرسة

الإسلامية التى تضم (٤٠٠) تلميذا، ورشح ليكون مديراً للمدرسة الجديدة التى سوف تنشئها الجمعية الإسلامية فى (بانجول) فى العام القادم. ويتحدث عن المشاكل قائلاً: لا يوجد فى جامبيا برنامج تعليمى منظم ولا يوجد كتاب واحد مؤلف باللغة العربية، حتى أنه قام بكتابة الدروس بخط اليد لاساتذة مدرسته!، وهو يرى أن جامعة الأزهر مسئولة عن إعداد برنامج الدراسة والكتب العربية.

وكذلك وفد من الأقطار الإسلامية طلبة يتعلمون فى الأزهر، وهو يقوم بكل ما تتطلبه إقامتهم من راحة، ورفاهية عيش، ويكل إلى بعض الأساتذة المربين تعليمهم أولاً اللغة العربية، ثم يعدهم لمراحل التعليم المختلفة. وقد بلغ عددهم عام ١٩٥٠ زهاء الألف طالب.

منهج الدراسة بالأزهر منذ إنشائه

أول كتاب درس بالجامع الأزهر هو كتاب «الاقتصار» الذى وضعه أبو حنيفة النعمان بن محمد القيروانى قاضى المعز لدين الله فى فقه آل البيت، وكان يتولى دراسته بالأزهر ولده أبو الحسن على بن النعمان كما أسلفنا، ودرسه بعده بنو النعمان الذين تعاقبوا فى قضاء مصر حتى نهاية القرن الرابع. وكان يدرس بجانب الاقتصار كتب أخرى فى فقه الشيعة للنعمان القيروانى أيضاً، وهى: كتاب دعائم الإسلام، وكتاب اختلاف الأصول، وكتاب الأخبار، وكتاب اختلاف الفقهاء.

وقرىء بالأزهر كتاب ألفه الوزير يعقوب بن كلس، وكان يجلس لقراءته وتدرسه بنفسه، وأفتى الناس بما فيه. وموضوعه الفقه الشيعى على مذهب الإسماعيلية مما سمعه الوزير ابن كلس من المعز لدين الله، والعزیز بالله، ولهذا اشتهر بالرسالة الوزيرية.

وكان التدريس بالأزهر يجرى على مذهب الشيعة يومئذ، وكان فى أول الأمر من المحذور أن يدرس غير ذلك، ولهذا قبض على رجل وجد عنده كتاب الموطأ للإمام مالك، فحبس وجلد فى سنة ٣٨١هـ فى عهد العزيز بالله. وفى أواخر الدولة الفاطمية كادت تكون الدراسة فى الأزهر حرة، ولكن لم يعرف بالضبط أسماء الكتب التى كانت تدرس فى ذلك العصر.

ومن تولى التدريس بالأزهر، في العصر الفاطمي، الأساتذة بنو النعمان قضاة مصر، فكان القاضي أبو الحسن علي بن النعمان أول من درس بالأزهر، وتوفي سنة ٣٧٤هـ، ودرس بالأزهر أخوه القاضي محمد بن النعمان وتوفي سنة ٣٨٩هـ، ثم ولده الحسن بن النعمان قاضي الحاكم بأمر الله، والمؤرخ الحسن بن زولاق المتوفى سنة ٣٧٨هـ والمسبحي المتوفى سنة ٤٢٠هـ وكان من أعلام التفكير والأدب والفلك والتاريخ، وأبو عبد الله القضاعي، وهو محمد بن سلامة بن جعفر المتوفى سنة ٤٥٤هـ والحوافي النحوي، وهو أبو الحسن علي بن إبراهيم بن سعيد المتوفى سنة ٤٣٠هـ وأبو العباس أحمد بن هاشم المصري المتوفى سنة ٤٥٤هـ، وابن بابشاذ النحوي، وهو أبو الحسن طاهر بن أحمد المصري المعروف بابن بابشاذ المتوفى سنة ٤٦٩هـ وأبو عبد الله محمد بن بركات النحوي تلميذ القضاعي المتوفى سنة ٥٣٠هـ.

ولا شك أنه قد اشتهر من أولئك الأئمة من صنف الكتب الكبيرة، والمراجع العظيمة في العلوم الدينية والعربية، التي كانت تدرس في الأزهر، كالعلامة أبي الحسن علي بن إبراهيم الحوافي إمام العربية والنحو وصاحب كتاب إعراب القرآن، وابن بابشاذ النحوي صاحب كتاب المقدمة وشرح الجمل، وابن القطاط اللغوي صاحب كتاب الأفعال، وأبي محمد عبد الله بن برى المصري إمام اللغة في عصره، وغيرهم ممن انتهت إليهم الرياسة في هذا العصر، واعتبرت مصنفاتهم متوناً ومراجع.

وفي أواخر القرن السادس أي بعد ذهاب الدولة الفاطمية، وقيام الدولة الأيوبية نرى الأزهر جامعة حرة تدرس فيها العلوم العقلية أو العلوم المدنية إلى جانب العلوم الدينية بصورة منتظمة. فمثلاً نرى بين أساتذة الأزهر في هذه الفترة العلامة عبد اللطيف البغدادي يدرس الطب والفلسفة والمنطق مدى حين^(١).

بيد أنه لا ريب أن صفة الأزهر الدينية كانت وما زالت تغلب على كل صفة أخرى، وأن علوم الدين كانت وما زالت خلال العصور تحتل المقام الأول.

(١) ترجمة عبد اللطيف البغدادي في «مناقب الأطباء» لابن أبي صبيبة فيما يرويه عبد اللطيف عن نفسه، ونفس هذه الترجمة في كتاب «الإفادة والاعتبار» لعبد اللطيف.

وهذه خاصة لم ينفرد بها الأزهر فى العصور الوسطى. ذلك أن الحركة العقلية كانت خلال هذه العصور ترتبط فى جميع الأمم بالدين أشد ارتباطاً، وكانت الأديرة مراكز الدراسة فى أوروبا والأخبار هم قادة الفكر. بيد أنه لما تقدمت الحركة الفكرية، وتسربت النظريات الفلسفية إلى تعاليم الكنيسة، أخذت سيطرة الدين على حركة التعليم تضعف شيئاً فشيئاً.

ولم تلبث الجامعة الأوروبية أن نشأت منذ القرن الثانى عشر ثم أخذت تقوى ويشتد ساعدها وتسير نحو استقلالها، واضطرت الكنيسة أن تناصر هذا الاستقلال، طالما كان بعيداً عن الاصطدام بتعاليمها وتقاليدها، وذلك خوفاً من أن يقع التعليم تحت سيطرة أمير أو حاكم مطلق يوجهه نحو خصومتها، ولم يأت ختام العصور الوسطى حتى كانت الجامعة الأوروبية قد حققت استقلالها العلمى، وأخذت تسير نحو النور والحقيقة، بعيدة عن المؤثرات الدينية والسياسية ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً.

وقد كان التعليم الجامعى يميل منذ البداية نحو التخصص، وكانت الدراسة تجرى تقريباً على نفس الأساليب التى كانت تتبع فى الأزهر وياقى المعاهد الإسلامية من الاستيعاب والتخصص، مثال ذلك جامعة بولونيا التى اشتهرت فى القرن الثانى عشر بتوفر أساتذتها وطلبتها على دراسة القانون الرومانى ووضع حواشيه الشهيرة.

وقد وفد إلى مصر عقب انتهاء الدولة الفاطمية أبو القاسم الرعينى الشاطبى الضرير، المقرئ الشهير المتوفى سنة ٥٩٠هـ وهو صاحب حرز الأمانى ووجه التهانى الذى ما زال إلى اليوم من أهم متون التجويد والقراءات.

ويظهر من عناية الخلفاء الفاطميين بالعلوم الرياضية والفلكية والطبية والجغرافية أن تلك العلوم لابد أن تكون قد درست فى الأزهر فى زمانهم، كما كانت تدرس فى دار الحكمة التى أسسها الحاكم بأمر الله سنة ٣٩٥هـ (١٠٠٥م).

وقد كان الأزهر فى زمن الفاطميين موئل الثقافة الدينية، وكان له الأثر الواضح فى تنمية الحياة العقلية والفكرية وتخريج علماء الدين واللغة، ولكنه لم يكن له أثر

فى توجيه الحياة السياسية فى ذلك العصر، مثل ما ظهر له ظهوراً جلياً فى الدولة المصرية بعد ذلك.

ولما انقرضت دولة الفاطميين سنة ٥٦٧هـ واستولى صلاح الدين بن يوسف الأيوبي على ملك مصر، أنشأ بالقاهرة مدرسة للفقهاء الشافعية، وأخرى للفقهاء المالكية، ونحى قضاة مصر الشيعة كلهم، وابتنى خلفاؤه من بعده المدارس المتنوعة والتى خصصت كل مدرسة منها بتدريس علوم خاصة، وتحولت الحركة والنشاط العلمى فى الأزهر إلى تلك المدارس، وإن لم تنقطع الدراسة فيه، كما أسلفنا.

وفى زمن الظاهر بيبرس البندقدارى من ملوك الجراكسة سنة ٦٦٥هـ أعاد للأزهر حياته العلمية والدينية. وأول ما درس به من مذاهب أهل السنة مذهب الإمام الشافعى رضى الله عنه، ثم أدخلت إليه المذاهب الأخرى تبعاً.

واتجهت العناية الكبرى حينئذ لاتقان تدريس العلوم الدينية بوجه خاص، وتسابقت همم الفحول فى إتقان آلاتها، من نحو وصرف وبلاغة، فنبغ بمصر أئمة أعلام يفتخر بهم اليوم العالم الإسلامى أجمع، كالإمام عز الدين بن عبد السلام، والإمام السبكي وأبنائه، والشهاب القرافى، وابن هشام، والسراج البلقينى، وجلال الدين السيوطى، وغيرهم من المصريين، وإبراهيم بن عيسى الاندلسى، وعز الدين عمر بن عبد الله بن عمر القدسى، والإمام الاصبهاني، والإمام الزيلعى، وابن الحاج محمد العبدري الفاسى، وأبى حيان محمد بن يوسف الغرناطى، وتاج الدين التبريزى، والحافظ العراقى، والحافظ بن حجر العسقلانى، وعلاء الدين الحموى، والرضى الشاطبى، ومحمد بن محمد البغدادى، وشيخ الإسلام زكريا الأنصارى، وقاسم بن محمد التونسى، وغيرهم من الذين رحلوا من أقاصى الأرض لمصر لتعلم العلم بالأزهر.

وكانت العلوم العقلية من رياضية وغيرها تدرس أيضاً، ولكن المشتغلين بها كانوا نزرًا من الطلبة.

وفى أواخر القرن التاسع الهجرى أصاب الأزهر ما أصاب المعاهد الأخرى من الذبول والركود، وفقدت مصر استقلالها سنة ٩٢٢هـ - (سنة ١٥١٧م) فنقلص ظل

النشاط والازدهار العلمى، وانصرف كثير عن العلوم العقلية والفلسفية والرياضية والجغرافية، وأخذ القول بحرمتها يتسرب شيئاً فشيئاً حتى تركت هذه العلوم من الأزهر، وبقيت مهجورة ينظر إليها نظرة السخط، حتى صدرت فتوى من شيخ الأزهر الشيخ الإنابى والشيخ محمد البنا مفتى مصر بجواز تعلمها، وعدم حرمة تدريسها.

ولا يفوتنا أن ننبه إلى أنه كان من العلماء فى عهد ركود الأزهر وجموده من يعرف كثيراً من العلوم العقلية والطبية وغيرها زيادة على العلوم الدينية والعربية، وهؤلاء لا يحصون، نذكر منهم على سبيل المثال: الشيخ أحمد عبد المنعم الدمنهورى شيخ الأزهر المتوفى سنة ١١٩٢هـ فقد جاء فى سند إجازته ما ملخصه: أنه تلقى فى الأزهر العلوم الآتية وله تأليف فى كثير منها، وهى: الحساب، والميقات، والجبر، والمنحرفات، وأسباب الأمراض وعلاجاتها، وعلم الأسطرلاب والزيج، والهندسة، والهيئة، وعلم الأرتماطيقى، وعلم المزاوِل، وعلم الأعمال الرصدية، وعلم المواليد الثلاثة، وهى الحيوان والنبات والمعادن، وعلم استنباط المياه، وعلاج البواسير، وعلم التشريح، وعلاج لسع العقرب، وتاريخ العرب والعجم.

ومما لا ريب فيه أن العلوم الدينية والعربية كان لها الشأن الأول من العلوم نسبياً، وما عداها من العلوم كالحكمة الفلسفية والتصوف لم يكن يدرس فى الأزهر ولا بين جماهيره، ولكن كان له دراسة خاصة فى المنازل، أو الأروقة التابعة للأزهر.

ويحسن أن نثبت هنا وثيقة رسمية لمشيخة الأزهر وضعتها بناء على طلب الحكومة لتبعث بها إلى لجنة معرض باريس، وذلك فى عهد الخديوى إسماعيل سنة ١٢٨٢هـ (١٨٦٤م).

وقد جاء فى هذه الوثيقة أن المواد التى كانت تدرس بالأزهر فى تلك العهد هى: الفقه، الأصول، التفسير، الحديث، التوحيد، النحو، الصرف، المعانى والبيان والبديع، متن اللغة، العروض والقافية، الحكمة الفلسفية، والتصوف، والمنطق، الحساب، الجبر والمقابلة، الفلك والهيئة.

وزادت المشيخة على ذلك أنه يقرأ في الأزهر، فضلاً عن هذه المواد المتداولة، بعض مواد أخرى كالهندسة والتاريخ والموسيقى وغيرها لمن لهم اقتدار على دراستها، بيد أنه لا يشتغل بدراستها سوى القليل.

الدراسة في الأزهر قبل النظام

منذ أصبح الأزهر مدرسة جامعة، كان يسير على نظام سهل يكاد يكون فطرياً، أساسه التقوى، وقوامه احترام الدين وأهله. وكان شيخ الجامع الأزهر المرجع الأعلى لمن كان فيه من أصغر طالب إلى أكبر عالم، كلمته هي العليا، وإشارته حكم لا يتخطاه واحد منهم، يوزع الأقباس والهبات، ويعيز العلماء والمدرسين، وكان إذا أشكل عليه أمر استشار فيه أكابر العلماء.

كان الطالب يدخل الأزهر مختاراً بلا قيد ولا شرط، ويختلف إلى من أراد من العلماء لتلقى العلم عنه، ويبقى فيه ما شاء أن يقيم، فإذا آتس من نفسه علماً كافياً، وملكة يتمكن بها من إفادة غيره، استأذن أساتذته، وجلس للتدريس حيث يجد مكاناً خالياً، وعرض نفسه على الطلبة، فكانوا إذا لم يجدوا فيه الكفاية للإفادة انفضوا من حوله، وإذا وجدوه على علم وثقوا به، واستمروا على تلقي العلم عنه، وحيثئذ يجيزه شيخ الأزهر لإجازة.

ولما كان أساس التعليم فيه دينياً ابتداء على الطريقة التي كان السلف يدرسون عليها الدين، وعلومه، فكانت الدروس تعقد به حلقات، يتصدر كل حلقة أستاذها، وقد يجلس على كرسى ليتمكن من إسماع طلبته الكثيرين.

وكان عماد الدراسة إذ ذاك النقاش والحوار بين الطلبة وأساتذتهم بما يثقف العقل وينمي ملكة الفهم، وظلوا على ذلك مدة طويلة إلى أن اقتضى الحال وضع قوانين خاصة للأزهر وطلبته وعلمائه وإدارته والدراسة فيه.

قوانين الأزهر

أول قانون وضع للأزهر في عهد إسماعيل والى مصر الأسبق سنة ١٢٨٨ هـ سنة ١٨٧٢ م، وكان شيخ الأزهر وقتئذ الشيخ محمد المهدي العباسي.

وقد نظم هذا القانون طريقة نيل شهادة العالمية، وبين مواد امتحانها، وقسم الناجحين فيها إلى ثلاث درجات: (أولى، وثانية، وثالثة)، على أن تصدر بذلك

براءة ملكية بتوقيع ولى الأمر، والمواد التى بينها ذلك القانون والتى يدرسها الطلبة ويمتحنون فيها هى: الأصول، الفقه، التوحيد، الحديث، التفسير، النحو، الصرف، المعانى، البيان، والبديع، المنطق.

ولكن مما يؤسف له أن هذا القانون لم يستطع أن ينهض بالأزهر بالنهضة المرغوبة، ولم يتجاوز بمواد الامتحان لنيل شهادة العالمية «الأحد عشر علماً^(١)»، مما يدل على جمود الحركة العلمية، وفقر النشاط فيه.

وحدث بعد ذلك أن عين المرحوم الشيخ حسونة النواوى شيخاً للأزهر. وكان الشيخ محمد عبده رحمه الله عضده وساعده، فتعاونوا على إنهاض الأزهر من كبوته، وفى ذلك الحين وضع القانون الصادر بتاريخ ٢٠ المحرم سنة ١٣١٤هـ - ١٨٩٦م.

وقد لحظ واضعوا هذا القانون من وجوه الإصلاح ما رأوه كفيلاً بإنهاض الأزهر، فأدخلوا فيه مواد جديدة هى: الإخلاق، مصطلح الحديث، الحساب، الجبر، العروض والقافية، وجعل التاريخ الإسلامى، والإنشاء، ومتن اللغة، ومبادئ الهندسة، وتقويم البلدان وغيرها من مواد يفضل محلها على غيره، ويقدم عليه، وفك التقيد بكتب دون أخرى، وحرّم قراءة الحواشى فى السنوات الأربع الأولى، وحرّم التقارير التى على الحواشى، وبذلك نهض الأزهر نهضة مباركة، لو ظلت على حالها ولم تناهضها الأحداث لكان لها فى تاريخ الأزهر شأن يذكر، ولكنها كانت كلسان الشمعة أضاء حيناً ثم انطفأ، فقد انفرط عقد النظام، وانهارت النهضة العلمية بخروج الشيخ محمد عبده من مجلس إدارة الأزهر ووفاته سنة ١٩٠٥م.

وما زالت تتوالى على الأزهر القوانين والأنظمة واللوائح حتى سنة ١٣٢٩هـ (١٩١١م) ولم تكن فى تلك القوانين واللوائح ما يمس جوهر المواد الدراسية، وإنما يتناول تنظيم بعض الحالات الداخلية فى الأزهر، كحضور الطلاب، وصرف المرتبات، ومنح كساوى التشريفات من ولى الأمر، وتعيين بعض المدرسين للدراسة الحساب والجبر والهندسة والجغرافيا والخط وغير ذلك.

(١) كان لفظ «الأحد عشر علماً» هو اللقب الشائع لذلك القانون فى عهده.

قانون رقم ١٠ سنة ١٩١١م:

يعتبر القانون رقم ١٠ سنة ١٩١١م من أهم قوانين الأزهر في ذلك العهد، حيث تناول الدراسة، وجعلها مراحل، وجعل لكل مرحلة نظاماً وعلومًا، وزاد في مواد الدراسة، وحدد اختصاص شيخ الجامع الأزهر، وأنشأ هيئة تشرف على الأزهر تحت رئاسة شيخه تسمى مجلس الأزهر الأعلى، وأوجد هيئة كبار العلماء وجعل لها نظاماً خاصاً، وأن يكون لكل مذهب من المذاهب الأربعة التي تدرس في الأزهر شيخ، ولكل معهد من المعاهد مجلس إدارة، وجعل للموظفين نظاماً في التعيين والترقية والتأديب والأجازات، وللطلاب شروطاً في القبول، وحدوداً للعقوبات والمسامحات ونظم الامتحانات والشهادات^(١).

ونستطيع أن نبين بإيجاز الظروف والأحوال التي مرت فيها هذه القوانين، والثمرات التي جناها الأزهر منها. والمآخذ التي أخذت عليها، إلى أن وضع قانون سنة ١٩٣٠م المعدل بقانون سنة ١٩٣٦م.

أشرنا فيما سبق أن قانون سنة ١٢٨٨ قد وضع حداً للفوضى والارتباك الذي تورط فيه الأزهر في ذلك الحين. ولكنه لم يستطع أن ينهض به إلى الغاية التي يرنو إليها محبو الإصلاح، ولم ينقله من جموده الذي استولى عليه، فبقى التعليم فيه كما كان مقصوراً على العلوم الدينية والعربية وقليل من الهيئة والميقات والحساب للحاجة إليها في مواقيت الصلوات والمواريث. ولم يتأثر الأزهر ولا مناهج الدراسة فيه بالنهضة العلمية التي بعثها محمد علي الكبير في مصر، على حين أن الباشا قد وجد في أبناء الأزهر المادة الأساسية التي أقام بها دعائم نهضته.

ورغم اقتصار الأزهر على هذه المواد فإن الطلبة كانوا يقضون في تحصيلها مداداً طويلاً أقلها خمس عشرة سنة، ولا حد لأكثرها.

(١) وقد وضع هذا القانون لجنة مؤلفة من فتحي زغلول باشا، وعبد الخالق ثروت باشا، وإسماعيل صدقي باشا على أثر ثورة إصلاحية قام بها طلاب الأزهر، وساعدتهم على ذلك؛ بعض العلماء في ذلك العهد. ولم يقبل أولو الأمر منهم في مبدأ الحركة مطالبهم التي يعبرون فيها عن آلامهم من النظام القائم، فلما اشتدت الحركة ورأت الحكومة أن الأمر كاد يخرج من يدها لاستغلال بعض الأحزاب هذه الحركة، واستقالة الشيخ حسونة النواوي شيخ الأزهر بسبب ذلك، أصدرت أمراً بتأليف اللجنة التي أشرنا إليها، ووضع القانون رقم ١٠ لسنة ١٩١١م.

ومع أنها كانت تدرس فى كتب سقيمة من المختصرات التى لا تفهم إلا بشروح وحواش وتقارير، فإن الطلبة كانوا يقدرون على الإستقلال بدراسة الكتب ويقدرّون على فهمها وكانت تنمو فيهم ملكات البحث والجدل. ولكن إذا وازنا بين الفائدة التى يجنيها الأزهر من التعليم التحوارى اللفظى والمزايا الى يفقدها من عدم عنايته بالعلوم الكونية التى لا بد منها فى تطبيق الأحكام الشرعية على وجهها الصحيح، لو وازنا بين ذلك أدركنا عدم قيام الأزهر بالثقافات التى تتطلبها حاجات العصر.

كل هذا كان يبعث أهل الغيرة من رجال الأمة ورجال الحكومة على تلمس وجوه الإصلاح، ولم يكن من الميسور أن يكون إصلاح الأزهر سهلاً لاعتبارات تقليدية تاريخية. ولا من الجائز أن يسلك فى إصلاحه ما يسلك فى تنظيم المدارس المدنية. بل كان يجب أن يتناوله الإصلاح برفق، وأن يكون بإضافة القدر الضرورى من المعارف، وإصلاح طريقة التعليم، وباختيار الكتب، وبستوجيه هذه القوى الجبارة إلى جوهر العلم، وأسرار الدين، وأسرار العربية.

وهذا الذى أشرنا إليه هو الذى لاحظته واضعو قانون سنة ١٨٩٦ فضمنوه من وجوه الإصلاح ما رأوه كفيلاً بإنهاض الأزهر، وكان من حسن الحظ أن الذى قام على تنفيذ هذا القانون مجلس إدارة يضم طائفة من العلماء خلصت نيتهم وتوافرت لديهم وسائل التنفيذ، وهم المشايخ: حسونة النواوى، محمد عبده، سليم البشرى، عبد الكريم سلمان، سليمان العبد، أسبغ الله عليهم واسع رحمته ورضوانه. . وقد أضاف هذا القانون مواد جديدة هى: الأخلاق، مصطلح الحديث، الحساب، الجبر، العروض والقافية.

وجعل التاريخ الإسلامى والإنشاء ومتن اللغة ومبادئ الهندسة وتقويم البلدان، وغيرها من مواد يفضل محلها على غيره ويقدم عليه، وفك التقيد بكتب دون أخرى، وحرم قراءة الحواشى فى السنوات الأربع الأولى. وجعل من اختصاص مجلس الإدارة أن يعدل فى مواد التعليم طبقاً لما يراه من المصلحة.

سار الأزهر على هذا النظام عشر سنوات سيراً متتداً متزناً، لم تطف فيه المواد الجديدة على المواد القديمة، لأنها أخذت بمقدار يناسب حال الأزهر، ونشطت

دراسة العلوم الدينية والعربية بما كان يعطى للطلاب من المكافآت السنوية، ربما كان ينشر بينهم من أفكار المرحوم الشيخ محمد عبده فى دروسه ومجمعاته. وقد انفرط عقد النظام بخروج الشيخ محمد عبده من مجلس الإدارة ثم وفاته سنة ١٩٠٥ رضى الله عنه كما قدمنا،

جدت بعد ذلك أحداث وفتن، وعولت الحكومة على إنشاء مدرسة للقضاء الشرعى، فصدر بها قانون فى سنة ١٩٠٧، وشعر الأزهريون بأن الحكومة أصبحت فى غنى عنهم، لأن لها مدرسة لتخريج معلمى العربية فى مدارسها ومعاهدها، هى دار العلوم، ومدرسة لتخريج القضاة.

وخاف القائمون على الأزهر من تقلص ظله، ومن عدم إقبال الناس عليه، حيث لم يبق بعد ذلك للعلماء إلا وظائف الإمامة والخطابة فى المساجد، ففكروا وفكر الناس معهم فى إعادة تنظيم الأزهر على مثال مدرسة القضاء، ومدرسة دار العلوم، بل على مثال يوجد للدراسة مواد أكثر ومناهج أطول. وانتهى الأمر بهم إلى وضع القانون رقم ١٠ لسنة ١٩١١ وكثر الإقبال على الأزهر، ووجدت معاهد أخرى فى عواصم المديرىات، وبعض المحافظات، جرت على نهجه، وسارت عليها نظمه، حتى صار عدد الطلاب فى سنة ١٩١٧م أكثر من عشرين ألفا.

وهذا القانون لم يخل من الفائدة، لأن تعلم التاريخ والجغرافيا والرياضة ومبادئ الطبيعة والكيمياء قرب طلبة الأزهر من تلاميذ المعاهد الأخرى، وغير عقليتهم، ووسع أفقهم، وإدخال المطالعة والمحفوظات والإنشاء أوجد من أهل الأزهر عدداً كبيراً من الكتاب والشعراء، ومكن لهم من القدرة على الخطابة والوعظ.

وهذه الفائدة التى أفادها القانون رقم ١٠ لسنة ١٩١١ تعد ضئيلة بجانب الضرر الذى نجم عنه، فقد اضطروا ليفوزوا بالنجاح فى الامتحان التحريرى إلى أن يعتمدوا على الحفظ والاستظهار، واستهانت المعاهد بالامتحان الشفوى.

وقد شعر المهيمنون على التعليم فى الأزهر منذ وضع ذلك القانون بأن الأزهر أخذ يفقد أهم خصائصه ومميزات تعليمه، ولم تخل تقارير المفتشين فى سنة من

السنوات من الشكوى من اعتماد الطلبة على الاستظهار، ومن ضعف ملكاتهم العلمية. وقد توالى على هذا القانون تعديلات آخرها الذى أدخل عليه بالقانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٣٠ وهو أظهر تعديل طراً عليه، ففى هذا القانون قسم التعليم العالى إلى ثلاث كليات: واحدة لعلم أصول الدين، وثانية لعلوم الشريعة، وثالثة لعلوم اللغة العربية، وأوجد تخصصاً سمي تخصص المادة، وآخر سمي تخصص المهنة.

وقد كان الغرض من هذا تفرغ كل طائفة من التلاميذ فى التعليم العالى والتخصص لطائفة من المواد الكثيرة التى كانت تدرس مجتمعة حتى يتيسر إتقان الدرس والفهم، وإتقان التحصيل. ومع هذا ظلت الشكوى قائمة، وظهر أن الذى يجب أن يحسم ويستأصل هو ضعف الطلبة فى القسم الثانوى بسبب كثرة المواد، ويسبب طول المناهج فى بعض المواد التى لا يحتاج الطالب فى الأزهر إلى طول المناهج فيها. فهذه الكثرة وهذا الطول لم يدعاً وقتاً لفهم الدروس وتمثيلها، ولم يدعاً وقتاً لطول التفكير والبحث والجدل، وتنمية ملكات العلوم والاستنباط^(١).

القانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٣٠:

صدر هذا القانون فى عهد المغفور له الشيخ محمد الأحمدي الظواهري شيخ الجامع الأزهر (١٩٢٩ - ١٩٣٥) وقد أنشئت بمقتضاه الكليات الثلاث القائمة الآن بالأزهر، وهى كليات اللغة العربية، وأصول الدين، والشريعة. وقد نص فيه على جواز إنشاء كليات أخرى.

ويعد هذا القانون بحق أول خطوة رسمية فى تمكين الجامع الأزهر من مساهمة التقدم العلمى والاجتماعى فى العصر الحاضر وفى ترويض طلابه بما يجب أن يحيط به رجل الدين الحديث من العلوم ومن الاتجاهات.

وقد افتتحت هذه الكليات فى الأماكن التى أعدت لها مؤقتاً حين الانتهاء من

(١) كان الشيخ المراغى فى آخر مشيخته الأولى قد وضع مشروع قانون الإصلاح الأزهرى، وتقدم به لأولى الأمر، ولكن الظروف حالت دون النظر فى ذلك المشروع فانصرف الشيخ المراغى عن مشيخة الأزهر، وتولاها الشيخ محمد الأحمدي الظواهري فى أكتوبر سنة ١٩٢٩م ووكل إليه النظر فى مشروع قانون للجامعة والمعاهد الدينية، فوضعه، واعتمد من ولى الأمر، ونفذ سنة ١٩٣١م وافتتحت كليات الأزهر التى أنشئت بذلك القانون سنة ١٩٣٣.

الأبنية الفخمة التي خصصت لها. فتم ذلك فى يومين مشهودين فى حياة الأزهر، هما يوما ١٧ و١٨ مارس سنة ١٩٣٣.

وقد جعل هذا القانون التعليم فى الأزهر أربع مراحل:

١- ابتدائى ومدته أربع سنوات، ويدرس فيه من المواد ما يلى:

الفقه، الأخلاق الدينية، التجويد، استذكار القرآن الكريم، التوحيد، السيرة النبوية. المطالعة والمحفوظات، الإنشاء، النحو، الصرف، الإملاء، الخط، التاريخ، الجغرافيا، الحساب، الهندسة العملية، مبادئ العلوم، تدبير الصحة، الرسم.

٢- ثانوى ومدته خمس سنوات، وتمنح منه شهادة الثانوية قسم أول، و«شهادة الثانوية قسم ثان» ويدرس فيه المواد ما يلى:

الفقه، التفسير، الحديث، التوحيد. استذكار القرآن الكريم، النحو الصرف، البلاغة (البيان والبديع والمعانى)، العروض والقافية، المطالعة والمحفوظات، الإنشاء، أدب اللغة، الرياضة (الحساب والهندسة والجبر)، العلوم (الطبيعة والكيمياء والتاريخ الطبيعى)، المنطق، التاريخ، الجغرافيا، الأخلاق، التربية الوطنية.

٣- عال ومدته أربع سنوات، وينقسم إلى ثلاث كليات:

١- كلية اللغة العربية، ويدرس فيها من المواد ما يلى:

النحو: الوضع، الصرف، المنطق، علوم البلاغة، الآداب العربية وتاريخها، تاريخ العرب قبل الإسلام وتاريخ الأمم الإسلامية، التفسير، الحديث، الأصول، الإنشاء، فقه اللغة.

٢- كلية الشريعة ويدرس من المواد ما يلى:

التفسير، الحديث متنا ورجالاً ومصطلحاً، أصول الفقه، تاريخ التشريع الإسلامى، الفقه مع مقارنة المذاهب فى المسائل الكلية وحكمة التشريع، أدب اللغة العربية، علوم البلاغة، المنطق.

٣- كلية أصول الدين . ويدرس فيها من المواد ما يلى :

التوحيد مع إيراد الحجج ودفع الشبه خصوصاً الذائع فى العصر منها: المنطق والمناظرة، الفلسفة مع الرد على ما يكون منافياً للدين منها، الأخلاق، التفسير، الحديث، آداب اللغة العربية وتاريخها، تاريخ الإسلام، علم النفس، علوم البلاغة .

٤- التخصص وهو على نوعين: تخصص فى المهنة، وتخصص فى المادة، والغرض من التخصص فى المهنة، هو إعداد علماء يقومون بمهنة الوعظ والارشاد أو الوظائف القضائية بالمحاكم الشرعية، والافتاء والمحاماة، أو التدريس فى المعاهد الدينية ومدارس الحكومة .

والغرض من التخصص فى المادة: إعداد علماء متفوقين فى العلوم الأساسية لكل كلية من الكليات الثلاث .

ويعين حاملو شهادة هذا القسم فى وظائف التدريس بالكليات، وبأقسام التخصص وهناك علاوة على ذلك أقسام غير نظامية يسمح فيها بدخول الطلبة الذين لم تتوافر فيهم شروط القبول بالأقسام النظامية . وكذلك أفراد الجمهور للتوسع فى دراسة العربية والعلوم الدينية .

قانون رقم ٢٦ لسنة ١٩٣٦ :

ورأى الشيخ محمد مصطفى المراغى عقب توليته شيخاً للأزهر سنة ١٩٣٥م أن يضع مشروع قانون لإصلاح الأزهر يفى بالأغراض التى تحقق آمال المسلمين فيه، وترجع به إلى عصوره الزاهرة من البحث العلمى السليم والتفكير الحر، ودراسة الفنون التى تتفق مع طابعه القديم . وتطابق مقتضيات العصر وتلبى مطالبه، وقد وضع ذلك المشروع، وتقدم به لولى الأمر فصدر به مرسوم بقانون تحت رقم ٢٦ لسنة ١٩٣٦، وقد وضع بجانبه مذكرة إيضاحية بين فيها الأغراض التى قصد إليها فى مشروعه . ونحن نثبت هنا بعض ما جاء فى المذكرة فى هذا الصدد .

«إننا إذ نحاول إصلاح الأزهر نريد أن نوجد طالباً يفهم مسائل العلوم فهماً صحيحاً، ويفهم أغراضها وصلتها بأدلتها، وصلتها ببعضها ببعض، ويستطيع

التطبيق على الجزئيات، ويستطيع الاستنباط والتدليل، ويستطيع فهم الكتب القديمة التي ألقت في العصور المختلفة في جميع الفنون الإسلامية.

«وإني على بغضى لأكثر الكتب التي ألقت في العصور المتأخرة، أكره من الطلاب أن يعجزوا عن فهمها. لأن فيها خيراً كثيراً، ودقائق لا يصح الجهل بها، لذلك أحب أن يستطيع الطلاب فهمها، ويقدرُوا على حلها.

»نعم إني لا أحب أن تدرس العلوم على هذه الكتب، بل أحب أن توجد كتب في جميع الفنون الحديثة على أسلوب عربي صحيح مناسب لأذواق الأجيال الحاضرة تهذب فيه المسائل على أحسن ما وصل إليه التحقيق العلمي، وأن تحيا الكتب القديمة الجيدة في الأسلوب والوضع. فهذا الميراث العظيم يجب أن يؤخذ كله سلسلة متصلة الحلقات.

«هذا الذي نحاوله بالتجديد يجب على ما أرى أن يضعه الناس أمامهم، وأن يجدوا للوصول إليه، وهو غاية يقل في جانبها كل جهد، ويرخص في سبيلها كل ما يبذل للوصول إليها. ولقد كان أسلافنا أشد الناس عناية بالعلم، فلم يمض الزمن القليل حتى أخذوا علم اليونان وأدب الفرس وحكمة الهند، واستعانوا بذلك كله في تفسير القرآن، وفي وضع علم الكلام على الأسس التي نراها في مثل المواقف والمقاصد، واستعانوا به في تنظيم مسائل العلوم جميعها، فلم يخل علم من أثر الفلسفة والمنطق. ولقد كانت لهم محاولات جديرة بالإعجاب في التوفيق بين الدين ونظريات الفلسفة. وقد أخذ العلم يسير في هذا العصر سيرة جديدة، وتغيرت نظريات الفلسفة وحدثت نظريات أخرى، وكان من شأن ذلك كله أن توجه على الأديان جملة، وعلى الإسلام خاصة، حملات، وصار من الواجب الحتم على علماء المسلمين أن يحيطوا علماً بكل ما يوجه إلى الأديان عامة، وإلى الإسلام خاصة من مطاعن، وأن يردوا تلك المطاعن التي توجه إلى الإسلام، ويذودوا عن عقيدتهم بأدلة ناصعة، وأسلوب مقنع ممتع، ليجنبوا المتعلمين تعليمًا مدنيًا الشبه الزائفة، وليضموا إلى الإسلام أفرادًا وشعوبًا من الأمم التي تتطلع إلى الإسلام، وتبتغي الوقوف على خصائصه ومزاياه. وهذا لا يتم لهم على ما ينبغي إلا بالاتصال بغيرهم اتصالاً علميًا وبتعرف اللغات الحية التي يكثر فيها الإنتاج

العلمي، والتي يتناول بها العلماء مسائل الإسلام ومسائل اللغة العربية. لذلك وجب أن يكون لأهل الأزهر نصيب من هذه اللغات. وهناك فائدة أخرى لتعليم اللغات، وهي أنها تساعد على معرفة طريقة وضع الكتب، وعلى معرفة الأسلوب الحديث في التأليف والتفكير، وطريقة عرض المسائل على أنظار المتعلمين.

«ولا ندعى أن إصلاح القانون، وتنفيذ هذا المشروع، يحقق الأغراض التي نرمى إليها، ويوجد الطالب الأزهرى الذى نبتغيه، بل إن الذى يحقق هذه الأغراض الرغبة الصادقة فى التعليم، والعزيمة القوية على احتمال الجهد والصبر لقطع مراحل التعليم فى هدوء وطمأنينة، والإيمان بأن العلم عزيز يقتنى، وحلية للنفس، ومتعة للعقل، وجمال لمن يتصف به، والحرص على الإفادة والتعليم، والإيمان بأن ذلك فرض للعلم واجب لله ولرسوله وللمؤمنين، والشعور بلذة الإنفاق منه يزيد فى الثروة، ويشبع نهم النفس التواق إلى الغنى، وأن هذه الثروة خير مما هو مخزون فى خزائن الأغنياء. وعند النظر فى مواد التعليم لإصلاح القانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٣٠ والقانون رقم ٣٧ لسنة ١٩٣٣ رأتى إدماجهما معاً، كما رأتى أيضاً أن يشمل الإصلاح الأبواب الأخرى من هذين القانونين، فتم ذلك، وتألف منهما هذا المشروع».

الدراسة فى الأزهر الحديث^(١)

جعل قانون ٣٦ التعليم فى الأزهر أربع مراحل:

١- ابتدائى ومدته أربع سنوات، ويدرس فيه من المواد ما يلى:

علوم دينية: الفقه، التوحيد، السيرة النبوية، وسيرة كبار الصحابة، تجويد القرآن الكريم.

علوم اللغة العربية: الإنشاء، النحو، الصرف، الإملاء، المطالعة، المحفوظات.

علوم أخرى: التاريخ، الجغرافيا، الرياضة، تدبير الصحة، الرسم، الخط.

٢- ثانوى ومدته خمس سنوات، ويمنح منه شهادة واحدة هى شهادة إتمام الدراسة الثانوية، ويدرس فيه من المواد ما يلى:

(١) طبقاً للقانون رقم ٢٦ لسنة ١٩٣٦ - وقد أدخلت عليه فيما بعد عدة تعديلات

علوم دينية: الفقه، التفسير، الحديث متناً ومصطلحاً، التوحيد.
 علوم اللغة العربية: النحو، الصرف، البلاغة: البيان والمعاني والبديع،
 والإنشاء، أدب اللغة، العروض، والقافية، والمطالعة، والمحفوظات.
 علوم أخرى: المنطق وأدب البحث، الطبيعة، الكيمياء، علم الحياة، الجغرافيا.
 ٣- الكليات وهي ثلاث:

كلية الشريعة وتتبعها الأقسام الآتية:

أ- شهادة الدراسة العالية ومدتها أربع سنوات. والمواد التي تدرس للحصول
 عليها:

التفسير: الحديث متناً ورجالاً ومصطلحاً، أصول الفقه مع حكمة للتشريع
 ومقارنة المذاهب في المسائل الكلية، تاريخ التشريع الإسلامي، المنطق،
 الفلسفة، لغة أجنبية (الإنجليزية أو الفرنسية) وتدرس بصفة اختيارية.

ب- شهادة العالمية مع إجازة القضاء. والمواد التي تدرس للحصول عليها بعد
 النجاح في الشهادة العالية: قوانين ولوائح المحاكم الشرعية والأوقاف والمجالس
 الحسبية، والتوثيقات الشرعية، إجراءات وتمارين قضائية، ودراسة القضايا
 ذات المبادئ، السياسية الشرعية، القانون الدولي الخاص، تاريخ القضاء
 والقضاة في الإسلام، النظام الدستوري للدولة، محاضرات في مبادئ
 الاقتصاد، محاضرات طبية، محاضرات فلكية، لغة أجنبية اختيارية، وهي
 التي درست في الكلية.

ج- شهادة العالمية من درجة أستاذ في الفقه والأصول. والمواد التي يتخصص
 فيها للحصول عليها بعد النجاح في الشهادة العالية: الأصول الفقه مع حكمة
 التشريع ومقارنة المذاهب، وتاريخ التشريع الإسلامي.

كلية أصول الدين، وتتبعها الأقسام الآتية:

أ- شهادة الدراسة العالية في أصول الدين. والعلوم التي تدرس للحصول
 عليها هي:

التوحيد، التفسير، الحديث متنا ومصطلحاً ورجالاً، المنطق وأدب البحث، الأخلاق، الفلسفة، الأصول، التاريخ الإسلامى، علم النفس، لغة أجنبية (الإنجليزية أو الفرنسية).

ب- شهادة العالمية مع الإجازة فى الدعوة والإرشاد، والمواد التى تدرس للحصول عليها بعد النجاح فى الشهادة العالية هى:

القرآن الكريم وعلومه، الحديث الشريف وعلومه، الدعوة إلى سبيل الله ووسائلها، الخطابة والمناظرة، الملل والنحل والمذاهب الفقهية وتواريخها، البدع والعادات، اللغة الأجنبية التى درست فى الكلية، لغة شرقية.

ج- شهادة العالمية مع درجة أستاذ فى التوحيد والفلسفة. والمواد التى تدرس للحصول عليها بعد النجاح فى الشهادة العالية وهى: التوحيد، الفلسفة، الأخلاق.

د- شهادة العالمية مع درجة أستاذ فى علوم القرآن الكريم والحديث الشريف.

هـ- شهادة العالمية، مع درجة أستاذ فى التاريخ الإسلامى.

كلية اللغة العربية، وتتبعها الأقسام الآتية:

أ- شهادة الدراسة العالية فى اللغة العربية.

ب- شهادة العالمية مع الإجازة فى التدريس.

ج- شهادة العالمية من درجة أستاذ فى النحو.

د- شهادة العالمية من درجة أستاذ فى البلاغة والأدب.

قانون الأزهر الجديد لعام ١٩٦١

وافق مجلس الأمة على القانون الجديد لتنظيم الأزهر وتطويره مع الاحتفاظ له بطابعه وبخصائصه وصفته، عالج القانون مشكلات الأزهر فى صميمها.

المذكرة الإيضاحية:

لقد قام بدور عظيم فى تاريخ العلم، وفى تاريخ الإسلام، وفى تاريخ العروبة، وفى تاريخ الكفاح القومى على توالى العصور ووقف قلعة شامخة فى وجه كل

المحاولات التي قصد منها استعبادنا والسيطرة علينا وتخطيط كياناتنا القومية والروحية .

وكانت التقاليد العلمية في الأزهر أساساً للنظام الجامعي والتقاليد الجامعية في كل بلاد الدنيا، فهو أقدم جامعة في العالم وإن لم يكن اسمه بين أسماء جامعاتنا .

ومن علم الأزهر شع نور الإسلام في بلاد كثيرة من إفريقيا ومن آسيا وزاد عدد المسلمين عشرات الملايين، . وكانت بعوث الأمم المختلفة إلى الأزهر سبباً لتوثيق علاقاتنا ببلاد كثيرة وشعوب منذ أقدم العصور إلى اليوم، وقد اكتسب اسم الأزهر بذلك قدسية، واكتسب المنتسبون إليه احتراماً، وصار رأيه الرأي في كل ما يتعلق بالعقيدة والشرعية، وصار هو الجامعة الإسلامية الكبرى في الشرق والغرب، لا يطلب أحد علوم الإسلام إلا عن طريق الأزهر، ولا تتجه قلوب المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها إلى معهد يفد إليه أولادهم للتزود من أسباب المعرفة غير الأزهر .

على أن التزام الأزهر الوقوف قروناً طويلة في وجه كل محاولات العدوان قد ألزمه نوعاً من المحافظة لعلها كانت بعض خصائص الموقف الدفاعي الذي التزمه خلال تلك القرون، فلما نشطت الحياة حوالية، وزالت الأسباب التي كانت تضطره إلى المحافظة والتزمت لم يجد الوسيلة الملائمة التي تعينه على الحركة المتجددة التي تلائم بينه وبين عصره مع احتفاظه بخصائصه وقيامه بواجبه لحياة الدين والمحافظة على تراث الإسلام، من ذلك أن خريجه لم يزالوا حتى اليوم - فيما يريدون لأنفسهم أو فيما يصفهم غيرهم- رجال دين، لا يكادون يتصلون بعلوم الدنيا اتصال النفع والانتفاع، والإسلام في حقيقته الأصيلة لا يفرق بين علم الدين وعلم الدنيا، لأنه دين اجتماعي ينظم سلوك الناس في الحياة ليحيوا حياتهم في حب الله عاملين مؤثرين في المجتمع في ظل طاعة الله، ولأن الإسلام يفرض على كل مسلم أن يأخذ بنصيه من الدين والدنيا، فكل مسلم يجب أن يكون رجل دين ورجل دنيا في وقت معاً، إذا دعا، فليس في حاجة إلى شفيح أو وسيط يقربه إليه .

على أن العالم الإسلامى اليوم قد انفسح مداه واتسع نطاقه وأطل على آفاق فكر جديدة ووضعته الظروف السياسية التى تمر به وضع الاختبار فى مجالات شتى. وأكثره قد خرج منذ قريب من تحت النير الاستعمارى وفى نفوس أهله آمال ضخمة لاستكمال أسباب تحرره ونهضته والارتفاع بمستوى معيشته.

وكانت الثقافات الاستعمارية تحاول طوال السنين التى يسيطر فيها الاستعمار على العالم الإسلامى أن تلون أفكار أهله وعقائدهم وأن تضع فى نفوسهم موازين جديدة وقيماً جديدة يمكن أن تباعد بينهم وبين الإسلام. فلولا طبيعة المقاومة فى نفوس المسلمين لسحقتهن المحاولات المتوالية حين أوقعت فى أذهان كثير منهم أن الإسلام عبادة وقربى إلى الله وفناء فى الله، وأن العمل للحياة شئ آخر يختلف عن الدين أو يتعارض مع الدين. وربما أوقعت فى أذهان بعضهم كذلك أن المذاهب الاجتماعية المستحدثة تضمن للبشر سعادة ورفاهة لا يكفل مثلها الإسلام، وربما لا يكفلها غير الإسلام من الأديان السماوية.

وفى كثير من البلاد التى تخلصت حديثاً من ريق الاستعمار رغبة فى التخطيط والعمل والإنتاج فى مجالات الصناعة والتجارة والتعدين والتعليم والصحة وغيرها من أسباب النهوض، وهى حين تلتبس الخبراء فى كل نوع من أنواع هذا النشاط لا تكاد تجد إلا أجانب عن بيتها ودينها من المواطنين أو من غير المواطنين، وحين تلتبس من المواطنين خبراء يملكون مع الخبرة معارف دينية صحيحة وعقيدة واعية لا تكاد تعرف أين توافدهم ليتعلموا ويستفيدوا الخبرة والمعرفة والعقيدة. وهى عناصر ثلاثة ضرورية لتستكمل هذه البلاد نهضتها وتمضى فى وجهها على الطريق السوى. وإذا كان الأزهر وحده هو المعهد أو الجامعة التى يحرص المسلمون وراء الحدود على أن يقنع فيه أبناؤهم لهذه المسؤوليات فقد كان من الطبيعى أن يكون نظام الأزهر وعلى الأزهر بحيث تعد هؤلاء الخبراء مستكملين لكل العناصر التى تهيئهم لحمل أعباء النهضة فى بلادهم.

لكن الأزهر إذ يعد علماء فى الدين وفى لغة القرآن لم يتهياً بعد لتأهيل العالم الدينى المتخصص فى عمل من أعمال الخبرة والإنتاج التى تحتاج إليها نهضة المسلمين فى كل البلاد. وحين تنبعت بعض البلاد الإسلامية إلى هذه الحقيقة

المؤسفة فحولت بعثاتها كلها أو بعضها إلى الجامعات المدنية فى الجمهورية العربية المتحدة أو فى غيرها من البلاد، عاد إليها مبعوثوها بعد إتمام دراستهم وهم يملكون الخبرة ولا يكادون يعرفون الدين، فى حين يعود المبعوثون منهم إلى الأزهر وقد حصلوا من علوم الدين وعلوم القرآن حظاً كبيراً، ولكنهم لا يحسنون عملاً ولا يطبقون إنتاجاً ولا يقدرون على المشاركة فى لون من ألوان النهضة التى أشرنا إليها آنفاً. وبهؤلاء وأولئك تعقدت الحياة الاجتماعية فى كثير من بلاد العالم الإسلامى وتعثرت النهضة فى تلك البلاد.

ومن حسن الحظ أن يجمع كل أهل الغيرة فى كل البلاد الإسلامية على رأى واحد فى هذه المشكلة هو أن يعرف عالم الدين علوماً أخرى يعيش بها ويشارك بها فى النهضة ليرتفع مقام الدين عن أن يكون حرفة أو أن يكون سبباً للتعطل والضياع فى المجتمع، وسبيل ذلك أن تتطور معاهد الدراسات الإسلامية العالية بحيث تواجه احتياجات النهضة فلا تقتصر على الدراسات الدينية بل يجب أن تجمع إليها علوماً أخرى تتحقق بها لكل خريج الخبرة والمعرفة وسلامة العقيدة ليعود هؤلاء الخريجون إلى مراكز القيادة فى كل مجال من مجالات النشاط فى العالم الإسلامى المتحرر.

هذه الحقائق المسلم بها لا تكاد تجد لها صورة صحيحة فى خريجي الأزهر لعصرنا، ومن ثم كان نوع الانعزال بينهم وبين المجتمع الذى يعيشون فيه. ونشأت مشكلة تعطل كبيرة بين هؤلاء الخريجين زادتهم انعزالاً عن المجتمع. وأعقبت هذه المشكلة آثاراً كبيرة فى نفوس الأزهريين وفى نفوس الشعب جميعاً، كما كان لها أثرها فى قوة العقيدة فى نفوس هؤلاء وأولئك، أما فى نفوس الأزهريين فذلك أن خريج الأزهر حين يتعطل يمكن أن يقع فى وهمه أمرين: إما أن عالم الدين مآله التعطل والهوان فيصيبه وهن العقيدة قبل أن يصيب غيره، وإما أن الدولة لا تعترف به والشعب يحاربه، فيعتزل الدولة والمجتمع.

وأما فى نفوس الشعب فإن الناس لا يكادون يعرفون الدين إلا من صورة عالم الدين، فإذا كان عالم الدين على ما وصفنا فما أسرع أن يرين الشك على بعض القلوب وتفسد بعض العقائد.

ومن ذلك أو من بعضه يكون وهن العقيدة وتكون بعض صور الانقسام فى المجتمع، ويكون تعقد نفوس كثيرة، ويكون سوء ظن بعض المواطنين ببعض، وسوء رأى بعض المواطنين فى بعض.

ويمكن أن نلاحظ مثل هذا الشعور فى بلاد أخرى وراء حدود وطننا، إذ كان مآل كثيرين من المبعوثين من تلك البلاد إلى الأزهر بعد أن عادوا إلى بلادهم مثل مصير خريجى الأزهر فى بلادنا، فانتقلت هذه الآثار إلى مجتمعهم وكاد مجتمعهم يفقد ثقته بالأزهر، ويوشك هذا الشعور إن عم أن يقطع كثيراً من الأواصر بيننا وبين تلك البلاد.

من أجل ذلك جميعه كان لابد من تجديد الأزهر وتطويره والاعتراف بمكانته وأثره مع الاحتفاظ له بطابعه وخصائصه وصفته التى استحق بها أن يبقى مسيطراً على تاريخنا على العلاقات الوثيقة بيننا وبين إخوان لنا فى شرق الأرض وغربها أكثر من ألف سنة.

وقد تكررت محاولات لمثل هذا الغرض منذ أكثر من نصف قرن، ولكنها جميعاً لم تنفذ إلى صميم المشكلة ولم تحاول علاجها جذرياً، فكانت قشوراً من الإصلاح لعل بعضها كان أسوأ أثراً.

ولعلاج المشكلة من صميمها كان لا بد لها من تقرير مبادئ لتكون أساساً لكل محاولة إصلاح.

وعلى أساس المبادئ التى انتهينا إلى تقريرها كان مشروع الإصلاح الذى يتضمنه هذا القانون. وهذه المبادئ هى:

أولاً: أن يبقى الأزهر أو أن يدعم، ليظل أكبر جامعة إسلامية وأقدم جامعة فى الشرق والغرب.

ثانياً: أن يظل كما كان منذ أكثر من ألف سنة حصناً للدين والعروبة، يرتقى به الإسلام ويتجدد ويتجلى فى جوهره الأصيل ويتسع نطاق العلم به فى كل مستوى وفى كل بيئة ويزداد عنه كل ما يشوبه وكل ما يرمى به.

ثالثاً: أن يخرج علماء قد حصلوا كل ما يمكن تحصيله من علوم الدين وتهيئوا بكل ما يمكن من أسباب العلم والخبرة للعمل والإنتاج في كل مجال من مجالات العمل والإنتاج فلا تكون كل حرفتهم أو كل بضاعتهم هي الدين.

رابعاً: أن تتحطم الحواجز والسدود بينه وبين الجامعات ومعاهد التعليم الأخرى وتزول الفوارق بين خريجه وسائر الخريجين في كل مستوى، وتتكافأ فرصهم جميعاً في مجالات العلم ومجالات العمل.

خامساً: أن يتحقق قدر مشترك من المعرفة والخبرة بين المتعلمين في جامعة الأزهر والمعاهد الأزهرية وبين سائر المتعلمين في الجامعات والمدارس الأخرى - مع الحرص على الدراسات الدينية والعربية التي يمتاز بها الأزهر منذ كان - لتتحقق لخريج الأزهر الحديث وحدة فكرية ونفسية بين أبناء الوطن، ويتحقق بهم للوطن وللعالم الإسلامي نوع من الخريجين مؤهل للقيادة في كل مجال من المجالات الروحية والعلمية.

سادساً: أن توحد الشهادات الدراسية والجامعية في كل الجامعات ومعاهد التعليم في الجمهورية العربية المتحدة.

على أساس هذه المبادئ أعد مشروع القانون المرافق لتنظيم الأزهر فاحتفظ له بكيانه وصفته وخصائصه العلمية، وجعلت الهيئات التي يتكون منها خمساً هي:

١- المجلس الأعلى للأزهر.

٢- مجمع البحوث الإسلامية.

٣- إدارة الثقافة والبحوث الإسلامية.

٤- جامعة الأزهر.

٥- المعاهد الأزهرية.

أما المجلس الأعلى للأزهر، فهو الهيئة التي تحمل مسئوليات التوجيه في كل شئون الأزهر وتخطيط لأنواع النشاط في هيئاته المختلفة، ويرأسها الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر، ويشترك في عضويتها إلى جانب الكبار من العلماء - متخصصون وذوو خبرة في التعليم وفي الإدارة.

وأما مجمع البحوث الإسلامية فوضع نظامه بحيث يكون هو الهيئة العليا للبحوث الإسلامية، يقوم بالدراسة فى كل ما يتصل بهذه البحوث، ويعمل على تجديد الثقافة الإسلامية، وتجريدها من الفضول والشوائب وتحليلتها فى جوهرها الأصيل الخالص، وتوسيع نطاق العلم بها لكل مستوى وفى كل بيئة وبيان رأى فيما يجد من مشكلات مذهبية أو اجتماعية تتصل بالعقيدة وحمل تبعة الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وجعل من مهمة هذا المجمع كذلك أن يتتبع ما ينشر عن الإسلام والتراث الإسلامى من بحوث الأجانب ودراساتهم، للانتفاع بما فيها من رأى صحيح أو مواجهتها بالتصحيح والرد. كما يقوم المجمع على رسم نظام بعوث الأزهر إلى العالم الإسلامى ومن العالم الإسلامى، كما يعاون فى توجيه الدراسات الإسلامية العليا لدرجتى التخصص والعالمية فى جامعة الأزهر والإشراف عليها والمشاركة فى امتحاناتها، وجعلت شروط العضوية فى هذا المجمع تضم أصلح العناصر لأداء مهمته.

وأما إدارة الثقافة والبعوث الإسلامية فهى الجهاز الذى يهىء لمجمع البحوث الإسلامية كل أسباب البحث والدراسة فى الموضوعات التى تتصل باختصاصته، كما تقوم بالإعداد والتحضير والتنفيذ، وتضع نتائج هذه البحوث والدراسات موضع الانتفاع العام، سواء فى المجالات الثقافية العامة أو فى فروع الدراسات الأزهرية. وتقوم هذه الإدارة كذلك على إعداد مشروعات البعث من الأزهر وإليه، وتحمل مسئولية التنفيذ بالنسبة لهذه البعث وتقوم نتائجها.

وأما جامعة الأزهر فقد وضع مشروعها على أساس أن تختص بكل ما يتعلق بالتعليم العالى فى الأزهر، والبحوث التى تتصل بهذا التعليم أو ترتب عليه، كما نهتم ببعث التراث العلمى والفكرى والروحى للشعوب الإسلامية والعربية، وتعمل على تزويد العالم الإسلامى والوطن العربى بالعلماء العاملين الذين يجمعون إلى التفقه فى العقيدة والشريعة ولغة القرآن، كفاية علمية وعملية ومهنية تؤهلهم للمشاركة فى كل أنواع النشاط والإنتاج والريادة والقُدوة الطيبة والدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، كما تعنى بتوثيق الروابط الثقافية والعلمية مع الجامعات والهيئات العلمية والإسلامية والعربية والأجنبية. وقد نص القانون فى المادة ٣٤ على الكليات التى تشملها جامعة الأزهر وهى:

كليات الدراسات الإسلامية، وكلية الدراسات العربية، وكلية المعاملات والإدارة. وكلية الهندسة والصناعات، وكلية الزراعة، وكلية الطب، مع النص على جواز إنشاء كليات أخرى كلما دعت الحاجة، وطبيعى أن هذه الكليات كلها أو بعضها لا يمكن أن تكون صورة مكررة للكليات القائمة الآن فى الأزهر أو فى الجامعات الأخرى، إذ لابد أن تتحقق لها مع صفتها العامة صفة تلائم الصفة الخاصة بجامعة الأزهر، بحيث يكون فيها إلى جانب الدراسات الفنية الخاصة، دراسات إسلامية ودينية تتحقق بها للطالب ثقافة دينية عميقة وواعية إلى جانب الثقافة المهنية التى يحصلها نظراؤه فى الكليات المماثلة فى الجامعات الأخرى، وبحيث تتاح لخريجها بعد الحصول على درجة الإجازة العالية (الليسانس أو البكالوريوس) من أية كلية من كلياتها دراسة عليا فى مادة التخصص أو فى مادة من مواد الدراسات الإسلامية والعربية العالية للحصول بها على درجة التخصص أو العالمية (الماجستير أو الدكتوراه) فى مادة الدراسة، وليس مثل هذا النظام مستحدثا فى تاريخ الأزهر والجامعات الإسلامية، فإن أعظم علماء الطب والكيمياء والرياضة فى الماضى كانوا علماء فى الدين، منهم ابن سينا والفارابى وابن الهيثم وجابر بن حيان وآخرون.

ولابد أن يكون لكل كلية من هذه الكليات أقسام مختلفة تختص بها أو تشترك فيها مع غيرها من الكليات لتنويع الدراسات وتنويع الخريجين إلى أكثر مما يدل عليه عدد هذه الكليات.

وإذ كانت جامعة الأزهر هى جامعة المسلمين من كل بلد منذ كانت، فقد نصت المادة الثامنة والثلاثون على أن تتساوى فرص القبول فى كلياتها والأقسام الملحقه بها للطلاب المسلمين من كل بلد.

ورعاية للصفة الخاصة لجامعة الأزهر، رؤى أن تستقل عن الجامعات الأخرى فى الجمهورية العربية المتحدة، بتبعية لرياسة الجمهورية، مع الحرص على التنسيق بينها وبين الجامعات الأخرى بقدر ما تقتضيه الصفة الخاصة بالأزهر وأغراض الدراسة فيه.

وحرص القانون على أن يكون أعضاء مجمع البحوث الإسلامية ممثلين فى مجلس الجامعة بالقدر الذى يتيح لهم أن يوجهوا الدراسات الإسلامية فى الكليات المختلفة، فتقرر أن يكون منهم فى مجلس الجامعة ثلاثة من أعضاء هذا المجمع، مع احتمال زيادة عددهم ببعض الأعضاء الذين يمثلون هيئات أخرى من الأزهر أو من خارجه .

وإذ كان المأمول أن تكون بعض أنواع الدراسة فى كليات جامعة الأزهر على هذا الأساس نموذجاً لنوع من الدراسات يلائم رغبات كثير من المواطنين، لتحقيق بها لأبنائهم معارف وثقافات دينية وقومية وكان من المتوقع لذلك أن يقبل بعض خريجي المدارس الثانوية على هذه الكليات، فقد حرص مشروع القانون على مواجهة هذا الاحتمال باشتراط أداء الطلاب الذين لم تنهيا لهم فرصة الدراسة فى المعاهد الأزهرية امتحان معادلة يؤهلهم لمتابعة الدراسة فى هذه الكليات مع زملائهم من خريجي المعاهد الأزهرية .

وأما المعاهد الأزهرية، فإنه لكى يعد لكليات الجامعة الأزهرية على اختلافها طلاب على حظ من الثقافة الإسلامية والعربية لا يقل عن حظهم منها فى الوقت الحاضر، إلى جانب المعارف والخبرات التى تتيح لهم الاستمرار فى الدراسات الجامعية على الوجه الذى وصفناه، وضع نظام المعاهد الثانوية والابتدائية للأزهر، بحيث يتنها فيها الطلاب إلى جانب دراساتهم الدينية والعربية للحصول على الشهادات الإعدادية والثانوية بأنواعها المختلفة، لتتكافأ فرصهم مع فرص غيرهم من التلاميذ فى مدارس الدولة فيحصل تلميذ القسم الابتدائى على الإعدادية العامة، أو الإعدادية الفنية، إلى جانب ما درس من علوم الدين واللغة، ويحصل تلميذ القسم الثانوى على الثانوية العامة بأحد قسميها الأدبى أو العلمى، أو على الثانوية الفنية بأنواعها من زراعية أو صناعية أو تجارية أو غير ذلك، إلى جانب ما درس كذلك من علوم الدين أو اللغة، وبهذا يتاح لكل تلميذ فى هذه الأقسام أن يوجه حياته الوجهة التى يريد والتى تلائم ميوله واستعداده، فإن شاء خرج إلى الحياة ليعمل ويكسب بعد كل مرحلة، وإن شاء استمر فى الدراسة مرحلة أخرى أو مرحلتين ليخرج بعدها مؤهلاً للعمل والكسب، وإن شاء تحول إلى المدارس

الأخرى يتم فيها دراسته وفق ميوله ورغباته، وتجد كليات جامعة الأزهر فى النهاية طلابا يجمعون بين علوم الدين وعلوم الدنيا، ولهم كل الأهلية لمتابعة الدراسة الجامعية فى كليات جامعة الأزهر أو فى غيرها من الكليات ومعاهد الدراسة العالية.

وقد حرص القانون فى هذه الناحية على أن يكون التعاون كاملا بين وزارة التربية والتعليم والإدارة المختصة بالإشراف على هذه الأقسام وإدارتها ليتحقق بهذا التعاون نوع من الثقة يدعم قيمة الشهادات التى يحصل عليها الطلاب من هذه الأقسام.

وقد واجه مشروع القانون مرحلة الانتقال بين وضع الأزهر وكلياته والأقسام الملحقه به فى الوقت الحاضر. ووضعها المنتظر بعد التطبيق الكامل لهذا القانون فنص على إنشاء دراسات إضافية فى الأقسام الثانوية والابتدائية منذ الموسم الدراسى المقبل لتهيئة تلاميذ هذه الأقسام الحاليين للحصول على شهادات معادلة تتيح لهم الانتفاع بمزايا هذا القانون فى أسرع وقت ممكن. كما حرص على الملاءمة بين وضع الطلاب الحاليين فى الكليات الأزهرية وبين مقتضيات تطبيق القانون.

كما نص مشروع القانون على أن يحتفظ للعلماء الموظفين الآن والمدرسين فى أقسام الأزهر وأعضاء هيئات التدريس فى الكليات الأزهرية الحالية وأعضاء جماعة كبار العلماء، وطلاب الأزهر الحاليين، بكل الحقوق المالية المقررة لهم فلا تتأثر هذه الحقوق بشيء نتيجة لتطبيق هذا القانون. سواء فى المرتبات أو فى المعاشات ومدة الخدمة. أو غير ذلك. لتكون النظم المستحدثة فى هذا الشأن بغير أثر رجعى.

ولكيلا يتضمن القانون تفاصيل يضح بها رؤى أن يقتصر على الخطوط الرئيسية للتنظيم، على أن تتضمن اللائحة التنفيذية التى يصدر بها قرار من رئيس الجمهورية كل التفاصيل التى توضح الصورة وتيسر التنفيذ.

وإذ كانت تفاصيل المشروع قد أحيل أكثرها على تلك اللائحة التنفيذية، فقد نص المشروع على ألا يتأخر صدور هذه اللائحة عن تاريخ معين، ليتها الأخذ فى أسباب التنفيذ الكامل للمشروع قبل ابتداء الموسم الدراسى المقبل.

والمشروع معروض رجاء الموافقة على إصداره:

باسم الأمة

رئيس الجمهورية:

قرر مجلس الأمة القانون الآتى نصه وقد أصدرناه:

مادة ١- تستبدل النصوص المرافقة بأحكام القانون رقم ٢٦ لسنة ١٩٣٦ بإعادة تنظيم الجامع الأزهر والقوانين المعدلة له ويبطل كل ما يخلفه من القوانين.

مادة ٢- الأزهر هو الهيئة العلمية الإسلامية الكبرى التى تقوم على حفظ التراث الإسلامى ودراسته وتجليته ونشره، وتحمل أمانة الرسالة الإسلامية إلى كل الشعوب، وتعمل على إظهار حقيقة الإسلام وأثره فى تقدم البشر ورقى الحضارة وكفالة الأمن والطمأنينة وراحة النفس لكل الناس فى الدنيا والآخرة، كما تهتم ببعث الحضارة العربية والتراث العلمى والفكرى للأمة العربية، وإظهار أثر العرب فى تطور الإنسانية وتقدمها، وتعمل على رقى الآداب وتقدم العلوم والفنون وخدمة المجتمع والأهداف القومية والإنسانية والقيم الروحية، وتزويد العالم الإسلامى والوطن العربى بالمختصين وأصحاب رأى فيما يتصل بالشرعية الإسلامية والثقافة الدينية والعربية ولغة القرآن، وتخريج علماء عاملين مثقفين فى الدين يجمعون إلى الإيمان بالله والثقة بالنفس وقوة الروح، كفاية علمية وعملية ومهنية، لتأكيد الصلة بين الدين والحياة والربط بين العقيدة والسلوك، وتأهيل عالم الدين للمشاركة فى كل أسباب النشاط والإنتاج والريادة والقدوة الطيبة، وعالم الدنيا للمشاركة فى الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، كما تهتم بتوثيق الروابط الثقافية والعلمية مع الجامعات والهيئات العلمية الإسلامية والعربية والأجنبية ومقره القاهرة، ويتبع رئاسة الجمهورية.

مادة ٣- يعين بقرار من رئيس الجمهورية وزير لشئون الأزهر.

مادة ٤- شيخ الأزهر هو الإمام الأكبر وصاحب رأى فى كل ما يتصل بالشئون الدينية والمشتغلين بالقرآن وعلوم الإسلام، وله الرئاسة والتوجيه فى كل ما يتصل بالدراسات الإسلامية فى الأزهر وهيئاته ويرأس المجلس الأعلى للأزهر.

مادة ٥- يختار شيخ الأزهر من بين هيئة مجمع البحوث الإسلامية أو ممن تتوافر فيهم الصفات المشروطة في أعضاء هذه الهيئة. ويعين بقرار من رئيس الجمهورية فإن لم يكن قبل هذا التعيين عضواً في تلك الهيئة صار بمقتضى هذا التعيين عضواً فيها.

مادة ٦- يكون للأزهر شخصية معنوية عربية الجنس ويكون له الأهلية الكاملة للمقاصة وقبول التبرعات التي ترد إليه عن طريق الوقف والصايا والهيئات بشرط ألا تتعارض مع الغرض الذي يقوم عليه الأزهر.

وشيخ الأزهر هو الذي يمثل الأزهر ويكون له حق مقاصة نظار الأوقاف التي للمدرسين أو الموظفين أو الطلاب نصيب فيها، وذلك دون إخلال بما لوزارة الأوقاف من الحقوق والاختصاصات المقررة في اللوائح والقوانين.

مادة ٧- يكون للأزهر وكيل يختار من بين هيئة مجمع البحوث الإسلامية أو من تتوافر فيهم الصفات المشروطة لأعضاء هذه الهيئة ويعين بقرار من رئيس الجمهورية، فإن لم يكن قبل هذا التعيين عضواً في هيئة المجمع صار بمقتضى هذا التعيين عضواً فيها.

ويعاون الوكيل شيخ الأزهر ويقوم مقامه حين غيابه.

هيئات الأزهر:

مادة ٨- يشمل الأزهر الهيئات الآتية:

١- المجلس الأعلى للأزهر.

٢- مجمع البحوث الإسلامية

٣- إدارة الثقافة والبعوث الإسلامية.

٤- جامعة الأزهر.

٥- المعاهد الأزهرية.

المجلس الأعلى للأزهر

مادة ٩- يكون للأزهر مجلس يسمى المجلس الأعلى للأزهر، ويتكون على الوجه الآتى:

شيخ الأزهر وله رئاسة المجلس.

وكيل الأزهر.

مدير جامعة الأزهر.

عمداء الكليات بجامعة الأزهر.

أربعة من أعضاء مجمع البحوث الإسلامية يختارهم المجمع ويصدر بتعيينهم قرار من رئيس الجمهورية بناء على ترشيح شيخ الأزهر لمدة سنتين.

أحد وكلاء الوزارات أو الوكلاء المساعدين من كل من وزارات الأوقاف والتربية والتعليم والعدل والخزانة، يصدر بتعيين كل منهم قرار من الوزير الذى يمثل وزارته فى المجلس.

مدير الثقافة والبعوث الإسلامية.

مدير المعاهد الأزهرية.

ثلاثة أعضاء على الأكثر من ذوى الخبرة فى شئون التعليم الجامعى والشئون العامة المتعلقة به، يكون أحدهم على الأقل من أعضاء المجلس الأعلى للجامعات فى الجمهورية العربية المتحدة، ويعينون بقرار من الوزير المختص بعد أخذ رأى المجلس، وبناء على ترشيح شيخ الأزهر وذلك لمدة سنتين.

مادة ١٠- يختص المجلس الأعلى للأزهر بالنظر فى الأمور الآتية:

١- التخطيط ورسم السياسة العامة لكل ما يحقق الأغراض التى يقوم عليها الأزهر ويعمل لها فى خدمة الفكرة الإسلامية الشاملة.

٢- رسم السياسة التعليمية التى تدير عليها جامعة الأزهر والمعاهد الأزهرية والأقسام التعليمية فى كل ما يتصل بالدراسات الإسلامية والعربية واقتراح المواد والمقررات التى تدرس لتحقيق أغراض الأزهر.

- ٣- النظر في مشروع ميزانية هيئات الأزهري وإعداد الحساب الختامي .
- ٤- اقتراح إنشاء الكليات والمعاهد الأزهري والأقسام التعليمية .
- ٥- قبول الأوقاف والوصايا والهبات مع مراعاة أحكام المادة (٦) من هذا القانون .
- ٦- النظر في كل مشروع قانون أو قرار جمهوري يتعلق بأى شأن من شئون الأزهري .
- ٧- النظر في منح العالمية الفخرية لجامعة الأزهري أو إحدى كلياتها بناء على اقتراح الكلية أو الجامعة .
- ٨- تشكيل للجان الفنية الدائمة أو المؤقتة من بين أعضائه أو من غيرهم من المتخصصين لبحث الموضوعات التي تدخل في اختصاصه .
- ٩- تدبير أموال الأزهري واستثمارها وإدارتها .
- ١٠- النظر فيما يعهد إليه هذا القانون أو غيره من القوانين والقرارات واللوائح وفيما يعرضه عليه شيخ الأزهري ، وفي كل ما يرى المجلس فائدة في بحثه من المسائل التي تدخل في اختصاصه .
- مادة ١١- لا تنفذ قرارات المجلس الأعلى للأزهري فيما يحتاج إلى قرار من الوزير المختص إلا بعد صدور هذا القرار - فإذا لم يصدر منه قرار في شأنها خلال الستين يوما التالية لتاريخ وصولها مستوفاة إلى مكتبه تكون نافذة .
- مادة ١٢- يكون للمجلس الأعلى للأزهري أمين عام ، يصدر بتعيينه قرار من رئيس الجمهورية .
- مادة ١٣- يحدد الجدول الملحق باللائحة التنفيذية لهذا القانون مرتبات شيخ الأزهري ووكيله وأمين المجلس الأعلى للأزهري ومكافآت أعضائه .
- مادة ١٤- يكون للمجلس جهاز يتابع تنفيذ مقرراته ويرأسه الأمين العام للمجلس .

مجمع البحوث الإسلامية وإدارة الثقافة

مادة ١٥- مجمع البحوث الإسلامية هو الهيئة العليا للبحوث الإسلامية وتقوم بالدراسة فى كل ما يتصل بهذه البحوث وتعمل على تجديد الثقافة الإسلامية وتجريدها من الفضول والشوائب وآثار التعصب السياسى والمذهبى، وتجليتها فى جوهرها الأصيل الخالص، وتوسيع نطاق العلم بها لكل مستوى وفى كل بيئة، وبيان الرأى فيما يجد من مشكلات مذهبية أو اجتماعية تتعلق بالعقيدة وحمل تبعة الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

وتعاون جامعة الأزهر فى توجيه الدراسات الإسلامية العليا لدرجتى التخصص والعالية والإشراف عليها والمشاركة فى امتحاناتها.

وتحدد اللائحة التنفيذية لهذا القانون واجبات مجمع البحوث الإسلامية بالتفصيل الذى يساعد على تحقيق الغرض من إنشائه.

مادة ١٦- يتألف مجمع البحوث الإسلامية من خمسين عضواً من كبار علماء الإسلام، يمثلون جميع المذاهب الإسلامية، ويكون من بينهم عدد لا يزيد على العشرين من غير مواطنى الجمهورية العربية المتحدة.

مادة ١٧- يشترط فى عضو المجمع.

١- ألا تقل سنه عن أربعين سنة.

٢- أن يكون معروفاً بالورع والتقوى فى ماضيه وحاضره.

٣- أن يكون حائزاً لأحد المؤهلات العلمية العليا من الأزهر. أو إحدى الكليات أو المعاهد العليا التى تهتم بالدراسات الإسلامية.

٤- أن يكون له إنتاج علمى بارز فى الدراسات الإسلامية، أو اشتغل بالتدريس لمادة من مواد الدراسات الإسلامية فى كلية أو معهد من معاهد التعليم العالى لمدة أدناها ٥ سنوات أو شغل إحدى الوظائف الإسلامية فى القضاء أو الإفتاء أو التشريع لمدة أدناها خمس سنوات.

ويعتبر الأعضاء الحاليون فى جماعة كبار العلماء -فى حكم هذا القانون- مستوفين لهذا الشرط.

مادة ١٨- يعين بقرار من رئيس الجمهورية أعضاء مجمع البحوث الإسلامية في أول تشكيل له -بناء على عرض الوزير المختص باقتراح من شيخ الأزهر .
ويكون شيخ الأزهر رئيساً لهذا المجمع .

مادة ١٩- يكون نصف أعضاء المجمع على الأقل متفرغين لعضويته، وتبين اللائحة التنفيذية واجبات العضو المتفرغ والعضو غير المتفرغ .
مادة ٢٠- هيئات المجمع هي :

(أ) مجلس المجمع : ويتألف من الرئيس، والأعضاء المتفرغين، والأعضاء غير المتفرغين من مواطني الجمهورية العربية المتحدة، والأمين العام للمجمع .
(ب) مؤتمر المجمع ويتألف من كل أعضاء المجمع .

(ج) الأمانة العامة للمجمع .

مادة ٢١- يجتمع مجلس المجمع مرة في كل شهر على الأقل -ولا يكون اجتماعه صحيحاً إلا بحضور أكثرية أعضائه .

مادة ٢٢- يجتمع مؤتمر المجمع اجتماعاً عادياً مرة في كل سنة وتستمر دورة اجتماعه أربعة أسابيع للنظر في جدول أعمال السنة ويجوز أن يدعى المؤتمر إلى اجتماع غير عادي إذا اقتضت الظروف ذلك بموافقة الوزير المختص وبناء على اقتراح شيخ الأزهر ويكون اجتماع المؤتمر صحيحاً في الحالتين بحضور أكثرية أعضائه، بشرط أن يكون من بينهم ربع الأعضاء غير المواطنين على الأقل .

مادة ٢٣- يكون للمجمع أمانة عامة دائمة يرأسها أمين عام ويشغل هذا المنصب مدير الثقافة والبعوث الإسلامية بشرط أن تتحقق فيه شروط العضوية المنصوص عليها في المادة ١٧ من هذا القانون، ويصدر بتعيينه قرار من رئيس الجمهورية . بناء على عرض الوزير المختص وبموافقة شيخ الأزهر ويكون الأمين العام للمجمع بمقتضى قرار التعيين عضواً في المجمع ما دام شاغلاً لهذه الوظيفة .

مادة ٢٤- تتألف الأمانة العامة للمجمع من الأمين العام، وأمين مساعد أو أكثر، وعدد من الموظفين اللازمين لتصرف الشئون الفنية والإدارية للمجمع ومباشرة تنفيذ قراراته طبقاً لما تبينه اللائحة التنفيذية لهذا القانون .

مادة ٢٥- تختص إدارة الثقافة والبعوث الإسلامية بكل ما يتصل بالنشر والترجمة والعلاقات الإسلامية من البعوث والدعاة واستقبال طلاب المنح وغيرهم من ذوى العلاقة، فى نطاق أغراض الأزهر، وعليها إلى ذلك تنفيذ مقررات المجمع ونشر بحوثه ودراساته وتجميع ما يلزمه من البيانات لهذه الدراسات.

وتبين اللائحة التنفيذية لهذا القانون تفصيل ذلك ووسائل تنفيذه.

مادة ٢٦- يختار مؤتمر المجمع بالأغلبية المطلقة بناء على ترشيح اثنين من الأعضاء، أعضاء مراسلين من مواطنى الجمهورية العربية المتحدة أو من غيرهم، ممن يرى الاستعانة بهم فى تحقيق أغراضه ويصدر باعتماد عضويتهم قرار من الوزير المختص.

مادة ٢٧- يجوز منح لقب عضو فخري لأعضاء المجمع السابقين، أو لمن يؤدي للإسلام خدمات علمية ذات أثر، ويصدر بمنح هذا اللقب قرار من رئيس الجمهورية بناء على عرض الوزير المختص باقتراح من مؤتمر المجمع.

مادة ٢٨- يؤلف المجمع من أعضائه لجائاً لتحقيق أغراضه المنصوص عليها فى هذا القانون وفى اللائحة التنفيذية.

مادة ٢٩- يجوز دعوة الأعضاء المراسلين والأعضاء الفخريين إلى جلسات المجمع بموافقة الوزير المختص بناء على قرار مجلس المجمع.

مادة ٣٠- تسقط عضوية المجمع فى إحدى الحالات الآتية:

(أ) إذا صدر ضد العضو حكم ماس بالشرف والأمانة.

(ب) إذا وقع من العضو ما لا يلائم صفة العضوية، كالطعن فى الإسلام، أو إنكار ما علم منه بالضرورة، أو سلك سلوكاً بنقص من قدره كعالم مسلم، ويكون سقوط العضوية فى هذه الحالة بقرار مسبب يصدره المجمع بأغلبية الثلثين من أعضائه ويعتمده الوزير المختص.

(ج) إذا عجز العضو عن مباشرة أعماله لمرض أو لظروف أخرى، ويكون سقوط العضوية فى هذه الحالة بقرار جمهورى بعد موافقة المجمع.

(د) إذا تقرر قبول استقالته، أو اعتبره المجمع مستقيلًا بتخلفه عن حضور جلسات المجمع، وفقًا لما تفصله اللائحة التنفيذية لهذا القانون.

مادة ٣١- إذا خلا مكان عضو من أعضاء المجمع لأي سبب من الأسباب السابقة أو غيرها، انتخب المجمع العضو الذى يخلفه من بين المرشحين للعضوية ويتم الترشيح بتزكية اثنين من الأعضاء، ولا تكون جلسة الانتخاب صحيحة إلا إذا حضرها الثلثان على الأقل من أعضاء المجمع، ويكون انتخاب المرشح صحيحًا إذا حصل على أكثرية أصوات الحاضرين بشرط ألا يقل عددهم عن نصف العدد الكلى لأعضاء المجمع ويكون التصويت سريًا، ويصدر باعتماد العضوية قرار من رئيس الجمهورية بناء على عرض الوزير المختص.

مادة ٣٢- يحدد الجدول الملحق باللائحة التنفيذية لهذا القانون مكافآت المتفرغين وغير المتفرغين من أعضاء المجمع، كما يحدد مكافآت أعضاء اللجان من غير أعضاء المجمع الذين قد يستعان بهم لخبرتهم.

جامعة الأزهر

مادة ٣٣- تختص جامعة الأزهر بكل ما يتعلق بالتعليم العالى فى الأزهر وبالبحوث التى تتصل بهذا التعليم أو تترتب عليه وتقوم على حفظ التراث الإسلامى ودراسته وتجليته ونشره. وتؤدى رسالة الإسلام إلى الناس وتعمل على إظهار حقيقته وأثره فى تقدم البشر وكفالة السعادة لهم فى الدنيا وفى الآخرة كما تهتم ببعث الحضارة العربية والتراث العلمى والفكرى والروحى للأمة العربية. وتعمل على تزويد العالم الإسلامى والوطن العربى بالعلماء العاملين الذين يجمعون إلى الإيمان بالله والثقة بالنفس وقوة الروح والتفقه فى العقيدة والشريعة ولغة القرآن، كفاية علمية وعملية ومهنية لتأكيد الصلة بين الدين والحياة، والربط بين العقيدة والسلوك، وتأهيل عالم الدين للمشاركة فى كل أنواع النشاط، والإنتاج والريادة والقُدوة الطيبة، وعالم الدنيا للمشاركة فى الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، فى داخل الجمهورية العربية المتحدة وخارجها من أبناء الجمهورية وغيرهم كما تعنى بتوثيق الروابط الثقافية والعلمية مع الجامعات والهيئات العلمية الإسلامية والعربية والأجنبية.

مادة ٣٤- تتكون جامعة الأزهر من الكليات الآتية:

١- كليات للدراسات الإسلامية تحدد عددها اللائحة التنفيذية.

٢- كلية الدراسات العربية.

٣- كلية المعاملات والإدارة.

٤- كلية الهندسة والصناعات.

٥- كلية الزراعة.

٦- كلية الطب.

ويجوز إنشاء كليات أخرى أو معاهد عالية بقرار من رئيس الجمهورية.

وتتكون كل كلية من عدد من الأقسام العلمية يتولى كل قسم منها تدريس المواد التى تدخل فى اختصاصه ويقوم على بحوثها فى الكلية أو فى غيرها من كليات الجامعة ومعاهدها وتعين هذه الأقسام بقرار من الوزير المختص.

ولا يجوز أن تتكرر الأقسام المتماثلة فى كليات الجامعة.

وتحدد اللائحة التنفيذية لهذا القانون الأقسام التى تتبع كل كلية من هذه الكليات وأنواع الدراسات بها والدرجات العلمية التى تمنحها الجامعة من هذه الكليات.

مادة ٣٥- يجوز أن تنشأ بقرار من الوزير المختص معاهد تابعة للكليات إذا كانت الدراسة فيها تتصل بأكثر من قسم من الأقسام، وتسرى على هذه المعاهد الأحكام الخاصة بأقسام الكلية.

مادة ٣٦- يجوز أن تلحق بكليات الجامعة أو بعضها مدارس تعليمية لمواد أو دراسات تتصل بأغراض الأزهر، مثل مدرسة تجويد القرآن الكريم وتعليم القراءات، أو أقسام الإرشاد العامة المنشأة لمراجعة حاجات الذين يريدون التزويد من المعارف الدينية والعربية وغيرها من فئات الشعب. ولا تنطبق على هذه المدارس والأقسام شروط الدراسة الجامعية، وتحدد اللائحة التنفيذية نظام العمل بها.

مادة ٣٧- اللغة العربية هى لغة التعليم فى جامعة الأزهر، ما لم يقرر مجلس الجامعة فى أحوال خاصة استعمال لغة أخرى.

مادة ٣٨- تتساوى فرص القبول للتعليم بالمجان فى كليات الجامعة ومعاهدها المختلفة للطلاب المسلمين من كل جنس وكل بلد، فى حدود الإمكانيات والميزانية والأعداد المقرر قبولها، وفقاً لما تقضى به اللائحة التنفيذية.

وتنظم الدراسات الخاصة لطلاب البعث من غير مواطنى الجمهورية العربية المتحدة، ليتأهلوا لمتابعة الدراسة فى الكليات والمعاهد مع نظرائهم من الطلاب العرب.

مادة ٣٩- يتولى إدار جامعة الأزهر:

١- مدير جامعة الأزهر.

٢- مجلس الجامعة.

مادة ٤٠- يتولى إدارة كل كلية:

١- عميد الكلية.

٢- مجلس الكلية.

مادة ٤١- يكون تعيين مدير الجامعة بقرار من رئيس الجمهورية، بناء على ترشيح الوزير المختص واقتراح شيخ الأزهر ويشترط فيه أن يكون قد شغل أحد كراسى الأستاذية بجامعة الأزهر أو إحدى الجامعات فى الجمهورية العربية المتحدة.

مادة ٤٢- يتولى مدير الجامعة إدارة شئون الجامعة العلمية والإدارية والمالية. وهو الذى يمثلها أمام الهيئات الأخرى، وهو مسئول عن تنفيذ القوانين واللوائح فى الجامعة وقرارات مجلس الجامعة فى حدود هذه القوانين والسلوائح وله فى حالة الإخلال بالنظام أن يقف الدراسة كلها أو بعضها. على أن يعرض قرار الوقف على مجلس الجامعة خلال ثلاثة أيام.

مادة ٤٣- يقدم مدير الجامعة إلى شيخ الأزهر فى نهاية كل سنة جامعية تقريراً عن شئون التعليم والبحوث العلمية وسائر نواحي النشاط الأخرى بالجامعة.

مادة ٤٤- يكون لجامعة الأزهر وكيل يعاون المدير فى إدارة شئونها العلمية والإدارية والمالية، ويقوم مقامه عند غيابه. ويكون تعيين وكيل الجامعة بقرار من رئيس الجمهورية بناء على عرض الوزير المختص واقتراح مدير الجامعة وموافقة شيخ الأزهر. ويشترط فيه أن يكون قد شغل أحد كراسى الأستاذية بجامعة الأزهر أو بإحدى الجامعات فى الجمهورية العربية المتحدة.

مادة ٤٥- يكون للجامعة أمين يعين بقرار من رئيس الجمهورية بناء على عرض الوزير المختص بعد استطلاع رأى مدير الجامعة.

مادة ٤٦- يدير الأمين العام للجامعة الأعمال المالية والإدارية بالجامعة تحت إشراف مدير الجامعة ووكيلها، ويكون مسئولاً عن تنفيذ القوانين واللوائح فى حدود اختصاصه.

مادة ٤٧- يتكون مجلس جامعة الأزهر على الوجه الآتى:

مدير الجامعة: وله رئاسة المجلس.

وكيل الجامعة.

عمداء الكليات.

مثل لوزارة التربية والتعليم يختاره الوزير من بين كبار موظفيها.

ثلاثة أعضاء على الأكثر من بين أعضاء مجمع البحوث الإسلامية يرشحهم المجمع ويصدر بتعيينهم قرار من الوزير المختص، وذلك لمدة سنتين.

ثلاثة أعضاء على الأكثر من ذوى الخبرة فى شئون التعليم الجامعى والشؤون العامة المتعلقة به، يعينون بقرار من الوزير المختص وذلك لمدة سنتين.

مادة ٤٨- يختص مجلس جامعة الأزهر بالنظر فى الأمور الآتية:

١- وضع خطط الدراسة.

٢- وضع النظام العام للدروس والمحاضرات والبحوث والأشغال العلمية وتوزيع الدروس والمحاضرات بالكليات.

- ٣- تعيين مدة الدراسة ومدة الامتحان ومدة العطلة.
- ٤- شروط قبول الطلاب في الجامعة ونظام تأديبهم.
- ٥- المكافآت والإعانات المالية على اختلاف أنواعها.
- ٦- إدارة حركة الامتحانات وتشمل مدة اشتغال المتحنيين ولجان الامتحان ومقدار مكافآتهم وكيفية تعيينهم وواجباتهم.
- ٧- منح الدرجات العلمية والشهادات.
- ٨- تنظيم الشئون الاجتماعية للطلاب.
- ٩- وضع اللوائح الخاصة بالمتاحف والمكتبات ومساكن الطلبة وغيرها من المنشآت الجامعية.
- ١٠- تتبع النشاط العلمي للكليات والمعاهد والتنسيق بين الدراسات والبحوث القائمة بها.
- ١١- تنظيم البحث العلمي وتوفير الإمكانات اللازمة له.
- ١٢- إنشاء كراسى الأستاذية.
- ١٣- تعيين أعضاء هيئات التدريس بالجامعة ونقلهم وإيفادهم للمهام العلمية.
- ١٤- ندب أعضاء هيئة التدريس وإعارتهم.
- ١٥- إعداد مشروعات الميزانية والحساب الختامي.
- ١٦- إقامة أبنية الجامعة وترميمها.
- ١٧- منح العالمية الفخرية للجامعة أو إحدى كلياتها بناء على اقتراح مجلسها وبموافقة المجلس الأعلى للأزهر، ويصدر بذلك قرار من رئيس الجمهورية.
- ١٨- إبداء الرأي فيما يتعلق بجميع مسائل التعليم في درجاته المختلفة.
- ١٩- الترخيص لمدير الجامعة في إجراء التعليم في درجاته المختلفة.
- ٢٠- الترخيص لمدير الجامعة في إجراء التصرفات القانونية.

٢١- وقف الدراسة بالكليات ومعاهد الجامعة .

٢٢- الموضوعات التى يحيلها عليه الوزير المختص أو شيخ الأزهر .

٢٣- الموضوعات الأخرى التى تتصل باختصاص الجامعة وفقاً لهذا القانون .

يؤلف مجلس الجامعة بين أعضائه ومن غيره من أعضاء هيئة التدريس والمتخصصين لجائاً فنية دائمة أو مؤقتة لبحث الموضوعات التى تدخل فى اختصاصه .

مادة ٤٩- لمجلس الجامعة أن يلغى القرارات الصادرة من مجالس الكليات أو المعاهد التابعة للجامعة إذا كانت مخالفة للقوانين واللوائح أو القرارات التنظيمية التى تعمل بها الجامعة .

مادة ٥٠- لا تنفذ قرارات مجلس الجامعة فيما يحتاج تنفيذه فى هذا القانون أو فى اللائحة التنفيذية إلى تصديق من شيخ الأزهر أو من الوزير المختص إلا بعد صدور قرار التصديق . فإذا لم يصدر قرار فى شأنها خلال الستين يوماً التالية لتاريخ وصولها مستوفاة إلى مكتبه تكون نافذة .

مادة ٥١- يعين الوزير المختص عميد الكلية من بين أساتذة الكلية بناء على ترشيح مدير الجامعة وموافقة شيخ الأزهر ، ويكون العميد مسئولاً عن تنفيذ القوانين واللوائح الجامعية ، وكذلك عن تنفيذ قرارات مجلس الكلية ومجلس الجامعة ، فى حدود هذه القوانين واللوائح ، ويقدم العميد إلى مدير الجامعة فى كل سنة جامعية تقريراً عن شئون التعليم والبحوث العلمية وسائر نواحي النشاط بالكلية .

مادة ٥٢- يكون لكل كلية وكيل يعاون العميد فى أعماله ويقوم مقامه عند غيابه ، ويكون تعيينه من بين أساتذة الكلية بترشيح من العميد وقرار من مجلس الجامعة .

مادة ٥٣- يكون تعيين كل من العميد والوكيل لمدة ستين .

مادة ٥٤- يؤلف مجلس الكلية من :

عميد الكلية .

رؤساء الأقسام بالكلية .

أحد الأساتذة من كل قسم .

وللوزير المختص بناء على اقتراح الجامعة أن يضم إلى مجلس الكلية عضواً أو عضوين من الخارج ممن لهم دراية خاصة في المواد التي تدرس في الكلية، ويكون التعيين لمدة سنتين .

وتكون رئاسة المجلس لعميد الكلية وعند غيابه للوكيل .

ويشارك رؤساء الأقسام التي تقوم بأعباء التدريس بكلية غير الكلية التابعة لها في مجلس هذه الكلية عند النظر في المسائل الداخلة في اختصاص أقسامها .

مادة ٥٥- يختص مجلس الكلية بالنظر في الأمور الآتية :

١- وضع القواعد المتعلقة بمواظبة الطلاب ونظام الدروس والمحاضرات والأعمال الجامعية الأخرى .

٢- وضع مناهج الدراسة وبرامجها والتنسيق بينها في الأقسام المختلفة وتوزيع الدروس والمحاضرات على أعضاء هيئة التدريس .

٣- تنظيم البحوث العلمية وتنسيقها بين أقسام الكلية .

٤- وضع نظام الامتحان وتوزيع أعماله على هيئة الممتحنين .

٥- تقديم اقتراحاته إلى مجلس الجامعة بخطط الدراسة ومواعيد الامتحان وشروط منح الدرجات العلمية الدبلومات والشهادات .

٦- رعاية الشؤون الاجتماعية والرياضية للطلاب .

٧- تقديم ما يراه من الاقتراحات إلى مجلس الجامعة في شأن التعليم والنظام في الكلية .

٨- الأمور الأخرى التي يختص بها وفقاً للقانون .

ويؤلف المجلس من بين أعضائه وغيرهم من أعضاء هيئة التدريس والمتخصصين لجائناً فنية دائمة أو مؤقتة لدراسة الموضوعات التي تدخل في اختصاصه .

مادة ٥٦- أعضاء هيئة التدريس فى الجامعة هم:

أ- الأساتذة .

ب- الأساتذة المساعدون .

ج- المدرسون .

وتحدد اللائحة التنفيذية لهذا القانون شروط تعيينهم ونقلهم وندبهم وإعارتهم وإجازاتهن العلمية والإجازات الاعتيادية والمرضية وغير ذلك من شئون الوظيفة، كما تحدد اللائحة واجباتهم والنظم التأديبية الخاصة بهم وجدول مرتباتهم .

مادة ٥٧- يجوز أن يعين فى هيئة التدريس مسلمون من غير مواطنى الجمهورية العربية المتحدة ممن تؤهلهم كفايتهم لذلك لمدة معينة ويكون التعيين بقرار من الوزير المختص بناء على طلب الجامعة .

مادة ٥٨- يجوز الاستعانة بأساتذة مسلمين من غير مواطنى الجمهورية العربية المتحدة بصفة زائرين لمدة معينة ويكون ذلك بقرار من مدير الجامعة بناء على طلب الكلية المختصة .

مادة ٥٩- يجوز أن يعين مدرسو لغات وموظفون فنيون مسلمون من غير مواطنى الجمهورية العربية المتحدة لمدة معينة ويكون تعيينهم بقرار من مدير الجامعة بناء على طلب الكلية المختصة .

مادة ٦٠- يجوز أن يعين فى الكلية معيدون يقومون بالدراسات والبحوث العلمية وبما يعهد إليهم القسم المختص من التمرينات والدروس العملية وسواها من الأعمال تحت إشراف أعضاء هيئة التدريس وبالأعمال الأخرى التى يكلفهم بها العميد وتحدد اللائحة التنفيذية شروط تعيينهم .

مادة ٦١- مرتبات مدير الجامعة ووكيلها وأعضاء هيئة التدريس والمعيدين وقواعد تطبيقها ومكافآت الأساتذة غير المتفرغين يحددها الجدول الملحق باللائحة التنفيذية لهذا القانون .

مادة ٦٢- مع مراعاة أحكام هذا القانون ولائحته التنفيذية:

أ- يطبق مجلس الجامعة دون الرجوع إلى وزارة الخزانة أو ديوان الموظفين اللوائح الخاصة بأعضاء هيئة التدريس، وتكون قراراته فى ذلك نهائية ونافاذة.

ب- يطبق مدير الجامعة دون الرجوع إلى وزارة الخزانة أو ديوان الموظفين القواعد المالية العامة المعمول بها فى حق جميع الموظفين والمستخدمين فى الدولة على المعيدىن وعلى سائر الموظفين بالجامعة من غير أعضاء هيئة التدريس، إلا أنه فى الحالات التى توجب القوانين إصدار قرار من رئيس الجمهورية يتعين إرسال القرارات إلى الوزير المختص لاتخاذ اللازم فى شأنها.

مادة ٦٣- للجامعة فى حالة الضرورة التجاوز عن شرط الحصول على شهادة الدراسة الثانوية العامة أو ما يعادلها عند التعيين فى وظائف مدرسى اللغات إذا كانت لدى المرشح إجازات علمية أخرى تعتبر كافية بالنسبة إلى الوظيفة التى سيعين فيها.

مادة ٦٤- لمدير الجامعة إعفاء الموظفين من شروط اللياقة الطبية كلها أو بعضها بعد أخذ رأى اللجنة الطبية العامة «القومسيون الطبى العام».

مادة ٦٥- تكون الإجازات الاعتيادية السنوية لموظفى الجامعة من غير أعضاء هيئة التدريس فى أثناء العطلة الصيفية فيما عدا المعاهد التى تكون طبيعة العمل فيها مختلفة فتحدد الإجازات فى هذه الحالة بقرار من مدير الجامعة بعد أخذ رأى عميد الكلية المختص.

ويجوز منح الموظف إجازة اعتيادية بمرتب كامل لتأدية فريضة الحج وذلك مرة واحدة خلال مدة خدمته.

مادة ٦٦- فيما عدا أعضاء هيئة التدريس فى كليات الجامعة، ومع مراعاة أحكام هذا القانون يطبق على الموظفين فى الأزهري بجميع هيئاته القانون رقم ٢١٠ لسنة ١٩٥١ بشأن نظام موظفى الدولة فى الإقليم المصرى والقوانين المعدلة له.

وذلك فيما يختص بتعيينهم وتأديبهم وإنهاء خدمتهم وإجازاتهم وترقياتهم وغير ذلك من شئونهم الوظيفية، ويكون للأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر وللأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية وللأمين العام للجامعة، ول مدير الثقافة والبحوث الإسلامية ول مدير المعاهد الأزهرية سلطة مدير المصلحة بالنسبة للموظفين التابعين لكل منهم ولوكيل الجامعة سلطة وكيل الوزارة بالنسبة للموظفين التابعين له ول مدير الجامعة سلطة الوزير فيما يختص بموظفى الجامعة طبقاً لما تحدده اللائحة التنفيذية.

مادة ٦٧- إذا نسب إلى أحد أعضاء هيئة التدريس بالجامعة ما يوجب التحقيق معه طلب مدير الجامعة إلى أحد أعضاء هيئة التدريس بإحدى الكليات أو طلب إلى النيابة الإدارية مباشرة التحقيق ويقدم عن التحقيق تقرير إلى مدير الجامعة، وإلى الوزير المختص إذا طلبه -ويحيل مدير الجامعة العضو المحقق معه إلى مجلس التأديب إن رأى محلاً لذلك.

مادة ٦٨- لمدير الجامعة أن يوقف أى عضو من أعضاء هيئة التدريس عن عمله احتياطياً إذا اقتضت مصلحة التحقيق معه ذلك. ولا يجوز أن تزيد مدة الوقف على ثلاثة أشهر إلا بقرار من المحكمة التأديبية، ويترتب على وقف عضو هيئة التدريس عن عمله وقف صرف مرتبه ابتداء من اليوم الذى أوقف فيه، ما لم يقرر مجلس التأديب صرف المرتب كله أو بعضه بصفة مؤقتة إلى أن يقرر عند الفصل فى الدعوة التأديبية ما يتبع فى شأن المرتب عن مدة الوقف سواء بحرمان عضو هيئة التدريس منه أو بصرفه إليه كله أو بعضه.

مادة ٦٩- يعلن مدير الجامعة عضو هيئة التدريس المحال إلى مجلس التأديب ببيان التهم الموجهة إليه وبصورة من تقرير التحقيق وذلك بكتاب موصى عليه مصحوب بعلم وصول قبل الجلسة المعنية للمحاكمة بعشرين يوماً على الأقل.

مادة ٧٠- لعضو هيئة التدريس المحال إلى مجلس التأديب الإطلاع على التحقيقات التى أجريت وذلك فى الأيام التى يعينها له مدير الجامعة.

مادة ٧١- تكون محاكمة أعضاء هيئة التدريس بجميع درجاتهم أمام مجلس تأديب يشكل من:

وكيل الجامعة رئيساً.

مستشار من مجلس الدولة.

أستاذ من إحدى كليات الجامعة يعينه مجلس الجامعة سنوياً.

ويحل أقدم العمداء محل وكيل الجامعة عند غيابه.

وتسرى بالنسبة للمحاكمة أحكام القانون رقم ١١٧ لسنة ١٩٥٨ على أن تراعى بالنسبة للتحقيق والإحالة إلى مجلس التأديب أحكام المادة ٧٦ من ذلك القانون.

مادة ٧٢- العقوبات التأديبية التي يجوز توقيعها على أعضاء هيئة التدريس هي:

١- الإنذار.

٢- توجيه اللوم.

٣- توجيه اللوم مع تأخير العلاوة المستحقة.

٤- العزل من الوظيفة مع الاحتفاظ بالمعاش أو المكافأة.

٥- العزل مع الحرمان من كل أو بعض المعاش أو المكافأة وفقاً للقوانين واللوائح المعمول بها في هذا الشأن.

وكل فعل يزرى بشرف عضو هيئة التدريس أو لا يلائم صفته كعالم مسلم أو يتعارض مع حقائق الإسلام. أو يمس دينه ونزاهته يكون جزاؤه العزل.

مادة ٧٣- تقضى الدعوى التأديبية باستقالة عضو هيئة التدريس وقبول مجلس الجامعة لها وموافقة الوزير المختص وذلك فيما عدا الحالات التي نصت عليها القوانين واللوائح الخاصة بالمخالفات المالية ولا تأثير للدعوى التأديبية في الدعوى الجنائية والدعوى المدنية الناشئين عن الواقعة ذاتها.

مادة ٧٤- لمدير الجامعة أن يوجه تنبيهاً إلى أعضاء هيئة التدريس الذين يخلون بواجباتهم أو يتصرفون تصرفاً لا يلائم صفتهم كعلماء مسلمين، ويكون التنبيه شفهيّاً أو كتابيّاً وله توقيع عقوبتي الإنذار وتوجيه اللوم المنصوص عليهما في المادة ٧٢، أو يطلب نقلهم إلى وظائف أخرى خارج نطاق الأزهر وذلك كله بعد سماع

أقوال عضو هيئة التدريس وتحقيق دفاعه . ويكون قراره فى ذلك مسبباً ونهائياً وعلى عميد كل كلية أن يبلغ مدير الجامعة كل ما يقع من أعضاء هيئة التدريس فى كليته من إخلال بواجباتهم أو بمقتضيات وظيفتهم .

مادة ٧٥- تمنح جامعة الأزهر الدرجات العلمية الآتية وفقاً لأحكام اللائحة التنفيذية .

أولاً: درجة الإجازة العالية للكليات ، وتعادل الليسانس أو البكالوريوس فى الجامعات الأخرى بالجمهورية العربية المتحدة .

ثانياً: درجة التخصص فى دراسة من الدراسات المقررة فى إحدى الكليات وتعادل درجة الماجستير .

ثالثاً: درجة العالمية فى أى الدراسات الإسلامية أو العربية من إحدى كليات الدراسات الإسلامية والدراسات العربية للحاصلين على الإجازة العالية منهما أو من غيرها من الكليات : وتعادل درجة الدكتوراه .

رابعاً: درجة العالمية أو الدكتوراه فى أى من الدراسات العليا من أى الكليات الأخرى .

مادة ٧٦- تبين اللائحة التنفيذية تفصيل الدرجات العلمية والإجازات التى تمنحها جامعة الأزهر والشروط اللازمة للحصول على كل منها ، ويجوز بقرار من رئيس الجمهورية التعديل فى الدرجات العلمية بالإضافة أو بالحذف ويكون ذلك بناء على عرض الوزير المختص وبعد أخذ رأى مجلس الجامعة وموافقة المجلس الأعلى للأزهر فيما يخصه .

مادة ٧٧- تبين اللائحة التنفيذية مناهج الدراسة والمقررات التى تدرس لنيل الدرجات العلمية والإجازات والشهادات التى تمنحها جامعة الأزهر كما تبين كيفية توزيعها على سنين الدراسة وفصولها الدراسية .

ولمجلس الجامعة بناء على طلب الكلية أو المعهد وموافقة المجلس الأعلى للأزهر فيما يخصه أن يعدل فى هذه المناهج والمقررات بالإضافة أو بالحذف إذا اقتضت مصلحة التعليم ذلك .

مادة ٧٨- تنظم اللائحة التنفيذية الامتحانات، ولا تمنح الدرجات العلمية أو الإجازات العالية أو الشهادات إلا من نجح في جميع الامتحانات المقررة لكل منها.

مادة ٧٩- يشترط لنجاح الطالب في الإمتحانات أن ترضى لجنة الإمتحانات عن فهمه وتحصيله في كل مقررات الدراسة، وذلك وفقاً لأحكام اللائحة التنفيذية.

مادة ٨٠- لمجلس الجامعة بناء على طلب مجلس الكلية أو المعهد أن يعفى طالب الإجازة العالية من المقررات الدراسية كلها أو بعضها عدا مقررات السنة النهائية، إذا ثبت أنه حضر مقررات دراسية تعادلها في كلية جامعية أو معهد عال معترف بهما من الجامعة.

وللمجلس أن يعفيه كذلك من امتحانات النقل كلها أو بعضها إذا ثبت أنه أدى بنجاح امتحانات تعادلها في كلية أو معهد عال معترف بهما من الجامعة.

وللمجلس أن يعفى طالب الدراسات العليا من بعض المقررات الدراسية ومن امتحاناتها إذا ثبت أنه حضر مقررات ماثلة في كلية جامعية أو معهد عال معترف بهما أو أدى بنجاح الإمتحانات المقررة.

مادة ٨١- يشترط في قيد الطالب للتحضير لدرجة التخصص أو لدرجة العالمية أن يحصل على إذن من مجلس الكلية في متابعة الدراسات والبحوث الخاصة بالدرجة.

مادة ٨٢- يشترط في رسالة العالمية: «الدكتوراه» أن تكون عملاً ذا قيمة علمية يشهد للطالب بكفايته الشخصية في بحوثه ودراساته ويأتى للعلم بفائدة محققة.

ويشترك مجمع البحوث الإسلامية في الموضوعات التي تتصل بإختصاصه.

مادة ٨٣- تلحق بالأزهر المعاهد الأزهرية المذكورة في اللائحة التنفيذية، ويجوز أن تنشأ معاهد أخرى بقرار من الوزير المختص بعد موافقة المجلس الأعلى للأزهر. وتسمى الأقسام الابتدائية منها المعاهد الإعدادية للأزهر وتسمى الأقسام الثانوية المعاهد الثانوية للأزهر.

مادة ٨٤- تقوم مدارس تحفيظ القرآن مقام مدارس المرحلة الأولى بالنسبة للطلاب المتقدمين إلى المعاهد الإعدادية للأزهر .

وتحدد اللائحة التنفيذية نظام القبول وشروطه بالنسبة للمتقدمين من تلاميذ هذه المدارس ومن غيرها .

مادة ٨٥- الغرض من المعاهد الأزهرية الملحقه بالأزهر تزويد تلاميذها بالقدر الكافى من الثقافة الإسلامية، وإلى جانبها المعارف والخبرات التى يتزود بها نظراؤهم فى المدارس الأخرى المماثلة ليخرجوا إلى الحياة مزودين بوسائلها وإعدادهم الإعداد الكامل للدخول فى كليات جامعة الأزهر ولتتھيا لهم جميعاً فرص متكافئة فى مجال العمل والإنتاج، كما تتھيا لهم الفرص المتكافئة للدخول فى كليات الجامعات الأخرى فى الجمهورية العربية المتحدة وسائر الكليات ومعاهد التعليم العالى .

مادة ٨٦- مدة الدراسة فى المعاهد الإعدادية للأزهر أربع سنوات، يعد فيها التلميذ إلى جانب ما يحصل من علوم الدين واللغة للحصول على الشهادة الإعدادية العامة أو الفنية .

مادة ٨٧- مدة الدراسة فى المعاهد الثانوية فى الأزهر خمس سنوات يعد فيها التلميذ إلى جانب ما يحصل من علوم الدين واللغة للحصول على الشهادة الثانوية العامة بأحد قسميها العلمى والأدبى، أو للحصول على الشهادة الثانوية الفنية بأحد أنواعها الصناعى والتجارى والزراعى وغيرها .

ويجوز أن تعدل مدة الدراسة فى الأقسام الثانوية الفنية بالزيادة أو بالنقص بقرار من رئيس الجمهورية .

مادة ٨٨- للحاصلين على الشهادة الإعدادية من المعاهد الإعدادية للأزهر حق الدخول فى المعاهد الثانوية للأزهر ولهم إلى جانب ذلك فرص متكافئة مع نظرائهم للتقدم إلى المدارس الأخرى التى تجعل الشهادة الإعدادية شرطاً للقبول .

وتحدد وزارة التربية والتعليم مدى التجاوز عن شرط السن بالنسبة لهؤلاء التلاميذ على أن يوضح ذلك فى اللائحة التنفيذية كما يجوز للحاصلين على

الشهادة الإعدادية من المدارس الإعدادية العامة أن يطلبوا الالتحاق بالمعاهد الثانوية بالأزهر بعد النجاح فى امتحان يحقق التعادل بينهم وبين الحاصلين على الشهادة الإعدادية من المعاهد الإعدادية للأزهر.

مادة ٨٩- للحاصلين على الشهادة الثانوية من المعاهد الثانوية للأزهر حق الدخول فى إحدى كليات جامعة الأزهر ومعاهدها وفق قواعد القبول التى يقرها مجلس الجامعة، ولهم إلى ذلك فرص متكافئة مع نظرائهم للتقدم إلى الكليات المختلفة فى الجامعات الأخرى، وإلى سائر الكليات ومعاهد التعليم العالى وفقاً للقواعد المقررة لذلك. كما يجوز للحاصلين على الشهادة العامة من المدارس الثانوية العامة أن يطلبوا الالتحاق بإحدى كليات جامعة الأزهر ومعاهدها بعد النجاح فى امتحان يحقق التعادل بينهم وبين الحاصلين على الشهادة الثانوية من المعاهد الثانوية للأزهر.

مادة ٩٠- مع مراعاة أحكام المواد ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩، من هذا القانون تحدد اللائحة التنفيذية المواد التى تدرس فى كل من المعاهد الإعدادية والثانوية للأزهر بناء على اقتراح لجنة من الأزهر ووزارة التربية والتعليم. كما تحدد اللائحة التنفيذية شروط القبول والنظام العام للدراسة والامتحانات فى هذه المعاهد.

مادة ٩١- يكون للمعاهد الأزهرية إدارة عامة مهمتها الإشراف والإدارة وعلى وزارة التربية والتعليم تقديم المعونة اللازمة فى هذا الشأن مع الاستعانة بالأجهزة المختصة بوزارة التربية والتعليم. وتحدد اللائحة التنفيذية لهذا القانون مهمة هذه الإدارة ونظام العمل بها واختصاصات مديرها وموظفيها ووسائل التعاون بينها وبين وزارة التربية والتعليم.

مادة ٩٢- تشكل لجنة من الأزهر ووزارة التربية والتعليم لوضع المناهج وتخطيط المواد الدراسية فى المعاهد الأزهرية وفقاً لأحكام هذا القانون وتحدد اللائحة التنفيذية نظام العمل فى هذه اللجنة.

مادة ٩٣- تجرى الإدارة العامة للمعاهد الأزهرية بالإشتراك مع وزارة التربية والتعليم امتحانات الشهادات الإعدادية والثانوية بأنواعها المختلفة فى المعاهد الأزهرية.

مادة ٩٤- إلى أن يتم تنفيذ هذا القانون ويتعادل خريجو الأقسام الابتدائية والثانوية بالمعاهد الأزهرية مع نظرائهم مع خريجي المدارس الإعدادية والثانوية تنظم دراسات إضافية للتلاميذ المقيدون فى هذه الأقسام حين صدور هذا القانون لتأهيلهم لدخول امتحانات معادلة للشهادة الإعدادية بالنسبة لتلاميذ الأقسام الابتدائية للمعاهد الأزهرية وللشهادة الثانوية العامة أو الفتية بالنسبة لتلاميذ الأقسام الثانوية لهذه المعاهد.

وعلى وزارة التربية والتعليم أن تعاون فى تنظيم هذه الدراسات وأن تعد العدة للإمتحانات المعادلة المشار إليها فى ختام العام الدراسى ١٩٦٢/١٩٦١.

ومع ذلك فإن من حق كل حاصل على إحدى الشهادات الابتدائية أو الثانوية من هذه الأقسام دخول امتحانات المعادلة المشار إليها وفقاً للنظام الذى تحدده اللائحة التنفيذية وينتهى العمل بهذا النظام بانتهاء العام الدراسى ١٩٦٥/١٩٦٦.

مادة ٩٥- يستمر قبول التلاميذ الحاصلين على الشهادة الابتدائية من الأقسام الابتدائية فى المعاهد الأزهرية هذا العام فى الأقسام الثانوية بهذه المعاهد وفقاً للنظام الذى تحدده اللائحة التنفيذية وتعديل مناهج الدراسة بالنسبة لهؤلاء التلاميذ، وللتلاميذ المعيدون بالسنة الأولى بالأقسام الثانوية على الوجه الذى يحقق التعادل فى آخر المرحلة.

مادة ٩٦- ابتداء من العام الدراسى ١٩٦٢/١٩٦٣ وإلى ابتداء العام الدراسى ١٩٦٦/١٩٦٧ يكون التلاميذ الحاصلين على معادلة الشهادة الإعدادية أو معادلة الشهادة الثانوية المشار إليهما فى المادتين السابقتين كل الحقوق المقررة للحاصلين على الشهادة الإعدادية أو الشهادة الثانوية سواء فى القبول بالمدارس والكليات الجامعية ومعاهد التعليم العالى، أو فى غير ذلك من الحقوق المقررة باللوائح والقوانين والقرارات، مع التجاوز عن شرط السن إلى ستين بالنسبة للحاصلين على معادلة الإعدادية وإلى ثلاث سنوات بالنسبة للحاصلين على معادلة الثانوية أو طبقاً لما تحدد اللائحة التنفيذية.

مادة ٩٧- الطلاب المقيدون فى كليات الأزهر الحالية، والذين ينتظر قيدهم فى أول الموسم الدراسى ١٩٦٢/١٩٦١، تحدد اللائحة التنفيذية لهذا القانون النظام الذى يتبع للملائمة بين وضعهم وبين مقتضيات تطبيق هذا القانون.

ومع ذلك فإنه يجوز أن تزداد سنة الدراسة بالنسبة للطلاب المقيدين حالياً في كليات الأزهر سنة أو سنتين بصفة مؤقتة لتحقيق هذه الملاءمة.

كما يجوز للحاصلين على الشهادة العالية من كليات الأزهر الحالية أن يتنظموا في دراسات عليا في جامعة الأزهر الجديدة للحصول على درجة التخصص أو العالمية، والذين يحصلون منهم على إحدى هاتين الدرجتين أو كليهما مثل الحقوق المخولة للحاصلين عليهما أو على الماجستير أو الدكتوراه من جامعات الجمهورية العربية المتحدة.

مادة ٩٨- يحتفظ للعلماء الموظفين الآن وللمدرسين في أقسام الأزهر المختلفة وفي المعاهد الأزهرية وأعضاء هيئات التدريس في كليات الأزهر الحالية وأعضاء جماعة كبار العلماء، كما يحتفظ بأصحاب الحقوق من أولاد العلماء وللطلاب في الكليات والمعاهد الأزهرية والأقسام العامة بكل الحقوق المالية المقررة لهم قبل صدور هذا القانون سواء في المرتبات أو في المعاشات أو في الأوقاف أو في مدة الخدمة بالنسبة للموظفين، أو غير ذلك. على أن تتضمن اللائحة التنفيذية لهذا القانون تحديد كل ما يتعلق بهذه الحقوق بالنسبة للذين يعينون في الوظائف أو يلتحقون بأقسام الدراسة المختلفة مستقبلاً.

مادة ٩٩- تحدد اللائحة التنفيذية لهذا القانون المسائل الآتية وغيرها مما وردت الإشارة إليه في هذا القانون:

١- اختصاصات شيخ الأزهر، ووكيل الأزهر، ومدير جامعة الأزهر، ووكيل جامعة الأزهر، وعمداء الكليات، والأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر، والأمين العام للجامعة، ومدير الثقافة والبحوث الإسلامية، ومدير المعاهد الأزهرية، والمجالس المختلفة، وذلك في الحدود المبينة في هذا القانون.

٢- جدول المرتبات والمكافآت لشيخ الأزهر ووكيل الأزهر وأعضاء المجلس الأعلى للأزهر وأعضاء مجمع البحوث الإسلامية.

٣- كيفية إدارة أموال جامعة الأزهر.

٤- شروط قبول الطلاب في الجامعة.

- ٥- نظام تأديب الطلاب .
- ٦- كل ما يتعلق بالمنح والمكافآت والإعانة الخاصة بالطلاب .
- ٧- مناهج الدراسة .
- ٨- مدة الدراسة ومدة الإمتحان ومدة العطلة .
- ٩- الدرجات العلمية والشهادات التى تمنحها الجامعة وشروط كل منها .
- ١٠- القواعد العامة للإمتحان .
- ١١- مدة اشتغال الممتحنين ولجان الإمتحان ومقدار مكافآتهم وكيفية تعيينهم وواجباتهم .
- ١٢- الانتداب للتدريس .
- ١٣- تحديد المكافآت المالية والمنح لأعضاء هيئة التدريس والمعيدين .
- ١٤- نظام تعيين أعضاء هيئة التدريس والمعيدين وجدول المرتبات والمكافآت فى الجامعة .
- ١٥- قواعد الشئون الاجتماعية والرياضية للطلاب .
- ١٦- القواعد العامة للتنظيم الدراسى والإدارى فى المعاهد الأزهرية الملحقه وذلك فى الحدود المبينة فى هذا القانون .
- مادة ١٠٠- تصدر اللائحة التنفيذية لهذا القانون فى مدى أربعة أشهر من تاريخ صدورها، ويعمل بها من تاريخ صدورها. وللوزير المختص إصدار ما يراه من قرارات تنظيمية أو تكميلية مؤقتة تتعلق بشئون الأزهر وهيئاته بما لا يتعارض مع نصوص هذا القانون وذلك خلال الفترة التى تعد فيها اللائحة التنفيذية لحين صدورها.

التعليم فى الأزهر

يسير الأزهر على التوسع فى التعليم الثانوى والعالى^(١) وإتاحة الفرص لكل قادر على متابعة الدراسة من إكمال معارفه والتزود بحظ من الثقافة العالية يستطيع

(١) من تقرير قدم إلى الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية بناء على طلب هذه الإدارة قبل انعقاد المؤتمر العربى عام ١٩٥٠.

به أن يكون مواطناً نافعاً يخدم دينه ويعلى من شأن وطنه. ويعتقد الأزهري أن الكفاية ليس لها حدود ولا موطن معين، ولذلك فسياسته التعليمية منذ قديم تقوم على مبدأ تكافؤ الفرص بأوسع معانيه. فهو لا يضع حدوداً أو عوائق مالية تحول بين الطالب مهما تكن قدرته المالية وبين متابعة الدراسة حتى نهايتها، إذ الدراسة فيه مجانية تتكفل الدولة بكل تكاليفها المالية. وفضلاً عن ذلك فإن الأزهري على خلاف الجامعات كلها ينفرد بتقرير مكافآت مالية للطلاب تعينهم نوعاً ما على طلب العلم وتحمل نفقات المعيشة. وهو يتبع سياسة منظمة في التوسع في التعليم الثانوي والعالي بحيث يكفل في كل وقت ألا يرد طالباً راغباً في العلم عن المعاهد الثانوية أو الكليات. وتبدأ سياسة الأزهري منذ المرحلة الأولى، فهو يضع شروطاً للقبول بالسنة الأولى الابتدائية من شأنها أن ترد غير القادرين على الدراسة، أو الذين لا تتوافر فيهم الأهلية لمتابعة الدراسة الدينية، فهو يشترط في المادة ٩٩ من قانونه الأساسي ما يأتي: يشترط لقبول الطالب في السنة الأولى من القسم الابتدائي:

- أولاً: ألا تقل سنه عن اثنتي عشرة سنة، ولا يزيد على ست عشرة.
- ثانياً: أن يكون حافظاً للقرآن الكريم كله ويؤدي امتحاناً يثبت ذلك.
- ثالثاً: أن يؤدي بنجاح امتحاناً في المطالعة والإملاء والخط والحساب.
- رابعاً: أن ينجح في الكشف الطبي طبقاً للشروط التي توضع لذلك.

وقد دل تحري الدقة في تطبيق هذه الشروط على المتقدمين إلى المعاهد الابتدائية أن نسبة كبيرة قد تصل إلى ٥٠٪ من عدد المتقدمين لم يستطيعوا أن يحرزوا النصاب المقرر للنجاح في امتحان القبول، وبذلك أمكن منذ اللحظة الأولى أن يوجهوا إلى دراسة تتفق مع ميولهم، وبذلك ضمن إلى حد كبير أن أكثرية الذين اجتازوا هذا الامتحان التمهيدي لديهم استعداد للدراسة الدينية، وأنهم لديهم من الكفاية ما يؤهلهم لمتابعة الدراسة في المرحلتين: الثانوية والعالية. وفضلاً عن اشتراط هذا الامتحان التمهيدي فقد جرى قانون الأزهري حتى السنة الحالية على التشدد في امتحان طلاب السنتين الأولى والثانية الابتدائيتين وعدم منحهم فرصاً

للدخول فى الدور الثانى، لينصرف الطلبة إلى الدراسة، وليبقى فى التعليم من يؤهله استعداداه وحرصه على الدراسة حتى المرحلة الثانوية، وليتمكن هؤلاء الطلاب منذ بدء الدراسة من تخير طريق آخر وعدم إضاعة وقتهم وجهدهم دون جدوى. وثمة قيد آخر اختص به التعليم الابتدائى هو عدم السماح للطلاب من الإعادة فى فرقة واحدة أو فى سنى الدراسة الأربع أكثر من مرتين. كل هذه القيود النافعة كانت عنصراً فعالاً فى تصفية الطلاب غير المؤهلين للدراسة، وإبقاء من لهم قدرة وكفاية على مواصلة الدرس. ويتبع نتائج القبول وإحصائيات المتقدمين تعرف الأزهر حاجياته فى التعليم الثانوى من فصول ومعاهد. وبمراجعة البيان بعدد الطلاب الذين قبلوا فى السنوات من سنة ١٩٣٦ حتى سنة ١٩٤٩، يتبين مقدار الزيادة فى طلاب الأقسام الابتدائية واطرادها فى السنوات الأخيرة، مما حمل الأزهر على التوسع فى الفصول الثانوية، وافتتاح معاهد جديدة لتخفيف الضغط عن المعاهد القديمة.

وقد أنشأ الأزهر فى خلال هذه السنوات معهد شبين الكوم، ومعهداً بقنا (ثانوى، ابتدائى)، ومعهداً بسوهاج، ومعهداً بالمنصورة ومعهد المنيا ومعهد سمنود ومن ذلك يتبين أن الأزهر سار فى سياسة التوسع على خطة مرسومة أساسها الإحصائيات وسد حاجات الطلاب المقبولين فى المعاهد الدينية وتزايدهم سنة بعد سنة.

وحين كانت الظروف المالية لا تسمح بإنشاء معاهد جديدة أو فصول ثانوية جديدة، كان الأزهر يضطر إلى فرض قيد على قبول الطلاب، فيحدد عدد من يقبلون فى السنة الأولى الابتدائية فى جميع المعاهد. وقد كان لهذه السياسة ضرر على الطلاب أنفسهم، فقد كانوا على رغم استعدادهم ورغم صرفهم سنين فى حفظ القرآن الكريم يصرفون فى سنة متأخرة عن الدراسة التى أهلوا أنفسهم لها واستعدوا للسير فيها. وهذا بدوره يثبط روح الأمل، ويقعد بزهرة الطلاب قد تكون فيهم كفاية ناضجة عن مواصلة التعليم، وتبقيهم فى بلادهم على مضض منهم، فيصرفون جهودهم إلى أشياء أخرى قد يكون فيها ضرر على المجتمع. والأزهر حين اضطر إلى هذا التحديد كان يركن إليه لصالح الدراسة ومراعاة

القواعد، من عدم جمع أكثر من أربعين طالباً في فصل واحد، وكان الغرض منه أولاً مراعاة إمكانيات المعاهد، وعدم توافر الفصول اللازمة لهؤلاء الطلاب، وعددهم وجود المدرسين اللازمين لتعليمهم.

وثمة عامل آخر كان يراعيه الأزهر في هذا التحديد هو ملاحظة حاجة البلاد إلى المتخرجين في سنوات كانت الأزمة الاقتصادية فيها مستفحلة، وكان مستقبل الخريجين فيها مظلماً لا يبشر تقدم. وفي الحق لقد عانى الأزهر من سياسة التوسع في تخريج العلماء والمدرسين معاناة شديدة، فقد جاء وقت كان المتخرجون فيه أكثر من حاجة البلاد، مما اضطر معه الأزهر في سبيل التخفيف عنهم إلى النزول بمرتباتهم إلى مستوى ضئيل، ومع ذلك كانوا يقبلون على هذه الوظائف إقبالاً شديداً، فكان العالم المتخصص يمنح مقابل قيامه بالتدريس جدولاً كاملاً في المعاهد مرتباً شهرياً ضئيلاً لا يذكر، وقد دفع هذا ولادة الأمور إلى الأخذ بسياسة التحديد في قبول الطلاب السنة الأولى الابتدائية حتى يمكن أن تتعادل حاجة البلاد وحاجة الأزهر إلى المدرسين مع عدد المتخرجين في الأقسام النهائية. ويمكن القول بعد هذا أن العامل الاقتصادي لعب دوراً هاماً في سياسة التحديد، وإنه حين -انتعشت الأحوال الاقتصادية في البلاد وسمحت ميزانية الدولة بالتوسع في التعليم العام، وأخذت بمبدأ تكافؤ الفرص وإتاحة التعليم الابتدائي المجاني لكل من يرغب فيه، اتسعت آفاق الآمال للمتخرجين، واشتدت الحاجة إلى المعلمين يسدون حاجة هذه المدارس -خفت وطأة التحديد وبدأت المعاهد تقبل جميع الناجحين من المتقدمين إليها، حتى تضاعف هذا العدد من ١٠٠٠ في سنة ١٩٤٠ إلى ٢٠٠٠ في سنة ١٩٥٠.

جماعة كبار العلماء

-١-

أنشئت هذه الجماعة بمقتضى قانون إصلاح الأزهر الذى صدر عام ١٩١١، وقد ظلت قائمة حتى اليوم. وأعضاؤها يظلون في مناصبهم العلمية حتى الوفاة، ولما جاء الشيخ عبد الرحمن تاج شيخاً لمشيخة الأزهر هذا العام وأصدر قانونه بإحالة علماء الأزهر إلى المعاش في سن الخامسة والستين بدلاً من سن السبعين نص في

القانون على أن هذا القيد يسرى على أعضاء جماعة كبار العلماء أيضاً، وبذلك أصبح الأعضاء لا يتمتعون بهذه الميزة الكبرى التى كانت لهم من قبل، وقد خرج من الجماعة لذلك شيوخ الأزهر الكبار الذين بلغوا هذه السن أو تجاوزوها.

وقد كتبت فى مناسبات عديدة عدة مقالات عن الجماعة، أرى تسجيلها فى هذا المقام.

— ٢ —

أنشئت هذه الجماعة فى الأزهر لتنهض بأعباء الإصلاح الدينى المنشود، ولتحمل عبء المجهود العلمى فى مصر والشرق، بخدمة التراث الإسلامى، ورعاية الثقافة الدينية، وامتدادها بالمؤلفات والبحوث.

وقد حدد قانون سنة ١٩٣٦ المقاعد العلمية للجماعة بثلاثين كرسيًا، وشرط لاختيار أعضائها شروطًا كثيرة، أهمها أن يكون العضو الذى يرشح لها من العلماء الذين أسهموا فى الثقافة الدينية بنصيب فى الأزهر أو فى خارجه وأن يقدم رسالة علمية فى أية ناحية من نواحي البحث تظهر فيها صبغة الجدة الابتكار.

إن رسالة الجماعة عظيمة خطيرة، فعليها أن تعنى بالتراث الإسلامى لعلمائنا الأمجاد، وأن تقوم بإخراجه للناس سائغًا جميلًا ملائمًا لعقولهم ومناهجهم الحديثة فى البحث والتفكير، وعليها ألا تقف عنده وتحافظ عليه فقط، ولكن عليها أن تبني على أسسه، وأن تسير على امتداده، وأن تتابع الحركة العلمية فى مصر وسواها من الأقطار، وأن توجهها وتؤثر فيها، وتسير بها إلى غاياتها المثلى المنشودة.

تلك رسالة الجماعة، أما حاضرها على ضوء رسالتها فهو حاضر ينبغى أن يتغير لتستطيع الجماعة أن تخدم التراث الإسلامى، كما يجب أن يكون صوتها قويًا مسموعًا فى حياتنا الفكرية الصاخبة.

لقد كثر نقد الباحثين والمفكرين للجماعة، وكثر تساؤلهم عن إنتاجها وعما أدته من الواجبات الخطيرة التى وضعت فى عنقها وقامت لأجلها، وسرى هذا التيار من خارج الأزهر إلى داخله، فلفت الرأى العام الأزهرى أذهان المفكرين من رجال

الأزهر إلى ذلك. وإن يعين الجماعة على أداء رسالتها ألا تحرم أولى الكفايات، وأن تفتح أبوابها لهم حتى تجنى الأمة والأزهر ثمار هذه الجماعة، ويشعر الرأي العام بفائدتها وأثرها في الحياة، وحتى تسيّر الجماعة إلى غاياتها السامية، وتخطو إلى مستقبلها المجيد، وتؤدي للعالم والدين ما ينتظر منها أن تؤديه من خدمات^(١).

وأخيراً حققت الآمال العظيمة التي طمح إليها دعاة الإصلاح في مصر والشرق الإسلامي، وتوج هذا الجهاد الحافل بالفور والتوفيق، فأنصت الأزهر لهذه الدعوة الصارخة، وأمن بها، وأخذ يضيف إلى تاريخه التليد صفحات طريفة مجيدة. فمئذ أسابيع قرأنا أن عضواً بارزاً من جماعة كبار العلماء قدم إلى الجماعة اقتراحاً جديداً تشيع فيه الرغبة الصادقة في توجيه الثقافة في هذه الجامعة العظيمة وجهة جديدة صالحة تجمع بين أمرين عظيمين:

الأول: بعث روح الإنتاج العلمي، والاضطلاع بأعبائه في شتى فروع الثقافة الدينية.

الثاني: العناية بشئون المجتمع، وبحث مشكلاته الخلقية والاجتماعية والاقتصادية، وبيان موقف الدين الإسلامي حيالها.

ثم علمنا أن هذا الاقتراح يشق طريقه نحو التنفيذ، فأيقنا أن الأزهر مصمم على السير إلى أبعد غايات الإصلاح، مؤمن بتوفيق الله ورعايته. ولا يخالجننا شك في أن الجماعة -وقد ضمت عناصر جديدة ممتازة- ستظفر بتحقيق هذه الآمال، وستكتب في تاريخ الأزهر الحديث أروع الصفحات. وليس هذا على الجماعة بكثير، فقد عني بها المراعى عناية كريمة فآثر بعضويتها أولى الكفايات من العلماء الحريصين على مسامرة الحياة إلى أسمى غاياتها، وتوجيه الحياة الاجتماعية بنور الدين وهدايته. إن المجتمع في حاجة إلى الأزهر، والأزهر في حاجة إلى المجتمع، ولا ريب في أن اتجاه علمائنا نحو المجتمع وبحث شؤنه ومشاكله ستجعل الناس على بينة من دينهم، وتهديهم إلى سبل الخير والفضيلة والرشاد.

(١) من مقالة طويلة نشرتها في البلاغ عام ١٩٤١.

لقد مضى زمن الجدل العقيم فى العقائد، والبحث النظرى فى القشور دون اللباب، وسئمنا الكلام فى المياه التى يجوز بها التطهير والتى لا يجوز، وفى إثبات كرامة الأولياء ونفيتها، وفى طبقات السماء أمن فضة هى أم من ذهب، إلى غير ذلك. وها نحن أولاء نشاهد إشراق عهد جديد يشارك فيه علماؤنا الناس، وينزلون من عزلتهم التقليدية إلى حيث يسير الناس وتتحرك الحياة، ويضعون شئون المجتمع ومشاكله نصب أعينهم، ويقفون منه موقف الناصح الأمين.

لعمري لقد ملأ الإيمان قلوب الناس، بل وعقولهم يوم كان الدين روحاً وعقيدة وخلقاً وعملاً. ولم يمتحن المسلمون بأعظم من الجدل فى العقيدة والخلاف فى الدين، حتى انحل ما كان معقوداً من ألفتهم، وخمد ما كان متأججاً من روحهم. ولقد ظهر الغزالى فى عصر مفعم بالفتن والاضطرابات والجدل والخلاف، فدعا الناس إلى دين الله بلغة العاطفة والقلب حين رأى الدعوة إليه عن طريق الخصومة والجدل داعية فتنة واثارة ضلال، ولكن الغزالى يشس من المجتمع لأنه كان يود أن يراه مجتمع ملائكة أبرار لا مجتمع شياطين أشرار، فزهد فى الحياة، وعزف عن المجتمع، واعتزل الناس، إثارة لسلامة الدين والنفس وبعداً عن شرو المجتمع وسيئاته، وقلده فى مذهبه الاجتماعى أصحابه ومريدوه، فظلت تلك الروح نزعة لعلماثنا حتى العصر الحديث.

ولقد كانت أسمى غاية للأستاذ الإمام محمد عبده من إصلاح الأزهر أن يحمله على الاندماج فى المجتمع، والتغلغل فى أعماقه، والسمو به -عن طريق الارشاد والتهذيب الدينى الصحيح- إلى أبعد ما يستطيع من غايات، وكان يريد من وراء ذلك أن يذكى فى الأمة الإسلامية روح القوة والفضيلة، وأن يدفع بها إلى الحياة الكريمة العزيزة، لتستطيع أن تذود عن حريتها، وتحافظ على تراثها المسلوب، حتى يتسنى لها -إذا تابعت السير فى هذا المضمار- أن تستعيد ما كان لها من مجد باذخ وجلال قديم، ففسير فى قافلة الحياة البشرية داعية خير وهدى وسلام. ولقد أبى الأزهر حينئذ أن يستجيب لدعوة الأستاذ الإمام وأثر أن يعيش فى ظلال الجمود والحيرة، عزوفا عن الجديد الذى كان يؤمن بأنه بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة فى النار.

وبعد ربع قرن من وفاة الأستاذ الإمام تكشفت غيوم الحيرة، وخفضت شوكة الجمود وحماته، وألقيت مقادة الأزهري في يد تلميذ من تلامذة الإمام، فأخذت دعوته طريقها إلى قلوب الأزهريين وعقولهم، وسرت في الأزهري روح جديدة، وأيقن رجاله بضرورة الإصلاح، وإن اتجهوا في ذلك وجهات مختلفة متباينة.

فليعد علماؤنا إلى المجتمع حاملين في ظلمات الحياة الاجتماعية نور الدين وهدايته، ناشرين في ضلال الحياة الإنسانية دعوة الله ورسالته، هادين الناس إلى الحق وإلى طريق مستقيم... (١).

إن هيئة كبار العلماء أكبر هيئة دينية في العالم الإسلامي، وأعضاؤها الموقرون من أفذاذ العلماء في الأزهري الشريف، وإنى لأقترح على أولى الأمر في الأزهري تحويل عضوية الهيئة إلى كراسي دائمة، تطلق عليها أسماء الخالدين من شيوخ الأزهري وسواهم من أعلام العلماء: فنجد من بينها كراسي الظواهري، والمراغي، ومصطفى عبد الرزاق، والشناوي. وكراسي محمد عبده، وجمال الدين الأفغاني... ففي ذلك تخليد لذكرى أئمتنا وكبار شيوخنا، وفيه تمجيد لأعمالهم العظيمة في خدمة الأزهري، وما حملوا من أعباء الجهاد في سبيل الإصلاح الديني.

الدراسات العليا في الأزهري الجامعي

-١-

نعني بالدراسات العليا تلك الدراسات الخاصة التي تنظمها الجامعات للناخبين من أبنائها الذين وقفوا حياتهم على الدرس والبحث.

وهذه الدراسات بمعناها العلمي دعامة من دعائم الحضارات الإنسانية التي تقوم على أساس وطيد من المعرفة والثقافة، وهي أعظم ما تعني به الجامعات الكبيرة في الدولة العريقة، وعليها يتوقف التطور البشري.

ولقد عرفت الجامعات العلمية الأولى في الشرق في أحقاب التاريخ القديم، وفي شتى أطوار الحياة الإسلامية العظيمة، ففي البصرة والكوفة، وفي دمشق وبغداد وفي قرطبة والقاهرة وسواها من العواصم الإسلامية ازدهرت الدراسات

(١) من مقال نشر في الرسالة ٢٩ - ١٢ - ١٩٤١.

العليا التى كان يقوم بها قادة الفكر الإسلامى، ثم شاء الله أن تذوى هذه الحضارة الزاهرة، وتطفأ مصابيح ذلك النور المشرق، وأن يستكين المسلمون لأحداث الزمن ونكبات التاريخ، فتحمل العلماء فى هذا الاضطراب العاصف مشعل الثقافة الإسلامية، ولكن الأحداث كانت أقوى من جهودهم، فتلاشى كثير من تلك الدراسات فى شتى الجامعات، ولم يبق منها إلا شعاع خافت ضئيل.

وخضع الأزهر فى حياته العلمية الطويلة لهذه التطورات حتى كان العصر الحديث، وقبض الله لمصر والشرق رجلاً من أنبه رجال الفكر فيه هو السيد جمال الدين الأفغانى، فنفخ فى حياته روح الشباب والقوة والتفكير، وكان من أبر أبنائه الإمام محمد عبده الذى جاهد فى سبيل الأزهر والعلم والدين جهاد الأبطال، وكانت أول دعوة للأستاذ الإمام رفع مستوى الدراسة فى الأزهر، حتى يستطيع أن يسير النهضة الفكرية فى الشرق والغرب أولاً، وأن تؤدى رسالته العظيمة ثانياً، وأنشئت على أساس أفكاره أقسام الدراسات العليا فى الأزهر -التخصصات- بعد وفاته بكثير، وكان من هم هذه الأقسام تخصصات العالمية من درجة أستاذ التى أنشئت عام ١٩٣٠ والتى حملت عبء الثقافة الدينية والعربية والعقلية فى الأزهر وكلياته من ذلك العهد إلى الآن، وقام خريجوها ببحوث جديدة فى شتى فروع الثقافة تجلت فى رسائلهم المختلفة التى تقدموا بها لنيل العالمية من درجة أستاذ، وكانت الغاية من إنشاء هذه الأقسام هى:

أولاً: إفساح مجال البحث الحر أمام الأساتذة والكفايات الممتازة من طلبة الأزهر.

ثانياً: خلق جيل جديد من الخريجين يحملون فى مستقبل حياتهم مشعل الثقافة فى مصر والعالم الإسلامى.

وقد بعثت رغبات جامعة لا نعرف أسبابها على أن ينظر كثير من المسئولين فى الأزهر إلى هذه الأقسام نظرة لا تليق بمكانتها وجهودها فى الأزهر ورسالتها التى تحملها، حتى لقد مضى عليها خمس سنوات لم يقبل فيها أحد من أوائل الشهادات العالية بالأزهر.

ونحن ننادى بفتح هذه الأقسام من جديد، على أسس أكثر نظاماً، وأدق تجديداً

من النظم الأولى التى كان يسير الأزهر عليها، فجهود خريجيه ورسائلهم وبحوثهم العلمية وآثارهم الثقافية فى حياة الأزهر الآن هى سجل ناطق بمدى نجاحهم ونجاح هذه الأقسام الدراسية العليا فى غايتها الثقافية والعلمية. وأهم هذه الأسس التى نراها صالحة لتوجيه هذه الدراسات والطلبة المثابرين عليها هى:

أولاً: العناية التامة بطلبة هذه الأقسام عناية أدبية ومادية تحول بينهم وبين كل ما يعوقهم عن التفرغ للبحث والدرس.

ثانياً: الاختيار الصالح لأساتذة هذه الأقسام، فحيث يوجد الأستاذ الكفء يوجد النشاط العلمى والحياة العقلية الخصبة، ويخلق الطالب النابغة، وذلك هو ما ننشده لهذه الأقسام، ولقد كانت محاضرات الأستاذ الشيخ محمد عرفه فى هذه الأقسام ومدى أثرها وتوجيهها العقلى دليلاً على ما يمكن للأستاذ أن يفعله وأن يأتى به من معجزات حينما يختار لمهمته فيحسن اختياره، ويكلف بالعبء الذى يستطيع أن ينهض به.

ثالثاً: تحديد مناهج الدراسة والكتب ومواعيد المحاضرات والامتحانات تحديداً واضحاً لا لبس فيه ولا غموض.

رابعاً: جعل العلوم الإضافية فى هذه الأقسام قاصرة على السنتين الأولى والثانية، على أن يعقد امتحان بعد العامين للطلاب الذى يلتحق بها يمتحن فيه فى جميع المواد الإضافية ليفرغ بعد هذا الامتحان إلى المواد الأساسية التى يعد نفسه من أجلها.

خامساً: دراسة إحدى اللغات الأجنبية الأوروبية فى هذه الأقسام.

سادساً: وضع الخريجين من هذه الأقسام بعد تخرجهم منها فى وظائف التدريس فى الكليات مباشرة بدون أى تأخير، واختيار أعضاء البعثات التى تسافر إلى الخارج من بينهم. فبذلك يكون الأزهر قد عمل على خلق جيل جديد من شبابه يقدر على حمل أعباء رسالته والنهوض بها.

ولقد كان محمد عبده رحمه الله أبرز قائد لحركة البعث والإصلاح الدينى فى مصر والشرق الإسلامى، بعد أستاذه جمال الدين الأفغانى. وكان من البدهى أن يتجه هذا المصلح الدينى الخالد الذكر إلى إصلاح الأزهر نفسه لأنه نواة الفكرة الإسلامية، ومغذى الروح الدينى. ولم تظهر آثار جهاد الشيخ عبده وجهوده فى إصلاح الأزهر إلا بعد وفاته، وعلى أيدي تلاميذه الذين تحمسوا لآراء أستاذهم فى الإصلاح، وتعهدوها بالعناية والتنفيذ.

كانت الدراسة فى الأزهر فى عهد محمد عبده تسير على النظام القديم البدائى: حلقات للتعليم، وطلبة يختارون أستاذهم الذى يتلمذون عليه ويناقشونه فيما صعب من مشكلات العلم والثقافة، وكتب ألفت فى العصور الوسطى وغلبت عليها آثار الثقافة العقلية التى كانت سائدة فى هذه العصور. وفى ١٨٧٢م وضع قانون لإصلاح الأزهر، نظم طريقة نيل العالمية، وحدد مواد الامتحان فيها، وبتعريض الشيخ محمد عبده، وعلى يدى صديقه المرحوم الشيخ حسونة النواوى شيخ الأزهر حينذاك، صدر قانون عام ١٨٩٦، الذى نظم الدراسة فى الأزهر، وأدخل العلوم الحديثة فى مناهجه، أما النظام الإدارى للأزهر ومعاهده فقد صدر به قانون عام ١٩١١، بعد وفاة الإمام محمد عبده بسنوات، وأخذ الأزهر يسير على هذا النمط من الدراسة، دون أن يوجد فيه أثر للدراسات العليا، حتى صدر قانون ١٩٢٣، الذى أوجد نوعاً من هذه الدراسات قامت على أسسه أقسام التخصص القديم، التى كانت تمنح درجات علمية تعادل درجة الماجستير فى جامعتى القاهرة والإسكندرية، ثم أخذ الأزهر يعمل على مسايرة النظم الجامعية التى تسير عليها شتى الجامعات فى الشرق والغرب، ففكر المراغى فى عهد مشيخته الأولى فى إنشاء أقسام أكبر للدراسات العليا فى الأزهر، والمراغى أنبه تلاميذ محمد عبده، وأكثرهم دعاية لآراء أستاذه، وتحقيقاً للكثير منها. وقد ظهرت آثار هذا الاتجاه فى قانون إصلاح الأزهر الذى صدر عام ١٩٣٠ فى عهد المرحوم الشيخ الأحمدي الظواهرى، وقد نظم هذا القانون الأزهر الجامعى، فقسمه إلى كليات ومعاهده، وأنشأ أقسام الدراسات العليا بشتى فروعها، وعدل عام ١٩٣٦

وما والاہ تعديلاً أملتہ الضرورة والتجربة والرغبة في خلق الروح الجامعية في الأزهر. وسمى هذا القانون أقسام الدراسات العليا: أقسام تخصص المادة، ومنها ينال المتخرج شهادة العالمية من درجة أستاذ، وهي أرفع شهادات الأزهر العلمية، وتعادل الدكتوراه الممتازة، وتدرس بها علوم الشريعة وأصول الدين والقرآن والحديث والبلاغة والأدب واللغة والفلسفة والتاريخ، ومدة الدراسة بها لا تقل عن ست سنوات بعد انتهاء دراسة الكلية، وكان طلبتها يختارون من بين أوائل المتخرجين. واختير للتدريس بهذه الأقسام أئمة العلماء والمفكرين في الأزهر ومصر، وقد حققوا نهضة فكرية وعلمية جديدة بالإشارة في تاريخ الأزهر الحديث، كما كانت امتحانات أقسام هذه الدراسات، ومناقشات رسائل الخريجين مواسم خالدة للعلم والأدب في الأزهر، وكان يشرف عليها أفاض العلماء والأدباء والمفكرين، ومن بينهم المراغي ولطفى السيد ومأمون الشناوى واللبان وحمروش وعبد المجيد سليم وعرفة وشلتنوت والجارم وسواهم، ورسائل الخريجين من أقسام العالمية من درجة أستاذ فيها جهد كبير وألوان جديدة من البحث والتحليل، وهي أوضح أثر لنهضة الأزهر العلمية الحديثة، وقد طبع بعض قليل منها. كما حمل خريجوه بجدارة مناصب التدريس في كلياته ومعاهده، ولكثير منهم نشاط علمي خصب، وإنتاج حافل في الأدب والشريعة والفلسفة والتاريخ والعقائد. ومن سوء الحظ ألا يهضم الأزهر الجامعى نظام الدراسات العليا، وأن يحاربها من وراء ستار، وأن يعطل الدراسة بأقسامها من عام ١٩٤١ حتى الآن. وكان اعتزاز الأزهر بهذه الدراسات ضئلاً محدوداً، تجلّى في طبع رسالتين أو ثلاث من رسائل خريجها، وفي عرض بعضها في المعرض الزراعى عام ١٩٤٩ ولا يزال جل هذه الرسائل مخطوطاً في مكتبات الكليات الأزهرية، وعددها يقارب المائتين.

فمن مبلغ الأزهر بأن نظامه الجامعى وازدهاره العلمى لن يكون لهما كيان إلا إذا عادت من جديد هذه الدراسات العليا فيه، تؤدى رسالتها العظيمة في خدمة الدين والثقافة، وتجديد مناهج البحث العلمى الحر، والكشف عن آثار التراث الإسلامى المجيد، والنهضة بالثقافة الأزهرية، حتى تبلغ المنزلة الرفيعة، التى بلغتھا الثقافات الحديثة، فى جامعات الشرق والغرب.

ويتحدث الخريجون من أقسام الأستاذية فى مذكرة رفعوها إلى المسئولين فى أكتوبر عام ١٩٥٢، عن حاضريهم وآمالهم فيقولون:

أنشئ قسم الأستاذية فى الأزهر بمقتضى القانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٣٠ المعدل بالقانون رقم ٢٩ لسنة ١٩٣٦ حينما أريد للأزهر أن يكون جامعة وأن تنشأ به كليات للتعليم العالى، وأن يقضى على عوامل الانحلال التى عصفت به وذهبت بكل ما كان له من مجد وجلال. ولم يكن بالأزهر عند صدور القانون أساتذة يحملون مؤهلات ممتازة تخول حاملها التدريس فى كلياته، فأنشئ فيه هذا القسم لتخريج أساتذة ممتازين يعهد إليهم بهذه المهمة، وأطلق عليه اسم تخصص المادة. . ويختار طلابه من أوائل الشهادات العالية من الكليات ويقضى فيه الطالب ست سنوات على الأقل، ثم يقدم فى نهايته رسالة قيمة تناقش مناقشة علنية ويمنح الناجح فيها شهادة تسمى العالمية من درجة أستاذ وهى تعادل «دكتوراه ممتازة حرف أ» ومن هؤلاء وحدهم تتكون هيئات التدريس بالكليات تطبيقاً للمواد ٤١، ٤٢، ١١٩ من القانون رقم ٢٦ لسنة ١٩٣٦، كما جعل الحصول على هذه الشهادة شرطاً لعضوية جماعة كبار العلماء، ومن بين هؤلاء يختار شيخ الأزهر وكبار الموظفين الإداريين فيه.

ولكن الذى حدث من المسئولين فى الأزهر حيال أقسام الأستاذية هو:

١- أغلقوا قسم الأستاذية إغلاقاً نهائياً منذ أكثر من أربع عشرة سنة، واحتجوا لذلك بأنهم سيعيدون النظر فى نظامه.

٢- سلكوا الحاصلين على هذه الشهادة مع حملة أدنى شهادات الأزهر فى سلك واحد وحكموا الأقدمية المطلقة بينهم فى الترقيات ومنح الألقاب العلمية.

وإننا لنقترح مساواة خريجي الأستاذية بنظرائهم فى الجامعات من كل النواحي العلمية والأدبية والمادية، وفتح أقسام الدراسات العليا فى كليات الأزهر فوراً وقبول المتقدمين إليها من الطلاب. وزيادة عدد الأساتذة ذوى الكراسى فى كليات الأزهر بما يناسب الزيادة فى عدد الطلاب والمدرسين والمواد الدراسية فقد حدد عدد هذه الكراسى فى عام ١٩٣٦، ولم يكن بالكليات من المدرسين والطلاب أكثر من خمس العدد الحالى.

الصلات العلمية بين الأزهر والجامعة

منذ أعوام قلائل قرأت في بعض الصحف، سؤالاً لشاب أزهري كتب يقول: «أنا طالب أزهري حاصل على شهادة إتمام الدراسة الثانوية من معهد القاهرة وأجيد الفرنسية والإنجليزية إجادة تامة، فهل يجوز لي الالتحاق بكلية الآداب؟» ونشر مع السؤال رأى سيادة عميد كلية الآداب ونصه: «لا يمكن قبول الطالب بكلية الآداب، وفقاً للوائح التي لا تزال متبعة إلى الآن»، وأمر هذه اللوائح عجيب حقاً، فهي التي تسيطر على التفكير الحر في مصر. وكيف يمكن إقناع الطالب المسكين الذي يريد إكمال دراسته بقسم اللغة بكلية الآداب بأن رد العميد عادل ومعقول؟ ولم فات الدكتور طه حسين أمر هذه اللوائح حين كان عميداً لكلية الآداب، فأمر بقبول عدد كبير من طلاب الأزهر بكليته، ونظم لمن لا يعرف منهم لغة أجنبية دراسات خاصة، فكانوا أكثر خريجياً نشاطاً وانتاجاً؟.. ولا تزال هذه اللوائح أيضاً تحول بين أساتذة الأزهر وحرية التقديم لشهادات الجامعة، والانتظام في دراساتها، فإلى متى تظل هذه اللوائح والقيود والأفكار القديمة تتحكم في مصير الثقافة في مصر في القرن العشرين؟

حياة الأزهر الثقافية

- ١ -

لقد ابتدأت الدولة الفاطمية حياتها السياسية بالقيروان سنة ٢٩٦ هـ على يد مؤسسها الأول عبيد الله بن محمد - وأخذت توسع نطاقها السياسي ومجالها الدولي بالتدرج، وفي عهد الخليفة الرابع المعز لدين الله دخل الفاطميون مصر بعد منتصف القرن الرابع الهجري بقليل.. فقصوا على نفوذ الخلافة العباسية فيها، وعلى مذاهبها السياسية والاجتماعية والعقلية من جميع أرجائها، وبسطت الدولة الجديدة سيادتها على البلاد بالقوة وأخذت تصبغ جميع نواحي النشاط في الدولة بصبغة ثلاث عقيدتها الشيعية الإسماعيلية، سواء في أداء الشعائر أم في سياسة الدولة وأمور الاجتماع ونواحي التفكير.

وكان لابد للدولة الجديدة أن تقوم بدعاية واسعة النطاق تركز لها كل ما تستطيع من قوة وجهد فى سبيل تغيير الاتجاه الفكرى فى مصر كلها، حتى يؤمن العقل المصرى بعقيدتها الشيعية، ويتحمس لها ويدعو إليها، ويكون بين الدولة والشعب تفاهم عقلى بعد هذا الوئام السياسى الذى وجهته القوة وأملاه السيف.

ومن ذا الذى يقوم بهذه الدعاية، وبدأ فى جد لتغيير مناحى التفكير فى مصر، ولجذب الشعور الوطنى نحو الدولة؟ إنهم العلماء الشيعيون الإسماعيليون ورجال السياسة والتفكير فيهم... وإذا فلتقم جامعة علمية منظمة، ولتشرف هذه الجامعة بأسانذتها وشيوخها على مناحى الثقافة والتفكير فى الدولة، داعية إلى العقيدة الشيعية بأصولها وتشريعها الفقهى وكافة آرائها السياسية والاجتماعية والعقلية، حريصة على نشر هذه المبادئ فى مصر وسائر أنحاء الشرق الإسلامى.

وشيد الأزهر وتم تشييده فى عامين وافتتح فعلاً للصلاة فى ٧ رمضان عام ١٣٦١هـ وقام رجال الدولة بإلقاء المحاضرات العامة فيه بين حين وحين إلى أن تولى العزيز بن المعز لدين الله العرش (من عام ١٣٦٥ إلى ١٣٨٦هـ) فاتجه بعنايته إلى الأزهر وجعله معهداً علمياً منظماً، شمله برعايته الكاملة، واختار للدراسة فيه أساطين الفقه الشرعى من شتى أنحاء العالم الإسلامى وأحاطهم بشتى أسباب الرعاية والتقدير وكان من بين هؤلاء وزير العزيز بالله يعقوب بن كلس.

وقام الأزهر بما طلبته منه الدولة، وما هيأته له، فأخذ ينشر العقيدة الإسماعيلية ويدرس مبادئها السياسية وتشريعاتها الفقهاء، وأصولها المذهبية واتجاهاتها الفكرية فضلاً عن عنايته بالكثير من الدراسات العقلية واللغوية والأدبية - وصار أعظم بيئة علمية وأحفلها فى الشرق الإسلامى بهذه الدراسات، التى خرج فيها جيلاً جديداً من العلماء الذين أصبحوا يد الدولة ودعاتها وقوام الحياة السياسية والاجتماعية والعقلية والأدبية فيها، كانت الدولة الفاطمية تشمل بنفوذها السياسى حوض البحر الأبيض الأفريقى كله من مراكش إلى الشام، فضلاً عن الحجاز ويهفو إليها جميع الإسماعيليين فى العراق وإيران والهند بقلوبهم، ويتجهون إليها بشعورهم وكان الأزهر هو المثابة العظيمة للعلم والتفكير والثقافة فى هذه الأقطار كلها، وهو الذى

يحمل مشعل النور والهداية إلى سائر هذه الأمصار، ووفدت إليه أفواج الشباب من شتى هذه الأرجاء، تترى من معينه -وتقتبس من نوره وتهتدى بهديه، وتضافرت هذه العوامل الأجنبية والسياسية والفكرية كافة على تكوين شخصية مستقلة لهذه الجامعات الجديدة، ظهر أثرها الفذ في الثقافة الإسلامية في مصر وجاراتها الشقيقة على عهد الدولة الفاطمية.

ومن البعث أن نوازن بين الأزهر حينئذ وبين المدرسة النظامية التي كان يدرس فيها أقطاب العلماء ببغداد كالغزالي وسواه، لأن مواد هذه الموازنة مفقودة، فالتاريخ الذي حفظ لنا تراث المدرسة النظامية في شخصيات كبار أساتذتها قد ضمن علينا بتراث الأزهر وإنتاجه العلمي في هذه الحقبة، لأنه إنتاج شيعي تعصب عليه وناواه أعداء الشيعة.

ولقد شاء القدر العتيد أن تطوى الدولة الفاطمية وآثارها من الوجود بعد قرنين حافلين -حيث ثل السلطان صلاح الدين الأيوبي عرشها ومحو آثارها وثقافتها، وقبض بيده على أمور مصر وسياستها عام ٥٦٧هـ، وكان فيما حاربه وقضى عليه المذهب الشيعي الفاطمي، وأحل محله المذهب السني الذي تؤيده خلافة بني العباس وتكرر الزمن للأزهر فعطلت دروسه، وتفرقت شيوخه، ومنعت منه الخطبة، وحل الكثير من أوقافه، وشارك الدولة الراحلة آلام التطور السياسي الجديد وبعد عهد الانقلاب السياسي وعودة الاطمئنان العقلي، عادت إلى حلقاته الدراسات الفقهية، لا سيما الفقه الشافعي ولكن بشكل متقطع غير مستقر، واستمر الأمر على ذلك قرناً من الزمن.

ولكن الأحداث السياسية العظيمة في الشرق الإسلامي أعادت إلى الأزهر ماضيه العلمي المجيد.. ففتح التتار المغول لبغداد وشتى عواصم البلاد الإسلامية وعصفهم بالتراث الإسلامي الثقافي بإحراق دور الكتب، وتبديد نفائس الأسفار فيها حرّاً وتمريراً ورمياً بها في ماء دجلة والفرات، وتفريق العلماء ورجال الثقافة الإسلامية وتعطيل الدراسات الثقافية: دينية وعقلية ولغوية في شتى مدارس الشرق الإسلامي وجامعاته، ثم انتقال الخلافة العباسية من بغداد إلى القاهرة في عهد المماليك وعلى يد السلطان الظاهر بيبرس سنة ٦٥٩هـ، ثم أهمية مصر السياسية

والاقتصادية وصبغت العربية، ووقوعها فى قلب العالم الإسلامى وثقافتها العقلية القديمة - كل هذه الأسباب أدت إلى إعادة النشاط العلمى فى الأزهر فشجع بيبرس التعليم فيه وأعاد إليه الخطبة عام ٦٥٩هـ، ووقف على أساتذته وطلابه الأوقاف الكثيرة والأموال الطائلة.

ومنذ ذلك الحين ذاع صيت الأزهر واستعاد مكانته العلمية وأمه الطلاب من كل صوب وحذب، من أواسط أفريقية إلى جنوب روسيا، ومن مراکش إلى أقاصى الهند، وجد الأزهر وعلماءه فى إحياء الثقافة الإسلامية التى رماها التار بأقى النكبات فى فتحهم الوحشى لبلاد الخلافة العباسية، فكان للأزهر جهوده العظيمة الحافلة فى هذا المضمار، مما وطد من مكانته، ودعم من كيانه، وأقر له منزلته العلمية العظيمة وشخصيته الجامعية الضخمة. وزاد من مكانة الأزهر قوة واستقراراً انقراض الحضارة الإسلامية من الأندلس عام ٨٩٧هـ وانتهاء جامعاتها العلمية الكبيرة وتبديد مسيحي أسبانيا للتراث العربى فيها، فألفت مقاليد الثقافة الإسلامية فى الشرق كافة فى يد الأزهر، فحمل الأمانة، وبذل فى سبيل أداء رسالته كل ما يستطيع من جهد وقوة، وأخذ الأزهر يسير فى دراساته الدينية، وفى إنتاجه الثقافى على المنهج العلمى المألوف فى عصره، فكانت كتب الدراسة فيه والمؤلفات العلمية التى يؤلفها علماءه، شروحاً لأصول الكتب العلمية الدائمة فى عصره، وحواشى على هذه الشروح وتقارير على هذه الحواشى؟ - وهذه الشروح والتقارير والحواشى تتجه إلى خدمة أمرين عظيمين: أولاً: الشرح التحليلى التفصيلى لأساليب هذا الأصل العلمى المشروح، والمبالغة البعيدة فى توجيه الفهم فيه وجهة خاصة، يتحرى فيها الدقة والعمق والإحاطة بألوان الثقافة المتنوعة، عندما تستوجب هذه الإحاطة دراسة الأسلوب ألفاظه. وثانياً: إثارة المشكلات العلمية العميقة التى تتصل بأصل الفكرة المبحوثة أو التى تضىء جوانب البحث فيها، أو التى تعتبر لازمة للتوسع فى دراستها، وبجانب هذه الدراسة العلمية، وهذا الإنتاج الثقافى الخاص، توجد موسوعات علمية ألقت فى شتى نواحي الثقافة الإسلامية لتعويض ما فقدته التراث الإسلامى من نفائس المؤلفات وكانت الطريقة العلمية ملائمة لعقول العلماء إذ ذاك وتمشية مع أساليب المنهج العلمى

المألوف في عصرهم، فقد كان الشرق كله يقررها ويسير عليها في ميادين الثقافة والتعليم والتفكير، وما زالت محل إعجاب الباحثين من المستشرقين والمفكرين، ومن العبث أن نزوي بها أو نحط من شأنها، أو نرميها بالخطأ والخمول.

ومن أساتذة الأزهري في ذلك العهد عز الدين بن عبد السلام الملقب بسلطان العلماء وتلميذه القشيري وهو الذي لقبه بهذا اللقب، وعز الدين هذا كما كان مثلاً في الشجاعة وهو أصدق مرآة نرى فيها أخلاق العلماء، يقول ابن السبكي في طبقاته: «إنه وقف في وجه القائم بأمر مصر وقتل لما أراد أن يفرض ضريبة على التجار قائلاً: «إذا أحضرت ما عندك وعند حريمك من الحلوى وأحضر الأمراء ما عندهم من الحلوى الحرام وضربته سكة ونقداً وفرقة ولم يقم بالكفاية، فلك أن تطلب القرض، وأما قبل ذلك فلا». ويقول عنه أيضاً إنه لما توفي عز الدين بن عبد السلام سنة ٦٦٠هـ ومريت جنازته تحت القلعة، وشاهد الظاهر بيبس كثرة الخلق الذين معها قال لبعض خواصه: «اليوم استقر أمرى في الملك لأن هذا الشيخ لو كان أمر الناس في بما أراد لبادروا إلى امتثال أمره» وكان عز الدين هذا خطيباً لجامع عمرو، ولهذه المناسبة أقول: إن المقرئ المؤرخ العظيم كان هو الآخر خطيباً لجامع الحاكم.

ومن علماء مصر الأفاضل الذين أثروا في الأزهري وتأثروا به العالم البارع الطويل البارع في أصول الفقه وفروعه وفي العربية وغيرها، الفقيه المالكي ابن الحاجب وكان أبوه حاجباً عند الأمير عز الدين موسك الصلاحى، وقد صنف في الأصول: المختصر والمنتهى، وفي فقه المالكية المختصر وله في النحو الكافية، والوافية، وفي التصريف الشافية، وشرح الكل، وله شرح المفصل، والأمالى النحوية وقصيدة في العروض. ومن أساتذته في القراءات الشاطبى وتوفي بالأسكندرية سنة ٦٤٦هـ، ونذكر أنه مدفون بجوار أبى العباس المرسى، ومنهم إمام النحو واللغة ابن هشام الذى قال عنه ابن خلدون «ما زلنا ونحن بالمغرب نسمع أنه ظهر بمصر عالم بالعربية يقال له ابن هشام أنحى من سيبويه»، ومن أكابر أساتذة العلم المنتجين الذين عرفتهم مصر: الثبت الشقة، الصدوق النبيل، الحافظ للحديث، الحجة فيه، أستاذ الحديث فى المؤيد، البدر العينى صاحب

عمدة القارىء شرح صحيح البخارى، ويقولون: إنه داوم على إقراء الحديث فيه وحده ما يقرب من أربعين سنة عدا ما له من الدروس فى بقية مدارس القاهرة، وتناوب وظيفة حسبة القاهرة هو والمقرئى مدة، وقد ولاه الملك المؤيد «نظر الأحباس» -وزارة الأوقاف- وكان معاصراً للحافظ ابن حجر صاحب كتاب فتح البارى شرح صحيح البخارى «وكان ابن حجر هذا أصغر من العيني باثنتى عشرة سنة، ويروى المقرئى أنه كان بينهما من المنافسة ما يكون بين المتعاصرين، فلما فوض إلى العيني تدريس الحديث بالمؤيدية صادف أن مالت مثذنة الجامع المؤيدى على البرج الشمالى وكادت تسقط فهدمت وبنيت من جديد، فقال الحافظ بن حجر فى ذلك:

لجامع مولانا المؤيد رونق منارته بالحسن تزهو وبالزين

تقول وقد مالت عليهم: تمهلوا فليس على حسنى أضر من العين

فتحدث الناس أنه قصد التبرية بالعيني، ويروى المقرئى أن العيني رد عليه بهذين البيتين وهما من نظمه، وغيره يقول إنهما لبدر الدين العتائى:

منارة كمعروس الحسن إذ جليت وهدمها بقضاء الله والقدر

قالوا أصيبت بعين قلت ذا غلط ما آفة الهدم إلا خسة الحجر

وللعيني مؤلفات كثيرة أجملها عمدة القارى الذى تقدم ذكره، ويقولون: إنه ابتداء فيه سنة ٨٢١ وأتمه سنة ٨٤٧هـ بعد فراغ ابن حجر من شرحه فتح البارى بخمس سنوات، وله أيضاً «نخب الأفكار فى تنقيح مبانى الأخبار»، فى شرح الآثار فى مجلدين، ومنها «البناية فى شرح الهداية» للإمام المرغينانى فى عشرة مجلدات، ومنها «الدرر الزاهرة فى شرح البحار الزاخرة» لشيخه الرهاوى فى المذاهب الأربعة فى مجلدين، ومنها عقد الجمان فى تاريخ الزمان فى خمسة وعشرين مجلداً، وعد مؤلفاته أمر يطول، فليرجع إليها فى مقدمة كتابه عمدة القارىء.

ومن رجالات مصر وأعيان العلماء جلال الدين السيوطى مؤلف حسن المحاضرة وسواه من نفائس المؤلفات.

وجاء العصر العثماني بفتح السلطان سليم مصر سنة ٩٢٢. وبقضائه على دولة المماليك فيها فاستمرت للأزهر أهميته البالغة في الدراسات الدينية. ولكن روحه أصابها الوهن. وقوته نال منها الضعف واعتورتها عوامل الخمول والجمود، ولذلك أسبابه البعيدة والقريبة. فقد ضعفت ملكات التفكير في الشرق كافة وصارت الدولة الحاكمة بعيدة عن الروح العربية الصحيحة، بعنصرها ودمها التركي المتطرف وكثرت الفتن السياسية والأحداث الاجتماعية في مصر والشرق ولم تجد دولة العلم والثقافة من الدولة رعاية ولا عطفًا، اللهم إلا نوعًا ضئيلاً من التشجيع لا يجدى ولا يبعث على المجد والرجاء. كل ذلك أورث الأزهر صبغة من التقليد العلمي وأضاع منه روح التجديد والاجتهاد فأصبحت غاية رجاله نقل ماورثوه عن السلف في أمانة وإخلاص دون العناية بالبحث والتمحيص والموازنة والتحقيق وعكف شيوخه على دراسة الكتب التقريرية التي ألفت في العصور المتأخرة دون الرجوع إلى الأصول الأولى التي ألفت قديماً والتي قلت فيها روح البحث والجدة والابتكار.

وكانوا يقدسون كل ما يتصل بالقديم من خلق وعادات ودين، وكانت الدراسة قاصرة على العلوم الدينية وما يتصل بها من العلوم اللغوية وقليلًا من الفلسفة، وقلت فيه الدراسات العقلية والفلسفية في كتبها الواسعة التي كان يحرمها عصره، وتحاربها الهيئات العلمية والجماعات الدينية حين ذاك، وفضلاً عن ذلك فقد ناوأ الأزهر المذاهب المتطرفة لأنها كانت مشربة بفلسفة خاصة، ولم يكن فيه مكان للشعراني الصوفي م سنة ٩٧٣ ولا لأمثاله، وكانت كل جهود الأزهر في هذا العصر العثماني هي المحافظة على التراث القديم، والدود عنه والقيام بشرحه والتعليق عليه دون زيادة به أو تغيير في أصوله أو تجديد في بحوثه، وليس في ذلك من ذنب، فالأحوال السياسية والاجتماعية التي عاش فيها المسلمون آنذاك، كانت باعثة على الضعف العقلي الذي تجلّى أثره في بيئة الأزهر العلمية.

كان الأزهر منذ نشأته يدرس العلوم العقلية والرياضية والطب والموسيقى، وفي العصر الأيوبي شاعت فكرة تحريم علوم الفلسفة والرياضة على العالمين والمتعلمين، وقد ساعد على ذلك فتوى ابن الصلاح بتحريم المنطق، حيث سادت موجة كراهية علم المنطق والفلسفة، ولذلك كره العلماء دراسة المنطق وتدريسه، ومنهم السيوطي.

ولما تولى حكم مصر سنة ١٦١١هـ أحمد كور باشا، وكان ولعا بالعلوم العقلية، قابل صدور العلماء، ومنهم الشيخ عبد الله الشبراوى شيخ الأزهر، فتكلم معهم فى الرياضيات، فقالوا لا نعرف هذه العلوم، فضحك. . واستمر الحال كذلك إلى أن أصدر الشيخ محمد الأنابى والشيخ محمد البنا فتوى بجواز تعلم هذه العلوم، وذلك فى أواخر عام ١٣٠٥هـ.

وكان الأزهر مبعث المقاومة الوطنية للاحتلال الفرنسى فلقى من القائد وجيشه كثيراً من الأذى والمقاومة، وإن استعان ببعض رجاله المرين فى أعمال الإصلاح والإدارة، فكان فى المجلس الوطنى الذى ألفه نابليون بعض كبار شيوخه وأعلامه. وكان الأزهر يكره الاستعانة برجال الغرب وعلمائه، فقاوم محمد على، واستولت الحكومة على أملاكه وأوقافه ولكن بقى له على كل حال نفوذه الدينى والأدبى بين الشعب.

فعلماء الأزهر وشبابه هم الذين اختارهم الوالى للدراسة فى مدارس الخصوصية الكثيرة التى أنشأها من طب وهندسة وزراعة وصناعة وقانون ولغات إلخ. وأعضاء بعوثة العلمية التى أوفدها إلى أوروبا من بدء عام ١٨٢٦ كان جلها من أبناء الأزهر الناضجين.

وعاد أعضاء هذه البعثات من أوروبا فكانوا فى مصر جيلا جديداً له ميزته الخاصة فى الثقافة والتفكير والترجمة والإنتاج.

وسار الأزهر على منهجه العلمى القويم بعيداً عن الدراسات العقلية والأدبية وعن العلوم الحديثة، اللهم إلا دراسة الكتب الأولية فى المنطق ودراسة بعض كتب الأدب وآثاره كالمقامات والمعلقات التى ابتدئت قراءتها فيه نحو عام ١٨٢٨.

-٢-

وفى الحديث انتشر النفوذ الأجنبى، والثقافة الغربية فى مصر، ووفدت على ربوعها رسل الثقافة الأوروبية ورجال البعثات العلمية الذين أوفدهم إسماعيل إلى باريس وروما وجامعات إنجلترا، وأخذت هذه العوامل الجديدة تعمل عملها فى تكوين العقلية المصرية تكويناً يتلاءم مع النهضة الفكرية والاجتماعية التى كانت

تسود أوروبا، وأبعد رجال الأزهري عن كثير من مبادئ النشاط الاجتماعي في الدولة، ومع هذه العوامل الهدامة في صرح الأزهري فقد كان إسماعيل يحلم بتكوين دولة عربية خاضعة لنفوذه، مؤتمرة بأمره، فدفعته آماله السياسية إلى العناية بأمر الأزهري وإصلاحه حتى يساير روح النهضة الحديثة في مصر، وفي عام ١٨٧١ صدر قانون بإصلاح الأزهري لرفع مستوى أساتذته وطلابه والثقافة فيه، وذلك في عهد شيخه الشيخ محمد العباسي المهدي الحنفي الذي كان يتبرك به الخديوي ويصطفيه. ونص هذا القانون على إجراء امتحان نهائي للمتخرجين في الأزهري، وعين المواد التي يجب أداء الامتحان فيها (وهي إحدى عشرة مادة). . . وقدرت مرتبات عالية للأساتذة ومكافآت مالية للطلاب. ولكن الأزهري عادى الإصلاح، وحمل الشيخ عليش لواء المعارضة، فوقفت روح الإصلاح فيه.

واضطرب جو مصر السياسي بالثورة العربية وأحداثها، كما زلزل كيانه المالي في تصفية ديونها العامة، وكان الاحتلال الأجنبي عام ١٨٨٢، فوقفت حركات التجديد في سائر مرافق البلاد، وأخذ دنلوب وأعوانه يغيرون اتجاه الثقافة في المدارس المصرية، حريصين على تغيير العقلية المصرية المعارضة لمبادئ إنجلترا السياسية، سواء بنشر الثقافة الإنجليزية في مصر ومدارسها الحكومية أم بإرسال بعوث إلى إنجلترا، أم بإنشاء مدارس إنجليزية لنشر الثقافة الغربية أم بإلقاء زمام الثقافة في مصر في أيدي الأساتذة والمستشارين الإنجليز.

وأخذت المدارس المصرية تتأثر بالآراء الغربية على كل حال، ما عدا الأزهري فإنه بقي على تقاليده الصريحة وآثر الذود والدفاع عنها، ونجم عن ذلك أن اتسعت مسافة الخلاف بين الأزهري ورجال المدرسة الحديثة، ووجدت في مصر ثقافتان مختلفتان متعارضتان: تقوم إحداهما على التراث الشرقي القديم والتخصص له وتمثل في بيئة الأزهري، وتقوم الأخرى على العلم والتفكير الغربي الحديث وتمثل في مدارس الحكومة على شتى درجاتها، وفي المدارس الأجنبية على اختلاف الثقافات التي تدعو إليها، من فرنسية وإنجليزية وأمريكية وإيطالية. . . وهكذا استقلت الحياة السياسية في الدولة عن الأزهري، وترك الأزهري على حاله، يتصرف فيه رجاله كما يريدون، بعيدين عن توجيه السياسة المباشرة لشئون الثقافة والتعليم

فيه، وفكر الغيورون على مستقبل العلم والدين من أبنائه مليا فى أمره، ورأوا حاجته الماسة إلى الإصلاح، فطالبوا بإصلاح مناهجه ونظمه، ولكن هذه الدعوات قوبلت فى داخل الأزهر بعصبية متطرفة فى الإنكار، بيد أن رغبات الإصلاح كانت قوية جبارة، وكانت النهضة الحديثة تدفع الأزهر إلى التجديد العلمى، وكان أبرز شخصية دعت إلى هذا الإصلاح هى شخصية الإمام محمد عبده تلميذ جمال الدين الأفغانى، وكان الشيخ محمد عبده يرى أن بقاء الأزهر على حاله محال، فإما أن يعمر وإما أن يخرب وابتدأ يعمل على تغيير مناهج الدراسة والثقافة فيه: بدراسته كتابى عبد القاهر الأسرار والدلائل، وبقراءته البصائر النصيرية، وقد علق الشيخ محمد عبده على نهج البلاغة ومقامات البديع، وهو مدين فى أسلوبه لمقدمة ابن خلدون، واهتم الشيخ بالإصلاح.

فاستصدر مرسوماً بكساوي الشريف، واهتم بمساكن الطلاب ومكافآتهم المالية وحدد مدة الإجازات السنوية وأدخل فى مناهج الدراسة بعض العلوم الحديثة، وعنى بمكتبة الأزهر ومكتبات المعاهد التابعة له. وفى عام ١٩١١ صدر قانون رقم ١٠ الذى انتقل بالأزهر إلى مرحلة أخرى من النظام فزيدت مواد الدراسة وجدد اختصاص شيخ الأزهر، وأنشئ للأزهر مجلس يسمى مجلس الأزهر الأعلى، ووضع نظام هيئة كبار العلماء وجعل لكل معهد مجلس إدارة ولكل مذهب شيخ.

وهكذا أثرت دعوات الإصلاح وأخذت تخطو بالأزهر خطوة فخطوة فى سبيل التجديد والنظام والثقافة، وكان من أثرها صدور قانون رقم ٣٣ عام ١٩٢٣ خاصاً بإنشاء قسم للتخصص. ثم صدر عام ١٩٣٠ مرسوم بقانون رقم ٤٩ خاصاً بإعادة تنظيم الأزهر وفروعه فقسم الأزهر إلى كليات، وأنشئت معاهد وفروعاً له فى كثير من الأقاليم وأنشئت أقسام الإجازات وأقسام الدراسات العليا وتخصصات الأستاذية، وعدل هذا المرسوم بمرسوم جديد عام ١٩٣٦. وهكذا خطا الأزهر خطوات جديدة واسعة فى سبيل إصلاحه المنشود، وصار الأزهر يخرج شباناً ناضجى العقلية والثقافة.

وأصبحت مناهج الدراسة والتعليم فى الأزهر تنصرف تدريجياً عن القشور إلى الباب وعن العناية بالبحوث اللفظية إلى الاهتمام بالفكرة وفهمها ومناقشتها.

ولكن رغم ذلك كله يجب أن نسائل أنفسنا من جديد. هل فرغنا حقاً من خطوات الإصلاح، وهل أثمرت هذه الإصلاحات ثمراتها المنشودة؟ وللجواب عن ذلك نقرر الحقائق الآتية:

- ١- ما يزال المنهج العلمي السائد في الأزهر: كلياته ومعاهده، هو المنهج القديم المحافظ. ولا تزال الكتب القديمة هي أهم المقررات العلمية للطلبة.
- ٢- لا يزال إنتاج الأزهر العلمي ضئيلاً قليلاً لا تكاد تحس به أو تلمس آثاره.
- ٣- ما تزال رغبات الإصلاح في الأزهر حائرة لا يستقر لها قرار، ولا ندرى كيف تسير مرافق الدولة بسرعة مدهشة، ويبقى الأزهر وحده متخلفاً عن القافلة لا يشعر بأثر الحياة فيه أحد.
- ٤- ما تزال مكانة الأزهر الاجتماعية في الدولة ضئيلة وشخصيته في المجتمع غير واضحة.

- ٣ -

وقد بسطنا تاريخ الأزهر الثقافي والعيوب التي لا تزال محيطة به، والآن نبسط رأينا في بعض مناهج الإصلاح، راجين أن يتفضل الغيورون على الأزهر بإصلاحه وتمكينه من أداء رسالته.

إننا نريد أن يكون للأزهر شخصية علمية واضحة، وأن يكون فيه بيئة قوية مهذبة أساسها الخلق الديني والنمو الروحي، الذي يجب أن يشيع في نفس كل رجل من رجال الدين.

ونرى أنه يجب علينا أن نعننى بالأمور الآتية:

أولاً- مدة التعليم في الأزهر.

وفى رأى أن يكون التعليم في الأزهر على المراحل الآتية:

- ١- مرحلة التعليم العام ومدتها ست سنوات، وتدرس فيها إحدى اللغات الأجنبية، وتكون مناهجها قريبة جداً من مناهج التعليم في وزارة المعارف ويجب إقصاء الكتب القديمة والحواشى عن هذه المرحلة إقصاء تاماً، وبإباح لمن

ينال هذه المرحلة الالتحاق بجميع المدارس المتوسطة، الزراعية والصناعية والتجارة والصيارف ومدارس الجيش ومدرسة أخرى تنشأ لتكوين المعلم تكويناً قوياً ملائماً للآمال المنشودة الملقاة على عاتق رجال التعليم.

٢- مرحلة التعليم الخاص: ومدتها ثلاث سنوات، ويعنى فيها بدراسة العلوم الدينية والعلوم الحديثة، وإكمال دراسة لغة من اللغات الأجنبية، ويباح لخريجى هذا القسم الالتحاق بجميع المدارس العالية وبالجامعات المصرية.

٣- مرحلة التعليم العالى ومدة الدراسة فيها خمس سنوات، ويمنح منها الطالب العالمية ويباح له الالتحاق بجميع وظائف الدولة وبالوظائف الدينية وسواها فى الأزهر وفروعه وفى خارجه.

٤- مرحلة الدراسات العليا ومدتها أربع سنوات، ويخرج منها أساتذة الكليات وأعضاء البعثات التى تسافر إلى الخارج.

ثانياً- يجب تغيير الزى الأزهرى بالزى المدنى فى المراحل الثلاث الدراسية، أما مرحلة الدراسات الدينية فيجب الاحتفاظ فيها بالزى الأزهرى خاصة.

ثالثاً- خلق صلات ثقافية بين كلية اللغة وكليات الآداب وبين كليات الشريعة وكلية الحقوق.

رابعاً: تنظيم الأزهر وفروعه ومعاهده وهيئاته العلمية تنظيمًا حديثًا قائمًا على أساس الاستفادة من التجارب الحديثة فى التربية والثقافة والتنظيم.

خامساً- وضع الفقه الإسلامى على نظام المجموعات الفقهية الحديثة كما هو متبع فى الفقه المدنى والكتابة فيه.

سادساً- يرسم برنامج واضح لإصلاح الأزهر محدد الزمن والغاية والأهداف.

سابعاً- يجب أن يؤلف رجال الأزهر مؤلفات حديثة فى فروع الثقافة التى تدرس فيه ليستطيع أن يفيد منها الناس كافة.

ثامناً- يجب أن يكون مستوى القضاء الشرعى والأهلى واحداً، كما يجب إتمام مدينة الأزهر. وإنشاء كراسى الأساتذة وجعل كادر الأزهر على نظام الكادر الجامعى.

دراسة النحو في الأزهري

كان يدرس في الأزهري من كتب النحو شرح الشيخ حسن الكفراوي على متن الأجرومية ثم حاشية أبي النجا على شرح الشيخ خالد ثم حاشية العطار على الأزهري ثم حاشية السجاعي على شرح القطر ثم شرح الشذور وحواشيه ثم حاشية السجاعي أو الخضري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ثم حاشية الصبان على شرح الأشموني على الألفية ثم المغني وشروحه وحواشيه وذلك في نحو ست سنوات وهذا كله بعد حفظ الطلاب متن الأجرومية ومنظومة الألفية وغيرهما وكيفية الدراسة أن يعين المدرس لطلبته جزءاً من أول الكتاب المراد قراءته يطالعه كل واحد منهم على انفراده أو بالاشتراك مع غيره ثم يجيئون في اليوم التالي ويجلسون بين يدي شيخهم بهيئة حلقة ويسمعون منه توضيح ما عينه لهم ويناقشونه فيه هذا يسأل وهذا يعترض على المصنف وثالث يجيب عنه وهكذا وكل منهم يجتهد في إظهار علمه في مناقشاته وربما طالع لهذا الغرض حواشي غير المقرر قراءتها ولا يزال الطلبة في أخذ ورد وتصويب وتخطئة إلى أن ينتهي الدرس في نحو ساعتين وربما لا يتم الجزء المعين فيعين لهم جزءاً آخر ويحصل فيه ما حصل في سابقه وهكذا إلى أن يفرغ الكتاب وهذه الطريقة تربى فيهم ملكة الجدل والبحث.

دراسة النحو في المدارس

نتقدم أولاً بذكر نبذة من تاريخ المدارس في مصر فنقول:

قبل استيلاء محمد علي باشا رأس الأسرة الفخيمة الخديوية على مصر كانت المعارف فيها مقصورة على معرفة القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم بالكتاتيب التي أنشأها سلاطين المماليك وأمراؤهم وعلى التخرج من علوم الأزهري السابقة فكانت هذه الكتاتيب بمنزلة مدارس ابتدائية والأزهري بمنزلة مدارس ثانوية وعليها فلما استقام الأمر للباشا بهذه الديار أنشأ عدة مدارس ذات شأن كبير منها مدرسة للطب بأبي زعبل ومدرسة للهندسة ببولاق ومدرسة للألسن ومدرسة للزراعة ببلدة نبروه ومدرسة للصناعات وثلاث مدارس للفنون الحربية ثم اقتفى أثره في ذلك من خلفه

من أمراء هذه الأسرة الخديوية وكذا حكوماتهم وأشرف الأمة فزادوا في المدارس وشيدوا في أركانها وفرضوا لها النفقات إلى أن وصلت إلى ما هي عليه في وقتنا الحاضر من التقدم والنظام يدير شئونها ديوان عال يرأسه وزير كبير من وزراء الحكومة وله وكيل من كبار الأمراء.

من تاريخ الأزهر المعاصر

تولى الشيخ عبد المجيد سليم المشيخة في ٢٦ ذى الحجة ١٣٦٩هـ - ٦ أكتوبر ١٩٥٠، وأقيل منها في ٢ ذى الحجة سنة ١٣٧٠هـ - ٤ سبتمبر ١٩٥١، وتولى مكانه في اليوم نفسه الشيخ إبراهيم حمروش.

وفي ١٤ جمادى الأولى ١٣٧١هـ - ١٠ فبراير ١٩٥٢ أقيل الشيخ حمروش وعين مكانه الشيخ عبد المجيد سليم.

وقد استقال الشيخ سليم في ٢٧ ذى الحجة ١٣٧١هـ - ١٧ سبتمبر ١٩٥٢م وعين مكانه الشيخ محمد الخضر الحسين، وظل فيها إلى أن استقال في يوم ٨ يناير ١٩٥٤ وتولى مكانه الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الأزهر الحالي.

المعمرون من علماء الأزهر

في عام ١٩٥٢ احتفل بالعيد المئوي للشيخ عبد المعطى الشرشيمي من كبار علماء الأزهر الشريف، متعه الله بالصحة والعمر المديد.

ومن علماء الأزهر المعمرين ممن عرفناهم الشيخ محمد عبد الله العربي وقد ولد عام ٢٤٠هـ فهو اليوم يبلغ أربعة وثلاثين ومائة عام من عمره المديد، وقد تخرج في الأزهر عام ١٢٧٤هـ، واشتغل مدرساً في الأزهر، وترك التدريس عام ١٣١٥هـ، وكان من شيوخه الشيخ الباجوري والشيخ عlish، وحدثنا أن جمال الدين الأفغانى حدثه أنه -أى الأفغانى- من مواليد عام ١٢٣٥هـ.

مكتبة الأزهر^(١)

كان من تمام التيسير على طلبة العلم أن يكون لكل رواق مكتبة خاصة به، تبتدئ بعدد قليل من الكتب يقفها أهل الخير ثم يتكاثر، وعلى هذا كان لكثير من

(١) من تقرير للأستاذ مدير مكتبة الأزهر: الشيخ أبو الوفا المراغى - مجلة الأزهر.

الأروقة مكتبات خاصة لا تخضع لأنظمة المكتبات التي عرفت أخيراً، بل كان الانتفاع بها متروكاً لمن ينشده من أهل الرواق أو غيرهم، وليس في التاريخ نص صريح على أنه كان للأزهر مكتبة عامة قبل هذه المكتبة، كما أنه يتعذر تحديد الوقت الذي نشأت فيه مكتبات الأروقة، وكل ما يمكن أن يقال عنها: إنها قديمة أو قديمة جداً.

وقد لبثت مكتبات الأروقة على النحو الذي ذكرناه من عدم الضبط وإهمال الرقابة إلى عهد بعيد، فقد كان فيما تناوله تفكيره في الإصلاح إنشاء مكتبة أزهريّة عامة تجمع شتات هذه الكتب المتفرقة في مكتبات الأروقة، وتحفظ ما بقي من ذلك التراث العلمي الذي خلفه علماء الجامع الأزهر في العصور المتعاقبة من العبث والضياع. فقد ذكر بعض الباحثين أن كثيراً من نفائس الكتب التي كانت مودعة بمكتبات الأروقة تسرب إلى أيدي علماء أوروبا بواسطة سماسرة الكتب واستغلال الجهل والضعف الخلقى في نفوس القائمين على هذه المكتبات، «فحين رثى تنظيم الجامع الأزهر وتوحيد مكتبته ظهر وهن الضمائر وضعف النفوس وإهمال الواجب نحو الكتب التي لعبت بها أيدي الضياع، فتسرب بعضها وأهمل البعض الآخر للحشرات والأتربة فتلفت أوراقها وبليت ومزقت وخرمت وقطعت جلودها، وأصبح لا يوجد منها كتاب سليم مستقيم وإلا ما ندر، ويظهر للباحث أن كتب الأزهر قبل سنة ١٨٩٧ كانت تتسرب لمصيديها المتربصين لها منتهزين فرصة وجودها في عهدة أشخاص ملأ الجهل صدورهم وتبرأت الأمانة من قلوبهم بداعى الحاجة أو الإغراء، فأساءوا للتعليم وخانوه جهلاً أو عمداً أو تقصيراً من أولى الشأن، فبدد هؤلاء الأشخاص أثمن ما ترك السلف ثروة للخلف من هذه الكتب القيمة، وتصرفوا فيها تصرف الملاك فباعوها مع نفاستها بالثمن البخس، ولا أدل على مقدار ما فقدت مكتبات الأزهر في الماضي من المثال الآتى: «حوالى سنة ١٢٧٠هـ - ١٨٥٣م أمر ديوان عموم الأوقاف بمجرد كتب مكتبات المساجد والتكايا وأروقة الأزهر وحاراته وقيدت جميعها في سجلين جامعين، خصص أولهما لمكتبات الجامع الأزهر، وثانيهما لمكتبات المساجد والتكايا، وقد بلغ مجموع المجلدات الموجودة في ذلك الوقت في مكتبات أروقة الأزهر وحاراته ١٨٥٦٤

مجلدًا: فإذا رجعنا الآن إلى هذا السجل التاريخى فلا نجد من أئمن الكتب وأنفسها إلا أسماءها، وكأن هذين السجلين أنشأ ليكونا فى الواقع مرشدًا لأيدى الاغتيال التى عمدت إلى أنفس ما فى المكتبات من المؤلفات الأصيلية القيمة فانتهبتها انتهابًا. «وأغرب من هذا أن نفس السجلين تسربًا أيضًا إلى أيد أجنبية خارج الأزهر ولم يعودا إليه إلا بالشراء سنة ١٩١١م ودفع لهما ثمن قدره ١٥٠ قرشًا، وأعيد قيدهما بالمكتبة.

ويقول الأستاذ عبد الكريم سلمان: «كان فى الأزهر خزائن كتب وضعت فى بعض الأروقة والحارات وبعضها فى المساجد القرية كجامع الفاكهاني وجامع العيني ونيط حفظها جميعها بأشخاص يقال لهم «المغبرون» فتصرفوا فيها تصرفًا سيئًا للغاية صح معه إطلاق اسم «المغبرين» عليهم، لأنهم غيروا وضعها وشتموا جمعها، ومزقوا جلودها وأوراقها، وتركوا ما لا عناية لهم به منها فى التراب يأكله العث ويبلية التراب، وهذا غير ما تصرفوا فيه تصرف الملاك وطار بأيدي باعة الكتب، يباع على نفاسته بالثمن البخس، ولم يبال المتصرف الأول والباعة بما كتب على ظهور تلك الكتب من العبارات التى تفيد وقفها على طلبة العلم والعلماء، وبالجملية فلم يكن ليعرف للكتب قيمة، ولا ليتفجع بها لعدم إمكان الانتفاع». ولقد كان تعرض كتب الأروقة والحارات للضياع والتسري إلى أيدى المترصدين لها ممن يعرف مقدارها، هو الذى أوحى إلى الإمام بفكرة إنشاء المكتبة، وقد تقدم بها إلى مجلس إدارة الأزهر وكان ذا نفوذ فيه فنالت القبول من أعضائه، وبخاصة من الشيخ حسونه النواوى، والشيخ عبد الكريم سلمان الذى كان عضدًا قويًا للأستاذ الإمام فى حركات إصلاح الأزهر، ووافق عليها المجلس واختار المكان المناسب، وكتب لديوان الأوقاف الذى كان يتولى الأشراف على شئون الأزهر لأعداده للمهمة التى اختير لها، فنفذت الفكرة فعلا من أول سنة ١٨٩٧م الموافق شعبان سنة ١٣١٤، وقد لاقى صاحب الفكرة عناء عظيمًا فى إقناع أهل الأروقة بفائدتها، ورغم ما بذله من المحاولات فى هذا السبيل فقد امتنع أهل بعض الأروقة عن ضم مكتباتها إلى المكتبة العامة كرواق الأتراك ورواق المغاربة، وقد ضمت مكتبة الصعايدة إلى المكتبة العامة سنة ١٩٣٦، ولاقى المباشرون للتنفيذ

صعوبات جمة في ترميم الكتب وإصلاحها وترتيبها للحالة السيئة التي كانت عليها في خزائن الأروقة كما أسلفنا . ويصور الشيخ عبد الكريم سلمان هذه الصعوبات كلها، فيقول:

«حملت تلك الكتب من خزائنها إلى المكان الجديد، فكان يأتي بها أولئك المغيرون محشوة في الزكائب والمقاطف، ثم يفرغونها تلالاً وأكواماً عليها خيوط العناكب وبينها الأتربة، ويتخللها الجلود البالية، وليس بينها من كتاب سليم مستقيم الوضع إلا ما لا يكاد يذكر، وبجانبها أولئك الموظفون المكلفون بجمعها وترتيبها وأعضاء المجلس والأمين يراقبون عملهم ويرشدونهم إلى الطريق الأقوم، فعملوا وأكدوا وأستخلصوا من بين هذه الدشوت والأوراق المتفرقة كتباً معتبرة في كل الفنون، وكان معهم مندوب من ديوان الأوقاف وموظف آخر نيط به تقويم كل كتاب وجد أو جمع بالثمن اللائق به، وقيدت في دفاتر بأعداد متسلسلة، واستلمها الأمين بأثمانها المقدّر لها، ثم اشتغلوا بعد ذلك في توحيد الفنون، وقرروا لكل فن موضعاً مخصوصاً من المكان، وقد استغرق عملهم هذا أزماناً طويلاً كانت كلها أتعاباً ومشاقاً، وإنّي لأعرف كتباً كثيرة مما نجده الآن كاملاً كان الكتاب الواحد منها بعضه في خزانة فلان، وبعضه الآخر في خزانة فلان، وباقية في خزانة فلان، ولم تجمع أجزاءه بعضها على بعض إلا بطريق المصادفة الحسنة، وأعرف كذلك أن بعض الكتب النفيسة النادرة الوجود وجد في دشت كان في خزائن الجامع العيني ولم يعبأ به أحد ممن تولوا تغييرها للطلاب، ولم يعن بفرز الدشت لتوحيد تلك النفائس، إلا بعد أن كان قد صدر أمر أحد مشايخ الجامع بإحراقه وتدارك الأمر من يعرف قيمة العلم ولا يبالى بالتعب في المحافظة عليه، وقد رأيت بعيني كثيراً من المصاحف الشريفة وهي بين الأتربة مع أنها من أجود المصاحف خطأ وورقاً وفيها من الفوائد وعلوم التجويد ما لا يوجد في سواها، غير ذلك كثير نكتفي بما ذكرناه، فما الغرض إلا بيان حالها قبل جمعها، وفي هذا القدر ما يكفي».

ولم يكتف الأستاذ الإمام في تكوين المكتبة بما جمع من مكتبات الأروقة، بل دعا العظماء والعلماء إلى المشاركة في فضل تكوينها، واستعان في ذلك بنفوده

عندهم ومكانته لديهم، فاستجاب لدعوته بعض هؤلاء، ووهبها الشيخ حسونة مكتبته الخاصة، ووهبها ورثة سليمان باشا أباطة مكتبة والدهم، وكان المرحوم سليمان أباطة من خاصة أصدقاء الشيخ، وكان أبناؤه يعدون الشيخ كوالدهم فى العطف والرعاية، وهذه المكتبة أنفس المكتبات الخاصة بالمكتبة الأزهرية.

وتشغل المكتبة الأزهرية الآن ثلاثة أمكنة: اثنان منها داخل الأزهر وهما: المدرسة الأقبغاوية والمدرسة الطبرسية، والثالث خارج الأزهر ملاصق له وهو الطابق الثانى من بناء أنشأته مشيخة الجامع الأزهر سنة ١٩٣٦ كملحق للإدارة العامة المجاورة للأزهر. ولقد تم المكانين الأولين وقيمتهم نلم بتاريخهما: أما المدرسة الأقبغاوية فهى على يسار الداخل إلى الأزهر من بابه الغربى الكبير «باب المزينين» وقد أنشأها الزمير أقبغا على نظم المدارس الإسلامية لهذا العهد، والمدرسة الإسلامية لهذا العهد مسجد له خصائص المساجد من منارة ومحراب وميضأة ونحو ذلك، إلا أنه تقام فيه الحلقات الدراسية فيقال له مدرسة، وأنشأ بها مدفناً به قبة تعتبر من نواذر الفن الإسلامى فى العمارة إلا أنه لم يدفن به ودفن بالإسكندرية؛ وانتهت عمارة المدرسة سنة ٧٤٠هـ. ومن الطرائف التاريخية عن هذه المدرسة ما يرويه المؤرخون من أنها «مدرسة مظلمة ليس عليها من بهجة المساجد ولا أنس بيوت العبادات شئ البتة، ويعلمون ذلك بأن منشئها اغتصب مكانها من مالكيها وسخر العمال فى عمارتها وحصل على مواد البناء ولوازم العمارة بطريق الغصب أو الخيانة ووقف على هذه المدرسة أوقافاً وشرط فى كتاب وقفه ألا يلى النظر أحد من ورثته.

وأقبغا هو الأمير علاء الدين، كان رقيقاً للتاجر عبد الواحد ابن بدال اشتراه منه الناصر قلاوون، ورفع له حظه وذكاءه إلى مراتب الموظفين وتقلب فى مناصب الدولة المختلفة، إلى أن قتله الملك الصالح عماد الدين فى الفتنة بينه وبين أخيه أحمد الناصر. أما المدرسة الطبرسية فهى على يمين الداخل إلى الأزهر من بابه الغربى المذكور، وقد أنشأها علاء الدين الطبرسى نقيب الجيوش المصرية، وفرغ من عمارتها سنة ٧٠٩هـ وجعل له بها مدفناً دفن به، وقد عرف بالصالح والتقوى، فاتفق أنه لما فرغ من بناء هذه المدرسة أحضروا له حساب مصروفها

فاستدعى بطست فيه ماء وغسل أوراق الحساب بأسرها من غير أن يقف على شيء عنها، وقال: «شيء خرجنا عنه لله لا نحاسب عليه».

وقد شغلت المكتبة أولاً المدرسة الأقبغاوية، لاتساعها واستقلالها بعض الاستقلال، ولما ضاقت بالكتب ضمت إليها المدرسة الطيرسية، ويقول الشيخ عبد الكريم سلمان: «ولما جاءت للمجلس فكرة جمع هذه الكتب في مكان واحد وإصلاح ما أفسدته منها هذه الأيدي وتسهيل الانتفاع بها اختار المكان المعروف في الأزهر برواق (الابتغاوية) وكتب لديوان الأوقاف سنة ١٣١٤ فأرسل من أخذ المقايضة لإصلاحه وإنشاء ما يلزم له من الخزائن التي توضع فيها الكتب، ثم عرض الأمر على ولي الأمر فأمره مستحسنًا له، وخرج هذا العمل من القوة إلى الفعل وتهيأ المكان لما وجد له من وضع الكتب وحفظها فيه ومن الانتفاع بها تحت ضوابط ونظامات، وشرع عمالها في إنقاذ ما عهد إليهم من أول مايو سنة ١٨٩٧ الموافق شعبان سنة ١٣١٤، ويقول: واشترت كتبًا كثيرة من التراكات حتى ضاق بها المكان على سعته، فاضطر المجلس إلى أخذ مكان آخر من الأزهر أصلحه ديوان الأوقاف فيه ما عمل في الأول، وامتألت خزائنه أيضًا بمعتبرات الكتب ونفائسها مما يتجدد شراؤه كل عام.

وبالمدرسة الأقبغاوية الآن المكتبة العامة بجميع فنونها، وبقيتها الخارجية، ودھليزها مكتب الأمين وإدارة المكتبة، وبالمدرسة الطيرسية طائفة من كتب الفنون التي تدور حولها الدراسات الأزهرية، كالتفسير والحديث، والفقه المالكي، والحنفي، والشافعي، والحنبلي، والبلاغة، والنحو، والصرف... وبالمبنى الجديد مكتبتا الشيخين المغفور لهما الشيخ الإمامي والشيخ بخيت، والأمكنة المشار إليها لم يلاحظ في إنشائها أن تكون مكتبة، لهذا فهي غير وافية بالغرض الذي تؤديه، وتفقد كثيرًا من الأمور التي يجب توافرها في أبنية المكتبات، ويكفي للتدليل على ذلك أن المكتبة تفقد أهم خواص المكتبات، وهي قاعة المطالعة ومكان الإدارة وليس لها مرافق خاصة بها، وينقصها الإحكام في الأبواب والنوافذ لمنع تسرب الأتربة والحشرات.

وكان عدد الكتب التي ابتدأت بها المكتبة سنة ١٨٩٧ - ٧٧٠٣ كتاباً منها ٦٦١٧ كتاباً بطريق الإهداء، و١٠٨٦ بطريق الشراء وعدد فنونها ٢٧ فناً وهي:

المصاحف. القراءات، التفسير، الحديث، الأصول، النحو، الصرف، البلاغة، فقه أبى حنيفة. فقه مالك، فقه الشافعى، فقه أحمد بن حنبل، المجاميع، التوحيد، المنطق، التاريخ، التصوف، الأدب والمديح، الآداب والمواعظ والفضائل، الأحزاب والأوراد والأدعية، الوضع وآداب البحث والعروض، الفلك والميقات، مصطلح الحديث، الفنون المتنوعة، الحساب والهندسة، اللغة، الطب، وقد بلغت فنون المكتبة سنة ١٩٤٣ - ٥٨ فناً وبلغ عدد مجلداتها ٩٠٠٧٥ مجلداً.

وبالمكتبة الأزهرية مكتبات خاصة حملت الغيرة الدينية أصحابها أو ورثتهم على إهدائها للمكتبة الأزهرية ليكون نفعها وفقاً على العلماء وطلبة العلم بالأزهر ابتغاء مغفرة الله ورضوانه، ويذكر لأصحابها هذا العمل بالشثناء مقروئاً بالدعاء أن يحسن الله لهم الجزاء ويهبهم الثواب، وهذه المكتبات وإن كان بعضها مستقلاً بخزائنه كشرط أصحابها إلا أنها مسجلة ومفهرسة ضمن المكتبة العامة، ويجرى الانتفاع بهما معاً دون تمييز، وهذه هى أهم هذه المكتبات مرتبة حسب أهميتها:

١- مكتبة سليمان أباطة باشا، وقد أهداها ورثته إلى الأزهر سنة ١٨٩٨م عملاً بمشورة الإمام محمد عبده كما أسلفنا، وهى أنفس المكتبات الخاصة بالمكتبة الأزهرية، يستأثر فناً التاريخ والأدب بغالب كتبها، وتمتاز بكثرة وبخاصة الفنين المذكورين وعدد مجلداتها ١٤٨١ مجلداً، وبها جملة صالحة من مطبوعات أوروبا.

٢- مكتبة حلیم باشا، وقد وزعت بين المكتبة الأزهرية ووزارة المعارف فى أغسطس سنة ١٩١٢، وخصت المكتبة الأزهرية منها نحو ٢٨٥٧ مجلداً، ويظهر من فنونها: القراءات والحديث والتصوف والطب والفلك والتاريخ، وبها كتب فى بعض الفنون باللغات التركية والفارسية، وكثير من كتبها بخطوط جيدة موشاة بالذهب.

٣- مكتبة الشيخ عبد القادر الرافعى المفتى المتوفى سنة ١٣٢٣هـ وقد وقفت بخزائنها الخاصة بها على الأزهر فى مارس سنة ١٩٢٧م ووضعت فى حجرة خاصة بها، وعدد مجلداتها ١٤٥٧ مجلداً، وهى أغنى المكتبات الخاصة بفن الفقه الحنفى، وبها مخطوطات فى هذا الفن يقال إنها من النوادر العالمية كشرح السندى على الدر المختار.

- ٤- مكتبة المغفور له الشيخ محمد بخيت المطيعي مفتي الديار المصرية المتوفى سنة ١٩٣٥م، وقد وقفها في حياته بخزائنها الجميلة، ونفذ ورثته رغبتة سنة ١٩٣٨م، وعدد مجلداتها ٣٣٦٥ مجلدًا في فنون مختلفة يغلب فيها الفقه على مذهب أبي حنيفة.
- ٥- مكتبة المغفور له الشيخ الإمبابي شيخ الجامع الأزهر المتوفى سنة ١٣١٣هـ، وقفها على طلبة العلم، وجعل مقرها منزله بالظاهر، وجعل لها مغيراً بمرتب مما وقفه من ماله على جهات البر، وقد خشيت عليها وزارة الأوقاف فأهدتها إلى المكتبة الأزهرية سنة ١٩٤١م، وعدد مجلداتها ١٤٥٢ مجلدًا، وبها مخطوطات نادرة في الفقه الشافعي.
- ٦- مكتبة يسيم أغا، كانت برواق الجبرتي، ورغب في نقلها إلى المكتبة الأزهرية بخزائنها، فتمت رغبتة سنة ١٩٢٥، وبها نحو ألف مجلد في مختلف الفنون.
- ٧- مكتبة الشيخ العروسي شيخ الجامع الأزهر المتوفى سنة ١٢٩٣هـ، وقد أهداها ورثته إلى المكتبة الأزهرية سنة ١٩٢٧م وعدد مجلداتها ٥٩٠ مجلدًا، وبها نواذر من الكتب الخطية.
- ٩- مكتبة إبراهيم بك حفظي، وقد أهديت إلى المكتبة الأزهرية سنة ١٩٢٢م، وعدد مجلداتها الآن نحو ٣٩٢ مجلدًا، وهي في نحو مستمر وتجدد دائم، فقد وقف عليها مهديها مبلغًا سنويًا خصص نصفه لشراء كتب برسمها ونصفه للمغيرين بها.
- ١٠- مكتبة المغفور له الشيخ حسونة النواوي شيخ الجامع الأزهر المتوفى سنة ١٩٢٥م؛ وبها كتب كثيرة في فنون مختلفة، أهداها إلى المكتبة الأزهرية عقب إنشائها لتكون نواة للمكتبة، وليحرك بها همم أهل الخير إلى تعزيد مشروعها.
- ١١- مكتبة الشيخ الجوهري، وقد أهديت إلى المكتبة سنة ١٩٢٨م، وعدد مجلداتها ٣٤١ مجلدًا.

١٢- مكتبة المرحوم الشيخ محمد عبد اللطيف الفحام المتوفى سنة ١٩٤٣، أهداها ورثته إلى المكتبة إثر وفاته، وبها نحو ألف مجلد.

وبالمكتبة الأزهرية مكتبات أخرى كمكتبة رضوان باشا ومختار باشا وثابت باشا ورشيد باشا وبعض مكتبة مدرسة القضاء وبعض مكتبة زكى باشا ومكتبة رواق الصعايدة.

ومما تختص به المكتبة الأزهرية كثرة المخطوطات بالنسبة إلى مجموع كتبها، وقد بلغت المخطوطات إلى سنة ١٩٤٣ م ٢٤٠٠٠ مجلد تقريباً.





رفاعت رافع الطهطاوی

رفاعة الطهطاوى الأزهرى رائد الفكر الحديث فى مصر

هو أحد زعماء نهضتنا العربية الحديثة الذى فتح أمامنا آفاقاً واسعة للمعرفة . . وعلى يديه تكونت نواة الطبقة المثقفة الصحيحة التى حملت لواء التجديد . . وهو ابن نابه من سلاله أرض الكنانة تفخر الأمة به . . رفاعة الطهطاوى أحد العباقرة الذين سيخلدهم تاريخ مصر الحديثة .

رجل جاد به الزمان حين شح الزمان بالرجال وجاد هو على الزمان حين شح الرجال بالأعمال استطاع أن يجمع بين حضارة الغرب المتقدمة ومفاخر حضارة العرب القديمة، ولذلك عنى بإحياء التراث القديم مثلما عنى بالترجمة لمآثر الغرب تحقيقاً للنهضة الفكرية ودفعاً لحركة البعث الجديد . . وكما كان الطهطاوى مترجماً مبدعاً فى اختيار ما تناوله - وليس مجرد ناقل - كان أيضاً موسوعياً فى كتاباته المختلفة وليس مجرد رحالة، كما كان عالماً مؤرخاً يستند إلى الوقائع ويرجع إلى الكشوف الأثرية، خاصة وأنه من رواد المؤرخين المصريين الذين عرفوا تاريخ مصر القديم وعنوا بأمجاد هذا التاريخ. عنى بالكشف عن هذه الحقبة الحضارية الأصيلة فى تاريخنا، فأرخ أيضاً للدعوة الإسلامية والفتح العربى الإسلامى فى كتابه الذى صدر بعد عام واحد من وفاته «نهاية الإيجاز فى سيرة ساكن الحجاز» ولعل من الجوانب المجهولة فى حياة رفاعة هو اهتمامه بحقوق المرأة، وقد كتب فى ذلك كتاباً شهيراً: «المرشد الأمين فى تربية البنات والبنين».

* تبدأ السيرة العطرة للمصرى الفذ رفاعة الطهطاوى فى صعيد مصر، حينما ولد فى طهطا عام ١٨٠١ فى أسرة متواضعة الحال، وجاء إلى القاهرة صغيراً ليتخرج فى الجامع الأزهر، ويتنزه فرصة تعيينه إماماً لأول بعثة تعليمية أرسلتها مصر إلى فرنسا، فيتعلم الفرنسية ويتقنها، وبعد عودته يعمل مترجماً فى المدارس الفنية التى أنشأها محمد على قبل أن يعين مديراً لمدرسة الترجمة والتى تغير اسمها لمدرسة الألسن فيما بعد، والمؤرخ لتاريخ الصحافة العربية يضع رفاعة وأعماله الصحفية فى الصدارة . . فالرجل وجد فى الصحافة منبراً شعبياً وسلطة كبيرة لها

خطرها كما لمس حوادث الثورة الفرنسية عام ١٨٢٠ الأمر الذى جعله يأخذ على عاتقه مهمة التجديد فى الصحافة التى لم تكن وقتئذ سوى نشرات رسمية، وحينما صدرت جريدة «الوقائع الرسمية» ظل رفاعة مشرفاً عليها لمدة ثمانى سنوات فى الفترة من عام ١٨٤٢ حتى عام ١٨٥٠ بعد أن كلفه محمد على بالإشراف على القسم الأدبى فيها، وأن جزءاً كبيراً منها كان يحرر بالتركية، وبعد الوقائع تولى رئاسة تحرير مجلة «روضة المدراس» عام ١٨٧٠ . . وكانت لرفاعة الطهطاوى نظرات فى السياسة مثلما كانت له نظرات فى التربية والاجتماع، وآراؤه السياسية موزعة بين كتبه العديدة: «تخليص الإبريز، والمرشد الأمين، وأنوار الجليل، ومناهج الألباب المصرية» وغيرها وكان فيها جميعاً متأثراً بالعلوم السياسية الفرنسية وليس أدل على ذلك من ترجمته للديوان الفرنسى . . ولم يعيش الطهطاوى ليرى بنفسه ثمرات جهوده فى بناء الوعى السياسى فى مصر فرحل عام ١٨٧٣ بعد أن سجل اسمه فى مقدمة قادة نهضة مصر الحديثة فى القرن ١٩ .



العيد الألفى للأزهر

احتفل الأزهر بعيده الألفى عام ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣ احتفالاً كبيراً شهده الرئيس حسنى مبارك. وبدأ الأزهر الشريف احتفالات مرور ألف سنة على إنشائه. يشارك العالم الإسلامى فى الاحتفالات التى تأخرت ١٠ سنوات عن موعدها الأساسى. تقرر أن تحتفل الهيئات الإسلامية والوزارات والمؤسسات الشعبية والحكومية فى الاحتفالات التى تعم مصر تقديرًا لدور الأزهر.

كما تنظم وزارة الأوقاف حلقات فى المساجد حول هذه الذكرى وكذلك الجامعات فى مصر والخارج. وعددًا من المنظمات العالمية فى أوروبا وآسيا وأمريكا ستحتفل بذكرى مرور ألف سنة على الأزهر الشريف. ينتظر أن تستمر الاحتفالات الرسمية أكثر من شهر وعلى مدى السنة الهجرية الحالية بما يحفظ للذكرى جلالها.

وكان الأزهر مثابة العلماء والطلاب من أنحاء العالم الإسلامى. كما كان معقل الوطنية وموكل الأحرار. . لقد قاد الأزهر ثورتين كبيرتين تعدان من أسبق الثورات الدستورية العالمية ومن أعلم معالم الحركة الوطنية. . الثورة الأولى كانت بقيادة الإمام أحمد الدردير. والثانية بقيادة شيخ الأزهر الشيخ عبد الله الشرقاوى فى أواخر القرن الثامن عشر الميلادى.

أما الثورة الأولى فكانت فى ربيع الأولى من عام ١٢٠٠ هجرية - يناير عام ١٧٨٦. وكان سببها أن محافظ القاهرة آنذاك وهو أحد المماليك واسمه حسين بك بشفت، بعث بجنوده فنهبوا دار رجل من الشعب اسمه أحمد سالم الجزار نائب طريقة الشيخ البيومى الصوفى بالحسينية. فثارت ثائرة أهالى الحى وتوجهوا إلى الشيخ الدردير الذى أعلن أنه سيخرج مع الجماهير من كل أنحاء القاهرة لينهب بيوت المماليك كما نهبوا بيوت الشعب. . وأمر الشيخ بدق الطبول على المنارات إيدانًا بالاستعداد.

وأصبحت القاهرة على أبواب ثورة شعبية. . وأصبح المماليك يحيط بهم الرعب. وبلغ ذلك إبراهيم بك والى مصر. فأرسل نائبه فى الحكم. ومعه أحد

الأمرء من الممالك إلى الإمام الدردير يعتذر له عما حدث ويعدده بأن يبعد الأمرء عن الناس ويرد كل ما نهب إلى صاحبه وقبل الشيخ الدردير ذلك وتم ما أراده . . وهكذا وضع هذا الإمام الجليل قاعدة دستورية فحوها «وجوب احترام الحاكم لإرادة المحكومين» .

وأما الثورة الثانية فقد حدثت بعد ذلك بتسع سنوات . فى شهر ذى الحجة عام ١٢٠٩ هجرية ١٧٩٥ ميلادية . وكان بطلها هو الإمام الشيخ عبد الله الشرقاوى شيخ الأزهر الشريف . . وسببها أن الفلاحين فى قرية من قرى بليس ذهبوا إلى الشيخ الشرقاوى فى الجامع الأزهر وشكوا له من ظلم محمد بك الألفى ورجاله لهم ، ومن فرضهم على القرية أموالاً لا طاقة لها بها .

وتأثر الشيخ الشرقاوى بما بلغه ، وبلغ الشكوى إلى كل من مراد بك وإبراهيم بك . ولكنهما لم يفعلوا شيئاً . فعقد مؤتمراً وطنياً فى الأزهر حضره العلماء والطلاب والشعب . حيث استقر رأى على مقاومة الأمرء بالقوة حتى يخضعوا لمطالب الشعب . وعندئذ أمر الإمام الشرقاوى بإغلاق أبواب الجامع الأزهر . كما أعلن الشعب بإعلان الإضراب العام وإغلاق الأسواق والمحلات .

وفى اليوم التالى ركب الشيخ الشرقاوى ومعه العلماء وتبعتهم الجماهير . وسار الموكب إلى منزل الشيخ السادات وهو من كبار العلماء وكان منزله قريباً من قصر إبراهيم بك . فأفزعته مواكب الشعب النائرة فبادر بإرسال رئيس ديوانه أيوب بك ليسأل العلماء عن مطالبهم وحاول التنصل من إجابة مطلب الشعب . . ولكن العلماء أصروا على موقفهم وتقاطرت الجماهير صوب الأزهر . . وبدأت ثورة وطنية عاصفة .

هال إبراهيم بك ما بلغه . . وأرسل إلى العلماء يعتذر . . وفى اليوم التالى توجه إلى مصر العثمانى إلى منزل إبراهيم بك واجتمع مع أمرء الممالك حيث أرسلوا إلى العلماء ليجتمعوا بهم . فحضر الإمام الشرقاوى والسيد عمر مكرم والشيخ السادات والشيخ البكرى والشيخ الأمير . . وانتهى الاجتماع بالموافقة على مطالب الشعب التى قدموها وتتلخص فى :

«عدم فرض أية ضريبة إلا إذا أقرها مندوبو الشعب. وينزل الحكام على مقتضى أحكام المحاكم. ولا تمتد يد أى سلطان إلى أى فرد إلا بالحق» وتم تحرير وثيقة تتضمن هذه القرارات. . ورجع العلماء يحيط بهم موكب من الأهالى وهم يهتفون «حسب ما رسمه ساداتنا العلماء بأن جميع المظالم والمكوس والكوادر لاغية من جميع الديار المصرية».

ويجمع أكثر المؤرخين على أن هذه الوثيقة كانت بمثابة إعلان حقوق الإنسان سبقت بها مصر غيرها من الشعوب. وذلك قبل إعلان الثورة الفرنسية لميثاق حقوق الإنسان.

احتفال الأزهر بعيده الألفى

ومن احتفال الأزهر بعيده الألفى أن أعلن فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر فى كلمته أن رسالة الأزهر ليست من الرسائل المحلية بل رسالته تجاوزت توصيل المعرفة للفرد والجماعة إلى تنمية العلاقات بين الشعوب العربية والإسلامية باعتبارها أمة واحدة، تجمعها أخوة الإسلام.

وقال فضيلته: لقد تبوأ الأزهر مكانته العالمية المتينة فى دراسة علوم القرآن والسنة النبوية وشتى العلوم الإسلامية، والحفاظ على اللغة العربية والقيادة الرشيدة إلى العمل بأحكام الإسلام وتعاليمه ونظمه وقوانينه. . حتى أصبح له جامعة تضم ٣٥ كلية تخدم الإسلام والمسلمين، ونمت معاهده فبلغت أكثر من ألف ومائة معهد. وأنه فى كنف مصر يستقبل الأزهر أبناء المسلمين من كافة الشعوب والأقطار فى أعداد متزايدة حتى بلغوا بضعة آلاف يواصلون الدراسة فى كافة مراحلها بالمعاهد والكليات.

وأشار فضيلة الدكتور محمد الطيب النجار رئيس جامعة الأزهر فى كلمته إلى الدور الدينى والعلمى والوطنى الذى قام به الأزهر فى مختلف العصور حتى أصبح منارة للدين الإسلامى وأن رسالة الأزهر تنبثق من رسائل السماء. وأن دعوته تأتى من العبادات السليمة. وتنقية الإسلام من بعض المفاهيم الخاطئة.

وقال فضيلته: إذا ما اجتمع القول بالعمل لعلمائنا فيكونون بحق ورثة الأنبياء.. وحتى يضطلع الأزهر برسالته على أكمل وجه فلا بد له من العناية التامة من المسئولين.. والمزيد من العناية والرعاية والدعم المادى الكبير حتى يؤدي رسالته على أكمل وجه استجابة لمطالب المجتمع الإسلامى.

الأزهر والحكومة

وأشاد فضيلة الدكتور محمد السعدى فرهود وكيل الأزهر والأمين العام للجنة العليا للاحتفال بالعيد الألفى للأزهر بالجهود المبذولة لرفع شأن الأزهر والأزهريين والخطوات التى بذلتها الحكومة حتى يشهد جيلنا هذا الحدث التاريخى فى حياة الأمة الإسلامية. وضرب الأمثلة لدعم هذا العمل.

وألقى فضيلة الدكتور الحسينى هاشم الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية كلمة قال فيها: إن الأزهر الشريف قد فتح أبوابه منذ القدم، وتلاقت فى رحابه جميع الأجناس واللوان المسلمين ينهلون من علمه فأصبح الأزهر المعمور بطلابه وعلمائه الذين يسعون فى الأرض لنشر الدين الحنيف.

كلمة الوفود

وألقى كلمة الوفود لحضور احتفالات العيد الألفى للأزهر فخامة الرئيس مأمون عبد القيوم رئيس جمهورية مالايدف.. ووجه التهنتة باسم جميع الشعوب الإسلامية إلى الأزهر الشريف فى احتفاله بالعيد الألفى.. وأشاد بالعلاقات الطيبة التى تربط مصر بدول العالم العربى والإسلامى بصفة عامة وجمهورية مالايدف بصفة خاصة.

وقام الرئيس حسنى مبارك خلال المؤتمر العام لعلماء المسلمين الذى عقده مجمع البحوث الإسلامية احتفالاً بالعيد الألفى للأزهر بتوزيع الأوسمة على بعض علماء الأزهر. فقد سلم الرئيس وشاح النيل إلى فضيلة الشيخ جاد الحق على جاد الحق. وسلم الرئيس وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى إلى أصحاب الفضيلة الشيوخ إبراهيم الدسوقى وأحمد حسن الباقورى ومحمد متولى الشعراوى وزكريا البرى ومحمد السعدى فرهود وحسنيين محمد مخلوف ومصطفى محمد الطير

وعطية محمد صقر وأحمد فتحى الزيات وعبد اللطيف خليف وأحمد محمد عمر وعبد الرحمن الكردى والحسينى هاشم وعبد الكريم حسن نعناع وحامد عبد الحميد جامع .

ومنح الرئيس حسمى مبارك وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى إلى كل من اسم المرحومين أصحاب الفضيلة الشيوخ حسونه عبد الله النواوى وسليم أبو فرهاد البشرى ومحمد أبو الفضل الجيزاوى ومحمد مصطفى محمد المراغى ومحمد الأحمدي إبراهيم الظواهري ومصطفى حسن أحمد عبد الرازق ومحمد مأمون سيد أحمد الشناوى وعبد المجيد سليم وإبراهيم سيد حمروش ومحمد الخضر حسين - من أصل تونسى- وعبد الرحمن سيد على حسن ومحمود شلتوت وحس مصطفى مأمون ومحمد محمد الفحام وعبد الحليم محمود على .

ومنح الرئيس حسمى مبارك نفس الوسام للدكتور عبد المنعم أحمد النمر واسم المرحوم الشيخ الدكتور محمد البهى والدكتور محمد حسين الذهبى والدكتور بدوى عبد اللطيف عوض والدكتور عوض الله حجازي والدكتور محمد حسن فايق، والحسينى أحمد سلطان ودسوقى محمد العربى وسيد على المرصفى وعبد الرحمن حسن عبد المنعم وعبد الرحمن محمد قراعة ومحمد أحمد عرفة ومحمد بخيت المسيرى ومحمد الشافعى الظواهري ومحمد عبد اللطيف الفحام ومحمد عبد الله دراز ومحمود إسماعيل الدينارى ويوسف أحمد نصر الدجوى .

ومنح الرئيس نفس الوسام للدكتور أحمد فهمى أبو سنة وأصحاب الفضيلة الشيوخ أحمد محمد هريدى وبدر متولى عبد الباسط وعلى حسن عبد القادر وعبد العزيز هويدي وسليمان حزين وصالح موسى شرف وعبد الحليم الجندى وعبد الله عبد الخالق المشد والدكتور محمد جمال الدين الفندى ومحمد خاطر الشيخ ومحمد شمس الدين إبراهيم ومحمد عبد الله ماضى والدكتور محمد مصطفى شلبى والدكتور محمد مهدى علام .

ومنح نفس الوسام لأعضاء مجمع البحوث الإسلامية من البلاد الشقيقة وهم: الدكتور إسحاق موسى الحسينى- من فلسطين- والدكتور عبد الجليل حسن- من ماليزيا- والدكتور عبد الله تمام- من المغرب- وعلى عبد الرحمن الأمين- من

السودان- والدكتور محمد الحبيب الشاذلي- من تونس واللواء الركن محمود خطاب- من العراق- والأستاذ وفيق القطان- من لبنان.

ومنح الرئيس حسنى مبارك هذا الوسام إلى أسماء المرحومين الشيوخ عيسى أحمد متولى- وهو من أصل فلسطيني- ومحمد أبو زهرة، ومحمد أحمد فرج السنهورى ومحمد على السائس ومحمد نور الحسن- وهو من أصل سودانى- والمهندس عبد السلام فهمى والشيخ ثابت أبو المعالى عثمان واسم المرحومين الشيخ محمد عبد اللطيف دراز ومحمود أبو العيون ومنحه لكل من: الشيخ خلف السيد على وعبد الجليل عبده شلبى واسم المرحوم محمود حب الله ومنحه للشيخ عبد الحميد عبد الحكيم الغفارى وعبد العزيز عبيد الله وعبد الغنى عبد الله الراجحى ومحمد أبو شهبه واسم المرحوم محمد على سالم أبو الروس.

ومنح الرئيس الوسام إلى أصحاب الفضيلة الشيوخ سليمان حسن ربيع والشيخ عبد السلام أبو النجا ومحمد عبد المنعم خفاجى ومحمد نايل أحمد ويوسف أبو العلا الجرشة ويوسف اليومى البسيونى واسم المرحومين الشيوخ إمام الخولى ويوسف أحمد عوض.

ومنح الرئيس نفس الوسام إلى الشيوخ محمد قناوى عبد الله ومحمد كامل الفقى وإبراهيم على أبو الخشب وعبد العظيم على الشناوى ومحمد رفعت فتح الله سليمان وسيد أحمد دنيا وعبد الغنى عبد الخالق.

وإلى أسماء المرحومين الشيوخ أحمد الشرباصى وعبد الحميد على قادوم وعبد المتعال الصعيدى ومحمد يوسف موسى ومنحه إلى الشيخ زكى إبراهيم سويلم واسم المرحوم الشيخ محمد حسن شبانة.

ومنحه إلى الشيوخ محمد عبد التواب محمد مرسى عامر وأسماء المرحومين الشيوخ محمد التيمرى وعلى محمود.



الفصل الثانى:

المدارس العلمىة والأدبىة فى الأزهر الشريف خلال ألف عام

-١-

جامعة الجامعات، وحارس الإسلام، والداعية الأمين إلى دين الله، طيلة ألف عام أو تزيد.

وحدث عن مجد الأزهر العلمى خلال تاريخه الطويل ولا حرج، وعن مواكب العلم والعلماء فيه على امتداد عشرة قرون كاملة، وعن حلقات العلم فى أروقه الشم، وعن طلابه وعلمائه الوافدين من قرى مصر ومن كل أنحاء البلاد الإسلامىة ولا عجب... فالحديث كله عطر وشذى، وكله حقيقة وتاريخ.

الأزهر هذه الكلمة الجميلة، المقدسة، الطاهرة، ما أجملها، وما أكرمها وما أروعها... إنها تاريخ أجيال، وصمود أبطال، ومواكب تاريخ وهى فلق الصباح، ونور الشمس الباهر، وضوء البدر المسفر، واليقين كل اليقين بعظمة الإسلام وجلاله وخلوده. ويقول الشاعر الكبير إبراهيم ناجى من رسالة أدبية له وجهها إلى الدكتور طه حسين (٩٢ من كتاب ناجى الشاعر لصالح جودت):

«أرجو بحق الله عليك ألا تذكر الأزهر إلا بالخير، أتعلم لم أحبه؟ أحبه لتلك الحلقات التى تجعل العالم وتلاميذه فى صعيد واحد، فلا يعلو عليهم إلا بعلمه؛ وعلى ذكر الأزهر لأجلسن فى الحلقات، وأتعلم الصبر على المكاره».

ويقول أمير الشعراء . أحمد شوقى: (١٨٦٩ - ١٩٣٢):

يا معهدا أفنى القرون جداره وطوى اللبالي ركنه والأعصرا

إن الذى جعل العتيق مثابة جعل الكنانى المبارك كوثرًا

أمضى الأزهر أحقابا طوالاً فى حراسة التراث، إذ ظل بيت العلم والعلماء، وموئل المفكرين والرواد، ومجدد الثقافة الإسلامىة الخالدة، والنور الوهاج الذى يضىء ولا يحرق، والملاذ الذى تهوى إليه أفئدة المسلمين من كل صوب وحذب.

ومصر منذ القدم وطن الجامعات، جامعة عين شمس القديمة، وجامعة منف، وجامعة الإسكندرية الأولى، وفى الإسلام جامعة الفسطاط، ثم جامعة الأزهر، ودار الحكمة؛ ثم جامعات مصر الحديثة.

وحين تحتفل مصر، ويحتفل معها العالم الإسلامى بالعيد الألفى للأزهر نذكر كيف أصبح الأزهر منذ إنشائه قلعة الإسلام الثقافية وصرح اللغة العربية الحضارى، ومعقل التراث الإسلامى العربى بكل ذخائره وفنونه وعلومه على امتداد الأجيال... ولقد شيده الفاطميون فى مطلع حكمهم لمصر، بعد أن شيّدوا مدينة القاهرة لتكون حاضرة دولتهم الكبيرة، وقصدوا أن يكون الأزهر المنارة الثقافية والحضارية لمملكتهم الواسعة..

-٢-

ويحدثنا التاريخ فيقول:

- وضع الحجر الأساسى يوم السبت لست بقين من جمادى الأولى عام ٣٥٩هـ - ٩٧٠م فى رواية، أو يوم السبت الرابع من رمضان فى العام نفسه فى رواية أخرى؛ وكمل بناؤه لسبع خلون من رمضان عام (٣٦١هـ - ٢٢ يونيو ٩٧٢م).

- إختار المعز لدين الله عددًا من كبار العلماء والفقهاء فى عصره ليتولوا الوعظ والإرشاد فى هذا البيت الكريم، وكان عددهم ثلاثين، وأجزل لهم العطاء، وبني لهم منازل فخمة، ألحقت بالأزهر، وصارت فيما بعد من أروقته.

- وفى صفر ٣٦٥هـ - ٩٧٦م جلس فى الأزهر قاضى القضاة أبو الحسن على ابن النعمان بن محمد، يملئ ويشرح مختصر أبيه فى الفقه على مذهب آل البيت؛ وعنوان هذا المختصر هو «الاقتصار»، وكان جمعًا كبيرًا أثبت فيه أسماء الحاضرين من شهود هذا الجمع. وكان ذلك بمثابة افتتاح رسمى لحلقات التدريس فى الأزهر الشريف.

وكان وزير المعز يعقوب بن كلس يجلس كل يوم جمعة فى الأزهر ليدرس. مؤلفه «الرسالة الوزيرية» فى فقه آل البيت فى حلقة خاصة به. كما كان يجتمع فيه

كل ثلاثاء بالفقهاء وجماعة المتكلمين وأهل الجدل، وذلك منذ عام ٣٦٩هـ- ٩٨٠م وكان يهرع إلى مجلسه القضاة والفقهاء والأدباء وأكابر القصر، ورجالات الدولة والدعوة.

- وفي عام ٣٧٨هـ- ٩٨٨م استأذن هذا الوزير الخليفة العزيز بالله في أن يعيش بالأزهر جماعة من الفقهاء للتدريس فيه، وكان عددهم سبعة وثلاثين فقيهاً، وقد رتب لهم العزيز أرزاقاً وجرايات شهرية، وأنشأ لهم دار للسكنى بجوار الجامع، وخلع عليهم في يوم الفطر وكان عدد الطلبة خمسة وثلاثين طالباً، كانوا موضع رعاية العزيز وتشجيعه. وبذلك صار الجامع جامعة، وأصبح قبلة العلماء والطلاب، وأخذت حلقاته تنال شهرة عالمية. وقامت المدارس الفكرية والعلمية والأدبية فيه.

والمدرسة الفقهية في الأزهر هي دعامة من أكبر دعائمه، ففي العصر الفاطمي رأينا مدرسة فقه آل البيت يتصدرها القضاة من بنى النعمان، وأحياناً داعى الدعاة، والمؤيد الشيرازى داعى الدعاة هو ممن كان يلقي محاضراته في الأزهر في عهد المستنصر الفاطمي (٤٢٧- ٤٨٧هـ: ١٠٣١- ١٠٩٤)، وكان المؤيد شاعراً كبيراً، وأديباً موهوباً، وله ديوان شعر، ومن كتبه: المجالس المستنصرية - نهج الهداية - نهج العبادة، وغيرها. وكان يناظر أبا العلاء المعرى في بعض محاضراته.

فتحت أبواب الأزهر منذ إنشائه لكل مسلم، وقصده الطلاب من مشارق الأرض ومغاربها. يتلقون العلم فيه، وتجري عليهم الأرزاق، وتقيم كل جماعة منهم في مكان خاص بهم، وهذا هو نظام الأروقة الذى بدأ ببداية الحلقات العلمية في الأزهر. ومن كتب فقه آل البيت التى كانت تدرس في الأزهر آنذاك: كتاب الاقتصار- الرسالة الوزيرية- دعائم الإسلام وغيرها. وفي مقدمة الأساتذة المدرسين في الأزهر.

- بنو النعمان قضاة مصر، ومنهم: أبو الحسن على بن النعمان (٣٧٤هـ) وأخوه أبو عبد الله محمد بن النعمان (٣٨٩هـ)- وابنه الحسن بن على بن النعمان قاضى الحاكم بأمر الله. وقد ظل فقه آل البيت يدرس حتى جاء الأيوبيون، فمنعوا دراسة الفقه الإسماعيلي فيه.

ومن المرجح أن فقيه مصر ومؤرخها الكبير، الحسن بن زولاق (-٣٨٧) كان من الذين تولوا التدريس فيه، فقد كان صديق المعز لدين الله ومؤرخ سيرته، ثم صديق ولده العزيز من بعده، فمن المعقول أن يكون من الذين اختيروا للتدريس فيه.

وفي العصر الفاطمي كان الأزهر مركزاً، ومقرّاً لمجالس القضاء، ومركز الاحتفال الرسمي بالمولد النبوي الشريف، ويوم عاشوراء كذلك قبل إنشاء المشهد الحسيني عام ٥٤٩ هـ.

ومن أعلام الفكر في الأزهر في العصر الفاطمي: المسيحي الكاتب والمؤرخ المشهور (٣٦٦ - ٤٢٠ هـ)، وقد أخذ بقسط كبير من ثقافات عصره وعلومه.

ومن كتبه: أخبار مصر، وكتب أخرى مفقودة. وقد نشأ وتعلم في الأزهر وأفاد من علمائه.

ومنهم كذلك أبو عبد الله القضاعي (٣٩٠ - ٤٥٤ هـ) الذي كان في أقطاب العلماء، وتولى منصب القضاء وغيره من مهام الدولة في عهد المستنصر وأوفده الخليفة سفيراً إلى قيصرية القسطنطينية عام ٤٤٧ هـ/ ١٠٥٥ م للمفاوضة في عقد صلح بينهما. وله كتاب مفقود في تاريخ مصر بعنوان «المختار في ذكر الخطط والآثار». ومنهم الحافظ السلفي (٤٧٠ - ٥٧٦ هـ).

وفي العصر الأيوبي عطلت صلاة الجمعة في الأزهر نحو مائة عام، ولكن حلقات الدراسة بقيت مستمرة فيه، وألغى درس الفقه الإسماعيلي، ودرس فقه أهل السنة والمذاهب الأخرى. وقام في حلقاته في هذا العصر وما بعده الآلاف من كبار الفقهاء والمفتين، ونذكر منهم:

- شيخ الإسلام الحافظ المنذري (٥٨١ - ٦٠٠ هـ).
- شيخ الإسلام عز الدين عبد السلام (٥٧٧ - ٦٦٠ هـ).
- قطب الدين القسطلاني (٦١٤ - ٦٦٦ هـ).
- شيخ الإسلام ابن دقيق العيد (٦٢٥ - ٧٠٢ هـ).

- الإمام الزيلعى ٧٤٣هـ.
- الإمام تقى الدين بن السبكى (٦٨٣ - ٧٥٦هـ).
- الإمام البلقينى (٧٢٤ - ٨٠٥هـ) مجدد المائة الثامنة.
- الإمام السيوطى (٨٤٩ - ٩١١هـ) مجدد الإسلام فى المائة التاسعة.
- الإمام الكمال بن الهمام (- ٨٦١هـ).
- الإمام شهاب الدين ابن عبد الحق السنباطى (٩٢١هـ).
- وكان واعظًا بالأزهر الشريف.
- شيخ الإسلام الرملى.
- شيخ الإسلام الشيخ عبد الله الشبراوى (١٠٩١ - ١١٧١هـ)
- شيخ الإسلام الفقيه المحدث المفتى أحمد الخالدى الأزهرى الشهير بالجوهري (١٠٩٦ - ١١٨٢هـ).
- شيخ الإسلام الشيخ الخراشى (١٠٠١هـ).
- الشيخ على العدوى المالكى (١١١٢ - ١١٨٩هـ).
- الشيخ الدردير (١١٢٧ - ١٢٠١هـ).
- وظلت المدرسة الفقهية ممثلة فى الأزهر أتم تمثيل، وبها نال مجدًا باذخًا وصيتًا عاليًا، فى جميع المذاهب الإسلامية الفقهية، فكان شيوخ الأزهر من كبار الفقهاء فى العالم الإسلامى، حيث وجدنا:
- الشيخ المهدي العباس الحنفى مفتى الديار المصرية، وصاحب الفتاوى المهدية (١٢٤٣ - ١٣١٥هـ).
- الشيخ بخيت المطيعى.
- الشيخ عبد المجيد سليم.
- الشيخ حسنين مخلوف.

- الشيخ محمد حسنين مخلوف .

- الشيخ محمود شلتوت . وغيرهم .

ولا ريب أن المدرسة الفقهية في الأزهر خلال ألف عام قد رفعت راية الإسلام خفاقة عالية، وحافظت كل المحافظة على روح التشريع الإسلامى . فقهاً وأصولاً وفتياً وقضاء .

- ٤ -

ومدرسة التفسير والحديث والقراءات في الأزهر الشريف ذات صدى كبير في التراث الإسلامى، وقبل إنشاء الأزهر عاش في مصر نافع (١٢٠هـ)، وورش شيخ القراء، وحسبنا في القراءات الشاطبى (٥٣٨ - ٥٩٠هـ) والفخر البليسى أستاذ القراءات وإمام الأزهر؛ ومحمد بن سرافة الشاطبى (٥٩٢ - ٦٦٣هـ)، وقد تولى مشيخة دار الحديث الكاملية في القاهرة .

ومن المحدثين من أعلام الأزهر كذلك: أبو العباس أحمد بن هاشم المصرى، كان من كبار المحدثين والمقرئين حيث اشتهر بدرسه في القراءات بالأزهر الشريف، وتوفى عام ٤٤٥هـ، ومنهم . السخاوى المصرى (٥٥٨ - ٦٤٣هـ)، وهو صاحب تفسير مشهور، والحافظ المنذرى شيخ الإسلام، والحافظ السلفى، وابن المنير وكان إماماً في التفسير والنحو والأدب (٦٠٢ - ٦٨٣هـ)، وقطب الدين القسطلانى (٦١٤ - ٦٦٦هـ)، وشرف الدين الدمياطى المحدث (٦١٣ - ٧١٥هـ)، وابن حجر (٧٧٣ - ٨٥٢هـ) وهو مؤلف «فتح البارى فى شرح صحيح البخارى» وقد تولى خطابة الأزهر حيناً من الزمان، وكذلك بدر الدين العينى (٧٦٢ - ٨٥٥هـ) مؤلف «عمدة القارئ بشرح صحيح البخارى»، وكذلك شيخ الأزهر الشيخ عبد الله الشرقاوى (١١٥٠ - ١٢٢٧هـ) .

ومن المفسرين الأجلاء: الجلالان: (السيوطى، والمحلى)، والخطيب الشربينى . . ومن المفسرين فى عصرنا: شلتوت ومخلوف والشيخ عبد الجليل عيسى، والخفاجى فى تفسيره «تفسير القرآن الحكيم» ثلاثون جزءاً وسواهم .

وليتنا نجد في جامعة الأزهر كلية للتفسير والحديث خاصة ليستعيد الأزهر مكانته في هذا الجانب العلمي الجليل .

-٥-

وحدث عن مدرسة التصوف في الأزهر الشريف ولا حرج، وأمانا: عبد الرحيم القنائي (٥٩٢هـ)، وأبو العباس المرسى (٦١٦ - ٦٨٦هـ)، وابن الفارض (٤٧٦ - ٦٣٢هـ)، وإبراهيم الدسوقي (٦٣٣ - ٦٧٦هـ)، والبوصيري (٦٠٨ - ٦٣٩هـ)، وابن عطاء الله السكندري (٦٣٨ - ٧٠٩هـ) وابن دقيق العيد (٦٢٣ - ٧٠٢هـ)، وشمس الدين الحفنى (٨٤٧هـ)، والشعراني (٨٩٨ - ٩٧٣هـ)، وعبد الله الشبراوى (١١٧١م)، والشيخ الحفنى (١١٨١هـ) والشيخ الدردير . . وسواهم .

-٦-

ومدرسة الأدب والشعر والنقد في الأزهر مدرسة ممتدة على طول الأيام . . ونحن لا ننسى: ابن شيت من أضاء القرن السادس، وابن الفارض (-=٦٣٢هـ)، وابن أبي الأصبع (-٦٥٤هـ)، وابن الساعاتى (-٦٠٤هـ)، والبهاء زهير (٥٨١ - ٦٥٦هـ)، وابن مطروح (٥٩٢ - ٦٤٩هـ)، والقلقشندي صاحب صبح الأعشى (-٨٢١هـ) والنويرى، صاحب نهاية الأرب (٧٣٢هـ) والسيوطى (٩١١هـ)، والعباسى صاحب كتاب «معاهد التنصيص»، وابن نباتة المصرى (٦٨٦ - ٧٦٨هـ)، ومحمد جلال الدين اللوطاوى (-٨١٨هـ)، وابن الوردى، وشمس الدين النواحي، والشهاب الخفاجى (٩٧٥ - ١٠٦٩هـ)، والنحبي (١٠٦١ - ١١١١هـ)، وعبد الله الشبراوى (١١٧١) وسواهم . وفى العصر الحديث نجد الشيخ حسن العطار والشيخ عبد الهادى نجما الإبيارى (١٨٢١ - ١٨٨٨م) وحسين المرصفى وسيد بن على المرصفى وغيرهم .

ولما ظهر الإمام محمد عبده بدأت النهضة الأدبية تشق طريقها بقوة داخل أروقة الأزهر، وقد ألف الإمام جمعية إحياء العلوم العربية عام ١٩٠٠م وكان فاتحة أعمال هذه الجمعية - طبع كتاب المخصص لابن سيده، ثم نهج البلاغة . كما طبع أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز وهما لعبد القاهر الجرجانى، وقد درسهما الإمام محمد عبده فى الأزهر .

ولما ألقى الإمام محمد عبده درسه الأول في كتاب «أسرار البلاغة» في الأزهر قال الشيخ محمد المهدي: لقد اكتشفت معنى البيان هذه الليلة: ومن تلاميذ الإمام في حلقات العلم والفكر: حافظ إبراهيم، ومحمد رشيد رضا: وسعد زغلول، ومصطفى لطفى المنفلوطى، ومصطفى صادق الرافعى، وعبد المحسن الكاظمى، وأحمد لطفى السيد، الذى كان يقول عن الإمام: أستاذنا، والشيخ مصطفى عبد الرازق، ومحمد مصطفى المراغى، والشيخ حسين والى، وعباس محمود العقاد الذى كان يقول عن الإمام محمد عبده: إنه أعظم رجل ظهر فى مصر منذ خمسة قرون. ومدرسة الإمام هى التى قادت مواكب النهضة والتجديد والإصلاح فى مصر. على أن جل أدباء مصر منذ القرن الخامس حتى اليوم، هم من أبناء الأزهر، وفى هذا المقام نذكر الشيخ محمد الخضر حسين، والسيد حسن القاينى، وشاعر الأزهر الشيخ محمد الأسمر (١٩٠٠ - ١٩٥٦): ونذكر الشاعر محمود أبو الوفا؛ وصالح الشرنوبى.

وأول رائد فى النقد فى العصر الحديث هو الشيخ الأزهرى حسين: المرفصى (١٨٨٩م)، وأول رائد فى القصة القصيرة هو الأزهرى مصطفى المنفلوطى، وأول رائد فى الصحافة المصرية هو الصحفى الأزهرى الشيخ على يوسف رحمه الله.

وفى الأزهر ألف المقرئ كتابه الخالد «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب» نحو عام ١٠٢٠هـ، وكذلك فى الأزهر ألف كتاب «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٦٨١هـ).

-٧-

وفى البلاغة والنقد ظهرت مدرسة كبيرة فى الأزهر، ومن أعلامها:

ابن أبى الأصبع المصرى (٥٨٥ - ٦٥٤هـ) وهو مؤلف كتاب بديع القرآن، وتحرير التعبير.

وتلاه ابن السبكي صاحب كتاب «عروس الأفراح» (٦٨٣ - ٧٥٦هـ)، ثم السيوطى صاحب كتاب «عقود الجمان فى المعانى والبيان».

وَألف البديعى (١٠٧٣هـ) كتابه «الصبح المنبى» عن حيشة المتنبي.

وتمتاز مدرسة البلاغة فى الأزهر بجمعها بين طريقتى المتكلمين والأدباء وبأنها ترجع إلى الذوق أكثر من احتكامها إلى المنطق.

-٨-

وقامت فى الأزهر مدرسة لغوية ونحوية كبيرة، وبدأت بالحوفى النحوى الذى كان من أئمة اللغة فى عصره، وألف كتباً كثيرة فى النحو والأدب، منها كتاب «إعراب القرآن» وتوفى عام ٤٣٠هـ؛ وقد أخذ عن أبى بكر الأدفوى، وكتبه «الموضح» فى النحو استوفى فيه العلل والأصول.

ثم ظهر ابن بابشاذ النحوى المشهور، وكان كاتباً فى ديوان الإنشاء فى خلافة المستنصر الفاطمى، وتوفى عام ٤٦٩هـ، وله شرح على كتاب الجمل للزجاجى، وشرح على الأصول لابن السراج.

وتلاه أبو عبد الله بن محمد بن بركات النحوى، وهو تلميذ القضاعى، وكان من أئمة اللغة والنحو، وتوفى عام ٥٢٠هـ.

وتلاه ابن برى المصرى المتوفى عام ٥٨٢هـ، الذى رأس ديوان الرسائل، كابن بابشاذ، وله فى النحو واللغة مؤلفات كثيرة، ثم ابن القطاع اللغوى صاحب كتاب الأفعال.

وفى العصر الأيوبى وعصر المماليك والعصر العثمانى فى الأزهر طائفة من أعلام اللغويين والنحاة، من أشهرهم:

ابن منظور (٣٦٢-٧١١هـ) الذى ألف معجمه «لسان العرب» فى الأزهر.

وابن معطى (٦٢٨هـ) الذى تصدر لقراءة النحو والأدب فى الأزهر، وله شرح على الجمل للزجاجى.

وابن الحاجب، الذى تصدر فى النحو، وله كتاب الإيضاح وهو شرح على المفصل للزمخشرى.

والمرادى المصرى (٧٤٩هـ)، وله شرح كذلك على المفصل، وشرح على كتاب التسهيل لابن مالك.

والفيروز أبادى (٨١٧٠هـ) الذى وضع معجمه «القاموس المحيط» فى الأزهر.
كما ظهر ابن هشام النحوى المصرى (٧٠٨ - ٧٦١هـ) صاحب الشذور،
والقطر، وأوضح المسالك، ومغنى اللبيب، والجامع الكبير، والجامع الصغير،
وقواعد الإعراب، وغيرها. وقال عنه ابن خلدون فى مقدمته: ما زلنا نسمع
ونحن بالمغرب أنه قد ظهر بمصر عالم بالعربية يقال له ابن هشام أنحى من
سيبويه.

وتلاه ابن عقيل المصرى (٧٦٩هـ) والدامينى الذى التف حوله الطلاب فى
الأزهر، وله شرح على التسهيل وشرح على المغنى.

ثم الشمنى (٨٧٢هـ)، وخالد الأزهرى، والسيوطى (٩١١هـ) والأشمونى
(٩٢٩هـ)، وابن قاسم (٩٩٤هـ)، والشنوانى (١٠١٩هـ) وعبد القادر البغدادى
(١٠٩٣هـ) صاحب «خزانة الأدب»، والشيخ يس (١٠٦١هـ) والحفنى ١١٧٨هـ
والصبان (١٢٠٦هـ) وغيرهم.

وفى الأزهر ألف السيد مرتضى الزبيدى (١٢١٥هـ) معجمه اللغوى الكبير «تاج
العروس».

-٩-

وفى الأزهر ظهرت مدرسة تاريخية ضخمة بدأت بالحسن بن زولاق المصرى
(٣٨٧هـ) الذى كان من أوائل الذين تولوا التدريس فى الأزهر.

ثم ظهر المسبحى (٣٦٦ - ٤٢٠هـ) الكاتب والمؤرخ الشهير، وكتابه «أخبار
مصر» الذى فقدناه كان ثروة كبيرة، وقد اعتمد عليه المؤرخون.

وظهر بعد المسبحى القضاعى المؤرخ والمحدث والفقيه وله كتب كثيرة منها
«المختار فى ذكر الخطط والآثار».

وفى الأزهر فى العصر الأيوبي وفد على مصر عام ٥٨٩هـ عبد اللطيف
البغدادى (٥٥٧ - ٦٢٩هـ) المؤرخ والأديب والناقد والطبيب، الذى ألقى رحاله فى
الأزهر، وكان يلقي دروسه فيه على الطلاب أعوامًا طوالاً.

ثم وفد كذلك على مصر ابن خلدون (٧٢٧-٨٠٨هـ) وذلك عام ٧٨٤هـ، وألقى رحاله فى الأزهر، وأكمل كتابه التاريخى «العبر وديوان المبتدأ والخبر» وهو ستة أجزاء، وانتهى كذلك فى الأزهر من كتاب مقدمة هذا التاريخ المعروفة بالمقدمة، وهى فى علم الاجتماع، وابن خلدون هو رائد علم الاجتماع فى العالم. ونشرت المقدمة فى مصر عام ١٨٥٨م، وقد كان الإمام محمد يدرسها لتلاميذه فى الأزهر، وفى مدرسة دار العلوم.

وفى عصر الماليك ظهر أيضًا من أعلام المؤرخين فى الأزهر: السخاوى، والمقرئى، وابن إياس، وتقى الدين الفاسى تلميذ ابن خلدون، والسيوطى وسواهم.

- ١٠ -

ولم يقتصر التعليم فى الأزهر على المبصرين، بل شمل المكفوفين كذلك، وكان منهم طائفة من كبار العلماء، ومنهم فى عصرنا الحديث الشيخ يوسف الدجوى (١٩٤٦م).

وكذلك لم يقتصر على الرجال، بل شمل النساء، ويحدثنا المقرئى عن فقيهة كانت تدرس فى الأزهر للنساء واسمها أم زينب فاطمة بنت عباس البغدادية (٧١٤هـ). ويحدث الجبرتى عن فقيهة مكفوفة كانت تحضر دروس الشيخ عبد الله الشراقوى شيخ الأزهر فى المسجد الشريف (٤/ ١٧٢ الجبرتى).

- ١١ -

وقد شملت ثقافات الأزهر العلوم الرياضية والهندسة والطب والفلسفة غيرها، فقد كانت العلوم الرياضة والفلكية والطبيعية والجغرافية تدرس فى الأزهر الشريف منذ العصر الفاطمى.

ومن الفلاسفة الأطباء الأزهرين أبو الحسن على بن رضوان (-٥٤٣هـ) وشرف الدين عبد الله بن على (٥٩٢هـ)، والرشد بن الزبير، وكان شيخًا للأطباء فى مصر وتوفى عام ٥٦٣هـ، والقطب المصرى (-٦١٨هـ).

وكان عبد اللطيف البغدادي يدرس في الأزهر الطب لطلابه وجاء في إجازة الشيخ أحمد عبد المنعم الدمنهوري (شيخ الأزهر من عام ١٧٦٨ - ١٧٧٦م)، والذي توفي عام ١١٩٢هـ - ١٧٧٨م أنه تلقى في الأزهر العلوم الآتية، وله تأليف في كثير منها، وهي:

الحساب - الميقات - الجبر والمقابلة - المنحرفات - أسباب الأمراض وعلاماتها - علم الاسطرلاب - الزيج - الهندسة - الهيئة - علم المزاويل - علم الأعمال الرصدية - علم الحيوان والنبات والمعادن - علم استنباط المياه - علاج البواسير - علم التشريح - علاج لسع العقرب - التاريخ.

وكان الشيخ حسن الجبرتي، وهو والد الجبرتي المؤرخ، ذا شهرة كبيرة في العلوم الرياضية، وقد ذكر ابنه المؤرخ أنه في عام ١١٥٩هـ - ١٧٤٦م أتى إليه طلاب من الفرنجة وتلقوا عليه علم الهندسة.

وقد تلقى الشيخ حسن الجبرتي هذه العلوم الرياضية في الأزهر على الشيخ محمد النجاشي، ثم على الشيخ حسام الدين الهندي الذي كان قدم إلى الأزهر للتعلم، وكان بارعا في العلوم الرياضية والفلسفة، فتلقاها عنه طلاب الأزهر، ومن بينهم الشيخ حسن الجبرتي الذي طارت شهرته بها، وكان عنده كثير من الآلات الفلكية والهندسية وآلات أكثر الصناعات والاسطرلابات وغيرها وآلات الرسم والتقاسيم، وكان يجتمع به مهرة الصناعات ليستفيدوا من علمه. وكان يعرف صناعة استخراج المياه.

وفي سنة ١١٧٢هـ / ١٧٥٨م وقع خلل في الموازين فصحيحها.. ولم ينقص ذلك من إلمامه بالعلوم الدينية والعربية، بل كان حجة في الفقه وغيره. وتوفي عام ١١٨٨هـ / ١٨٧٤م.

ولقد نعى والي مصر العثماني منذ عام ١١٦١هـ أحمد كورباشا إهمال مصر والأزهر للعلوم الرياضية وذلك أمام الشيخ عبد الله الشبراوي شيخ الأزهر الشريف.

كما كان الشيخ حسن العطار ينعي على الأزهر أيضاً إهمال هذه العلوم وله مؤلفات في الطب والتشريح.

والوالى أحمد كور باشا هو الذى روى عنه قوله:

إن مصر منبع العلوم والفضائل كما هو مسموع عندنا فى الديار الرومية -
العثمانية- (١/ ١٨٧ الجبرتى).

وفى وثيقة رسمية لمشيخة الأزهر عام ١٢٨٢هـ / ١٨٦٤م أن من العلوم التى
كانت تدرس فى الأزهر آنذاك: التصوف والفلسفة والهندسة والموسيقى والمنطق
والحساب والجبر والفلك والهيئة.

وفى عام ١٣١٠هـ / ١٨٩٢م كان من العلوم التى تدرس فيه: التصوف.
وقد أصدر الشيخ الإنسابى فتوى بجواز تعلم العلوم الرياضية وعلم الطب
وغيرهما.

-١٢-

وبعد فهذا هو الأزهر، وهذه صورة للمدارس العلمية التى كانت سائدة فيه
طيلة عشرة قرون.

الأزهر العظيم الذى وصفه المقريزى بأنه دار الإسلام، وأن الزائر له يجد فيه من
الأنس بالله والارتياح له ونزوع النفس إليه ما لا يجده فى غيره.

وحينما وفد ابن خلدون من تونس إلى القاهرة للإقامة فيها هاله أمر القاهرة
ومسجدها العظيم وجامعتها الكبرى فقال مشدوها. انتقلت إلى القاهرة فرأيت
محشر الأمم وإيوان الإسلام وكرسى العلم وحاضرة الدنيا - (نفح الطيب للمقرئ
١٣٣/٣). وروى ابن خلدون عن قاضى الجماعة بفاس: ومن لم ير القاهرة
وأزهرها لم يعرف عزة الإسلام.

وحين وصف ابن بطوطة مصر قال: إنها أم البلاد وإن قاهرتهما قهرت الأمم.

وفى عصرنا كتب أمير الشعراء أحمد شوقى فى صحيفة الأخبار القديمة عدد
اليوم السادس من سبتمبر ١٩٢٤ يقول: سأظل فخوراً بأن من أساتذتى شيوخاً من
صميم الأزهر الشريف وكبار علمائه. ولقد سد الأزهر فراغاً كبيراً فى التعليم فى
مصر والبلاد الشرقية جميعاً.

وحين زار سعد زغلول الأزهر عام ١٩٢١ بعد عودته من منفاه لأداء صلاة الجمعة فيه خطب فى علمائه وطلابه، فقال فيما قال:

«جئت اليوم لأؤدى فى هذا المكان الشريف فريضة صلاة الجمعة، وأقدم واجب الاحترام لمكان نشأت فيه، وكان له فضل كبير فى النهضة الحاضرة؛ وتلقنت فيه مبادئ الحرية والاستقلال..» - ص ٦١ سعد زغلول العقاد -.

وفى اليوم الأول للاحتفال بالعيد الألفى للأزهر الشريف خطب الرئيس حسنى مبارك فى الأزهر، فقال:

كان الأزهر على مر العصور القلعة الشامخة التى حفظت للقرآن لغته، وللحديث مكانته، وللدين تعاليمه وللشريعة أحكامها، وللغة أصوله وضوابطه، وللأمة الإسلامية رقيها الحضارى الفريد، وأصالتها الفكرية الراسخة فى مواجهة الغزو الثقافى من الخارج.

وقال رئيس جمهورية المالديف: إن تاريخ الأزهر ليس هو تاريخ مصر وحدها، بل هو تاريخ الأمة الإسلامية جمعاء.

وصدقوا فيما قالوا ويقولون عن الأزهر الشريف، النعم الحلو فى فم الزمان، واللواء المرفوع فى مواكب التاريخ، والسهم المسدد فى صدور أعداء الإسلام.



علماء أزهريون من العصر المملوكى

العصر المملوكى بشقيه التركى والجركسى كان زاخراً بعلماء متصوفة وقد شجع على ذلك كثير من السلاطين والأمراء والممالك، فكانوا فى الحجة قصرًا على مؤسساتهم العلمية والدينية والصحية وغيرها يشترطون لتولى وظائفها أن يكون الطلاب والمدرسون من الصوفية، حتى ولو كانوا يدرسون علومًا أخرى كالفقه والحديث والتفسير وغيرها. بجانب عملهم بالتصوف.

ولم يكتف السلاطين والأمراء بهذا، بل إن غالبية كبيرة منهم كانوا من كبار الصوفية، وفى مقدمتهم السلطان قايتباى نفسه.

وقد انسحب ذلك المعنى على الجامع الأزهر، بل إن ذلك كان أصيلاً فيه، فمعظم علمائه نشثوا على الزهد فى الدنيا مع شطف العيش والبساطة فى المأكل والملبس ومعظمهم أيضاً تصدروا للدروس بالأزهر. دوغما أجر طلباً لثواب الله ورضاء.

وكان الأمراء والممالك يرتبون دروساً للتصوف بالجامع الأزهر، وأوقفوا عليها الأوقاف الوفيرة التى تضمن لها الدوام والاستمرار وكان منهم الأمير خشقدم الزمام الذى رتب أربعين طالباً وشيوخهم من المتصوفين بالجامع الأزهر، وكذلك الأمير فيروز الناصرى وغيرهما من الأمراء.

والحقيقة أن رجال الأزهر من المتصوفين قاموا بدور بارز، بجلد وصبر منقطع النظير فى الحفاظ على التراث الموجود الآن بالأزهر وغيره من مكتبات مصر والهند وتركيا، فإن السلطان سليم قد نقل من تراث الأزهر وملاً به مكتبات استنبول وغيرها.

ولقد عكف المتصوفون بالجامع الأزهر ليل نهار، يكتبون وينسخون المخططات التى كادت تلبو من القدم، وكذلك يبيضون بخطوط جميلة الأمالى التى أملاها عليهم شيوخهم فى الحلقات العلمية.

وفضل الصوفية فى الحفاظ على التراث الإسلامى، والتمسك بعقيدتهم ومبادئهم ومثلهم ووقوفهم فى وجه التيارات المعادية للوطن فى كل العصور،

وحبهم لطلابهم ومشايخهم وأزهرهم ومصرهم، بالإضافة إلى حب الله ورسوله وصحابته وآله والتابعين . . لا ينكره إلا مكابر .

١- قنبر بن عبد الله العجمي الشيزواري ثم القاهري الأزهرى الشافعى المتوفى سنة ٨٠١هـ - ١٣٩٨م مهر فى العلوم العقلية، تصدر بالأزهر مدة يدرس للطلبة بعد قدومه للديار المصرية قبيل سنة ٧٩٠هـ .

٢- محمد بن إبراهيم الشمسى بن عبد الله الشافعى المولود سنة ٧٤٧هـ مات سنة ٨١١هـ، قدم القاهرة فقطنها وأقبل على الزهد والعبادة، فكان لا يضع جنبه بالأرض بل يصلى بالليل ويتلو القرآن، فلإن نعى أغفى أغفاء، ثم يعود فيواصل الصلاة والقراءة .

٣- إبراهيم بن عمر الادكاوى الأزهرى المتوفى سنة ٨٣٤هـ .

ومن تلاميذ الادكاوى ومن لبسوا منه خرقة التصوف العلامة العاصفى شيخ رواق الريافة بالأزهر، والشمس السكندرى المولود سنة ٨١٨هـ مات، سنة ٩٠٦هـ، كما صحبه الإيناسى والشهاب اللامى المعروف بالصندلى مات سنة ٨٨٩هـ وغيرهم .

٤- الشيخ خليفة المغربى المعتقد نزىل جامع الأزهر الذى كان يزوره السلاطين بالجامع الأزهر .

٥- الشيخ سعيد المغربى المعتقد الصالح نزىل الجامع الأزهر جاور به عدة سنين . وله مريدون وللناس فى صلاحه اعتقاد كبير، زاره وزميله السابق السلطان برسباى .

٦- سليمان بن شعيب البحرى: تصدر لتدريس الفقه المالكى بالأزهر وغيره .

٧- محمد بن موسى اللقانى ولد سنة ٧٧٢هـ ومات بمنزله بالقرب من الأزهر سنة ٨٤٠هـ، ضبط الأسماء وقرأ الجوق وكان ذا صوت حسن .

٨- شمس الدين أبو عبد الله الغمرى ثم المحلى الشافعى قدم القاهرة فأقام بالجامع الأزهر فأخذ الفقه والفرائض والميقات وغيرها عن شيوخ الجامع، وكان يتكسب بالعطر حرفة أبيه .

٩- محمد بن عبد الله الرشيدى المولود بالقاهرة سنة ٧٦٧هـ كان قد درس بالأزهر وكان خطيباً كأسلافه ينشئ الخطبة المناسبة لمقام الحال، وبرع فيها حتى أن الناس كانوا يأتون لسماعه من أماكن بعيدة.

١٠- على بن عمر بن القاهرة الأزهرى الشافعى المولود سنة ٨٢٥هـ وانتقل منها إلى القاهرة سنة ٨٤١هـ فأقام ومات سنة ٨٩٠هـ بالجامع الأزهر.

وكان أحد من يلبسون الصوف، ونزل فى صوفية سعيد السعداء والبييرسيه وغيرهما، ثم آل أمره بالذهاب إلى الريف بنواحي المنصورة، فأقام ببعض الجوامع وانتفع الناس بعلمه وصلاحه.

١١- محمد بن موسى الشمس الفيومى ثم القاهرى الأزهرى الشافعى درس لبعض الطلبة، وكان خيراً ذا فضيلة.

١٢- حسن بن على حسن البدر السفطى الأزهرى الشافعى ممن تتلمذ على يد السخاوى.

١٣- عبد اللطيف بن عيسى بن الحصباء الأزهرى الشافعى، تكسب بالشهادة أولاً ثم أصبح قاضياً درس بالمدرسة الباسطية وغيرها.

١٤- ومن أئمة الصوفية: الشيخ الدردير رحمه الله.

بقى أن نذكر بعض أمراء المماليك درسوا بالأزهر وتأثروا بعلمائه وحملوا علم التصوف ومنهم الأمير الصوفى صاحب المبرات المقصود بالشفاعات «إينال» كان حنفياً جركسياً من ممالك «نوروز الحافظى» نائب الشام، تجرد «إينال» هذا فى أيام أستاذه، وجال فى بلاد الروم وغيرها بعد اشتغاله ودراسته بالجامع الأزهر ثم قدم القاهرة، واقتدى به تلميذه الصوفى الأمير «خجابردي» مات إينال سنة ٨٦٤هـ ودفن بزاوية خجابردي المذكور.

وهذا يؤيد ما قلناه سابقاً من أن أمراء المماليك، تأثروا بالتصوف فى هذا العصر الذى نؤرخ له، وكانت لهم بالأزهر وغيره خيرات ومبرات^(١).

(١) راجع مجلة التصوف الإسلامى ١٩٨٣. د. مجاهد توفيق الجندى.

الإمام السيوطي

الإمام جلال الدين السيوطي من أشهر علماء عصره (٨٤٩ - ٩١١هـ) الموافق (١٤٤٥ - ١٥٠٥م)؛ كان نادرة عصره، بقية السلف وعمدة الخلف كما يقول عنه معاصره «ابن إياس» في كتابه «بدائع الزهور» بل كان جلال الدين والدنيا ومعدن التدريس والفتيا، جمل الله به ملة الإسلام كما يقول الشهاب المنصوري الشاعر المعاصر له .

ولقد عاش السيوطي في أواخر عصر المماليك الذين إمتد نفوذهم في كل مكان، وقامت لمصر في أيامهم دولة عظمى وامبراطورية كبرى كان لها الرأي الفاصل في كل القضايا العالمية آنذاك، وامتدت هيبتهم من الهند إلى شواطئ المحيط الأطلسي، وشمل حكمهم ما بين برقة وصفاف الفرات وما بين قبرص إلى مجاهل أفريقيا، كما شمل اليمن والحجاز وسواحل المحيط الهندي، بل امتد إلى حدود الحبشة وجهات سواكن وجزائرها وحدث عن مجد المماليك ومصر بعد هزيمة الجيش المصري للتتار في عين جالوت عام ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م، ثم بعد إجلائهم الكامل للصليبيين من سواحل الشام عام ٦٩١هـ / ١٢٩٠م، بل حدث عن أثر نقل الخلافة العباسية إلى القاهرة عام ٦٥٩هـ / ١٢٦١م ولا حرج حتى قال السيوطي في كتابه «حسن المحاضرة»: «اعلم أن مصر حين صارت دار الخلافة عظم أمرها وصارت محل سكنى العلماء ومحط رحال الفضلاء» (٦٥/٢) حسن المحاضرة).

وكانت دولة آل عثمان بعد فتح القسطنطينية عام ٨٥٧هـ / ١٤٥٣م تتطلع وهي في آسيا الصغرى إلى هذا المجد الكبير وإلى مكانة مصر العالمية الكبرى بعين الحدث وتربص بامبراطوريتها ريب الأحداث.

وصارت حضارة مصر آنذاك مضرب الأمثال، فمفاتيح التجارة العالمية بين الشرق والغرب في يدى الشعب المصرى والأموال تتدفق عليه بلا حساب والرخاء والازدهار تبلغ القاهرة كل أحلامها منهما . . وكان سلطان المماليك يلقب بسلطان

البرين والبحرين أى البر المصرى والبر الشامى، والبحر الأبيض والبحر الأحمر. . وكان لقب قلاوون «ملك البرين والبحرين وصاحب القبلتين وخادم الحرمين الشريفين». وأحياناً كان يلقب بسلطان الشام واليمن ملك البحرين خدام الحرمين الشريفين صاحب القبلتين ملك الديار المصرية والجهات الحجازية والبلاد الشامية والأعمال الفراتية والديار البكرية. . بل لقد خطب للسلطان برقوق باسمه فى توريد من بلاد العجم وفى الموصل وماردين وسنجار وضربت النقود باسمه فى جميع هذه البقاع.

وكان عصر السيوطى عصر ازدهار الثقافة الإسلامية والعربية، وحدث عن جامعة مصر الكبرى الأزهر. ويقول المقرئى فى الزائر له يجد من الأئس بالله والارتياح ونزوع النفس ما لا يجد فى غيره. . ومع أن الممالك كانوا ينتمون إلى أصول غير عربية إلا أنهم بإقامتهم فى أرض العروبة اعتبروا أنفسهم عرباً، بل حماة للعرب حتى كان من ألقاب سلاطينهم «سيد ملوك العرب»^(١) وعدوا أنفسهم مصريين بما اكتسبوا من الروح المصرية لحياتهم الطويلة على ضفاف النيل قبل وبعد قيام دولتهم، ومع أن لغتهم الأولى كانت هى التركية المملوءة بألفاظ فارسية وعربية فإنهم كانوا يتعلمون العربية ويتقنونها حتى صار كبارهم وأمرؤهم بل جمهرتهم يتكلمون العربية الفصحى ويتخاطبون بها. . وكان السلطان الأشرف خليل يعقد المجالس الأدبية ويطارح الأدباء والشعراء مع معرفته بصناعة الإنشاء، واشتهر كذلك السلطان «جقمق» و«خشقدم» بفصاحة اللسان بالعربية الفصحى البليغة. . وكذلك جانى بك (٨٦٨هـ) وخاير بك (٨٨٧هـ) وحبيب العلائى الإينالى (٨٩٣هـ) وكذلك السلطان قانصوه الغورى حيث كان يجيد العربية، شديد الولع بعلومها وآدابها وله فيها مشاركة كبيرة، كما كان يتذوق الشعر وإلى ما شهر عنه من غرامه بقراءة السير والتواريخ، وله مجالس عرفت باسمه عنوانها «مجالس الغورى» وهى مناظرات كانت تجرى فى مجلسه.

وفى القاهرة كانت المدارس العلمية والخوانق (البيوت) الصوفية تنهض برسالة دينية وثقافية وعلمية كبرى وتعمل من أجل نشر الثقافة الإسلامية وحمايتها، ومن

(١) ابن إياس: بدائع الزهور ٣/ ١٢٩.

بينها: المدرسة الصالحية والكاملية والظاهرية والمنصورية والناصرية والمؤيدية والخانقاه البيبرسية والمدرسة الشيوخونية التي درس فيها السيوطي على شيخه البلقيني ومنحه فيها إجازة علمية عام ٨٦٤هـ / ١٤٦٠م ثم كان أستاذًا فيها ذاتها كذلك عام ٨٧٢هـ / ١٤٦٧م. وكان الأزهري يشد أزر هذه المدارس ويغذيها بالأساتذة الأعلام، فهو وجه مصر الروحي والفكري والحضاري، وهو أبرز معاهد العلم والدراسات الإسلامية والعربية في «دولة البرين والبحرين»، وإليه يفد طلاب العلم وشيوخه من مشارق الأرض ومغاربها للتعلم في دراسة علوم الدين والعربية، وفيه كانت تعقد مجالس الوعظ وحلقات التدريس، وقد أكسب مصر سمعة إسلامية عالمية، حتى صارت حاملة مشاعل الثقافة الإسلامية بعد بغداد التي صارت أطلالاً دارسة، فالأزهري هو الذي رفع المشاعل وأوقد المصابيح، وأضاء الدنيا وتصدر حلقاته العلمية الأئمة والأعلام من العلماء، أولى المناهج العلمية وقد عرفت طريقتهم باسم «الطريقة المصرية»^(١).

وعاصر السيوطي ثلاثة عشر من سلاطين المماليك الجراكسة، كما عاصر السيوطي كذلك أئمة كباراً من العلماء وبحسبك ابن حجر (٨٥٣هـ / ١٤٤٩م)، ولقد طلب والد السيوطي منه أن يدعو لابنه بالبركة والتوفيق، وكان السيوطي يرى في هذا العالم المصري العظيم مصدر إشعاع روحى له، وكذلك الإمام العيني (٨٥٥ / ١٤٥١م) والقسطلاني (٩٢٣هـ / ١٥١٧م) والسخاوي (٩٠٢هـ / ١٤٩٧م) والمقرئزي وابن إياس وغيرهم من أعلام عصره.

ولقد صار السيوطي واحداً من بينهم وعلمًا من كبار علمائهم، واحتل مركز الصدارة في القاهرة في عصره، وصار في مقدمة الذين أثروا الثقافة الإسلامية العربية ورفعوا من شأنها وأحلوها مكاناً عالياً ومنزلة شاهقة تبوأها من ذلك الحين حتى يومنا هذا، فهو أحد الذين قادوا مواكب الثقافة الإسلامية في عصره بشخصيته الإسلامية الجليلة وبموسوعيته العلمية التي ليس لها نظير في تاريخ العقل العربي في عصر نهايات دولة المماليك.

(١) ابن خلدون: المقدمة ٤٤٢.

ولد جلال الدين عبد الرحمن السيوطي في القاهرة أول رجب عام ٨٤٩هـ الثالث من أكتوبر عام ١٤٤٥م في منزل والده بالروضة. وهو من أسرة بغدادية الأصل استقر بها المقام في أسيوط قبل ميلاد السيوطي بعدة قرون، وذلك منذ عصر الدولة الأيوبية واشتهر منها العلماء والعديد من الرجال، وكان والده كمال الدين أبو بكر السيوطي (المولود بعد عام ٨٠٠هـ والمتوفى في صفر عام ٨٥٥هـ) من أجلة العلماء وقد نزح من أسيوط إلى القاهرة قبل ميلاد ابنه بأربعة وعشرين عامًا، وانقطع لطلب العلم في الأزهر وغيره ثم للتعليم والإفادة وتدرّس الفقه في الجامع الشيعوني وللخطابة في الجامع الطولوني، وكان بيته بجزيرة الروضة مقصد الطلاب والعلماء، وكان الخليفة المستكفي بالله يجله ويعظمه، ولعل عطف الخلفاء العباسيين عليه مما يؤيد أصله البغدادي.

وتوفى والد جلال الدين وهو طفل صغير في السادسة من عمره فكفل الابن الصغير عبد الرحمن صديق لوالده وزميل له في المدرسة الشيعونية وهو كمال الدين بن الهمام الحنفى (٨٦١هـ) الذي أخذ يتعهد ويرعى شئونه، وكان ابن الهمام محققًا جدليًا ولى مشيخة المدرسة الشيعونية وله كتب مشهورة في الفقه وفي الأصول منها كتابه فتح القدير وشرح الهداية.

وظهرت على الابن الصغير مخايل النبوغ والذكاء وقوة الحافظة حتى لقد حفظ القرآن الكريم وهو دون الثمانية من عمره، وحفظ فنون العلوم الإسلامية والعربية وهو دون الخامسة عشرة، وأقبل عبد الرحمن السيوطي على حضور دروس مشايخ عصره وتلقى العلم على أيدي علماء عصره منذ مستهل عام ٨٦٤هـ وهو في الخامسة عشرة، وكان من بين هؤلاء الأساتذة:

١- شيخ الإسلام البلقيني (٧٩١هـ / ٨٦٨هـ) إمام العلماء في المائة الثامنة وهو من أساتذته في الفقه، وهو الذي أجازته بالتدرّس والإفتاء وكان التصدير الذي ألقاه لما باشر التدريس بجامع شيخون يحضره أستاذه البلقيني هو الكلام على أول سورة الفتح، كما كان الكلام على حديث ابن عباس، «احفظ الله يحفظك» هو التصدير الذي ألقاه لما ولى درس الحديث بالشيخونية، ولما مات البلقيني لازم عبد الرحمن السيوطي ولده عليا حتى توفى أيضًا بعد وفاة والده العظيم بقليل.

- ٢- شهاب الدين الشارماصي، الذي أخذ عنه الفرائض.
 - ٣- شيخ الإسلام شرف الدين المناوي (٧٩٨ - ٨٧١هـ) الذي تتلمذ عليه في الفقه ولما مات رثاه السيوطي بشعر له.
 - ٤- محيي الدين الكافيجي (٧٨٨ - ٨٧٩هـ) وقد تلقى على يديه التفسير والأصول والمعاني العربية ولزمه أربع عشرة سنة.
 - ٥- تقي الدين الشبلي الحنفي؛ وكان أستاذه في علوم العربية.
 - ٦- سيف الدين الحنفي: وهو أستاذه في البلاغة.
 - ٧- ابن الهمام (٨٦١هـ).
 - ٨- تقي الدين الشمني (٨٠١ - ٨٧١هـ): وهو أستاذه في التفسير والحديث وفي العربية وقد لازمه أربع سنين ولما مات الشمني رثاه السيوطي بقصيدة طويلة من شعره.
- وغير هؤلاء، وهم كثير وذكر السيوطي أن شيوخه الذين أخذ عنهم نحو المائة والخمسين. وقد ترجم لهم في معجم خاص - وواصل السيوطي مسيرته العلمية حتى تفقه في علوم عصره وألف أول كتبه وهو في الخامسة عشرة وهو تفسير للاستعاذة والبسملة وذلك عام ٨٦٤هـ وهو دليل على طموح علمي كبير وهذا النهم العلمي الذي لا يقف عند غاية هو أحد معالم شخصية عالما الكبير حتى لقد أجاز بتدريس العربية وهو في الخامسة عشرة، وروى عنه علماء عصره الحديث وهو في الثانية والعشرين من عمره، وذلك عام ٨٧١هـ وأجاز بتدريس الفقه وبالفتيا وهو في السابعة والعشرين من سني حياته المباركة، وكان أول درس ألقاه في الأزهر الشريف في تفسير سورة الفاتحة.
- لقد أحب السيوطي الكتاب منذ صغره، وكان يرى في الإمامين البلقيني وابن حجر مثله الأعلى فدعا الله وهو يشرب من ماء زمزم أن يجعله في الفقه مثل البلقيني وفي الحديث مثل ابن حجر، وكان والده قد ترك له مكتبة كبيرة زاخرة بالمخطوطات، فكان يطالع فيها فوق تردده على مكتبة المدرسة المحمودية الحافلة بمختلف المؤلفات في شتى الفنون والعلوم، وكانت من أنفس خزائن الكتب

بالقاهرة وبها نحو أربعة آلاف مجلد، وقد قام ابن حجر بفهرستها ثم تلاه السيوطى فكتب فهرس لها جمعها فى كتاب سماه «بذل المجهود فى خزنة محمود» وأخذ السيوطى يبحث عن خزائن الكتب المختلفة ويطلع فيها، ثم أخذ يطوف فى أنحاء مصر يلقي العلماء ويحادثهم ويأخذ عنهم ويأخذون عنه، وبعد أن كان يتولى تدريس الفقه بالجامع الشيوخونى خلفا لوالده صار يتولى منصب المشيخة فى المدرسة الشيوخونية وهو المنصب الذى كان يشغله أبوه من قبل، كما شغله أيضًا أستاذه الكحال بن الهمام (٨٦١هـ) وتصدى للإفتاء واملأ الحديث بالجامع الطولونى ودرس الحديث بالخانقاه الشيوخونية وتولى مشيخة الصوفية بمدفن برقوق الناصرى، ثم تولى مشيخة المدرسة البيبرسية وهى أكبر خوانق (بيوت الصوفية) بالقاهرة وبيوتها الصوفية وأكثرها أوقافا فى عصره^(١)، ثم نجاه عنها السلطان محمد بن قايتباى^(٢) وكان آنذاك فى الأربعين من عمره، فاعتزل الناس وزهد فى الدنيا، وعكف على التأليف طيلة عشرين عامًا فى منزله بالروضة، ورفض أن يستقبل أحداً، من زائريه ومريديه حتى لقد أغلق نوافذ منزله بالروضة، المظلة على النيل، وكتب فى ذلك رسالة سماها، «تأخير الظلّامة إلى يوم القيامة».

ولما تولى «طومان باى» الحكم خاف السيوطى أن يضطهده، فاختفى حتى توفى هذا السلطان، ولحسن الحظ لم يمكث هذا السلطان فى الحكم إلا شهوراً قلائل عاد السيوطى بعدها إلى منزله فى الروضة، وكان قد تولى حكم مصر السلطان قانصوه الغورى، وقد عرض هذا السلطان عليه العودة إلى المشيخة فى المدرسة البيبرسية فاعتذر وأثر العزلة عن الناس.

حج السيوطى عام ٨٨٧هـ ١٤٨٢م، وجاور فى مكة المكرمة عامًا كاملاً^(٣) وطاف فى أنحاء العالم الإسلامى دارسًا ومدرسًا وموجهًا، فرحل إلى الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب وبلاد التكرور، وتصدر مجالس العلم والعلماء فى الأزهر وفى غير الأزهر من أمهات المدارس الإسلامية حتى غدا علم الأعلام ورائدًا عظيمًا من رواد الثقافة الإسلامية.

(٢) السيوطى: طبقات المفسرين: ٢٦.

(١) ابن العماد: شذرات الذهب: ٨ / ٥٢.

(٣) السخاوى: الضوء اللامع: ٤ / ٦٥.

وبعد عمر غير طويل وعن اثنين وستين عامًا هجريًا أو ستين عامًا ميلاديًا توفي الإمام جلال الدين السيوطي في التاسع عشر من جمادى الأولى عام ٩١١هـ التاسع عشر من أكتوبر سنة ١٥٠٥هـ، وقال فيه تلميذه عبد الباسط بن خليل الحنفى (٩٢٠هـ):

مات جلال الدين غيث الورى مجتهد العصر، أمام الوجود

كانت الثقافة الإسلامية قد أصيبت بنكبات كبيرة في بغداد على أيدي التتار وفي الأندلس على أيدي الأسبان المتعصبين، وسلمت مصر بانتصارها على التتار في عين جالوت فسلمت لها مجالس العلم ومدارسه وجامعته الكبرى الأزهر وسلمت خزائن الكتب في القاهرة، وبقيت حلقات الثقافة وأنديتها لم يمسه سوء، وظلت القاهرة ترسل أشعتها إلى كل مكان، وتوالى أداء رسالتها في خدمة الثقافة الإسلامية، ووفد عليها العلماء والأدباء والشعراء من كل مكان.

وقد شمر علماء مصر عن ساعد الجدد لتعويض ما بدد من التراث الإسلامى في بغداد والأندلس وصقلية وغيرها، فألفوا الكتب وصنفوا الموسوعات وكتبوا في كل العلوم والفنون، وجمعوا ما وصلهم من روايات ومأثورات من مختلف المصادر، ورأوا أن هذه المهمة هي فريضة إسلامية كبيرة ألقيت على كاهلهم، فنهضوا بها وقاموا بأدائها خير قيام، فرأينا المؤلفات الضخمة من مثل: صبح الأعشى ونهاية الأرب والنجوم الزاهرة وفتح البارى وبدائع الزهور والدر المنثور وغيرها من أمهات الكتب التى خلفها لنا أمثال: القلقشندي والنويري وابن تغرى برنى والمقريزى وابن حجر وابن إياس والسخاوى والقسطلانى والعينى والدامينى والشمى وابن الكمال والسبكى وابن فضل الله العمرى والدميرى والأسنوى والمناوى والبلقينى والشعرانى وغيرهم... وكذلك فعل السيوطى بل لقد فاقهم جميعاً في عظمة التحصيل وغزارة التأليف وروعة التحقيق، وظلت القاهرة تتصدر عواصم العالم الإسلامى حضارياً وثقافياً، وظلت أنديتها العلمية والأدبية حافلة بالعلم والعلماء والطلاب.

لقد عكف السيوطى على الكتاب والكتابة والتأليف طيلة حياته فأثرى المكتبة العربية بنفائس المؤلفات وبذخائر المصنفات مما شهد لها المحققون وأقروا لصاحبها

بطول الباع وسعة الإطلاع وبوفرة المحصول وموسوعية المعرفة وبغزارة العلم والرواية وبالوقوف على مختلف مصادر البحث والإحاطة بكل ما تشمل عليه خزائن الكتب فى القاهرة وغيرها . . . وذهل الناس لما رأوا من باهر تحصيله ومن وقوفه على دقائق العلوم وحقائق المعرفة وخفايا المخطوطات .

ويقول السيوطى عن نفسه: «لقد رزقت التبحر فى سبعة علوم هى التفسير والحديث والفقه والنحو والمعانى والبيان والبديع على طريقة العرب البلغاء لا على طريقة العجم وأهل الفلسفة، والذي اعتقده أن الذى وصلت إليه من هذه العلوم السبعة سوى الفقه والفتيا التى اطلعت عليها فيها لم يصل إليه ولا وقف عليه أحد من أشياخى، فضلاً عما هو دونهم»، وهو فى كتابه حسن المحاضرة يذكر أن مؤلفاته آنذاك بلغت ثلاثمائة، ويذكر ابن إياس أنها فى جملتها تبلغ ستمائة، ويذكر بروكلمان أنها أكثر من أربعمائة^(١) وأحصى له المستشرق فلو كل ٥٦١ مؤلفاً، وقد تكون بعض كتبه وريقات قليلات، ككتابه «المتوكلى» مثلاً، وقد تكون أجزاء كثيرة مثل: الدر المنثور والجامع الكبير وغيرهما، وقد جمع السيوطى فى كتابه «الحاوى للفتاوى» الذى يقع فى نحو ألف صفحة ثمانية وسبعين مؤلفاً منفرداً أغلبها من الفتاوى والبحوث المنفردة^(٢) وجمع فى كتابه «النقابة» أربعة عشر علماً، هى: التفسير والحديث وأصول الدين والمعانى والبيان والبديع والتشريع والخط والصرف والنحو والفرائض وأصول الفقه والتصوف والطب . . . وله شرح عليه .

وليس فى العالم من بلغ ما بلغه السيوطى فى كثرة المؤلفات سوى رامون لول الأسبانى وأحد كتاب العصور الوسطى الذى بلغت مؤلفاته نحو الخمسمائة^(٣) ويقول الداودى تلميذ السيوطى (٩٤٥هـ) الشافعى المصرى العلامة المحدث فى انبهار بعظمة شيخه: كان السيوطى فى سرعة الكتابة آية كبرى من آيات الله . . . وهكذا كان جلال الدين السيوطى أرفع علماء عصره همة وأعظمهم نشاطاً وأكثرهم تأليفاً وأغزرهم مادة .

(١) بروكلمان: تاريخ الأدب العربى: ٢ / ١٤٥ .

(٢) الحاوى: ٩٩ / ١ - ١٤٦ .

(٣) د. محمد مصطفى زيادة: المؤرخون ٦٠ .

وعلى ما سبق نقول إن السيوطي كان أغزر علماء العربية قاطبة تصنيفاً حتى لقد ضرب به المثل على طول العصور في غزارة التأليف، ومن أجل ذلك لقب بابن الكتاب وبصديق الكتب والكتاب.

وكان التأليف عند جلال الدين هواية وفنا تبحر فيه حتى لقد اتخذ منه سلاحاً يدافع به عن نفسه ضد مخالفيه في الرأي من منافسيه وخصومه والحاقدين عليه، يقول: خالفني أهل عصرى في خمسين مسألة فآلفت في كل مسألة مؤلفاً بينت فيه وجه الحق^(١).

واختصر السيوطي الكثير من نفائس كتب التراث حتى لنجد من كتبه:

- ١- مختصر الأحكام للماوردي.
- ٢- مختصر الروضة في الفقه.
- ٣- مختصر التنبيه في الفقه.
- ٤- مختصر الأحياء للغزالي.
- ٥- مختصر معجم البلدان لياقوت الحموي.
- ٦- مختصر تهذيب الأسماء للتواوي.
- ٧- مختصر تاريخ ابن عساكر: سماه تحفة المذاكر في المنتقى من تاريخ ابن عساكر.
- ٨- وله كتاب سماه «ديوان الحيوان» وهو خلاصة لكتاب حياة الحيوان للدميري، (ت ٨٠٨هـ).
- وألف مئات الكتب في شتى الفنون والعلوم، فمنها في التفسير: الدر المنثور - لباب النقول في أسباب النزول تكملة تفسير الجلالين الذي كتب نصفه الأخير الجلال المحلي (٧٩١هـ - ٨٦٤هـ) وكتب هو نصفه الأول - الاتقان - وغير ذلك وللسيوطي الباع الطويل في التفسير بالمأثور.

(١) ٢ / ٢٨١ بدائع الزهور لابن أبياس.

وتبلغ مؤلفاته فى الحديث أكثر من مائة وستين كتاباً من أشهرها الجامع الكبير - والجامع الصغير، ويقول السيوطى عن نفسه: ليس على وجه الأرض من مشرقها إلى مغربها من هو أعلم بالحديث والعربية منى^(١).

وله فى الفقه عشرات المؤلفات ومنها: جمع الجوامع وكتاب الجامع فى الفرائض، وكتاب «أدب الفتيا».

وفى علوم العربية: كان له القدر المعلى وله فضل سبق فى ابتكار علم أصول اللغة والنحو وكان يعد من كبار المصنفين فى العربية. ويقول عن علم أصول اللغة: هو علم اخترعته لم أسبق إليه، لم يسبقنى إليه ولا طرق سبيله طارق، ومن أجل ما كتب فى هذا المجال: شرح ألفية ابن مالك، الفتح القريب على «مغنى اللبيب»، الاقتراح فى أصول النحو، الأشباه والنظائر والمزهر.

وفى علوم البلاغة: ألف الكثير من الكتب ومن بينها: عقود الجمان فى المعانى والبيان.

وفى الأدب له عشرات الكتب: من بينها: ديوان خطب - ديوان شعر - المقامات - دُرر الكلم وغرر الحكم - شرح بانث سعاد - فصل الشتاء... إلخ.

وفى أدب الرحلات نجد له الرحلة المكية - الرحلة الدمياطية - الرحلة الفيومية.

وفى التاريخ: نجده فى مقدمة مؤرخى عصره، وله فى هذا المضمون كتب كثيرة منها: تاريخ الخلفاء - حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة - تاريخ السلطان الأشرف قايتباى - تاريخ أسيوط - تاريخ الصحابة. وغير ذلك مما يدل على منهجه التاريخى الذى بلغ فيه وبه غاية التحقيق، وله كتاب فى تاريخ جامع عمر وآخر فى تاريخ جامع ابن طولون.

وفى التراجم: نجد له كتباً كثيرة منها:

١ - طبقات النحويين واللغويين: الكبرى وهى مفقودة، والوسطى طبعت فى باريس، والصغرى هى التى طبعت بعنوان «بغية الوعاة».

(١) تدريب الراوى - المقدمة.

- ٢- طبقات الكتاب .
- ٣- طبقات شعراء العرب .
- ٤- طبقات المفسرين .
- ٥- طبقات الحفاظ .
- ٦- طبقات الأصوليين .
- ٧- طبقات الشافعية . وغير ذلك . .

لقد انتشرت مؤلفات السيوطي في العالم الإسلامي كافة وأقبل عليها الطلاب والدارسون والعلماء بشوق ولذة وأذن السيوطي في حياته لتلميذه الداودي بروايتها وقرئت في بلاد الشام والحجاز واليمن والروم والعجم والحبشة والمغرب وبلاد التكرور وامتدت إلى البحر المحيط . . وبالمثل سارت فتاواه وعلومه في سائر الأقطار مسير الشمس، ورزق من القبول من علماء عصره ما لم يرزقه أحد سواه . .

وقد كان لمكانته العلمية والأدبية ولأسلوبه السهل الممتنع ولتحقيقاته الفريدة ولاحاطته الواسعة بشتى المصادر ومختلف المذاهب والآراء ولشخصيته الحرة الشجاعة التي لا تتملق حاكمًا ولا تنزلف لكبير، كان لذلك كله أثره في عموم النفع بعلمه وكتبه إذ كان الشعب يرى فيه صورة الأمين على الشريعة، والشجاع في قول كلمة الحق والنزيه في أحكامه وفتاواه .

كان السيوطي مخلصًا للعلم وحده صادقًا فيه مع نفسه بعيدًا عن الملق والتزلف والرياء وحب الدنيا والرياسة والجاه، شديد المراقبة لله عز وجل، وإن غضب عليه الحكام والسلاطين، وكم لاقى في سبيل جراته وشجاعته ورأية الحر الكثير من العنف .

أرسل إليه السلطان الغوري غلامًا وألف دينار، فرد الدينانير وأخذ الغلام وأعتقه، وقال لرسول السلطان: لا تعد تأتينا بهدية فإن الله أغنانا عن مثل ذلك .

وكان الأمراء يزورونه ويعرضون عليه هداياهم وهباتهم فيردها^(١) وقد عرض عليه الغوري رئاسة مشيخة مدرسته بأول الغورية، فرفض وقبل البقاء في عزلته . . .

* ولم يكن يكثرث لغضب الأمراء والسلاطين، وكان الحريص على إقامة الحدود وتطبيق الأحكام الشرعية مهما كلفه ذلك من عنت.

* رفض جلال الدين الذهاب مع العلماء لتهنئة السلطان بالشفاء من مرض ألم به وألف فى ذلك كتابه «رواية الأساطين فى عدم المجيء إلى السلاطين».

* ذهب ذات مرة لمقابلة قايتباى فى مظلمة لإنسان وعلى رأسه الطيلسان مما خالف فيه التقاليد المرعية آنذاك ومما أخذ عليه عند السلطان فرد على ذلك بكتابه «الأحاديث الحسان فى فضل الطيلسان».

* وحين عزل عن مشيخة البيروية كتب كتاباً عنوانه «التنفيس فى ترك الفتيا والتدريس».

وكان من أجل تلاميذ جلال الدين: الداودى (٩٤٥هـ) والشامى المحدث الحافظ (٩٤٢هـ) وابن طولون الدمشقى المحدث (٨٨٠ - ٩٥٣هـ) وسواهم.

وكان السيوطى كثيراً ما ينوه فى كتبه بنفسه وبمؤلفاته وبآرائه فيها حتى لنقرأ فى آخر حاشيته على المغنى: فقد أودعتها من الفوائد والفرائد والغرائب والزوائد ما لو رامه غيرى لم يكن له إلى ذلك سبيل.

وفى آخر كتابه «بغية الوعاة» يقول عن الكتاب: الجامع من كل شريدة ووريدة العجب العجائب. وكذلك كان فى كل كتبه يقول فى أنواع البديع: قررت فيها بضعة عشر نوعاً من الأنواع البديعية، ثم وقع لى التأمل فيها بعد ذلك، ففتح الله بزيادة على ذلك حتى جاوزت الأربعين، ثم قدحت الفكر إلى أن وصلت بحمد الله مائة وعشرين نوعاً. وقد استخرج السيوطى هذه الأنواع كلها من الآية الشريفة ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧] إلى آخر هذه الآية الكريمة. ومن الأنواع التى ابتكرها ما سماه بالتأسيس والتفريع وما سماه بالانسجام^(١) أو بالمتخل أو بحسن الطلب^(٢) إلى غير ذلك..

وقد دفعت المنافسة إلى إعلان الخصومة بينه وبين السخاوى الذى اتهمه بعدم الأمانة العلمية فيما يكتب، فكتب السيوطى فى الرد عليه كتابه المشهور «الكاوى

(١، ٢) بغية الوعاة للسيوطى ٤٦٠، ١٥٥.

فى تاريخ السخاوى» كما عرض باقى كتب له.. والسيوطى بخاصة من أكثر العلماء التزاماً بالأمانة العلمية حتى لنراه يذكر فى مقدمات كتبه دائماً المصادر التى رجع إليها وأخذ منها فى حرص تام على الأمانة العلمية فى كل ما يكتبه.

يذكر فى كتابه المزهري^(١) باباً جعل عنوانه «عزو العلم إلى قائله» ويقول فيه: لا ترانى أذكر فى شيء من تصانيفى حرفاً إلا معزوا لقائله.

ومما يذكر السيوطى فى مقدمات كتبه من المصادر نجده قد أطلق على كثير من المخطوطات التى لم يطلع عليها الكثير من علماء عصره.. ويحق لقد كان مفخرة من مفاخر العالم الإسلامى الثقافية وسيظل أثره وتراثه خالدين على الأيام.

والسيوطى كان يرى فى نفسه أنه المبعوث على رأس القرن التاسع الهجرى ليجدد للأمة الإسلامية دينها، مصداقاً للحديث الشريف «إن الله يبعث على رأس كل مائة سنة لهذه الأمة من يجدد لها دينها».

ويقول السيوطى: ومن اللطائف أن المبعوثين على رأس أكثر القرون مصريون: عمر بن عبد العزيز^(٢) فى المائة الأولى والشافعى فى الثانية، وابن دقيق العيد فى السابعة والبلقىنى فى الثامنة وعسى أن يكون المبعوث على رأس المائة التاسعة من أهل مصر^(٣) وهو يعنى بذلك نفسه.

وكان السيوطى كثير الاجتهاد فى عصره، وكان يرى أن الاجتهاد فرض كفاية مفروض على العلماء أو خاصتهم، وألف فى ضرورة الاجتهاد كتاباً سماه «من أخلد إلى الأرض وجهل أن الاجتهاد فى كل عصر فرض» وقد تحدث فى هذا الكتاب عن الاجتهاد وضرورته فى كل عصر لأنه فرض من فروض الكفاية وواجب على أهل كل عصر أن يقوم طائفة فى كل قطر منهم، ويحتوى هذا الكتاب على أربعة أبواب:

الأول: فى نصوص العلماء على أن الاجتهاد فى كل عصر فرض من فروض الكفاية.

(١) ٣١٩/٢ - المزهري للسيوطى: تحقيق جاد المولى وآخرين.

(٢) كان أبوه عبد العزيز بن مروان أميراً على مصر فى عهد الخليفة عبد الملك بن مروان وقد نشأ عمر بن عبد العزيز طفولته الأولى فى مصر.

(٣) ١/ ١٣٥ - حسن المحاضرة.

الثاني: في نصوص العلماء على أن الدهر لا يخلو من مجتهد، وأنه لا يجوز عقلا خلو العصر منه .

الثالث: في ذكر من حث على الاجتهاد وأمر به ، وذم التقليد ونهى عنه . .

الرابع: في فرائد الاجتهاد .

وهو في هذا الكتاب يقف مع العصر ومع العقل وينأى عن التقليد والمقلدين .

كملت عند السيوطي أدوات الاجتهاد على ما اشترطه الأصوليون فكان عالماً بآيات الأحكام وأحاديث الأحكام وشروط القياس ومعرفة مواقع الاجماع، غير أنه لم يجتهد بالفعل إلا اجتهاد المذهب بالترجيح على مذهب الإمام الشافعي^(١) .

ويقول السيوطي: «اجتمع عندي -بحمد الله- الحديث والفقه والأصول وسائر الآلات من العربية، فأنا كيف أتكلم وكيف أستدل وكيف أرجح^(٢)» .

ويقول: وقد كملت عندي أدوات الاجتهاد -بحمد الله- ولو شئت أن أكتب في كل مسألة تصنيفاً بأقوالها وأدلتها العقلية والقياسية ومداركها ونقوضها وأجوبتها والمقارنة بين اختلاف المذاهب فيها لقدرت على ذلك^(٣) .

ويقول: وقد كملت عندي الآن آلات الاجتهاد وبحمد الله تعالى أقول ذلك تحدثاً بنعمة الله عز وجل^(٤) .

وبعقلية المجتهد أثرى السيوطي العلم وأثرى التراث الإسلامى وأثرى الثقافة الإسلامية .



وهكذا نرى شخصية الإمام السيوطي الجليلة في كل شيء شخصية جعلت منه أعظم رواد الثقافة الإسلامية في القرن التاسع الهجري، وهي شخصية العالم العامل من أجل وطنه وعروبه ودينه، شخصية المعتر بنفسه وكرامته .

(١) مقدمة كتاب تدريب الراوي: تحقيق د. عبد الوهاب عبد اللطيف .

(٢) الكاوي في تاريخ السخاوي .

(٣) ٢ / ٢٤٨ - الحاوي للسيوطي .

(٤) ١ / ١٤١ - حسن المحاضرة .

شخصية المجتهد ما شاء له الاجتهاد.. المخلص للعلم اخلاصاً شديداً.. الصادق كل الصدق.. الكاره للنفاق والزلفى والرياء والملق للحكام.. المتعفف الزاهد فى المال لا يقبل شيئاً منه وأن أتاه من حاكم أو أمير أو غنى.. شخصية العالم المفكر والفقيه الأصيل والأديب البليغ صاحب الأسلوب البارع الجميل والمضامين الإنسانية الرفيعة مما نجده فى رسائله وشعره وفى مقدمات كتبه وفى مقاماته وعلى الأخص مقامته اللؤلؤية التى ذكر فيها أسباب تركه للتدريس.

وهكذا تصدر السيوطى مواكب العلماء فى عصره حتى كان ظاهرة فكرية فريدة فى تاريخنا العلمى والثقافى الطويل.

كتبه المطبوعة والمخطوطة فى كل مكتبات العالم وفى مكتبة الأزهر الكثير من مؤلفاته المخطوطة، وفى مكتبة جامعة الرياض أكثر من سبعين مخطوطة له، وقد صدر بها فهرست خاص.. الدراسات عنه تنمو على مدى الأيام وكتبت عنه رسائل جامعية كثيرة.

فليس بعجيب أن يصبح السيوطى فى عصره، وبعد عصره رائداً للثقافة الإسلامية الخالدة، وأن يكون فى عصره كالجاحظ فى عصره كلاهما بعد عن حياة الوظائف والمناصب وكلاهما كان ممثلاً لشعبه ولعصره ولحياته نفسها، وكلاهما تصدر زعامة الثقافة الإسلامية العربية فى أيامه.

أضاف السيوطى إلى سجل تراثنا الخالد من الثقافة الإسلامية حتى عصره إضافات كثيرة فى كتبه مما جعل العالم الإسلامى كله يتطلع إليه بكل حب وتقدير وإكبار.

لقد أكسب السيوطى العالم الإسلامى أولاً ووطنه مصر ثانياً مجداً كبيراً خالداً على مرور الأيام.. رحمه الله وأجزل مثوبته.



شمس الدين الحنفى

جامع الحنفى مسجد كبير معروف فى القاهرة وشمس الدين شخصية جليلة من أعلام علماء الأزهر فى القرن التاسع الهجرى .

نشأ شمس الدين يتيمًا من أمه وأبيه وربته خالته . وحفظ القرآن الكريم وكان ابن حجر رفيقه فى الكتاب ثم اعتزل الناس للعبادة والاطلاع سبع سنوات وخرج من عزلته وهو أعلى كعبًا فى علوم الدين ، وتعلم فى الأزهر الشريف وصار من أنبه طلابه وأكرم خريجه .

وكان لا يترك حاكمًا إلا نصحه وأخذ بحق المظلومين منه .

وكان السلطان فرج بن برقوق (٨٠١ - ٨١٥ هـ) من سلاطين المماليك بعد وقفه لزحف تيمورلنك الكبير على الشام قد أخذ يظلم الرعية ويجور فى حكمها فكان الإمام شمس الدين الحنفى يعارضه ويندب به ويعنف فى نصحه ويغلظ له القول وقال فرج للشيخ يومًا بعد أن سمع منه ما ألمه : المملكة لى أم لك فقال الشيخ : إنها ليست لى ولا لك إنها لله الواحد القهار . وقام الشيخ متغيرًا نائثرًا فمرض فرج وعجز الأطباء عن علاجه فطلب السلطان الشيخ ليدعو له بالشفاء . وأرسل خلفه الأمراء فوجده بنواحي المطرية خارج القاهرة فطلبوا منه العودة معهم تنفيذًا لأمر السلطان ، فأبى فأخذوا يتلطفون بالشيخ حتى قام فصلى وأخذ يدعو للسلطان وقال لهم : قد برىء .

ويقول العيني فى تاريخه الكبير : « ما سمعنا أحدًا من الشيوخ أعطى من العز والرفعة والكلمة النافذة والشفاعة المقبولة عند الملوك والأمراء وأرباب الدولة والوزراء مثلما أعطى الشيخ ، وحسبك أنه لم يقم من مجلسه لأحد من الملوك والأمراء قط ، ولا من القضاة الأربع وغيرهم » .

وكان السلطان بحق يكره شمس الدين ، ومع ذلك كان يقضى للشيخ كل حاجاته وشفاعاته فى الناس ويقول لحاشيته : كلما أقول لا أقبل لهذا الشيخ شفاعته لا أستطيع بل أقبل شفاعته وذهب الملك « المؤيد » للشيخ ليزوره فى زاويته فوجد الشيخ فوق سطح الزاوية فأخبروا الشيخ بقدوم السلطان ، فقال لهم : قولوا له إن مما يرضينى عن السلطان أن يكف عن ظلم أحد .

وبعث الأمير للشيخ بأموال فوزعها شمس الدين كلها على الفقراء، وبلغ ذلك الأمير فجاء للشيخ وقبل يده، وكان «ططر» يذهب إلى شمس الدين ويخدمه في جملة أتباعه وخدمه، فلما تولى ططر الملك ظل يذهب للشيخ كعادته والشيخ يقول له: إنك صرت سلطاناً والزم القلعة فقال له السلطان: لا أستطيع.

وكان «برسبای» يوقر الشيخ ويجله ويقضى له جميع حاجاته وشفاعاته. وهكذا عاش شمس الدين العالم الأزهرى معظماً موقراً في قلوب الشعب والحكام حتى توفي إلى رحمة الله عام ٨٤٧هـ.

شهاب الدين السنباطى

كان لانتصار مصر فى موقعة عين جالوت ٦٥٨هـ - ١٢٦٠م وهزيمتها للتتار، دوى كبير فى أنحاء العالم الإسلامى، وامتدت امبراطورية مصر امتداداً لم تصل إليه من قبل ولا من بعد.. ولكن مصر فوجئت بالغزو العثمانى لها.. فتوقفت حركة التاريخ وعادت مصر دولة تابعة لاستامبول وكان ذلك أعظم محنة امتحن بها الشعب المصرى على طول عصور التاريخ.. ولكن مقاومة الشعب المصرى وعلماء الأزهر للطغاة لم تسكت فى يوم من الأيام.. وكان مظهر هذه المقاومة هو الشيخ الأزهرى الخالد شهاب الدين أحمد بن عبد الحق السنباطى.

كان عالماً جليلاً وإماماً عظيماً ومصرياً كريماً وكان واعظاً فى الجامع الأزهر، ويذكر أمين سامى عنه إنه كان شيخ الجامع الأزهر - تقويم النيل ١٦/٢ - وقال الشعرانى عنه لم نر أحداً من الوعاظ أقبل عليه الخلائق مثله.

كان السنباطى ملاذاً للشعب المصرى المغلوب على أمره، وكان يهدد الوالى التركى باعلان الثورة عليه كلما تحزبت الأمور واشتهر ظلم الأتراك للشعب وكان القضاة الأربعة الذين ولاهم سليم على مصر عام ٩٢٣هـ لا يستطيعون مجابهة الوالى التركى بشىء فكان السنباطى يحذر الحاكمين المستبدين من ثورة الشعب ويهدد الوالى إن لم يستمع له.

وكان السنباطى يلقب بشيخ الإسلام وهو لقب كان يطلق قبل الفتح العثمانى لمصر على قاضى القضاة الشافعى وكان آخر من لقب به من علماء الأزهر قاضى

القضاة شهاب الدين أحمد بن عبد العزيز (٩٤٩هـ - ١٥٤٢م) فلما ألغى الأتراك نظام القضاء المصرى وأقاموا فى رئاسة القضاء قاضياً تركياً، أصبح هذا اللقب يطلق على ما ترجع على شيوخ الأزهر وعلى الرغم مما يذهب إليه كثير من المؤرخين من أن الشيخ الخراشى المالكى (١١٠١هـ) هو أول شيخ للأزهر فلإننى أرجح أن السنباطى كان هو أول شيخ عرفه التاريخ للأزهر الشريف وبذلك يكون منصب شيخ الأزهر راجعاً إلى أواسط القرن العاشر.

وفى شعبان عام ٩٥٠هـ / ١٥٤٣م كان والى مصر وهو داود باشا الذى تولى حكمها قبل ذلك بخمس سنوات وكان داود ظالماً متكبراً متعسفاً وكان الشعب يئن من مظالم الأتراك ويتحمل كل ذلك بجلد وصبر.

وكلم الشيخ الإمام السنباطى داود باشا فى مظلمة من هذه المظالم فلم يبال داود بنصيحة الشيخ فصادف أن كان داود فى موكبه فى أواخر شهر شعبان من عام ٩٥٠هـ فأنبرى له السنباطى وجابهه بالقول.

يا داود إنك عبد مملوك لا يجوز لك أن تتولى الأحكام وإن أحكامك باطلة ما لم تحصل على عتقك.

* داود لجنده اقبضوا على هذا الشيخ.

- الجند ينحازون إلى جانب الشيخ.

* داود يرفع سيفه ويهم بقتل الشيخ.

- الجند: مهلاً اطرح الحسام أنه شيخ الإسلام، وإننا سنقاتلك معه إذا اضطررنا إلى ذلك.

* داود: يجن وينحدر إلى منزله ويرسل إلى الخليفة العثمانى يعلمه بما يحدث.

وبعد قليل جاء إلى داود أمر عثمانى بعثته مع تكليفه بتبليغ الشكر للشيخ.. وذهب داود إلى الشيخ ليبلغه رسالة الخليفة سليمان القانونى واسترضاه واعتذر إليه وقدم هدية إلى الشيخ فرفضها.

وأصبح الوالى ذليلاً حقيراً بجانب عظمة الشيخ وصموده وصلابته وكبريائه وصار الوالى لا يرد للشيخ رأياً ولا يرفض له شفاعاً.

وهكذا عاش السنباطى إماماً جليلاً وشيخاً عظيماً حتى توفى إلى رحمة الله فى آخر عام ٩٥٠هـ ونسبنا ذكره إلا من شارع صغير خلف الأوبرا سمى باسمه ومن مسجد متواضع فيه أطلق عليه اسمه . . ولكن التاريخ لا ينسى أول شيخ للأزهر وأول مظهر لمقاومة الشعب لبطش الأتراك وأول زعيم للمقاومة الشعبية فى أوائل الفتح العثمانى لمصر . . رحمه الله . .

الشيخ أحمد الدردير

الشيخ الدردير من أشهر علماء الأزهر الشريف قبيل الحملة الفرنسية على مصر، كان شيخ علماء المالكية فى الأزهر، وكان مشهوراً بالزهد والورع والتقوى . مشهوداً له بالعلم الغزير، والشجاعة الفائقة، ومراقبة الله فى السر والعلن .



قاد ثورة شعبية لها شهرتها فى تاريخ الوطن فى يوم من أيام ربيع الأول عام ١٢٠٠هـ / يناير ١٧٨٦م نهب أحد أمراء المماليك واسمه حسين بك شفت هو وجنوده داراً لشخص اسمه أحمد سالم الجزار وهو نائب رئيس الطريقة البيومية بالحسينية بالقاهرة ظلماً وعدواناً فثارت نائرة الشعب وتشاوروا فيما بينهم فيما

يجب أن يفعلوه، واتفقت كلمتهم أخيراً على الالتجاء إلى أقوى العلماء شخصية، وأوسعهم نفوذاً وهو الإمام الدردير، فاجتمع الشعب فى اليوم التالى للحادث، ويمموا وجوههم شطر الجامع الأزهر، وقصدوا الشيخ الدردير وهو فى حلقة بين طلابه ومريديه وأخبروه بالحادثة فغضب الشيخ لاستهتار الأمراء وتعسفهم .

ونادى الدردير فى الجماهير غير هائب ولا خائف قائلاً لهم: أنا معكم، وغداً نجتمع الشعب من كل مكان فى الحارات والضواحي وبولاق ومصر القديمة، وأركب معكم ونهب بيوتهم كما ينهبون بيوتنا ونموت شهداء أو ينصرنا الله عليهم .

وأمر الشيخ بدق الطبول على المنارات، إيذاناً بالاستعداد للقتال وترامت الأخبار إلى الأهالى فأسرعوا نحو الأزهر للاشتراك مع الثائرين .

وبلغت أخبار الجماهير الثائرة إلى الأمير إبراهيم بك، وبلغه تصميم الشيخ الدرديرى على قيادة الشعب ضد الأمراء، وكان يعلم مقدار ما للشيخ من مكانة ونفوذ بين الشعب فخشى أن يستفحل الأمر، وتصبح هذه الثورة نهاية لحكمهم ونفوذهم وسلطانهم، فأرسل نائبه ومعه أحد الأمراء إلى الإمام الدردير ليعتذر له عما حدث ووعد بأن يكف أيدي الأمراء عن الشعب كما قرر توييخ حسين بك شفت على صنيعه، وطلب قائمة بجميع ما نهبه ليأمره برد تلك المنهوبات إلى صاحبها ووافق الشيخ الدردير على ذلك.

وهكذا وضع هذا الإمام الجليل قاعدة دستورية هامة، وهى احترام الحاكمين لإرادة المحكومين [٢/ ١٠٣ و ١٠٤ الجبرتى].

وعاش الإمام الدردير أربعاً وستين سنة (١١٣٧ - ١٢٠١هـ) وكان فى نهاية حياته العلمية شيخاً على المالكية، ومفتياً على المذهب المالكى، وناظراً على وقف الصعايدة، وشيخاً على طائفة هذا الرواق.

ويقول فيه الجبرتى: كان يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويصدع بالحق، ولا تأخذه فى الله لومة لائم وله فى السعى على الخير يد بيضاء.

هذا هو الإمام الدردير شيخ من شيوخ الأزهر أصر على أن يؤدى الأمانة ويحافظ على شرف مصر، وشرف الشعب وشرف الأزهر، ومات راضياً مرضياً عنه من الله والملائكة والناس أجمعين.

الشيخ الصعيدى^(١)

الشيخ الصعيدى (١١١٠ - ١١٨٩هـ) من أشهر علماء الأزهر قبيل الحملة الفرنسية على مصر. كان أغلب وقته بين تلاميذه ومريديه متوافراً على درس العلم منقطعاً للإرشاد والهداية لا يقصد إلى أمير أو حاكم ما لم ير مظلمة يجب عليه أن يسعى لإبطالها.

ذهب فى يوم إلى الأمير على بك وعلم الأمير من حاشيته بقدوم الشيخ، فقام كعادته يستقبله من خارج قصره، ثم دخل الشيخ والأمير وجلسا فى صدر المكان

(١) انظر كتابنا «الحركة العلمية للأزهر فى القرنين التاسع عشر والعشرين» ج١ ص ٢٠٥ نجد دراسة كاملة - المكتبة الأزهرية للتراث د. خفاجى ود. على صبح.



فضيلة الشيخ عبد المتعال الصعيدي

ثم جاءت حاشية الأمير وشغلته عن الشيخ، فبادره الشيخ يقول له «غضبك ورضاك سواء، بل غضبك خير من رضاك» وقام الشيخ، وقام الأمير يحاول إعادة الشيخ إلى مكانه معتذراً إليه، فرفض الشيخ.

ومرت الأيام، وركب الشيخ في ليلة من ليالي رمضان، مع شيخه الشيخ حسن الجبرتي، والد المؤرخ الكبير، وقال الشيخ حسن الجبرتي له اذهب بنا إلى على بك نسلم عليه فقال الصعدي: يا شيخنا أنا لا أدخل، وقال الجبرتي: لا بد من دخولك معي، فلم تسعه مخالفة شيخه، ودخلا على الأمير، وكان مصادفة عجيبة أن الأمير مات في تلك الليلة، فاستبشر أهله بالمغفرة له لزيارة الشيخين له.

وكان الشيخ الصعدي من بنى عدى وتلقى العلم على كبار الشيوخ في الأزهر من مثل الديري، والملوى، وإبراهيم شبيب المالكي، والحنفي، وسواهم وتصدر حلقات العلم في الأزهر الشريف شيخاً جليلاً وقوراً مهيباً، في أدب وتواضع وإكباب على الدرس والبحث. فأفاد وأجاد وصار له تلامذة ومريدون. وتخرج على يديه أجيال من العلماء من بينهم القلعي، والفرماوي، والدردير، والجناحي وغيرهم، وكلهم ممن لهم مكانتهم العلمية في الأزهر.

وكان الصعدي من الراسخين في العلم، والمبرزين فيه. فقد عاش منقطعاً له، مستزيداً منه، محصلاً لمسائله، غيوراً على الدين وأهله ومن فتاواه تحريم شرب الدخان..

وكان الشيخ يتردد على محمد بك أبي الذهب يعظه ويذكره بالله ويخوفه من بطشه، وكان يمسك بيدي أبي الذهب ويقول ما أحسنهما لو سلمتا من عذاب جهنم وأرجو أن يغفر الله لك ذنوبك، ويتجاوز عنك.

وكان مريدو الشيخ وتلاميذه كثيرين، وكانوا لا يملون دروس الشيخ ومجالس علمه ووعظه. ويقبل عليه الطلاب والعامة وجماهير المتعلمين والمستفيدين وكان بيته يعج بالزائرين والوافدين وأصحاب الحاجات والمظالم، والشيخ لا يمل ولا يكل ما يصنعه بالليل والنهار من مآثر وأعمال طيبات.

ومات الشيخ وخلف وراءه تراثاً علمياً خالداً على الأيام.

عمر مكرم

من أنبه أعلام مصر والأزهر في القرن الثامن عشر والتاسع عشر، وأسيرهم ذكراً. . قضى حياته في خدمة وطنه، وخدمة شعبه، وفي السعي إلى تحريره والدفاع عن جريته، وكان من زعماء المقاومة الشعبية ضد الحملة الفرنسية، وكما سعى لرفع الحيف عن الجماهير في بلاده، لتحقيق آمالهم في الحياة.

كان ممن أعلن المقاومة ضد طغيان إبراهيم ومراد من أمراء المماليك منذ عام ١٧٩٥م، وفي ثورة شعبية ألزم الشعب -وعلى رأسه العلماء ونقيب الأشراف- أمراء المماليك بوثيقة مكتوبة وموقعة منهم بالتزام العدل في معاملة الرعية، وهذه الوثيقة يعدها المؤرخون وثيقة حقوق الإنسان الأولى وقد سبقت إعلان حقوق الإنسان في فرنسا في أعقاب ثورة عام ١٧٩٨م، وفي هذه الوثيقة الكبرى أعلن أمراء المماليك أنهم يتعهدون بالعدل، ويتوبون عن المظالم، ويعدون بالقيام بالواجبات التي يفرضها عليهم القانون والعرف، من صرف الأموال على مستحقيها ورفع الضرائب الإضافية.

وفي نضال الشعب ضد الغزو الفرنسي لمصر عام ١٧٩٨ قاد مكرم -العالم الأزهرى الأسيوطى- الجماهير، إذ هبط من القلعة إلى ساحل بولاق يحمل علماً يسميه العامة «البيرق النبوى»، والناس من حوله، آلاف مؤلفة يحملون السلاح، يشدون أزر جيش المماليك الذى كان يقاتل على الضفة الأخرى للنيل.

ولما احتل نابليون القاهرة خرج من مصر إلى العريش ثم عاد إلى القاهرة واشترك في ثورة القاهرة الأولى والثانية فنفاه الفرنسيون إلى دمياط.

وبعد جلاء الجيش الفرنسى، كان محمد على يلتف حول الوطنيين المصريين ويعدهم بالآمال المعسولة فرشحه عمر مكرم حاكماً على مصر، وقاد مكرم الشعب في ثورته ضد الحاكم خورشيد باشا، وفي المنادة بإسناد ولاية مصر إلى محمد على.

وقاد بعد ذلك حملة مقاومة الغزو الإنجليزى لبلادنا عن طريق رشيد وهزمت حملة فريزر هزيمة ساحقة، رفع بعدها مكرم رأسه للسماء بالحمد والدعاء والشكر.

وتولى محمد على حكم مصر نزولاً على إرادة الشعب والعلماء وكان محمد على لا يفتأ يلجأ إلى مكرم لأنه يدرك مدى زعامته الشعبية فى نفوس العلماء والجماهير وقادة الرأى وجميع الطبقات ولما اطمأن محمد على إلى نفسه وجيشه قلب للزعيم عمر مكرم ظهر المجن وامتنع عن مشاورته وأقصاه عن جميع أمور الدولة وعن مسائل الدفاع عن الوطن.

وأخذ محمد على يقتصب أرض الأوقاف فاجتمع عمر مكرم بالعلماء، محتجين على مسلك الوالى فكان رده عليهم:

إننى على استعداد لأن أرمى عنق كل من يستظل بلواء المعارضة فى وجه سياستى.

وبادر مكرم بجمع العلماء، وفى الاجتماع أعلن أمامهم: إن محمد على محتال وإذا تمكن فسيصعب إزالته فلنعزله من الآن.

ونفى محمد على عمر مكرم من مصر، فكان رد هذا الزعيم الشجاع: إن النفى غاية ما أتمناه غير أننى أريد العيش فى بلد لا يدين بحكم محمد على.

وفى الثالث عشر من أغسطس عام ١٨٠٩م احتشدت على ساحل بولاق طوائف كبيرة من الشعب يودعون زعيمهم المنفى، وهو يبحر فى مركبه إلى دمياط، وبكى الشعب بكاء مريراً، وهو يودع الرجل الذى أوقف حياته فى سبيل الدفاع عن حقوقه ورد المظالم عنه. وهكذا اختفت الزعامة الشعبية من الميدان، وأصبح محمد على يتحرك بهواه كما يريد دون مراعاة للشعب ولا لحقوقه وموائيقه.

وقضى الشيخ حياته بين العبادة والمطالعة وخاصة أهله. ولما مات بكاه الناس فى كل مكان.

الشيخ الشرقاوى

شيخ الأزهر الشيخ عبد الله الشرقاوى عاصر الحملة الفرنسية على مصر، وقاد الشعب من أجل مقاومتها حيناً، ومن أجل التخفيف من شدة وطأتها على الشعب

حينئذٍ آخر، وطار صيته في كل مكان، وكتب عنه الأوروبيون فصولاً طويلاً، وذهب كل من كتب عنه مذهباً يتفق ومدى فهمه للأحداث الجسام التي وقعت في هذه الفترة القصيرة الحافلة في تاريخ الوطن.

ولد بالطويلة إحدى قرى بليس عام ١١٥٠ هـ - ١٧٣٧ م، وتعلم في الأزهر، وتخرج منه، وصارت له حلقة علمية قيمة، وكثر طلابه، وعم علمه الآفاق.

ولما مات الشيخ أحمد العروسي شيخ الأزهر عام ١٢٠٨ هـ تولى الشرقاوى مشيخة الأزهر بعده، وكان من المرشحين معه لتولى هذا المنصب العلمى والدينى الجليل الشيخ مصطفى العروسي، فألت إليه، وأسندت له، وتولاها وهو موضع ثقة الجميع، وكان شيخ علماء الشافعية ومفتيهم في عصره، وله مؤلفات دالة على سعة فضله في الفقه والحديث والعقائد. ومن مؤلفاته:

مختصر الشمايل مع شرحه وشرح على «الحكم» لابن عطاء الله، ومختصر على «مغنى اللبيب» لابن هشام في النحو، فقهاء الشافعية المتقدمين والمتأخرين، وتاريخ مصر وهو الذى أنشأ رواق الشراقة في الجامع الأزهر.

واشترك الشرقاوى في قيادة الشعب في كل الأحداث السياسية والقومية. . في الحملة الفرنسية كان الناطق أمام الغزاة باسم الشعب، وأذاع نابليون نبأ رئاسة الشرقاوى للمجلس المخصوص الذى ألفه، ودون موافقة من الشيخ، ليسكت ثورة الشعب وغضبه ومقاومته، وقبل الحملة الفرنسية قاد ثورة شعبية ضد المماليك تعد من أشهر الثورات الشعبية فى مصر فى شهر ذى الحجة عام ١٢٠٩ هـ / ١٧٩٥ م، وبعد توليه مشيخة الأزهر بعام جاء له الفلاحون من إحدى قرى بليس وشكوا له من ظلم محمد بك الألفى وجنوده وأتباعه لهم، وفرضهم على القرية أموالاً كثيرة لا طاقة للفلاحين بها، وتأثر الشيخ بما سمع، وبلغ الشكوى إلى كل من مراد بك وإبراهيم بك، ولكنهما لم يفعلا شيئاً، فعقد الشيخ مؤتمراً شعبياً وطنياً فى الأزهر، حضره العلماء والطلاب، حيث استقر رأى على مقاومة الأمراء المماليك بالقوة، حتى يخضعوا لمطالب الشعب، وعندئذ أمر الإمام الشرقاوى بإغلاق أبواب الجامع الأزهر وأعلن للشعب قراراً بالإضراب العام وبإغلاق الأسواق والمحلات.

وفى اليوم التالى ركب الشرقاوى ومعه العلماء، وتبعتهم الجماهير، وسار الموكب إلى منزل الشيخ السادات وهو من كبار العلماء، وكان منزله قريباً من قصر إبراهيم بك الذى أفرغته مواكب الشعب الثائرة فبادر -إبراهيم بك- بإرسال رئيس ديوانه أيوب بك ليسأل العلماء عن مطالبهم، وحاول المماطلة فى تحقيق مطالب الشعب، ولكن العلماء أصرروا على موقفهم، وتقاطرت الجماهير صوب الأزهر وبدأت ثورة وطنية عاصفة.

وهال إبراهيم بك ما بلغه عن الأحداث. فأرسل إلى العلماء يعتذر إليهم، وفى اليوم التالى توجه إلى مصر العثمانى إلى منزل إبراهيم بك، واجتمع بأمرء المماليك حيث أرسلوا إلى العلماء ليجمعوا بهم، فحضر الإمام الشرقاوى والسيد عمر مكرم، والشيخ السادات. والشيخ البكرى والشيخ الأمير، وانتهى الاجتماع بالموافقة على مطالب الشعب التى قدموها.

وتم تحرير وثيقة تتضمن هذه القرارات، وقع عليها الحاكم العثمانى وأمرء المماليك، وكبار العلماء، ورجع العلماء يحيط بهم الشعب بمواكبه الزاخرة.

ويجمع أكثر المؤرخين على أن هذه الوثيقة كانت بمثابة إعلان لحقوق الإنسان، سبقت بها مصر غيرها من الشعوب، وسبقت بها إعلان حقوق الإنسان الذى أعلنته الثورة الفرنسية فى باريس بسنوات، ومصر دائماً هى قائدة المواكب، ورائدة الحرية، وحاملة مشاعل الحضارة فى كل مكان وزمان.

ومات الشيخ الشرقاوى رحمه الله يوم الخميس الثانى من شهر شوال عام ١٢٢٧هـ / ١٨١٢م^(١).

الشيخ حسن العطار

ولد الشيخ حسن العطار فى أول الثلث الأخير من القرن الثامن عشر ١٧٦٦ أى قبل الحملة الفرنسية على مصر باثنين وثلاثين عاماً، فهو يعطينا بمولده هذا صورة لمصر السياسية فى القرن الذى كان نهاية لحكم الولاة العثمانيين فى مصر.

والحق أن مصر فى القرن الثامن عشر كانت تختم القرون الثلاثة من الحكم العثمانى الذى ساقه القدر إليها على يد السلطان سليم الأول الذى فتح مصر

(١) تكرر ترجمته أكثر من مرة بصور متشابهة تقريباً وتركها كما هى حرصاً على الأمانة العلمية فى التحقيق.

١٥١٧م وهي قرون شهدت البلاد فيها من الظلام والجهل والضعف والتأخر في كل الميادين ما لا يمكن أن يصار إلى أسوأ منه . وكان بداية القرون الثلاثة كنهيتها: سوء حال وضعف آمال .

وكان والد الشيخ حسن عطاراً -ومن هنا جاءه اللقب- وكان لهذا الوالد مشاركة في بعض العلوم، فلما رأى من ولده إقبالاً على العلم، ساعده على تحصيله، فكان يتردد على الأزهر ويحضر حلقات كبار مشايخه في ذلك العصر، فلما جاء الفرنسيون إلى مصر ١٧٩٨ هرب حسن إلى الصعيد خوفاً على نفسه من أذاهم، ثم عاد إلى القاهرة بعد قليل فاتصل ببعض رجال الحملة من العلماء فأفاد منهم وأطلع على كتبهم وآلاتهم وتجاربهم العلمية فكان ذلك بدء اتجاهه إلى تقدير العلوم الطبيعية والمناذاة بضرورتها وقد اشتغل في الوقت نفسه بتعليم اللغة العربية لبعض هؤلاء العلماء الفرنسيين، كما اشتغل بالتدريب في الأزهر .

وقد عرف الشيخ حسن العطار بمؤلفاته الكثيرة، كما عرف بأسلوبه الأدبي وعباراته الإنشائية الأنيقة التي كانت تجرى على طريقة الزخرف والمحسنات، وله أشعار رقيقة، أما ميله إلى العلوم الطبيعية والرياضية والفلك والطب، فبدل عليه كتبه ورسائله في كيفية عمل الأسطrolاب، والرربعين المقنطر والمجيب، والطب والتشريح، وأشكال التأسيس في علم الهندسة بالإضافة إلى إتقانه رسم المزاويل الليلية والنهارية بيديه .

وقد امتاز حسن العطار بقراءاته الواسعة العميقة للكتب العربية والمعرية في زمانه، ولم يختص بعلم معين، أو بفن بعينه من الفنون، ولكنه كان حريصاً على الإفادة من كل علم، وكان يطرز الكتب التي يقرأها بهوامشه وتعليقاته، ويقول في ذلك في تلميذه الشيخ رفاعة الطهطاوى: كان له مشاركة في كثير من العلوم، حتى في العلوم الجغرافية، فقد وجدت بخطه هوامش جلييلة على كتاب تقويم البلدان لإسماعيل أبى الفداء سلطان حماة المشهور أيضاً بالملك المؤيد، وللشيخ المذكور هوامش أيضاً وجدت بها أكثر التواريخ وعلى طبقات الأطباء وغيرها، وكان يطلع دائماً على الكتب المعربة من تاريخ وغيرها . . وكان له ولوع شديد بسائر المعارف البشرية . .

ويعتبر رفاعة الطهطاوى - رائد الفكر وإمام النهضة الحديثة فى القرن التاسع عشر - أنجب تلاميذ حسن العطار، فأحبه الشيخ لما أنسه فيه من الذكاء والانكباب على العلم، وقربه إليه، وحفه برعايته، وكان التلميذ رفاعة يتردد على شيخه كثيراً فى بيته ويأخذ عنه العلم والأدب والجغرافيا والتاريخ، ولما كان العطار ميالاً بطبعه إلى العلوم العصرية، ولا يرى الانحصار فى دائرة كتب الشرع فحسب، فقد أودع هذا الميل فى نفس تلميذه رفاعة الطهطاوى، مما أهله بعد ذلك ليكون إماماً للبعثة العلمية فى باريس، ومما فتح ذهنه إلى البحث وسلامة التفكير والإسهام فى نقل العلوم عن الغربيين حتى يفيد منها أهل وطنه، وهنا يظهر فضل العطار على الطهطاوى فهو أول من وجهه إلى الاعتراف من موارد العلم والأدب، وهو أول من دله على قيمة العلوم العلمية الطبيعية وضرورتها بما لا يقل عن أهمية العلوم الشرعية.

والشيخ العطار من القلائل الذين جمعوا بين التدريس فى الأزهر - فى أول عمره - ومشيخة الجامع الأزهر فى ختام حياته، وكان حلقاته بالأزهر تغص بالطلاب، فكان العلماء يتركون حلقات غيره ويتكاثرون على حلقاته يستمعون. ولا شك أن تحرر الشيخ العطار الفكرى وبعده عن الجمود، ودعوته الجديدة إلى الأخذ بالعلوم الحديثة مع الاهتمام بالعلوم القديمة، قد جذب إليه الطلاب من كل فج، وهدهم إلى مجلسه فى أثناء تدريسه بالأزهر، ويستوى فى ذلك مقامه بمصر أم بالخارج، ففى مقامه بدمشق لفت إليه أنظار طلبة العلم هناك (فتلقاه أهلها بما يليق، وعقدوا على تفوقه وتفرد بالفضائل كلمة الاتفاق)^(١).



(١) تكرر الحديث عنه أكثر من مرة فى مواطن متشابهة تقريباً وتركته حرصاً على الأمانة العلمية فى التحقيق.

الشيخ محمد عياد الطنطاوى

لا يكاد أحد من العرب ممن كان له علاقة بروسيا فى القرن التاسع عشر يكون شخصية طريفة كشخصية أستاذ جامعة بطرسبرج الشيخ الطنطاوى، فالدور الذى لعبه الشيخ فى تاريخ الاستغراب الأوروبى ليس يسيراً^(١). كان الطنطاوى رجل الآداب العربية الحديثة العامل فى حقل الاستغراب الروسى^(٢) وبرز الطنطاوى فى تاريخ هذا الاستغراب والآداب الجديدة فى صورة فريدة لا نظير لها حتى الآن^(٣). فشخصية هذا «المستشار» تبرز بروزاً فريداً فى تاريخ كرسى اللغة العربية وآدابها فى مدى قرن ونيف فى جامعة بطرسبرج^(٤).

هكذا يقول المستشرق الروسى كراتشكوفسكى عن الطنطاوى الذى كان شخصية فذة فى تاريخ الاستشراق، والذى وضع أصولاً ثابتة للدراسات الاستشراقية فى الغرب وقد شغل أذهان المستشرقين وكتاباتهم أمداً طويلاً ويعد أستاذ الكثيرين منهم.

٢- كتبت دور الاستشراق عن الطنطاوى كتابات طويلة، ونوهت بدوره الفعال فى خدمة اللغة العربية، ووصفت أعماله العجيبة وصفاً رائعاً، وسجلت دوائر المعارف العالمية الكثير من المعلومات عنه.

وعكف كراتشكوفسكى شيخ المستشرقين الروس عشر سنوات لكتابة دراسة عنه، وأخيراً ألف بالروسية كتابه الرائع «حياة الشيخ محمد عياد الطنطاوى»^(٥)، الذى عهد المجلس الأعلى للفنون والآداب فى الجمهورية العربية المتحدة إلى السيدة أم كلثوم عودة. وهى عربية فلسطينية مقيمة فى روسيا، بترجمته إلى العربية،

(١) ص ١١٤ حياة الشيخ محمد عياد الطنطاوى لكراتشكوفسكى.

(٢) ص ١٧ المرجع نفسه. (٣) ص ١٠٨ المرجع نفسه.

(٤) ص ٩ المرجع نفسه.

(٥) لكراتشكوفسكى دراسة عن الوأواء الدمشقى، وعدة دراسات أخرى وهو الذى نشر كتاب البديع لابن المعز وكان كتابه عن الطنطاوى أحب كُتبه إلى نفسه وتوفى كراتشكوفسكى بعد الحرب العالمية الثانية بعد أن أنقذ مخطوطات مكتبة ليننجراد من الدمار الذى لحق بالمدينة فى الحرب العالمية الثانية.

وعهد إلى الأستاذين: عبد الحميد حسن ومحمد عبد الغنى حسن بمراجعة النص العربى وتحقيقه والتعليق عليه، ثم قام بنشره عام ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ فجاء سفرًا نفيساً فى نحو ١٨٠ صفحة، ولكنه يمثل جهاداً علياً جليلاً فى الكشف عن حياة الطنطاوى ومواهبه وآثاره وثقافته، وفى تفصيل خدماته للاستشراق والمستشرقين فى القرن التاسع عشر.

لقد تناولت الكتاب لقراءته، فإذا بى أمام بطولة علمية حقة، قام بها كراتشكوفسكى، من أجل تسجيل حياة مواطن عربى، مصرى، أزهرى، اعترافاً بفضلته على الثقافة الاستشراقية فى العصر الحديث.

وكنت أقرأ الكتاب وكأننى أمام أحداث مصورة، كل الألوان والظلال والسمات، وكل خطوة خطاها هذا العالم الأزهرى الخالد، منذ ميلاده حتى وفاته، وكل حدث علمى أو فكرى أسهم فيه، قد أبرزه كراتشكوفسكى بصورة زاهية أمينة، ومعتمداً على كثير من المصادر والمخطوطات وسجلات المستشرقين ومؤلفاتهم، وعلى مجموعة الشيخ محمد عياد الطنطاوى الخطية، التى تبلغ نحو - ١٥ مخطوطاً عربياً، مودعة فى مكتبة جامعة بطرسبرج، والتى نرجو أن تقوم بعثات دار الكتب المصرية فى الخارج بتصويرها كلها أو بعضها مما له أهمية خاصة. وكان كراتشكوفسكى يكتب عن الطنطاوى مأخوذاً بروعة أعماله، وجهاده العلمى، ويسجل كل رأى فيه، ويزن أعماله بميزان نقدى سليم منصف، ويقول: لقد بدت لى فجأة شخصية شيخنا واضحة معبرة^(١).

وكان عمل المترجمة وعمل المراجعين موازياً لعمل المؤلف نفسه، دقة تامة، وأمانة علمية بارزة، وتحري لجميع الحقائق، ووقوف صوفى، كأنه الاستغراق، أمام جميع النصوص.. مما جعلنى مذهولاً حقاً أمام هذا العمل العلمى الفريد، الذى يجب أن ينال تقدير الدولة، وتقدير جامعاتها، وبخاصة الأزهر، وكما أود أن تكون أعمال الطنطاوى فى ميدان الاستشراق الحديث مادة للدراسة فى جميع معاهدنا وجامعاتنا، وأن يطلق أستاذنا أحمد حسن الباقورى مدير جامعة الأزهر اسم الطنطاوى على أحد مدرجات الجامعة، تخليداً لذكرى رجل نشأ بين صفوفه طالباً، وعمل فى حلقاته

(١) ١١٢ المرجع السابق.

العلمية مدرّساً، وقدره العالم كله عالماً ومفكراً ومصدراً للحركة الاستشراقية في العالم كله، وأكسب وطنه مصر مجدداً علمياً باقياً على مر الزمان.

٣- كان الطنطاوي أعظم من ضحوا من العرب في خدمة الثقافة الإنسانية، وخدمة البحث العلمي الحر. ولقد ولد في قرية نجريد المصرية عام ١٢٢٥هـ: ١٨١٠م، وكان أبوه تاجراً كثير التجول، من محلة مرحوم بقرب طنطا، وأمه من بلدة الصافية^(١).

وذهب إلى طنطا في سن السادسة لحفظ القرآن الكريم. وبدأ في تلقي دروس العلم في سن العاشرة في حلقات الجامع الأحمدي. ثم رحل مع أبيه إلى القاهرة عام ١٢٣٨هـ: ١٨٢٣م، ودخل الأزهر، وفيه تتلمذ على: محمد الكومي، ومحمد أبي النجا، ومصطفى القناوي، وإبراهيم الباجوري (ت ١٨٦١م). وحسن العطار شيخ الأزهر (ت ١٨٣٥م)، وإبراهيم السقا (ت ١٨٨٠م).

وكان من زملائه في الدراسة: الشاعر الشيخ شهاب الدين (١٨٥٧م)، ورفاقه الطهطاوي (١٨٧٣م)، ومحمد قطة العدوي (١٨٦٤م)، ومحمد الأشمونى، وإبراهيم الدسوقي (١٨٨٣م)، الذى تتلمذ عليه كثير من المستشرقين.

وفى عام ١٨٢٧م توفى أبوه فترك الطنطاوي الدراسة في الأزهر، تحت ضغط الظروف القاسية، وعاد إلى طنطا، ومنحه أستاذه مصطفى القناوي شيخ المسجد الأحمدي إجازة في التدريس عام ١٨٢٨م، ثم عاد ودرس في الأزهر عام ١٨٣٠م، وكان أول من قرأ المعلقات والمقامات في حلقاته العلمية وهو فى العشرين من عمره. وظل فى الأزهر عشر سنين، وله تعليقات على مقامات الحريري وشرح الزوزنى على المعلقات.

ومن تلاميذ الطنطاوي فى الأزهر: يوسف الأسير السورى (١٨٨٩م)، وإبراهيم مرزوق (١٨٦٦م)، وعبد الهادى نجا الأيبارى.

واشتغل مع عمله فى الأزهر بالتدريس فى المدرسة الإنجليزية بالقاهرة (مدرسة الارسالية البروتستانتية) عام ١٨٣٥م. وفيها اتصل بكثير من الأوروبيين الوافدين

(١) قرية تقع الآن فى مركز دسوق من أعمال محافظة كفر الشيخ.

على مصر، ومن بينهم جماعة من المستشرقين مثل فليمانس فريثل الفرنساوى (١٨٥٥م) الذى ترجم لامية العرب للشنفرى إلى الفرنسية بمساعدة أستاذه الطنطاوى، والذى علم أستاذه اللغة الفرنسية، وكذلك بيرون وفيل وبرونر، وأصبح الشيخ أثيراً عندهم، واعتمدوا عليه اعتماداً كلياً فى بحوثهم وتعلموا عليه تلمذة فعلية.

وكتب قرينل يقول: «أنه مدين للطنطاوى الشيخ المصرى الوحيد، الذى يدرس لغته بمحبة واهتمام، ويدرس كتب الآداب العربية القديمة».

ومن تلاميذه: موخين، وقرين الروسيان ويسببهما سافر الطنطاوى إلى روسيا عام ١٨٤٠.

غادر الطنطاوى القاهرة فى ٢٤ من المحرم ١٢٥٦هـ: فبراير ١٨٤٠م إلى الاسكندرية حيث نزل فى ضيافة قنصل روسيا فيها «مديم» وفى ٢٦ مارس ركب باخرة نمساوية إلى استامبول، ومنها إلى أوديسا، وفى يوم ٢٩ يونيو ١٨٤٠ وصل إلى بطرسبرج.

وكانت روسيا آنذاك تهتم باللغات الشرقية، وأنشأت فى بلادها دراسات لها. وفى نحو عام ١٨٣٦ أنشأت معهداً للغات الشرقية وألحقته بجامعة بطرسبرج (بتروغراد ثم ليننجراد أو ليننجراد فيما بعد)، وخصصت كرسيًا فيه -لتدريس اللغة العربية، بجانب اللغات الشرقية الأخرى كالفارسية والتركية، والمغولية والصينية، والفضل فى ذلك راجع إلى م. بوشكين «وزير المعارف الروسية آنذاك»، وأرادت روسيا شغل كرسي اللغة العربية، فكلفت قنصلها فى القاهرة، ليقوم بالاتفاق مع من يعرف فيه القدرة على القيام بهذه المهمة، فاتصل بالشيخ وحجب إليه السفر إلى روسيا لهذه الغاية، فتردد الشيخ، إلا أن أصدقاءه رغبوه فى القبول، وأضيف إلى ذلك إلحاح القنصل وسخاء العرض، فوافق على السفر ليأخذ مكانه بين أساتذة اللغات الشرقية فى بطرسبرج.

وقبل الشيخ هناك بالحفاوة، وجعل له مرتب سخى، واشتغل منذ ٢ يوليو ١٨٤٠ بالتدريس فى معهد اللغات الشرقية. وبالعمل فى ديوان الخارجية فى بطرسبرج.

كتب سانيليف -الذى صار فيما بعد من أشهر علماء الآثار، وأحد، مؤسسى جمعية الآثار- يرحب بالطنطاوى: ويحث بمقال له -مذيل بتوقيعه، بتاريخ ١٧ أغسطس ١٨٤٠ إلى جريدة (فدومستى بطرسبرج)، ونشرت الجريدة المقال فى عدد ١٨٩ بتاريخ ٢٢/٨/١٨٤٠، وجاء فيه.

(انت تسألنى: من هذا الرجل الجميل، فى لباس شرقى، وعمامة بيضاء، وله لحية سوداء كجناح الغراب، وعينان تشعان باشعاع غريب، وعلى وجهه سمة الذكاء، وقد لفحت الشمس بشرته، وليست بالطبع شمس بلادنا الشمالية الباردة، هو ضيف جديد من ضفة النيل، الشيخ الفاضل محمد عياد الطنطاوى. أن اسمه معروف لدى كل من يدرس اللغة العربية، وكل السياح الذين انتفعوا بخدماته والمدنين له بنجاح أبحاثهم يذكرونه بالشكر، ويكونون له المودة، مديعين شهرته فى أوروبا. فمن هنا نرى ما كسبته كليات اللغات الشرقية المحلية التى دعت الشيخ القاهرى ليحتل كرسى اللغة العربية الشاغر. ويمكنك الآن أن تتعلم اللغة العربية بدون أن تغادر بطرسبرج، وفى الأسبوع الماضى ألقى الشيخ الطنطاوى أول محاضرة له فى قاعة الجامعة حضرها ما عدا تلاميذ المدرسة وبعض المستشرقين غير المنتمين إليها).

خلف الطنطاوى فى قسم اللغات الشرقية سلفه (ديمانج) الذى توفى عام ١٨٣٩م، وقضى ما يقرب من سبع سنوات مجاهداً فى تدريس اللغة العربية ثم عين بعد ذلك عام ١٨٤٧ أستاذاً لكرسى اللغة العربية فى جامعة بطرسبرج وعين المستشرق الروسى «نفروتسكى» مساعداً له. وظل أستاذاً لهذا الكرسى طيلة أربعة عشر عاماً (١٨٤٧-١٨٦١م)، وعلى يديه تتلمذ كثير من المستشرقين الروس والألمان والفنلنديين الذين كان من أشهرهم «فالين».

وفى سبتمبر عام ١٨٥٥ أصيب الشيخ بشلل فى رجله. وظل يغالب المرض والمرض يغالبه سنوات صعباً على نفسه. وأقام فى منزله رهين المرض.

كان يشرف على العناية بالشيخ زوجته المصرية «أم حسن» التى ولدت له فى ١٩ مايو ١٨٥٠ ولدًا سماه «أحمد».

وتوفيت زوجته المصرية عام ١٨٦٠ وابنه فى سن العاشرة، ولما لم يكن الشيخ بمستطيع القيام على تربية ابنه طلب إدخاله فى داخلية إحدى المدارس الوسطى، ودخل أحمد جمناز لاريتا فى ١٩ نوفمبر ١٨٦٠ على حساب الدولة، ولم يلبث الشيخ غير قليل حتى أحيل على التقاعد فى ١٩/١/١٨٦١، ثم وافاه الأجل فى ٢٤ ربيع الثانى ١٢٧٨هـ: ٢٩ أكتوبر ١٨٦١م، ودفن فى قرية فولكوبا بجوار بطرسبرج بجوار مقبرة زوجه المصرية الوفية، وكان فى هذه القرية مقابر المسلمين. وتسمى المقابر التى دفن فى وسطها مقبرة التتر. وعين نفروتسكى خلفاً له فى كرسى اللغة العربية بالجامعة، وسرفت الدولة معاش الشيخ إلى ابنه أحمد، واختير نفروتسكى وصياً عليه، وفى عام ١٨٧١ باع أحمد مجموعة والده الخطية إلى مكتبة الجامعة. ثم تزوج أحمد وخلف بتنا ولم يلبث كذلك إلا قليلا وتوفى عام ١٨٨١، ودفن بجوار أمه، وألحقت ابنته بدار أيتام الأشراف باسم هيلانة، وصارت مسيحية منذ ذلك التاريخ أو أريد لها ذلك، إذ كانت طفلة صغيرة آنذاك، ولا ندرى من أخبارها بعد ذلك شيئاً.

٤- ترك الشيخ آثاراً كبيرة تبلغ الواحد والأربعين مؤلفاً، أحصاها كراتشكوفسكى، وفى مقدمتها: تاريخ حياته وكتابه المخطوط وتحفة الأذكياء بأخبار بلاد روسيا، وورد اسمه فى مرجع آخر غير كتاب كراتشكوفسكى هكذا «هدية النجباء فى تحقيق إقليم روسيا»^(١)، وقد ألفه الطنطاوى عام ١٨٥٠م/١٢٦٦هـ، وأهداه إلى السلطان عبد المجيد، وكانت كتابته دقيقة، وملاحظاته فاحصة، وإحساسه وروحه عاليين ولم يكن الكتاب سرداً تاريخياً أو جغرافياً، بل كان وصفاً دقيقاً حياً بيئياً لرحلته من القاهرة إلى بطرسبرج وزياراته لأقاليم روسيا، وانفعالاته مع الإقليم والشعب فيها خلال إقامته طيلة العشر سنوات التى قضاها هناك منذ هجرته عام ١٨٤٠ حتى تاريخ تأليف الكتاب (١٨٥٠) ووصف رحلاته فى روسيا وفى دول البلطيق وفنلندا من حولها، ويتضمن الكتاب كذلك دراسة مفصلة لتاريخ الحديث وصوراً سريعة لطبوغرافية بطرسبرج فى ذلك الحين، وهذا العمل مكتوب بصورة لامعة ولا يزال محتفظاً بقيمته العلمية إلى اليوم.

(١) ص ١١٥ بين المخطوطات الغربية لكراتشكوفسكى.

وللطنطاوى كتاب عنوانه «النحو العربى» أو قواعد اللغة العربية، وهو أول كتاب كتبه كاتب عربى باللغة العربية للتدريس فى جامعات روسيا ومعاهدها العالية، وهو موضع اهتمام المستشرقين، ونال شهرة كبيرة فى كل دوائر الاستشراق الأوروبى. إلى كتب أخرى ألفها الشيخ وأحصاها كلها كراتشكوفسكى فى كتابه القيم.

٥- كان الطنطاوى يجيد عدا العربية الفرنسية والروسية والفارسية والتركية واللغة التتية، ويقول كراتشكوفسكى: أنه كان إلى جانب اللغة العربية له إلمام بست لغات أخرى، وإن هذا أفق كان بعيداً عن مواطنه فى ذلك الحين^(١).

٦- إن هذا الكتاب القيم لتاريخ حى من تاريخ مصر وأزهرها فى العصر الحديث فهو ينطق بعظمة الفكر المصرى فى أول عصر النهضة، ويصور الحياة الثقافية فى مصر وحياة الأزهر العلمية فى القرن التاسع عشر تصويراً صادقاً أميناً وهو من أجمل الكتب التى أخرجتها المطبعة العربية، والفضل فى ذلك راجع إلى عمل المؤلف وعمل الترجمة وعمل المراجعين الفاضلين الذى ينم عن جهد كبير بذلاه فيه.

والكتاب مقسم إلى:

- ١- توطئة أو مقدمة تحدث فيها المؤلف عن مصادر حياة الطنطاوى وعن ظروف قيامه بهذه الدراسة.
- ٢- ثم ثلاثة فصول: الأول عن «الطنطاوى فى مصر وسفره إلى روسيا»، والثانى عن «الطنطاوى فى روسيا»، والثالث عن «مصنفات الطنطاوى».
- ٣- ويلى ذلك ملحقات بعضها بقلم الطنطاوى نفسه، وبعضها نصوص أخرى للمؤلف وغيره.
- ٤- ثم رسائل من الطنطاوى إلى غولد المستشرق (١٨٩٧م) والأستاذ فى جامعة قازان.
- ٥- ويلى ذلك كله تعليقات وتحقيقات بقلم المراجعين كتبها شرحاً أو تعليقاً على بعض نقاط وردت فى الكتاب.

(١) ١٠٢ تاريخ حياة الشيخ محمد عباد الطنطاوى.

وفى صدر الكتاب صورة للطنطاوى رسمها له مرتينوف عام ١٨٥٣ ، وصورة أخرى لقبره أخذها له بعض المستشرقين عام ١٩٢٣ ، وتقديم بقلم المراجعين الفاضلين .

وبعد فقد مضى على وفاة الطنطاوى أكثر من مائة عام، ومع ذلك فجهوده فى خدمة الاستشراق حديث الجامعات فى الغرب، فمتى تذكر الجامعات العربية هذا الرجل الفذ، ومتى ترد له بعض ديونه وتعترف بقيمة ما أداء للفكر العالمى والعربى من خدمات جليلة باقية على مر الأيام؟

ويروى المرحوم أحمد تيمور باشا فى كتابه «أعلام الفكر الإسلامى فى العصر الحديث» سيرة الشيخ الطنطاوى فيقول إنه من مواليد طنطا، سنة ١٨١٠ ، وقد تلقى تعليمه فى الجامع الأحمدي، ثم انتقل إلى الأزهر .

وكان يجيد الشعر والنثر والنقد والنحو والفقه وعلم الكلام والحساب والجبر والتاريخ وله أكثر من مائة مؤلف فى كل هذه العلوم، أكثرها لا يزال مخطوطا بخط يده فى مكتبة الكلية البتروغرافية .

وقد قضى الشيخ الطنطاوى فى روسيا نحو ربع قرن، إلى أن مات، وترك زوجه وولده هناك من بعده، وليدنا إلى جواره .

وكانت بينه وبين رفاة الطهطاوى مراسلات أدبية، يقول فى إحداها:

«أنا مشغول بكيفية معيشة الاوروبيين وألفاظهم وحسن إدارتهم، خصوصاً يفهم ويوتهم المحدثه بالبساتين والأنهار، إلى غير ذلك مما شاهدته قبل بباريز، إذ بطرسبرج لا تنقص عنها، بل تفضلها فى أشياء كاتساع الطرق .

«أما من جهة البرد، فلم يضرني جداً، وإنما الزمنى ربط منديل فى العنق، ولبس فروة إذا خرجت . أما فى البيت، فالمداخن المثبتة معدة للأدفاء» .

على إن إقامته الطويلة فى روسيا لم تؤثر فى دينه، وله فى ذلك قصيدة نذكر منها:

أنا بين قوم لا أدين بدينهم أبداً، ولا يتـديـنون بدينى

ويحدثنا تيمور باشا في هذا الكتاب أن الشيخ الطنطاوى كان تلميذاً للشيخ حسن العطار، وهو الآخر علم من أعلام الفكر الإسلامى، عاصر الحملة الفرنسية، وأفاد بها من الناحية العلمية، واستحدث بما أفاده ثورة فى الأزهر أثارت عليه إثارة كثيرة من أصحاب العمائم.

وكان الشيخ حسن العطار فى طليعة الرواد فقد كان علم الأزهر فى عصره ليس مقصوراً على الدين وحده.

وكان الشيخ العطار قد عاشر علماء الحملة الفرنسية، وقرأ ما ترجموا من كتب علمية إلى التركية والعربية، فى الهندسة والعلوم الطبيعية والفلك والصناعات الحربية، ورأى كيف يحولون العلم إلى عمل، فأمن بضرورة الدعوة إلى مثل هذا التحول، ووضع بنفسه المؤلفات فى المنطق والفلك والطب والطبيعة والكيمياء والهندسة والعلوم الطبيعية والاجتماعية والإنسانية.

وتولى منصب شيخ الأزهر، وأمر بتدريس المواد المنوعة كالجغرافيا والتاريخ. وحتى تدريس الأدب كان ممنوعاً فى الأزهر، فحرض تلميذه الشيخ الطنطاوى على تدريسه.. كما حرض تلميذه الآخر رفاعه الطهطاوى على تدريس الحديث والسنة عن طريق المحاضرة، وبلا نص، مما لم تكن له سابقة فى تاريخ الأزهر. ويروى تيمور باشا من أن علماء الأزهر غضبوا أيما غضبة عند تعيين الشيخ حسونة النواوى شيخاً للأزهر.

وكان لهذه الغضبة أكثر من سبب، ولكن أبرز هذه الأسباب، أنه جاء مؤيداً لتدريس الحساب والهندسة والجبر وتقويم البلدان وما إليها فى الأزهر، بدعوى أنها علوم مستحدثة، بينما هى فى الحق علوم قديمة، اشتغل بها المسلمون الأوائل، وألفوا فيها كثيراً، وكانت تدرس فى الأزهر قبل نكسته.

ولكن خصوم الشيخ حسونة زعموا أنها من علوم الفرنجة، وأنها ما أدخلت إلى الأزهر إلا للقضاء على العلوم الشرعية أو تقليل الرغبة فيها.

أئمة الأزهر في القديم والحديث

الشيخ محمد بن عبد الله الخراشي^(١)

ولد ببلدة (أبو خراش) من أعمال شبراخيت بمحافظة البحيرة سنة ١٠١٠هـ. تلقى تعليمه على يد نخبة من العلماء ودرس علوم الدين واللغة والمنطق وكانوا يهتمون في الأزهر بدراسة (علوم التفسير والحديث والفقه واللغة والفلسفة والمنطق) واستوعب معارف عصره وتخرج على يديه علماء كثيرون جاوزوا المائة من أعلام عصره ومن تلاميذه (الشيخ إبراهيم بن موسى الفيومي) وقد تولى مشيخة الأزهر بعد ذلك وكان بمثابة معيد للشيخ الخراشي يلخص ما قاله الشيخ ويوضح ما غمض (كما هو دور المعيد بالنسبة للأستاذ في الجامعة الآن).

وكان جم الحياء متواضعا يذهب إلى السوق ويشتري حاجياته ويحملها بنفسه وتمسك بالسنة وكان لا يتخلف عن صلاة الجماعة بالجامع الأزهر ووفد عليه الطلاب من كل قطر وذاعت شهرته ووصفه الجبرتي بأنه (الإمام العلامة والخبر الفهامة شيخ الإسلام والمسلمين وارث علم سيد المرسلين) وكانت النذور تأتيه من كل الجهات فلا يحتفظ بشيء بل يتركها لمعارفه يتصرفون فيها وكانت له كرامات اشتهرت في عصره وظل في كفاحه العلمي حتى جاوز التسعين ولحق بربه في ٢٧ من ذي الحجة سنة ١١٠١هـ.

مؤلفاته:

كان رحمه الله واسع الثقافة وخاصة فيما يتعلق بعلوم التفسير والفقه على مذهب الإمام مالك. . ويمكن إجمال مصنفاته فيما يلي:

- ١- رسالة في البسملة في نحو أربعين كراسة.
- ٢- الشرح الكبير لمختصر خليل في ثمانية مجلدات.

(١) سبقترجمته في الجزء الأول ص٢٤٧ أكثر تفصيلاً من هذه الترجمة حرصاً على أمانة التحقيق، وهما معاً دون الترجمة التي قدمتها بالتفصيل في نهاية الجزء الثاني، وبداية الجزء الثالث حتى أنهت بالإمام الأكبر فضيلة الشيخ جاد الحق على جاد الحق، وسيأتي الإمام الأخير بعد ذلك.

- ٣- منتهى الرغبة في حل ألفاظ النخبة (وهو شرح لكتاب نخبة الفكر لابن حجر العسقلاني).
- ٤- الفرائد السنية في حل ألفاظ السنوسية.
- ٥- الأنوار القدسية في الفرائد الخراشية (وهو شرح للعقيدة السنوسية).
- ٦- حاشية على شرح الشيخ على ايساغوجي في (المنطق) وهو كتاب شهير.
- ٧- إجازة أجاز بها تلميذه الشيخ على الشبراملسي (ليستحق بها ما يشبه العالمية).



الشيخ إبراهيم بن محمد البرماوى

ينسب إلى بلدة (برما) من أعمال محافظة الغربية

حفظ القرآن ودرس في الأزهر على كبار الشيوخ وعكف على (دروس الشيخ أبى العباس شهاب الدين محمد بن أحمد القليوبى) وكان من أعظم علماء عصره متعدد الثقافات وألف كثيراً من الشروح والخواشى والرسائل ثم أذن له أن يقوم بالتدريس فأقبل الطلاب على علمه وكان من أنجب تلاميذه (الشيخ إبراهيم الفيومى) الذى سبقت الإشارة إليه وترك مؤلفاته عدة تدل على غزارة علمه فى (الحديث وفقه الشافعية والمواريث والتصوف).

١- حاشية على شرح القرافى لمنظومة ابن فرح الأشبيلي (كما شرحها كثيرون لأهميتها).

٢- حاشية على شرح ابن قاسم.

٣- رسالة فى أحكام القول فى (الكلب والخنزير) على مذهب الشافعى.

٤- حاشية على شرح السبط على الرحبية فى المواريث.

٥- الميثاق والعهد فيمن تكلم فى المهد.

٦- رسالة فى الدلائل الواضحات فى إثبات الكرامات (فى التصوف والتوحيد).

تولى مشيخة الأزهر سنة ١١٠١هـ ولقى ربه سنة ١١٠٦هـ.

الشيخ محمد النشرتى

كان من أعلام المالكية ولم يعثر له على ترجمة دقيقة .
ولكنه كان واسع العلم وتلمذ على يده نخبة من فقهاء عصره منهم (الديربى الشافعى الأزهرى) صاحب المؤلفات العديدة (عبد الحى بن الحسن بن زين العابدين) العالم الشهير (والمحدث الأصولى الشهير بالجوهرى) وكان بمثابة شيخ لعلماء المالكية .

ولد ببلدة (نشرت) بمحافظة كفر الشيخ وحفظ القرآن ودرس فى الأزهر ولما تولى مشيخة الأزهر سنة ١١٠٦ هـ ظل يواصل الدرس وشغله منصبه وطلابه عن التأليف ولقد سئل جمال الدين الأفغانى لماذا لم تترك مؤلفات قال : (لقد ألفت رجالا) وهو منطق الشيخ النشرتى وتوفى فى الثامن والعشرين من ذى الحجة سنة ١١٢٠ هـ .
ورغم أنه مات يوم الأحد فقد شيعت جنازته يوم الاثنين ليتمكن العلماء والأعيان وأمراء الممالك من السير فيها مما يدل على مكانته .
وظل فى مشيخة الأزهر أربعة عشر عاما وهى مدة طويلة لمن يتولون هذا المنصب .



الشيخ عبد الباقي القلبنى

ولد فى بلدة قلبن بمحافظة كفر الشيخ لم يعثر له على ترجمة وافية ولكن المؤكد أنه كان ذا سمعة علمية كبيرة وتلمذ على يديه المشاهير وكان تلميذاً للإمامين (البرماي والنشرتى) .
ووجه تلاميذه إلى دراسة الكتب القديمة وعدم الاكتفاء بالشروح والملخصات وكان يشرح ما استغلق فهمه عليهم ويملى الشروح مما يدل على رسوخ قدمه فى علوم الدين وتولى مشيخة الأزهر عام ١١٢٠ هـ .
ولم يترك مصنفات علمية فقد انشغل بالدروس لطلابه كسابقه (الشيخ النشرتى) .

الشيخ محمد شنن

لم يعثر له على ترجمة وافية وإنما الواضح أنه تميز عنمن سبقه من شيوخ الأزهر بشرائه العريض وكان له ممالك وعبيد وجوار ولكن ذلك لم يصرفه عن العلم واشتهر بغزارة علمه وفقهه وكان علما من أعلام المذهب المالكي، وكان ممن حث على تجديد الجامع الأزهر وأنفق كثيرا من ماله في سبيل ذلك خوفاً على طلابه بل ورفع مذكرة للسلطان أحمد الثالث الذي أوفد بعثة عثمانية رسمية تحمل المال والخبراء لاجراء الاصلاحات.

وظل يواصل البحث والدرس حتى لقي ربه سنة ١١٣٣هـ.
ولم يترك مصنفات لأنه اكتفى بتدريس العلوم لطلابه (كسابقه).



الشيخ إبراهيم بن موسى الفيومي

ولد سنة ١٠٦٢هـ وعين شيخا للأزهر سنة ١١٣٣هـ وتوفي سنة ١١٣٧هـ.
درس في الأزهر على يد الشيخ الخراشي (الرسالة) وهي من أهم كتاب في ذلك العصر في العقيدة الإسلامية وشرحها (وكان كما قدمنا معيداً له) وتلقى على يد علماء عصره كل في تخصصه فكان من كبار رجال الحديث في عصره وتبحر في علوم اللغة حيث ألف شرحاً قيماً لكتاب (المقدمة العزية للجماعة الأهرية في علم الصرف) من تأليف أبي الحسن الشاذلي المالكي وكان ذا موهبة خاصة في التدريس فكان المثات يتوافدون عليه ويتلقون عنه وكان يلخص ما قاله في نهاية الدرس ولا يغادر مجلسه حتى يطمئن على فهم تلاميذه له ومن ألع طلابه (حجة زمانه الشيخ محمد بن عيسى بن يوسف الدمياطي الشافعي) (والشيخ الفيومي المالكي) (والشيخ الصعيدي العدوي المالكي) صاحب المصنفات العديدة.



الشيخ عبد الله بن محمد بن عامر الشبراوي

ولد عام ١٠٩١هـ بالقاهرة ونبع من صغره فكان شاعرا مرموقا وكاتبا فريداً وعالماً واسع الاطلاع متعمقا في الفقه والحديث وعلم الكلام.

ورث عن أبيه وجده حب العلم وكان فاتحة لعصر النهضة والتحرر من الصنعة فى الكتابة وتلمذ على يد (الشيخ الخراشى) (والشيخ حسن البدرى) (والشيخ خليل اللقانى) (والشيخ محمد الزرقانى) (والشيخ أحمد النبراوى) وكانوا من الأعلام ولما جلس للتدريس تلمذ على يديه كبار العلماء من أمثال (على بن شمس الدين الخضرى) (والشيخ الزمزمى المكى الشافعى) (والوالى عبد الله باشا الكوبرلى).

كانت للشبراوى مكانة عند الحكام وبين العلماء وسجل أحداث عصره شعرا ونثرا وكانت له قصائد تغنى بها أبناء عصره وتولى المشيخة سنة ١١٣٧ وكان من أعلام الشافعية ونظم قصائد لتيسير العلوم على طلابه وترك مؤلفات عدة منها.

١- مفاتيح الألفاظ فى مدائح الأشراف.

٢- الاتحاف بحب الأشراف.

٣- الاستغاثة الشبراوية.

٤- درس الآداب وفرحة الألباب (فى تقويم الأخلاق ونصائح الحكام).

٥- عنوان البيان وبستان الأذهان (فى الأدب والأخلاق).

٦- نزهة الأبصار فى رقائق الأشعار.

٧- شرح الصدر فى غزوة بدر.

٨- نظم بحور الشعر وأجزائها.

٩- شرح الرسالة العضدية (فى علم الوضع).

١٠- العقد الفريد فى استنباط العقائد من كلمة التوحيد.

١١- منظومة فى علم النحو.

١٢- عنوان البيان ونسيان الأذهان (فى البلاغة).

١٣- سند الشبراوى (ذكر فيه مشايخه ومروياته).

ومات سنة ١١٧١هـ.

الشيخ محمد بن سالم الحفنى

ولد ببلدة (حفنا) من أعمال بليس بمحافظة الشرقية فى سنة ١١٠٠هـ.
وحفظ القرآن ووفد إلى الأزهر الشريف وأخذ العلم عن أشهر علماء عصره
واجتهد حتى أجازه أساتذته للتدريس والافتاء ومن أهم شيوخه (الشيخ محمد
البدرى الدمياطى الشهير بابن الميت) درس عليه (كتاب أحياء علوم الدين للإمام
الغزالى) واستوعب كل كتب الحديث الشهيرة وتوافد الطلاب عليه من كل فج.
وكان من الأشراف ينتسب إلى العترة النبوية الشريفة شديد الحياء نقى النفس
وبرع فى فن الثر ونظم الشعر.

وذاق مرارة الفقر ثم أقبلت عليه الدنيا فكثر ماله لكنه لم يتخل عن واجبه
العلمى ومال للصوفية فكان من أقطابها يتردد على (زاوية سيدى شاهين الخلوتى
بسفح الجبل) يظل فيها الليالى متعبدا متأملا فسمت به الصوفية.

- ووجه طلابه إلى دراسة المصادر العلمية العميقة مثل (الأشمونى فى النحو
والصرف) (وجمع الجوامع فى أصول الفقه للسبكى) (ومختصر السعد فى
البلاغة).

وكان ذا مهابة يهابه الأمراء والحكام ولكنه كان متواضعا مع الفقراء سخرى اليد
وترددت بين الناس كراماته فازداد مكانة فى القلوب وتولى المشيخة سنة ١١٧١
وتسابق العلماء إلى استجازته وكتبوا عنه وألف (العلامة الشيخ حسن المكى) كتابا
فى مناقبه ونسبه وكذلك (الشيخ محمد الدمهورى المعروف بالهلباوى) ألف كتابا
فى مدائح الشيخ (وأفرد له الجبرتى صفحات طويلة وامتدحه بما لم يمتدح أحدا).

ومن مؤلفاته:

- الثمرة البهية فى أسماء الصحابة البدرية (فى التاريخ).
- حاشية على شرح الأشمونى (لألفية ابن مالك فى النحو).
- أنفس نفائس الدرر (حاشية على همزية البوصيرى).
- حاشية على شرح السمرقندى على الرسالة العضدية (فى علم الوضع).

- رسالة فى النقلة فى الفروع فى أصول الفقه .
- حاشية على شرح الفوائد الشنشورية للشنشورى (فى الموارىث) .
- رسالة فى الأحاديث المتعلقة برؤية النبى ﷺ .
- رسالة فى فضل التسبيح والتحميد فى الفضائل والآداب .
- رسالة على شرح الحفيد على مختصر جده السعد التفتازانى (فى البلاغة) .
- شرح المسألة الملفقة فى تحليل المطلقة (ثلاثا) .
- مجموعة من الإجازات لكثير من تلاميذه إقرارا بقدرتهم على الدرس والفتوى .

ومات فى ٢٧ ربيع الأول ١١٨١هـ .

الشيخ عبد الرؤوف بن محمد السجيني

- وُلِدَ ببلدة (سجين) بمحافظة الغربية عام ١١٥٤هـ ولقبه (أبو الجود) .
- حفظ القرآن ولزم عمه (الشمس السجيني) وكان من العلماء كما كان والده أيضا رغم أنه كفيف من كبار العلماء وأنه كان فقيها نحويا أصوليا شافعيًا .
- ولما مات عمه خلفه فى دراسة المنهج (وهو منهج الطلاب للأنصارى) وكان من الكتب المقررة فى مذهب الشافعى .
- وكان الشيخ السجيني ذا مكانة بين الناس فقد حدث أن أحد التجار تشاجر مع خادم فضربه الخادم فجمع التاجر أعوانه وطارده فلاذ الخادم بمنزل الشيخ السجيني فأطلق التاجر النار فأصاب رصاصة أحد أقارب الشيخ وهرب التاجر فثارت الجماهير من أجل الشيخ وحاصرت الحى الذى اعتصم به التاجر لولا أن تدخل الوالى والأمراء والأعيان وأرضوا الشيخ مما يدل على مكانة العلماء .
- وتولى رواق الشارقة بالأزهر قبل أن يتولى المشيخة سنة ١١٨١هـ .
- ولكن لم يطل بها فقد مات سنة ١١٨٢هـ .
- ولم يعثر له على مؤلفات يبدو لأنه آثر التفرغ للدراسة والاهتمام بطلابه .

الشيخ أحمد بن عبد المنعم بن صيام الدمنهوري

ولد بمدينة (دمنهور) سنة ١١٠١ هـ وقدم الأزهر وهو صغير يتيم لم يكفله أحد فاشتغل بالعلم وجد في التحصيل وأجازه علماء المذاهب الأربعة وكان ذا حافظة قوية وقدرة على التأليف وبرع في الافتاء على (المذاهب الأربعة).

ولم يكتف بدراسة علوم الدين فقد شغف بدراسة الطب والفلك والهندسة والمنطق رغم نفور الكثيرين من هذه العلوم فسبق أوانه وكأنه تنبأ أن يدرس الأزهر يوماً هذه المواد وجلس إلى (الشيخ على الزعترى) وكان عالماً بالحساب والهندسة ودرس آثار (ابن الهيثم) في الرياضيات والبصريات وآثار (ابن سينا) في الطب والفلسفة.

ولم يترك كتاباً قديماً إلا استوعبه وترك مصنفات في كل فن في عصر اشتهر بالتخلف ولما زار مكة حاجاً سنة ١١٧٧ هـ استقبل أعظم الاستقبال وأقبل عليه العلماء إذ سبقته شهرته، وأجله (على بك الكبير) وكان يجلس إلى دروسه وتولى المشيخة سنة ١١٨٢ هـ وكان مهيباً لدى أمراء المماليك فلما نشبت الفتنة بين زعماء المماليك وأتباعهم من طائفتي (العلوية والمحمدية) فر (حسن بك الجداوى) من زعماء العلوية أمام مطارديه فلجأ لبيت الشيخ الدمنهوري فلم يجروا أحد على اقتحامه حتى أجاره (إبراهيم بك) وكان لا يعود من درسه إلا في وقت متأخر من الليل ويحرص على صلاة الفجر وتحدى علماء عصره بما كان يطرح من أسئلة معجزة لم يقم بالإجابة عنها مما جعل (على بك الكبير) يتخذة أستاذاً ويستشيريه في كثير من أمور الدولة وتركزت هذه الأسئلة في خمسة.

١- (في إبطال الجزء الذي لا يتجزأ) وكان السائد أن المادة لا تتجزأ وكأنما سبق علماء الذرة في ذلك واستدل بقول الله ﴿عَالَمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [سبا: ٣]. والأصغر من الذرة هو نواتها (البروتون) والكويكبات الدائرة حول النواة (الالكترونات).

٢- سأل (ما معنى قول ابن سينا ذات الله نفس الوجود المطلق) وهو سؤال عما يسميه الصوفية (بوحدة الوجود) وعلماء الإسلام ينزهون الله عن (الحلول والاتحاد).

- ٣- سأل ما معنى قول أبى منصور الماترىدى (معرفة الله واجبة بالعقل مع أن المجهول من كل وجه يستحيل طلبه) وشرح آراء المعتزلة وفلاسفة اليونان.
- ٤- ما معنى قول البرجلى (إن من مات من المسلمين لسنا نتحقق موته على الإسلام) واستدل بحديث رسول الله (إن قلوب بنى آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يعرفه حيث يشاء) فالعبرة بالخواتيم.
- ٥- هل الاستثناء فى الكلمة المشرفة (لا إله إلا الله) متصل أو منفصل وقد اختلف النحويون فى إعراب (لا إله إلا الله).

ومن مؤلفاته:

- ١- كشف اللثام عن مخدرات الأفهام فى البسمة والحمدلة.
- ٢- حلية اللب المصون فى شرح الجوهر المكنون (فى البلاغة).
- ٣- اللطائف الفورية فى المنح الدمنهورية.
- ٤- نهاية التعريف بأقسام الحديث الضعيف.
- ٥- درة التوحيد (منظومة فى علم التوحيد).
- ٦- القول المقيد فى شرح در التوحيد.
- ٧- شرح الأوفاق العددية (وهو بحث فى استنباط آفاق المستقبل عن طريق الأعداد).
- ٨- شفاء الظمآن بسر (يس قلب القرآن).
- ٩- عقد الفرائد بما للمثلث من فوائد.
- ١٠- منتهى الارادات فى تحقيق الاستعارات (فى البلاغة).
- ١١- سبيل الرشاد إلى نفع العباد فى الأخلاق.
- ١٢- الفتح الربانى بمفردات ابن حنبل الشيبانى (فى فقه الحنابلة).
- ١٣- رسالة عين الحياة فى استنباط المياه (فى الجيولوجيا).

- ١٤- القول الصريح في علم التشريح (في الطب).
 - ١٥- منهج السلوك في نصيحة الملوك (في السياسة والأخلاق).
 - ١٦- الدرة اليتيمة في الصنعة الكريمة (في الكيمياء).
 - ١٧- طريق الاهتداء بأحكام الأمانة والاقتداء (على مذهب أبي حنيفة).
 - ١٨- إحياء الفؤاد بمعرفة خواص الأعداد (في الحساب).
 - ١٩- منع الأثيم الحائر عن التماهى فى فعل الكبائر (أخلاق دينية).
 - ٢٠- الأنوار الساطعات على أشرف المربعات (في الهندسة).
 - ٢١- خلاصة الكلام على وقف حمزة وهشام (في القراءات).
 - ٢٢- تحفة الملوك فى علم التوحيد والسلوك (منظومة طويلة).
 - ٢٣- حسن الإنابة فى إحياء ليلة الإجابة (ليلة النصف من شعبان).
 - ٢٤- الزهر الباسم فى علم الطلاسم (رموز سحرية).
- ومات فى ١١ رجب سنة ١١٩٢هـ.



الشيخ أحمد بن موسى العروسى

ولد بقرية (منية عروس) من أعمال أشمون بمحافظة المنوفية سنة ١١٣٣هـ حفظ القرآن وأحب العلوم على اختلاف أنواعها فتفوق فى العلوم الدينية واللغوية كما تفوق فى الرياضيات والفلك والمنطق ومال للصوفية فأخذ العهد على يد (الشيخ البكرى) ودرس كل علم على مشاهير عصره ولازم (الشيخ أحمد الصعيدى) وكان بمثابة معيدا له يلخص دروسه ويوضح ما غمض منها (وهو عمل المعيد بالنسبة للأستاذ الآن فى الجامعة) وكان عالماً محققاً حقق كثيراً من كتب التراث وكان يكره السطحية فى العلم ويوصى تلاميذه بالتعميق وقراءة أمهات الكتب.

وأحبه الشيخ البكرى فزوجه إحدى بناته وتولى المشيخة سنة ١١٩٢هـ وكان ذا مكانة بين العلماء ولهذا لما أراد (إبراهيم بك) أن يولى (الشيخ عبد الرحمن

العريشى) مشيخة الأزهر ثار العلماء واعتصموا بمسجد الإمام الشافعى والتف حولهم الناس وطالبوا أن يكون الشيخ العروسى هو شيخ الأزهر فتزل على رغبتهم ولما عاد (الشيخ محمد المصلى الشافعى) من الحجاز أغراه أعوانه أن يطلب المشيخة لنفسه فهو أحق بها وسائرهم واقتحم المدرسة الصلاحية ودرس بها وكانت وقفا على شيخ الأزهر فثار عليه العلماء ولكن الشيخ العروسى هدأ من ثورتهم وترك الشيخ المصلى يدرس بها احتراماً لعلمه ومنعاً للفتنة.

كان الشيخ العروسى قوالاً للحق لا يحب الجدل العقيم وكانت شفاعته مقبولة لدى الحكام وكان الأمراء يستشيرونه ويستفتونه فى مسائلهم ورفض أن تأتى جنود من خارج مصر لحفظ الأمن، وبين للوالى (إسماعيل بك) خطر ذلك فعمل بنصيحته وطالب بزيادة أرزاق الجند المصريين فقاموا بواجبهم ولما طغى (أحمد أغا) الوالى على أهل الحسينية لجأ إليه الناس فقام معهم وأقنع (إسماعيل بك) بعزله اتقاء للفتنة فعزله.

ولما اشد الغلاء وضج الناس بالشكوى ذهب إلى (الوالى حسن باشا) واتفق معه على وضع (تسعيرة للخبز واللحم والسمن) وخرج المحتسب ليعلن فى الأسواق السياسة التموينية الجديدة ويهدد من يخرج عليها فزالت الغمة.

ورغم صلاحه وتقواه ومهابته فقد كان ينشد الشعر ليسهل به على الطلاب بعض العلوم ولما مات رثاه كثير من الشعراء بروائع القصائد تخليداً لذكراه. ومات سنة ١٢١٨هـ.

ومن آثاره العلمية:

- شرح نظم التنوير فى إسقاط التدبير للشيخ الملوى (فى التصوف).
- حاشية على الملوى على المسرقندية (فى البلاغة).



الشيخ عبد الله الشرقاوى

ولد بقرية (الطويلة) من ضواحي بليس بمحافظة الشرقية سنة ١١٥٠هـ.

حفظ القرآن ورحل إلى الأزهر حيث درس على مشاهير العلماء مثل (الشهاب الملوى) (الشهاب الصعدي) (الشيخ الجوهري) (والإمام الدمنهوري) ومال بفطرته (للتصوف) واتصل بالصوفي الشهير (الشيخ الكردي) فلازمه وأدبه.

وتقلبت به الأيام بين مرارة الفقر وحلاوة اليسر وعاش مغموراً فترة طويلة ثم رفعته الأقدار إلى مصاف العلماء الكبار.

وأشتهر بالزهد والتقشف في مأكله وملبسه حتى بعد أن أقبلت عليه الدنيا وتولى مشيخة الأزهر بعد موت الشيخ العروسي سنة ١٢١٨ هـ وعرف بعمامته الكبيرة وفي حياته وقعت أحداث جسام إذ أتت الحملة الفرنسية على مصر وما صاحبها من آلام وتعرض لكثير من الدسائس والمؤامرات ولكن الله نصره إذ حاول خصومه إحياء منصب (ناظر الأزهر) وكان يشبه (شيخ الأزهر) وسانداهم كبار الشخصيات (كالشيخ السادات) (والقاضي العثماني) لكن الشيخ بحكمته تغلب على كل هذا ورغم ما عاناه المصريون من المماليك فقد رأوا في الفرنسيين خطراً داهماً يجب التصدي له وارتفع الشيخ الشرقاوي إلى مرتبة الزعامة الشعبية فقاوم طغيان (محمد بك الألفي) وجمع المشايخ وأغلق المسجد وأمر الناس بإغلاق الخوانيت وجاء إليه (إبراهيم بك) ليسأله عن سر ذلك فقال (نريد العدل ورفع الظلم وإقامة الشرع وإبطال المكوس) واضطر إبراهيم بك إلى تحقيق مطالب الشيخ نيابة عن الأمة وصمم الشيخ أن تكون الاستجابة كتابة يوقع عليها أمراء المماليك (وعرفت بالشرطة) ولما أنشأ نابليون (الديوان الوطني) ضم عشرة من العلماء رأسهم (الشرقاوي) وأمر نابليون أن تؤدي للعلماء التحية العسكرية إجلالاً لهم وكان يستقبلهم عند الباب الخارجي لمقر قيادته (وخصص للعلماء الخيل) ككبار رجال الدولة وشارك في الأعياد الدينية وأمر جنوده بإطلاق المدافع في هذه المناسبات لكن الشيخ الشرقاوي أحس أنها مجرد مظاهر لتأليف العلماء ولم ير في نابليون إلا غازياً معتدياً لكنه رأى مهادنته حتى تنتظم صفوف الشعب على عكس (الشيخ السادات) وأعاوناه الذين رأوا مناوئته.

واستغل الشيخ الشرقاوي علاقته الطيبة بالفرنسيين فكان يشفع للأهالي في رد المظالم ومنع جنود الحملة من العبث والخروج على التقاليد الإسلامية وكان نابليون

يلبى طلباته، لكن نابليون أحس بعداوة الشرقاوى للحملة فقبض عليه وسجنه فى القلعة مع زعماء الجهاد لكنه سرعان ما أخرجه لحاجته إليه وحاول التقرب إليه بكل السبل وتنبه الشيخ الشرقاوى إلى المدنية الحديثة والعلوم المتطورة التى جاءت بها الحملة الفرنسية وقارنها بالتخلف الذى عليه مصر وكل الولايات الخاضعة للحكم العثمانى وكان نابليون دائماً يقول لرجاله (إذا كسبتم ثقة العلماء وخاصة هذا الشيخ -يقصد الشيخ الشرقاوى- فستكسبون رأى العام فى مصر كلها).

وعلم نابليون أن الشيخ الشرقاوى يتلقى رسائل سرية من الخليفة العثمانى ولكنه لم يستطع إثبات ذلك ولا الوصول إلى طريقة تسللها للبلاد ولما قتل (سليمان الحلبي) القائد كليبر قبض على (الشيخ الشرقاوى والشيخ العريشى) واتهما بأنهما المحرضان على ذلك ولكن خاف قادة الحملة من آثار ذلك فسرعان ما أطلقوا سراحهما ويعتبر (الشيخ الشرقاوى) رجل السياسة الهادى الذى جنب شعبه كثيرا من النكبات ولو تشدد لفقد هذا الخيط الرفيع.

وبعد رحيل الحملة الفرنسية عانت البلاد من ظلم وطغيان الفرق الأجنبية والقوى المتعددة (العسكر العثمانيون) (فرقة الانكشارية) (فرقة الارناءود) (فريق الدلاة وهو الاكراد) الذين استجلبهم (خورشيد) لضرب الفرق الأخرى وأخذوا جميعاً ينهون ويستبيحون الحرمات فضج الناس بالشكوى ولجأوا (للشيخ الشرقاوى) فقاد مجموعة العلماء وآلاف المواطنين وذهب إلى الوالى فكتب إلى رؤساء الفرق للكف عن النهب والسلب لكنهم لم يسمعوا إليه فأعلن العلماء وعلى رأسهم الشرقاوى (عزل خورشيد) وتولية (محمد على) ورفض (خورشيد) العزل لكن السلطان أقر ما فعله العلماء وعلل سبب الموافقة بقوله (حيث رضى العلماء والرعية) كانت هذه فاتحة للشعب ليقرر مصيره وليختار زعامته.

وبينما كان (محمد على) يطارد المماليك فى الصعيد جاءت (حملة فريزر ١٨٠٧م) واحتلت الإسكندرية وزحفت إلى رشيد فحمس (الشيخ الشرقاوى) ومجموعة العلماء الشعب للمقاومة فهزموها ورحلت بعد أن تكبدت خسائر فادحة.

وأصبح كل من (الشيخ الشرقاوى وعمر مكرم) بمثابة زعيمين للشعب واضطر (محمد على) إلى مهادنة الشيخ الشرقاوى حتىلقى ربه ثم فرق العلماء ونفى (عمر مكرم) إلى دمياط ولقى ربه فى ٢ شوال سنة ١٢٢٧هـ.

وكان ذا رأى مسموع فلما حدث أن القاضى العثمانى أعلن أن يوم الاثنين متمم لشهر شعبان ثم جاءت جماعة للشيخ الشرقاوى وأكدوا له أنهم رأوا الهلال فأعلن الصيام وصامت الأمة.

وترك مؤلفات عدة منها:

- ١- التحفة البهية فى طبقات الشافعية.
- ٢- العقائد المشرقية فى علم التوحيد.
- حاشية الشرقاوى على كتاب التحرير للشيخ أبى زكريا الأنصارى.
- حاشية على شرح الهدهدى على أم البراهين المسماة بالصغرى لأبى عبد الله بن يوسف السنوسى.
- شرح حكم ابن عطاء الله السكندرى.
- ثبت الشرقاوى (ذكر فيه شيوخه).
- مختصر الشمائل وشرح المختصر.
- رسالة فى (لا إله إلا الله).
- رسالة فى مسألة أصولية (فى جمع الجوامع).
- شرح رسالة عبد الفتاح العادل (فى العقائد).
- شرح مختصر فى العقائد والفقه والتصوف.
- شرح الحكم والوصايا الكردية (فى التصوف).
- شرح ورد السحر للبكرى.
- مختصر مغنى اللبيب لابن هشام (فى النحو والإعراب).

- فتح المبدى شرح مختصر الزبيدى (فى الحديث).
- تحفة الناظرين فيمن ولى مصر من الولاة والسلاطين.



الشيخ محمد بن على بن منصور الشنوانى

ولد بقرية (شنوان) بالغربية وتلقى تعليمه على أيدى أشهر علماء عصره فى الحديث والفقه والتفسير واللغة وعرف بالتواضع والسماحة وشدة الحياء وكان مولعا بالنظافة وخاصة المسجد فكان يخلع ثيابه ويقوم بتنظيف المسجد حتى المراحض (ويحث الناس على النظافة وأنها قاعدة من قواعد الدين).

ولما مات الشيخ الشرقاوى تطلعت إليه العيون لكنه عاف المنصب واختبأ ولكن الباشا جمع العلماء وطلب منهم أن يختاروا واحداً بعيداً عن كل شبهة فوق الاختيار عليه فأمر جنده بالبحث عنه حتى وجده فأوكل إليه المشيخة لكنه حاول الاعتذار فأصر الوالى وأصر العلماء ولما كانت داره صغيرة لا تستوعب مهام المنصب فقد نزل فى دار أوسع وكان ذلك سنة ١٢٢٧هـ.

وكان عزوفاً عن زيارة الأمراء وكبار الشخصيات ولكنه كان من قادة الشعب وشارك فى مقاومة الحملة الفرنسية وقد حاول الوالى أن يستولى على كل أراضى الدولة وإن يتخذ العلماء مطية حيث أفهمهم أنه سترك أراضيهم لهم يزرعونها بمعرفتهم ويستغلونها وتصدى له الإمام الشنوانى وطالبه بالإفراج عن الأوقاف المحبوسة للطلبة فوافقه ثم طالبه بإلغاء أمر الاستيلاء على بقية الأراضى فرفض.

ولم يترك مكانه فى الدرس بعد تولى المشيخة وكان متبحراً فى علوم اللغة كما كان مولعا بعلم الكلام والرياضيات. ومات سنة ١٢٣٣هـ.

ومن مؤلفاته:

- ١- حاشية على شرح الجوهرى (جوهرة التوحيد).
- ٢- الجواهر السنينة بمولد خير البرية.
- ٣- حاشية الشنوانى على مختصر البخارى.

٤- ثبت الشنواني (إجازة أجاز بها تلميذه . المبلط الشهير).

٥- حاشية على السمرقندية (في علوم البلاغة).

٦- حاشية على (العضدية في آداب البحث).



الشيخ محمد بن أحمد بن مرسى بن داود العروسي

ولد بالقاهرة وكان أبوه شيخاً للأزهر كما قدمنا وكان مزاحماً للشيخ الشنواني لولا أن (محمد على) فضل عليه (الشيخ الشنواني) لأنه ضاق بالمشايخ الشعبيين (كالشراقوى وعمر مكرم) واشتغل بالدرس فكان يقضى وقته من الصباح للمساء لا يقوم إلا للصلاة وهذا ما عوقه عن التأليف الذى يحتاج إلى وقت وتولى المشيخة سنة ١٢٣٣هـ وحدثت فى عهده (فتنة حول أكل ذبائح أهل الكتاب) ذلك أن (الشيخ إبراهيم المالكي الشهير بإبراهيم باشا) قرأ فى درس الفقه (إن ذبائح أهل الكتاب فى حكم الميتة لا يجوز أكلها) وسمع (فقهاء الثغر) بذلك فانكروه وناقشوه فقال إنى أخذت ذلك عن الشيخ على الميلى المغربى وهو عالم جليل ورع فأرسلوا إليه فبعث برسالة مفصلة ساق فيها الأسانيد على رأيه واستند هو أيضاً لرأى (الشيخ الطرطوشى) فى المنع وعدم الحل وأمر الوالى بجمع العلماء والنظر فى هذه المسألة الخطيرة.

وتقدم الشيخ العروسي وامتدح (الشيخ على الميلى المغربى) ووصفه بأنه عالم جليل ولكنه حاد المزاج ويعقله بعض الخلل اعتذاراً عن طعنه فى العلماء المعاصرين) وطلب الاجتماع به لمناظرته لكن (الشيخ على) رفض فذهب إلى الجند فوجده وقد اختفى وأصدر الأمير أمراً بنفى (الشيخ إبراهيم المالكي) إلى بنى غازى.

وظل الإمام موضع التكريم من الطلبة والعلماء والأمراء.

ولم يترك مصنفات لانشغاله بالتدريس ومهام المنصب ومات سنة ١٢٤٥هـ.

الشيخ أحمد زين على بن أحمد الدهوجى

ولد بقرية (دمهوج) بمحافظة المنوفية سنة ١١٧٠هـ ولى مشيخة الأزهر سنة ١٢٤٦ وظل بها ستة أشهر حتى لقي ربه فى نفس العام سنة ١٢٤٦ .

ولم يعرف عن حياته إلا القليل وذلك لشدة زهده وبعده عن مظاهر الدنيا وانقطاعه للدرس والعبادة فكان يدرس من الصباح حتى المساء لا يخلو إلا فى أوقات الصلاة فإذا ما عاد لبيتة لزم الصلاة متعبدا متهجداً ولما مات خرجت جماهير غفيرة لوداعه فى مشهد مهيب .



الشيخ حسن بن محمد بن العطار

أصله مغربى ولكنه ولد بالقاهرة سنة ١١٨٢هـ كان أبوه عطارا وأراد أن يعاونه ولده فى حانوته لكنه مال لطلب العلم فتركه أبوه وكان ذا حافظه قوية وشغف بالعلم وخاصة لما رأى أترابه يروحون ويغدون للأزهر وفى زمن قصير أجازه أساتذته للتدريس والفتوى ولم يقنع بالعلوم الدينية بل أقبل على العلوم العصرية ودرس الفلك والهندسة وكان حاد البصر يقرأ أدق الخطوط فى ضوء القمر أو الشموع الضعيفة ولا يترك الكتاب حتى يستوعبه وكان كثير الاستعارة وبذلك استوعب علوم عصره وامتدحه (رفاعه الطهطاوى) واعتبره سابقاً لعصره .

وله هوامش على كتب الطب غاية فى الروعة واتقن الرصد للنجوم ودرس التشريح فكان (موسوعة علمية) واتصل (بعلماء الحملة الفرنسية) واتقن الفرنسية ودرس علومهم الحديثة رغم أنه فر عند مجيء الحملة إلى أسبوط وعانى من الفقر والاضطراب ومرض الطاعون الذى اجتاح أسبوط .

وكتب فى ذلك إلى (العلامة الجبرتى رسالة غاية فى الأهمية ووصف الطاعون وأعراضه وآراءه فى مقاومته) .

وعاد للقاهرة بعد أن استقر الأمن وكان يرى فى مجيء الحملة الفرنسية إلى مصر مكسبا علمياً وبركة لأنها فتحت أعين العلماء على حقائق خفية، وبهذا جمع الشيخ بين الثقافة العربية والثقافة الغربية، ورحل كثيراً إلى الخارج وأجاد عدة

لغات منها التركية والفرنسية والألبانية وزار كثيراً من أوطان العرب، وكان في كل بلد يلقي محاضراته، ويقبل عليه العلماء، وكان شاعراً مجيداً وكاتباً عميقاً، ولهذا أسندت إليه (جريدة الوقائع المصرية) فرأس تحريرها وأعلن آراءه، ودعا إلى إدخال العلوم الحديثة وجلاء التراث العربي، وحث على الرجوع إلى أمهات الكتب وعدم الاكتفاء بالخواشي والمتون (ومنه تلقى رفاة الطهطاوى) الذى أسهم فى نقل مصر من عصر التخلف إلى عصر النهضة والاحتكاك بالثقافات العالمية، وكان شعار الشيخ العطار (أن بلادنا يجب أن تتغير أحوالها وتتجدد بها المعارف) وهو الذى وجه تلميذه (رفاعة الطهطاوى) لتسجيل كل ما تقع عليه عينه فى فرنسا وأن يستجلب معه كل ما تقع عليه يده من ذخائر الكتب وهو الذى شجعه على الترجمة (وتأسيس مدرسة الألسن).

وعالج علم الجغرافيا معالجة جديدة واهتم بالخرائط واستفاد من خبرة علماء الحملة واكب على عيون الكتب المهجورة وبسطها لطلابه وبدا أول خطوة فى (فن الفهرسة) بحيث يعود الطلاب إلى المراجع القديمة بسهولة.

وكان خلية دائبة يدرس ويصنف المؤلفات ويشرح الكتب ودفع طلابه إلى الخروج من التراكم اللغوية العقيمة وتحرير الكتابة من قيود الصنعة التى شاعت فى عصور الانحطاط ورغم طغيان محمد على فقد كان يجله ويستشيريه وأطلق يده فى النهضة العلمية ففتح الأبواب للعلوم الحديثة وأشرف على إنشاء المدارس المتعددة (ثم ولاه مشيخة الأزهر) سنة ١٢٤٦هـ وجدد فى الشعر العربى وفتح الطريق أمام شعراء النهضة (كالبارودى وشوقى وحافظ) وأراد الرحيل إلى مكة ولكن طلابه تعلقوا به وهددوا بترك الدراسة حتى رضخ لهم وبقي فى مصر.

ومن مصنفاته:

- حاشية العطار على الجواهر المنتظمات فى عقود المقولات.
- حاشية العطار على التهذيب للإمام الخبيصى (شرح على تهذيب المنطق والكلام).
- حاشية العطار على شرح ايساغوجى فى المنطق (وكان من أهم الكتب).
- حاشية العطار على شرح العصام على الرسالة العضدية.

- حاشية العطار على كتاب نيل السعادات فى علم المقولات.
- حاشية العطار على جمع الجوامع فى أصول الفقه.
- رسالة فى علم الكلام.
- حاشية العطار على شرح الكتاب المسمى (بموصل الطلاب إلى قواعد الإعراب).
- حاشية على شرح الأجرومية (فى النحو).
- شرح السمرقندية فى علم البيان.
- منظومة العطار فى علم النحو.
- إنشاء العطار فى المراسلات.
- ديوان العطار (ويجمع مئات القصائد).
- مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس.
- رسالة فى كيفية العمل (بالاسطرلاب) وهو علم الرصد.
- جمع وترتيب وشرح ديوان ابن سهل الاندلسى.
- شرح كتاب الكامل للمبرد.
- نبذة فى علم الجراحة.
- ولقى ربه سنة ١٢٥٠هـ.



الشيخ حسن بن درويش القويسنى

ولد (بقويسنا) ولم يعرف تاريخ مولده وإن عرف تاريخ وفاته حيث مات سنة ١٢٥٤هـ وتميز عن سائر شيوخ الأزهر بأنه كان كفيف البصر واشتهر بلقب (البرهان القويسنى الشافعى) وكان مهيبا عند العلماء والأمراء، ونافس الشيخ

الطار في علمه وشعره، ومال للتصوف، وبلغ فيه منزلة سامية، وكان يعتبر حجة في فقه الشافعي، وكان عزيز النفس عازلاً عن الدنيا حاول (محمد علي) كثيراً أن يتقرب إليه بالعطايا فكان يأبى، وعابه أنه استغرق في الصوفية لدرجة الشطحات، كان إذا ما استغرق لا يدري بما حوله، ويظل فيما يشبه الغيبوبة حتى يفيق.

وتخرج على يديه كبار العلماء (كالشيخ إبراهيم الباجوري) (والسيد مصطفى الذهبي) وكان من ألمع تلاميذه (رفاعة الطهطاوي) وتولى المشيخة سنة ١٢٥٠هـ وحدثت جفوة بينه وبين (الشيخ الأمير) وبلغت الجفوة أسماع الحاكم فاستدعى الحاكم (الشيخ الأمير) وسأله عن الشيخ القويسني فقال (ليس بيننا إلا الخير) فأتى إلى الشيخ القويسني فسمع منه نفس الإجابة (اتباعاً للحفاظ على عروة الإسلام). ومن مؤلفاته:

- ١- شرح السلم المنورق لعبد الرحمن الأخضرى.
- ٢- سند القويسني (جمع فيه أصح الأحاديث).
- ٣- رسالة في المواريث.



الشيخ أحمد بن عبد الجواد السفطى

ولد (بسفط العرفاء) من ضواحي مدينة (الفشن) بمحافظة بنى سويف واشتهر (بالشيخ أحمد الصائم) ولم يعرف تاريخ مولده.

وتلقى العلم على نخبة من العلماء فتلقى على (الشيخ السبواي الشهير بالأمير) والشيخ الدمهوجي وتولى مشيخة الأزهر سنة ١٢٥٤.

وكان شاعراً موهوباً، وسجل كثيراً من الأحداث في شعره، واشتهر بالعفة والصلاح، ولم يعثر على مؤلفاته اللهم إلا إجازتين (الأولى للشيخ أحمد الجرجاوى) (والثانية للشيخ حسنين الملط الحنفى)، لكن شهرته كفقيه طبقت الآفاق وكان دءوباً على دراسة أمهات الكتب بعيداً عن زخرف الدنيا. وتوفي سنة ١٢٦٣هـ.

الشيخ إبراهيم بن محمد أحمد الباجوري

ولد ببلدة (الباجور) بالمنوفية سنة ١١٩٨هـ وقدم الأزهر سنة ١٢١٢ .
 واجتهد في دراسته وتلمذ على مشاهير عصره مثل (الشيخ الأمير) (والشيخ
 الشرقاوى) (والشيخ القويسنى) (والشيخ القلعاوى).
 وكان يقضى النهار وجزءاً من الليل في طلب العلم أو التدريس، ثم يقضى وقتاً
 من الليل في ترتيل القرآن بصوت شجى يسعى لسماعه المئات.
 تولى مشيخة الأزهر سنة ١٢٦٣هـ وظل يدرس لطلابه مع مهام المشيخة وكان
 مهيباً، يسعى (عباس الأول) لزيارته والجلوس للاستماع إلى دروسه، فلا يقوم له
 عند حضوره أو انصرافه وكان يقبل يده.
 ثم مرض في عهد (سعيد باشا) فقام أربعة من العلماء بشئون المشيخة حتى
 مات سنة ١٢٧٧هـ.

وقد تعرض في حياته لعدة أحداث منها:

- ثورة المغاربة لأمر تتعلق بالجزايرة، وأساءوا الأدب معه، ولما علم عباس
 الأول أرسل الجند ونفاهم.

- وهرب كثير من الشباب من التجنيد وسعوا إلى دروسه وطاردهم الجند لكنهم
 لم يجرؤا على اقتحام مجلسه، ولما علم طرد هؤلاء الشباب، وحثهم على الجندية
 وأنها خير من طلب العلم دفاعاً عن الوطن.

- وحدث أن وقع نزاع بين فريق الشوام وفريق الصعايدة من طلبة العلم فأرسل
 الحاكم فرقة اعتدت على الصعايدة بدون تحقيق وانتهكوا حرمة المسجد فلما عاد
 سعيد باشا من الحج أخبره الشيخ فعزل الحاكم واعتذر لما وقع.

ومن مؤلفاته:

١- مجموعة من الإجازات لتلاميذه النجباء .

٢- المسلسلات (تعرض فيه لعلم الأحاديث وتبويبها).

٣- حاشية على متن الجوهرة سماها تحفة المريد على جوهر التوحيد.

- ٤- حاشية على متن السنوسية المسماة أم البراهين.
- ٥- حاشية على تحقيق المقام على كفاية العوام.
- ٦- حاشية على شرح السعد للعقائد النسفية (للإمام النسفي).
- ٧- فتح القريب المجيد على شرح بداية المريد.
- ٨- منح الفتاح على ضوء المصباح في النطاح (فقه شافعي).
- ٩- تعليق على الكشف (في تفسير القرآن الكريم).
- ١٠- الدرر الحسان فيما يحصل به الإسلام والإيمان.



الشيخ مصطفى بن محمد بن أحمد بن موسى بن داود العروسي

ولد في سنة ١٢١٣هـ ولى مشيخة الأزهر سنة ١٢٨١هـ كما وليها من قبل أبوه وجده، فنشأ في بيت علم وأدب ومناخ أزهرى، اشتهر بحبه للنظام، وترك التدريس وكان لا تأخذه في الحق لومة لائم، قوى الشخصية وتتبع البدع المعاصرة التي جرت في البلاد، وأعاد الناس إلى الدين الصحيح، ومنع التسول، وكان كثير من المستولين يتخذون من ساحة الأزهر مجالا لحرفتهم.

ولم يسمح أن يقوم أحد بالتدريس إلا بعد اجتياز امتحان من لجنة كان يرأسها بنفسه، وأن يكون ملما بكل علوم الدين واللغة، مما أوغر صدور أدياء التدريس فأوعزوا إلى الحاكم فتعذر عزله بدون مقدمات في سنة ١٢٨٧هـ، ويقال إن (إسماعيل باشا) كان وراء العزل، فقد خشى من شخصية الإمام الذي كان يندد بالظلم في خطبه ودروسه وخشى الخديوى أن يقود ثورة ضده بعد أن ارتفع صوت الشعب بالشكوى عندما عرض البلاد للإفلاس ومكن الأجانب من السيطرة على تقاليد البلاد.

ومن مصنفاته:

- ١- حاشية على شرح الشيخ زكريا الأنصارى للرسالة القشيرية (في التصوف).
- ٢- كشف الغمة وتفنيد معانى أدعية سيد الأمة.

- ٣- رسالة الاكتساب سماها (القول الفصل فى مذهب ذوى الفضل).
- ٤- العقود الفرائد فى بيان معانى العقائد.
- ٥- أحكام المفاكهات فى أنواع الفنون المتفرقات.
- ٦- الأنوار البهية فى بيان أحقية المذهب الشافعى.
- ٧- الفرائد المستحسنة فيما يتعلق بالبسملة والحمد له.
- ٨- الهداية بالولاية.



الشيخ محمد المهدى العباس الحنفى

ولد بالإسكندرية سنة ١٢٤٣هـ.

وكان جده مسيحياً وأسلم على يد (الشيخ محمد الحنفى) وهو صغير فضمه لأسرته وأقبل على حفظ القرآن ودراسة الإسلام ورشحه (الشيخ الشرقاوى) لمشيخة الإسلام، ولكن (محمد على) أثر بها (الشيخ الشنوانى).

وأنجب ابنه (محمد الأمين) من خيرة العلماء الذى أنجب (الشيخ محمد المهدى) الذى كان ذكياً واعياً، فدرس على خيرة العلماء وأحبه (إبراهيم باشا) فأوكل إليه منصب (الإفتاء) سنة ١٢٦٤هـ وهو فى نحو العشرين دليل تقديره ولكنها أثارت العلماء عليه لصغر سنه ثم تولى مشيخة الأزهر سنة ١٢٨٧هـ.

واشتهر بالحزم وحب العلم وعدم ممالاة الحكام، وكانت فتاواه دليل ذلك وتصدى (العباس الأول) حينما أراد أن يصادر كل أملاك أسرة محمد على بحجة أنه جاء إلى مصر ولم يكن يملك شيئاً، ويجب أن ترد هذه الأموال للدولة (وهى كلمة حق أريد بها باطل)، وطلب من الشيخ المهدى أن يصدر فتوى بذلك فرفض، فهده بالعقاب الرادع، ولكنه لم يلبس وارتفع قدره عند الحاكم وعند العلماء لموقفه هذا ويعتبر أول (حنفى) يتولى مشيخة الأزهر إذ كانت وقتاً على (الشافعيين).

وكان أول شيخ للأزهر يقوم بتنظيمات مالية وإدارية، وأعاد للأزهر كل الأوقاف والمخصصات التي سلبت منه، وكان موفقاً في إنفاق الأموال على مستحقيها، وصمم على ألا يقوم بالتدريس في الأزهر إلا من تميزه لجنة من العلماء، فكان أول من سن (قانون تنظيم الامتحان)، وجعل الامتحان في أحد عشر علماً من علوم الدين واللغة وهي الأساس الآن للدراسة في الأزهر، وكان يحرص أن يشهد بنفسه الامتحان ويناقش المتقدمين مما حفز الطلاب على استيعاب هذه العلوم فتخرج جيل عالم. ولما قامت (الثورة العراقية) لم يتجاوب معها فطلب (عراقي) من الخديوي عزله فأجابته لطلبه سنة ١٢٩٩ هـ وتولى (الشيخ الأنباري) مكانه.

وظل الشيخ المهدي على الإفتاء فطلب منه قادة الثورة فتوى بعزل الخديوي فرفض لأنه رأى أن الذي يملك عزل الخديوي هو الخليفة العثماني فوضعه العربيون تحت المراقبة ولما فشلت الثورة العراقية إعادته الخديوي إلى المشيخة بجانب الإفتاء حتى سنة ١٣٠٤ هـ عندما علم الخديوي أن الشيخ يستقبل في بيته بعض من يتكلمون في السياسة ويظهرون سخطهم على الاحتلال البريطاني.

والتقى الشيخ بالخديوي فقابله مقابلة جافة فطلب إعفاءه من المنصب فقال الخديوي: (ومن الإفتاء أيضاً) فقبل ذلك. ويقال أن الخديوي حنق عليه لعدة فتاوى أضرت بمركز الخديوي وظل ملازماً بيته حتى مات سنة ١٣١٥ هـ.

ومن مؤلفاته:

- ١- الفتاوى المهدية في الوقائع المصرية.
- ٢- رسالة في مسألة الحرام (على مذهب الحنفية).



الشيخ شمس الدين محمد بن محمد بن حسين الأنباري

ولد بمدينة (إنابة) المعروفة الآن (بإمبابة) بمحافظة الجيزة سنة ١٢٤٠ هـ وكان والده يعمل بالتجارة وله وكالة بالغورية. لكن الولد مال للعلم فحفظ القرآن ودرس بالأزهر وتعلم على أيدي (الشيخ الباجوري)، (الشيخ إبراهيم السقا)، (الشيخ البولاقى) ولفت الأنظار إلى علمه وسعة مداركه فأجازه الأساتذة للتدريس

بالأزهر سنة ١٢٦٧هـ وكان رجلاً خيراً جواداً سمح النفس فانتخب أميناً للفتوى عن الشيخ العروسى ووكيلاً عنه فى إدارة الأزهر .

وكان إذا ما درس كتاباً وضع حاشيته وشروحاً وتعليقات أفادت طلابه .

وتخرج على يديه علماء كبار (الشيخ حسونه النواوى) (والشيخ الببلاوى)، (والإمام أبو الفضل الجيزاوى)، (والشيخ الطويل)، (والشيخ القاياتى).

ثم عين شيخاً للأزهر سنة ١٢٩٩هـ أثناء الثورة العربية وكرمه السلطان العثمانى، ولكنه استقال لما رأى من إقبال الخديوى توفيق على الشيخ المهدي (كما أشرنا) ثم صدر تعيينه ثانية سنة ١٣٠٤هـ وظل إلى أن استقال سنة ١٣١٢ لاعتلال صحته ونال (النيشان المجيدى) (والنيشان العثمانى) من الدرجة الأولى وتوفى سنة ١٣١٣هـ .

وكان جريئاً فى الحق ورغم طغيان (اللورد كرومر) فقد كان لا يقوم له وسأله (لماذا تقوم للخديوى ولا تقوم لنا) قال: (لأنه ولى الأمر وأنت أجنبى عنا) فزاد (كرومر) احتراماً له وكتب بهذه الإجابة لحكومته .

ومن مكارم الشيخ الأنباي أنه أفتى بجواز دراسة العلوم الحديثة وكان الشيوخ يحرمونها .

من مصنفاته:

- مجموعة إجازات لتلاميذه الذين تأهلوا للتدريس .

- تقرير الأنباي على حاشية الصبان .

- رسالة فى علم الوضع .

- تقرير على مختصر السعد وحواشيه .

- رسالة فى بيان الربا وأقسامه .

- فتاوى فقهية .

مجموعة تقارير وحواشى على أهم المؤلفات القديمة .

الشيخ حسونة بن عبد الله النواوي

ولد بقرية (نواي) من أعمال ملوى محافظة أسيوط سنة ١٢٥٥هـ وحفظ القرآن ووفد إلى الأزهر وحضر دروسه على العلماء الكبار (كالشيخ الأنباي)، (والشيخ البحري)، (والشيخ الأسيوطي) وعمل استاذًا بدار العلوم ومدرسة الحقوق ثم ألف كتابًا هامًا هو (سلم المسترشدين في أحكام الفقه والدين) أوضح فيه المشكلات الفقهية، وتقرر تدريسه بكل المدارس، ولما مرض الشيخ الأنباي انتدب للقيام بشئون الأزهر سنة ١٣١١هـ وعين في لجنة خماسية كان من أعضائها (الشيخ محمد عبده)، (والشيخ سليمان العبد)، (والشيخ أبو الفضل الجيزاوي) للبحث في إصلاح الأزهر سنة ١٣١٢هـ ثم عين شيخًا للأزهر سنة ١٣١٣هـ ثم أخذ الإفتاء أيضًا سنة ١٣١٥ وانتخب عضوًا في المجلس العالي بالمحكمة الشرعية إلى أن عزل من مشيخة الأزهر سنة ١٣١٧هـ وتولاها ابن عمه (الشيخ عبد الرحمن النواوي) لأنه عارض إصلاح المحاكم الشرعية. . وعرض على مجلس شورى القوانين اقتراح بندب قاضيين مدنيين من محكمة الاستئناف الأهلية، ليشاركا قضاء المحكمة الشرعية العليا في الحكم، فوقف ضد هذا الاقتراح وأشيع أن الحكومة تريد هدم الشريعة، وحاول الخديوي أن يقنع الشيخ بقبول هذا الاقتراح فرفض، فتم عزله وبعد محاولة تعيين نحو ستة في منصب المشيخة لم يستقروا في المنصب، عاد الشيخ حسونة إلى مشيخة الأزهر سنة ١٣٢٤ لكنه أثر ترك المنصب بعد قليل لاختلال الأحوال واستقال سنة ١٣٢٧هـ حتى لقي ربه سنة ١٣٤٣هـ.

وفي عهده صدر قانون شامل بإصلاح الأزهر نظمت بمقتضاه إدارته وأجهزته وفي عهده أيضًا تم جمع (مكتبات الأزهر والمساجد الأخرى) في مكتبة واحدة وساعده (الشيخ محمد عبده) في كل محاولات الإصلاح.

ومن مصنفاته:

- غير كتاب (سلم المسترشدين) الذي سبقت الإشارة إليه.

- قانون تنظيم الأزهر.



الشيخ عبد الرحمن القطب النواوى

- ابن عم الشيخ حسونه ومن بلدة (نواى) ولد سنة ١٢٥٥هـ وتلّمذ على نفس الأساتذة وتخرج فشغل عدة مناصب هامة قضائية منها:
- أمانة فتوى مجلس الأحكام مساعدا للشيخ البقلى سنة ١٢٨٠هـ.
 - قضاء مديرية الجيزة سنة ١٢٩٠ ثم قضاء الغربية سنة ١٢٩٦.
 - ثم نقل إلى المحكمة الشرعية بالقاهرة سنة ١٣٠٦ ثم إلى قضاء الأسكندرية.
 - ثم تولى الإفتاء بوزارة العدل سنة ١٣١٣هـ.
 - وأخيرا تولى مشيخة الأزهر سنة ١٣١٧هـ.
- وانشغل بمهام هذه المناصب عن التأليف فلم يعثر له على مؤلفات.



الشيخ سليم بن أبى فراج البشرى

- ولد (بمحلة النشر) من قرى (شبراخيت) بمحافظة البحيرة ١٢٤٨هـ.
- وقدم القاهرة للدراسة فى الأزهر ونزل على خاله، وكان يعمل بمسجد السيدة زينب فدرس القراءات وعلوم الدين واللغة ودرس فقه الإمام مالك وتلّمذ على يد (الشيخ الباجورى) و(الشيخ عlish).
- ولما مرض شيخه (الخناني) أكل إليه أن يقوم مكانه بالتدريس لما أنس فيه من علم وأقبل الطلاب على دروسه، ونبغ فى علوم كثيرة، وكان يجد لكل مسألة حلا حتى قصده العلماء، ثم عين شيخاً لمسجد السيدة زينب فقرأ على الناس أمهات.
- ثم عين شيخاً للسادة المالكية وهو منصب كبير بالأزهر.
- ووقع عليه الاختيار ضمن من قاموا بالإصلاح فى الأزهر، ثم عين شيخاً للأزهر سنة ١٣١٧هـ وكان معترزاً برأيه، فقد حدث أن ولى (الشيخ أحمد المنصورى) شيخاً لأحد أروقة الأزهر، وتدخلت الحكومة فى هذا وأصر على رأيه فهدده بعزله فرحب بذلك وقدم استقالته.

ثم عين مرة ثانية سنة ١٣٢٧هـ وظل إلى أن مات سنة ١٣٣٥هـ.

وواصل قيادة حركة الإسلام وإلقاء الدروس والتصنيف العلمي.

وكان جريئاً لما قدم استقالته أول مرة لم يترك درس العلم، ولم يحاول أحد أن يزحزحه من مكانه، وفي عهده طبق نظام امتحان الراغبين في التدريس بالأزهر، وكان أول من طالب بزيادة مقررات العلماء والطلاب، ورخص لكل طالب أو عالم بالسفر بالسكة الحديدية بنصف الأجر، ولم يقبض مرتبه بنفسه أبداً، ولم يدر عنه شيئاً، وكان كثيراً ما يعطى لأصحاب الحاجات وعرف بالجزم الإداري.

وترك مصنفات عدة منها:

- ١- حاشية تحفة الطلاب على شرح رسالة الآداب.
- ٢- حاشية على رسالة الشيخ عlish في التوحيد.
- ٣- المقامات السنوية في الرد على القادح في البعثة النبوية.
- ٤- عقود الجمان في عقائد أهل الإيمان.
- ٥- الاستثناس في بيان الإعلام وأسماء الأجناس.
- ٦- شرح نهج البردة لشوقي.



الشيخ على بن محمد الببلاوى

ولد بقرية (ببلا) من أعمال ديروط بمحافظة أسيوط سنة ١٢٥١هـ، وحفظ القرآن ثم وفد للأزهر، ودرس فيه واختار حلقات خيرة الأساتذة (كالشيخ الأنباي) (والشيخ عlish) وكان صديقاً حميماً (للشيخ حسونة النواوى)، وباشر التدريس بالمسجد الحسينى والجامع الأزهر وأقبل عليه الطلاب.

وسافر للحجاز سنة ١٢٨٠هـ، والتقى بمجموعة من كبار العلماء وناقشهم، ثم عين بدار الكتب، حتى رأسها سنة ١٢٩٩ فى وزارة محمود سامى البارودى فنظم الفهارس ونهض بها نهضة عظيمة، ولما فشلت الثورة فصله الحديوى توفيق، ولكنه

ظل خطيباً للمسجد الحسينى ثم عين سنة ١٣١١ شيخاً لمسجد الحسين لنسبه الشريف ثم اختير نقيباً للإشراف سنة ١٣١٢هـ ثم عين شيخاً للأزهر سنة ١٣٢٠هـ.

ورغم إكرام الخديوى له إلا أنه لم يرض أن يقف ضد الشيخ محمد عبده إرضاء للخديوى، ووافق فى كل مساعيه الإصلاحية، ولكن الخديوى اضطهده، فقدم استقالته سنة ١٣٢٣هـ ومات فى نفس السنة ١٣٢٣هـ.

ومن مصنفاته:

- ١- رسالة فى فضائل ليلة النصف من شعبان.
- ٢- إجازة إلى الشيخ محمد بن حامد المراغى المالكى.
- ٣- إعجاز القرآن وهو مجموعة مقالات.
- ٤- الأنوار الحسينية فى شرح الحديث المسلسل يوم عاشوراء.



الشيخ عبد الرحمن بن محمد ابن أحمد الشريينى

حفظ القرآن وتلقى المذهب الشافعى على أساتذته وأحب التعميق فى المصادر القديمة وأجيز للتدريس فى الأزهر.

ولما انقسم العلماء فريقين (فريق يريد الإصلاح)، (وفريق يتمسك بالتقاليد الأزهرية) ويعارض التجديد انضم (الشيخ عبد الرحمن) إلى الفريق الثانى مما لفت نظر الحكام إليه وكانوا يتوجسون خيفة من الإصلاح ورأوا فيه رجلاً صالحاً عازقاً عن الدنيا فعرضوا عليه مشيخة الأزهر مراراً، لكنه كان يعتذر، وكان الخديوى يطمع أن تطلق يديه بعد تولية الشيخ عبد الرحمن وكان يعمد إلى استئجار الأقلام لشن حملة ضد الإصلاح ودعائه مما دفع الشيخ محمد عبده إلى الاستقالة من منصبه سنة ١٩٠٥م وحاول الخديوى زحزحته عن (الإفتاء) أيضاً وعارض (كرومر) ذلك لأنه يخشى من آثار اضطهاد الشيخ محمد عبده من ناحية، ولا يريد للخديوى أن تطلق يديه من ناحية أخرى ولأن (كرومر) يريد جذب الطبقة المثقفة إليه.

وأخيراً قبل الشيخ الشربيني تولى منصب شيخ الأزهر سنة ١٣٢٣هـ وشن حملة شديدة على حركة الإصلاح واضطهد كل من يتعاون فيها ولم يكن هدفه إلا الخوف من تهاون الطلبة فى دراسة العلوم الدينية..

وحدث أن (الشيخ الظواهرى) الذى تولى مشيخة الأزهر فيما بعد ألف كتاباً أسماه (العلم والعلماء) ودعا إلى إصلاح الأزهر فقام (الشيخ الشربيني) بحرقه وجمع كل نسخه وكان يعزل كل من يثبت أن لديه نسخة منه مما جعل الخديوى يزداد تمسكاً به واضطر (الشيخ محمد عبده) إلى مهاجمته فى جريدة المقطم وتفنيد آرائه لكن الشيخ الشربيني رفض أن يكون العوبة فى يد الخديوى واستقال من منصبه سنة ١٣٢٤هـ وأعيد الشيخ حسونة النواوى.. ومات الشيخ الشربيني سنة ١٣٢٦هـ.

ومن مؤلفاته:

- تقرير على حاشية البنانى على شرح المحلى على جمع الجوامع للسبكي فى أصول الفقه.

- تقرير على حاشية ابن قاسم.

- تقرير على حاشية عبد الحكيم.

- فيض الفتاح على شرح المفتاح فى البلاغة.



الشيخ محمد أبو الفضل الجيزاوى

ولد (بوراق الحضر) من أعمال مركز إمبابة محافظة الجيزة سنة ١٢٦٤هـ وحفظ القرآن الكريم والتحق بالأزهر ودرس القراءات وفقه الإمام مالك وتلقى علوم الدين واللغة على يد (الشيخ عlish)، (الشيخ العدوى) (والشيخ السقا)، (والشيخ الأنابى) وقام بالتدريس وتخرج على يديه جيل من العلماء.

وفى سنة ١٣١٣ عين عضواً فى إدارة الأزهر فى مدة (مشيخة الشيخ البشرى) ثم وكيلاً للأزهر سنة ١٣٢٦هـ. وعين شيخاً لمعهد الإسكندرية ومكث ٨ سنوات وأخيراً عين شيخاً للأزهر فى سنة ١٣٣٥هـ وأضيفت إليه مشيخة السادة المالكية سنة ١٣٣٦هـ.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
تصدير	٥
شعر	٦
قصيدة الأزهر الشريف فى عيده الألفى للأستاذ الدكتور حسن جاد حسن	٧
قصيدة الأزهر للشاعر عزيز أباطة	١٣

الباب الرابع

أعلام من الأزهر فى العصر الحديث

الفصل الأول: بقية شيوخ الأزهر	١٩
٤٠ - فضيلة الإمام الأكبر الدكتور الشيخ عبد الحليم محمود	١٩
نسبه وبيئته ونشأته	١٩
مناصب تولاه قبل المشيخة	٢٤
توليته وزارة الأوقاف والمشيخة	٢٧
آثاره العلمية وتأثيره	٣٢
مؤلفاته ومصنفاته	٣٣
وفاته	٣٤
٤١ - فضيلة الإمام الأكبر الدكتور الشيخ محمد بيسار	٣٧
مولده وبيئته ونشأته	٣٧
توليته المشيخة	٤٠
آثاره العلمية وتأثيره	٤١
مؤلفاته ومصنفاته	٤٢
وفاته	٤٣

- ٤٢- الإمام الأكبر فضيلة الشيخ جاد الحق على جاد الحق ٤٤
- مولده وبيئته ونشأته ٤٤
- توليته مشيخة الأزهر ٤٥
- آثاره العلمية وتأثيره ٤٧
- مؤلفاته ووفاته ٤٨
- عود على بدء - أعماله العلمية ٤٩
- من مؤلفات الإمام وبحوثه ٥١
- ثم رحل من حافظ على شرف القضاء والإفتاء ٥١
- تصانيفه ٥٨
- آراؤه الفقهية ٦١
- فتواه في الأمور الاجتماعية ٦٢
- الصحافة العلمانية وموقفها من الإمام والتطرف الديني ٦٣
- فتوى تعويض المستأجر - أوقفوا هذا العبث ٦٤
- كلمات ومقالات كُتبت في تأييد الإمام جاد الحق ٦٦
- الفصل الثاني: رائد الإصلاح وأعلام من الأزهر ٦٨
- الإمام الشيخ محمد عبده وأثره في الإصلاح الديني ٦٩
- آراء المفكرين في رائد الإصلاح: الشيخ الباقرى ٧١
- الشيخ مصطفى عبد الرازق ٨٣
- بين جمال الدين ومحمد عبده ٧٦
- الزعيم سعد زغلول والأزهر ٨٠
- أزهريون نابھون ٨٥
- الشيخ محمد رشيد رضا ٨٧
- الشيخ محمد شاكِر ٩٣
- الشيخ البحراوى ٩٦

٩٧	الشيخ محمد نجيب المطيعى
٩٩	الشيخ حسن والى
١٠١	الشيخ محمد الفحام
١٠٢	الشيخ يوسف الدجوى
١٠٧	الشيخ عبد الحكيم عطا
١٠٨	الشيخ الدينارى
١٠٩	الشيخ محمد سليمان السرتى
١١٠	الشيخ عبد المجيد اللبان
١١١	الشيخ عبد الوهاب النجار
١١٢	الشيخ الجزيرى والشيخ محمد عبد الله أبو النجا
١١٤	الشيخ محمود أبو العيون
١٢٣	الشيخ عبد الحليم قادوم
١٢٤	الشيخ عبد العزيز المراعى
١٢٧	الشيخ فكرى ياسين
١٢٧	الشيخ نافع الخفاجى

الباب الخامس

صور من الأزهر القديم والحديث

١٣٩	الفصل الأول: الإجازات العلمية من الأزهر قديماً وحديثاً
	تمهيد: يشمل: أوقاف قديمة للأزهر - أول درس للسيوطى الأزهرى -
١٣٩	الحفنى شيخ الأزهر
١٤٣	الإجازات العلمية فى الأزهر القديم
١٤٥	صورة من إجازات الأزهر العلمية فى أواخر القرن التاسع عشر
١٤٦	إجازات علمية أخرى
١٥٧	صورة إجازة أخرى من الشيخ عبد الهادى نجا الإبيارى

الإجازات العلمية في الأزهر الحديث	١٦١
الكلديات وما تمنحه من إجازات	١٦٢
إصلاحات جديدة في الأزهر	١٦٦
لجنة الفتوى	١٦٨
مجلس الأزهر الأعلى	١٦٩
إحصاء عام للطلاب	١٧٠
ميزانية الأزهر	١٧١
الفصل الثاني: الأزهر في صحائف الذكرى	١٧٢
نداء من علماء الأزهر إلى أبناء العروبة والإسلام	١٧٥
صور عن هيكل الأزهر القديم	١٨٠
مقاصير الأزهر - محاريب الأزهر	١٨٢
صحن الأزهر ومناراته ومزاوله	١٨٣
أروقة الأزهر وحاراته	١٨٤

الباب السادس

صورة عن النشاط العلمي في الأزهر

الفصل الأول: منهج الدراسة في الأزهر وقوانينه	١٩٣
الأزهر والحركة الفكرية	١٩٣
بعوث الأزهر العلمية	١٩٦
منهج الدراسة في الأزهر منذ إنشائه	٢٠١
الدراسة في الأزهر قبل النظام - قوانين الأزهر	٢٠٦
قانون رقم ١٠ سنة ١٩١١	٢٠٨
القانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٣٠	٢١١
القانون رقم ٢٦ لسنة ١٩٣٦	٢١٣
الدراسة في الأزهر الحديث	٢١٥

٢١٧ قانون الأزهر الجديد لعام ١٩٦١
٢٢٨ هيئات الأزهر
٢٢٩ المجلس الأعلى للأزهر
٢٣١ مجمع البحوث الإسلامية وإدارة الثقافة
٢٣٤ جامعة الأزهر
٢٥١ التعليم فى الأزهر
٢٥٤ جماعة كبار العلماء
٢٥٨ الدراسات العليا فى الأزهر الجامعى
٢٦٤ حياة الأزهر الثقافية
٢٧٧ مكتبة الأزهر
٢٨٧ رفاعة الطهطاوى رائد الفكر الحديث
٢٨٩ العيد الألفى والأوسمة التقديرية
٢٩٥ الفصل الثانى: المدارس العلمية والأدبية فى الأزهر الشريف خلال ألف عام
٣٠٩ علماء أزهريون من العصر المملوكى
٣١٢ الإمام السيوطى
٣٢٧ شمس الدين الحنفى
٣٢٨ شهاب الدين السنباطى
٣٣٠ الشيخ أحمد الدردير
٣٣١ الشيخ الصعيدى
٣٣٤ السيد/ عمر مكرم
٣٤٠ الشيخ محمد عياد الطنطاوى
٣٤٩ أئمة الأزهر فى القديم والحديث

